شبهات حول المرأة في الإسلام

تأليف

مصطفى أبو الغيط عبد الحي

المجلد الثاني

دار الفلاح
للبحث العلمي وتحقيق التراث

شبهات حول المرأة في الإسلام

المجلد الأول

جميع الحقوق محفوظة لدار الفلاح
ولا يجوز نشر هذا الكتاب بأي صيغة
أو تصويره PDF إلا بإذن خطي من
صاحب الدار الأستاذ/ خالد الرباط

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٨٦٣ / ٢٠٠٩

دار الفلاح
للبحث العلمي وتحقيق التراث

١٨ شارع أحمد حسن - حي الجامعة - الفيوم

ت ٠١٠٠٠٥٩٢٠٠

Kh_rbat@hotmail.com

شبهات حول المرأة في الإسلام

تأليف

مصطفى أبو الغيط عبد الحي

المجلد الثاني

دار الفلاح

للبحث العلمي وتحقيق التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

قالوا عن عمل المرأة

يقول الدكتور: مصطفى السباعي[١]:

حين كنت في لندن عام ١٩٥٦ سألني أحد الأساتذة الإنجليز: ما هو موقف الإسلام من الحضارة الغربية ؟

فأجبته: نأخذ أحسن ما فيها، ونترك أسوأ ما فيها.

قال: إن هٰذا غير ممكن، فالحضارة لا تتجزأ، وسأضرب لك مثلا: إننا في أوربا منذ بدأ عندنا عصر التصنيع بدأ تفكك الأسرة؛ لأن المرأة صارت تشتغل في المعامل، وهٰذا أمر لابد منه، ومن هنا تفككت الأسرة؟

فأجبته بأن تفكك الأسرة عندكم ليس راجعًا في رأيي إلى التصنيع، بل ناشئ من إخراج المرأة من بيتها، وأنتم الغربيين أخرجتموها لباعثين: الأول نفسي: وهو رغبتكم في أن تروا المرأة بجانبكم في كل مكان: في الترام، وفي الطريق، وفي المتجر، وفي المطعم، وفي المكتب، في دواوين الدولة، والثاني مادي أناني: وهو أنكم لا تريدون أن تتحملوا نفقات المرأة من بنت أو زوجة أو أم، فأجبرتموها على العمل؛ لتعيل نفسها بنفسها، فاضطرت لمغادرة البيت، ومن هنا تفككت الأسرة عندكم.

قال: وأنتم ماذا تفعلون في مثل هٰذِه المشكلة ؟

قلت: إن نظام النفقات في الإسلام يجبر الأب على الإنفاق علي بنته حتىٰ تتزوج، فإذا تزوجت كانت نفقتها ونفقة أولادها على الزوج وحده، فإذا مات زوجها ولم يكن لها مال ولا ولد، فنفقتها علىٰ والدها وهكذا، إنها لا تجد نفسها في فترة من فترات حياتها في الغالب محتاجة إلىٰ أن تدخل المعمل لتأكل وتعيش.

---

(١) «وقفات حول معاناة الأيدي العاملة الناعمة» ص١٥١-١٥٢.

وهنا قال صاحبي متعجبًا: نحن الغربيين لا نستطيع أن نتحمل مثل هٰذِه التضحيات!

وأذكر أننا حين كنا علىٰ ظهر الباخرة من ميناء (دوفر) بإنجلترا إلىٰ ميناء (أوستن) في بلجيكا في تلك الرحلة العلمية، التقينا بفتاة إيطالية تدرس الحقوق في جامعة (أكسفورد) وتحدثنا عن المرأة المسلمة، وكيف تعيش وما هي حقوقها في الإسلام، وكيف وفر الإسلام لها كل مظاهر الاحترام حين أعفاها من مؤنة العمل لتعيش، بل جعلها تتفرغ لأداء رسالتها كزوجة وأم وربة بيت، وبعد أن أفضنا في هٰذا الحديث وقارنا بين حال المرأة في الإسلام وبين حالها في الحضارة الغربية، قالت الفتاة بكل بساطة ووضوح: إنني أغبط المرأة المسلمة وأتمنىٰ أن لو كنت مولودة في بلادكم؟ وهنا اغتنمت هٰذِه الفرصة فقلت لها، هل ستحاولين أن تطلبي إلى المرأة الغربية العودة إلى البيت وأن يقوم الرجل بواجبه نحوها؟

قالت: هيهات! لقد فات الأوان! إن المرأة الغربية بعد أن اعتادت حرية الخروج من البيت وغشيان المجتمعات، يصعب عليها جدًا أن تعتاد حياة البيت بعد هٰذا، ولو أني أعتقد في ذلك سعادة لا توازيها سعادة.

والواقع أن المجتمع الغربي يعاني من إهمال المرأة للبيت، واشتغالها خارجه ما ارتفعت منه الشكوىٰ وما ظهر أثره الواضح في هٰذا الجيل الذي نشأ عندهم ويسمىٰ في ألمانيا: (هالب شتارك) وفي غيرها: (جيمس دين) هٰذا الجيل الصاخب الفوضوي الذي يطيل شعره ويطلق لحيته ويلبس لباسًا غريبًا. ويعربد في الشوارع، ويقلق الراحة العامة، ويحطم الحانات والمقاهي، وهو الآن يشغل رجال الأمن وعلماء التربية والاجتماع، وقد أجمعت الآراء علىٰ أن سبب وجوده هو خلو البيت من المرأة. وقد بدأت المرأة الغربية أو بعض النساء هناك يطالبن بالعودة إلى

البيت للتفرغ إلىٰ أولادهن علىٰ أن يجبر الزوج أو الدولة علىٰ تأمين معيشتها ومعيشة أولادها.

فقد نشرت مجلة (الأسبوع) الألمانية وهي أكبر مجلة أسبوعية تصدر في ميونخ بألمانيا رسالة من سيدة ألمانية بتاريخ ٢٩/٨/١٩٥٩ تقول فيها:

دومًا يسمع الإنسان ويقرأ كيف قُضِي علىٰ الزوجات والأمهات اللاتي يمارسن عملًا -مثلًا إنهن لا يحصلن على الكفاية- بغض النظر عن النسبة القليلة للواتي يمارسن عملًا حقيقيًا حسب وظيفتهن، فقلائل تلك السيدات اللواتي يعملن من أجل حاجتهن الكمالية. إن أغلب النساء يعملن؛ لأنهن يجب أن يعملن، ولأن إيراد الرجل قليل لا يكفي حاجيات العائلة الضرورية، أنا نفسي مثلًا يجب أن أرسل ولدي كل صباح من البيت حتىٰ أستطيع الذهاب إلى العمل؛ لأن ما يكسبه زوجي للبيت لا يكفي لمعيشتنا.

إنني أرغب البقاء في منزلي، ولكن طالما أن أعجوبة الاقتصاد الألماني الحديث لم تشمل كل طبقات الشعب فإن أمرًا كهٰذا -العودة إلى البيت- مستحيل ويا للأسف.

ويجمع كل من زار الغرب من الشرقيين وبخاصة العرب المسلمين، علىٰ أن المرأة هناك أصبحت في وضع مؤلم لا تحسد عليه. وقد زرت أوربا أربع مرات فما تألمت فيها لشيء كما تألمت لشقاء المرأة الغربية وابتذالها في سبيل لقمة العيش أو رغبتها في أن تكون مثل الرجل تمامًا، وقد استطاع الرجل الغربي أن يستغل ضعف المرأة في هٰذِه الناحية فسخرها إلىٰ أقصى الحدود في سبيل منافعه المادية وشهواته الجنسية، وقد تأكد لي بعد كل ما رأيته أن المرأة المسلمة علىٰ ما هي عليه اليوم أسعد حالًا وأكرم منزلة من المرأة الغربية.

وأزيد علىٰ ذلك أن الذين يخدعون بمظاهر حياة المرأة الغربية كما تبدو في السينما والتلفزيون والمجلات المصورة والحفلات العامة هم قصار النظر جدًا، ففي أوربا كلها عشرات من النساء يحللن مراكز مرموقة، بينما تعيش عشرات ملايين النساء فيها في حياة شقية مضنية تشبه حياة الأرقاء، وقد تأكد لي أيضًا أن هٰذِه الحرية التي نالتها بالعمل خارج البيت، وحضور الحفلات العامة وغيرها هي التي أوقعتها في رق من نوع جديد لم تعرفه المرأة في أية حضارة من الحضارات السابقة.

يقول الأستاذ شفيق جبري في كتابه «أرض السحر»:

«إن المرأة في أمريكا أخذت تخرج عن طبيعتها في مشاركتها للرجل في أعماله، إن هٰذِه المشاركة لا تلبث أن تضعضع قواعد الحياة الاجتماعية، فكيف تستطيع المرأة أن تعمل في النهار وأن تعنىٰ بدارها وبأولادها في وقت واحد ؟ فالمرأة الأمريكية قد اشتطت في هٰذا السبيل اشتطاطًا قد يؤدي في عاقبة الأمر إلىٰ شيء من التنازع بينها وبين الرجل».

وقد علقت علىٰ ذلك السيدة سلمى الحفار الكزبري - من زعيمات الحركة النسائية في بلادنا - وقد زارت أوربا وأمريكا أكثر من مرة، فقالت في (جريدة الأيام) تاريخ ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢:

«يلاحظ الأديب الرحالة مثلًا الأمريكان يوجهون أطفالهم منذ نعومة أظفارهم لحب الآلة والبطولة في ألعابهم، كما يلاحظ أن النساء أصبحن يمارسن أعمال الرجال في مصانع السيارات، وتنظيف الطرقات، فيتألم لشقاء المرأة في صرف شبابها وعمرها في غير ما يتناسب مع الأنوثة والطبيعة والمزاج، ولقد أسعدني ما قاله الأستاذ جبري؛ لأني عدت من رحلتي للولايات المتحدة منذ خمسة أعوام وأنا أرثي لحال المرأة التي جرفها تيار المساواة الأعمىٰ، فأصبحت شقية في كفاحها لكسب العيش،

وفقدت حتىٰ حريتها، هٰذِه الحرية المطلقة التي سعت طويلًا لنيلها؛ إذ أمست أسيرة للآلة وللدقيقة، لقد أصبح التراجع أمرًا صعبًا، ومن المؤسف حقًا أن تفقد المرأة أعز وأسمىٰ ما منحه الخالق سبحانه. وأعني: أنوثتها، ومن ثم سعادتها؛ لأن العمل المستمر المضني قد أفقدها الجنات الصغيرات التي هي الملجأ الطبيعي للمرأة والرجل علىٰ حد سواء، والتي لا يمكن أن تتفتح براعمها ويفوح شذاها بغير المرأة الأم وربة البيت، ففي الدور وبين أحضان الأسرة سعادة المجتمع والأفراد، ومصدر الإلهام، وينبوع الخير والإبداع».

وخلاصة القول في هٰذا الموضوع: أننا لابد لنا من أن نختار إحدى الفلسفتين: فلسفة الإسلام الذي يصون كرامة المرأة ويفرغها لأداء رسالتها الاجتماعية كزوجة وأم، وفي سبيل ذلك يجب أن يتكفل المجتمع بضمان حاجاتها المعيشية، وذلك بإلزام الزوج وأقربائها الإنفاق عليها وعلىٰ أولادها، وليس في ذلك غضاضة عليها، ما دامت تتفرغ لأهم عمل اجتماعي فيه سعادة الأمم ورقيها، أو بين فلسفة الحضارة الغربية المادية التي ترهقها بمطالب الحياة، وتجبرها علىٰ أن تكدح وتعمل لتأمين معيشتها، مع وظيفتها الطبيعية كزوجة وأم. وبذلك تخسر نفسها وأولادها، ويخسر المجتمع استقرار حياة الأسرة فيه وتماسكها والعناية بها. اهـ.

الفرنسيات يحسدن المتفرغة لبيتها

هٰذِه المقالة نشرت بالفرنسية في جريدة «الوموند» الشهيرة، تتحدث فيها كاتبتها عن معاناة الأم الفرنسية العاملة من خلال قصة واحدة من هٰؤلاء الأمهات اللواتي استعبدهن العمل خارج البيت. وجعلهن يَشْعُرْنَ بعدم الرضا، وحرمهن من لحظات يفرغن فيها لأنفسهن، ولم يترك لهن

الوقت الكافي لرعاية أطفالهن كما ينبغي أن تكون الرعاية. ولقد جعلهن هٰذا كله يحسدن اللواتي لا يعملن خارج البيت وصرن يرين عدم عمل المرأة ميزة عظيمة.

(فردريكا) سيدة في الثامنة والعشرين، لديها كل شيء تقريبًا، طفل في شهره السادس، دبلوم في إدارة الأعمال، وزوج لديه نفس المهنة، ومن جهتها، فإنها لا تعتقد بأن نمط حياتها يثير اْهتمام أحد من الناس لمتابعته «هٰذا إن كان هناك شيء فعلًا يثير الاْهتمام». وهي -كما تقول- ليس لديها أي رسالة تؤديها في هٰذِه الحياة، ولا تملك أي موهبة في الوعظ الديني، كل ما في الأمر، أنها تحاول جاهدة تنظيم حياتها كما ترغب، وحسب إمكانياتها ومزاجها الشخصي، هٰذا بالإضافة إلىٰ أنه ليست لديها أفكار خاصة تسعىٰ لإقناع الناس بها.

بالنسبة لأوروبا، فإن (فردريكا) في جيل النساء اللواتي يدخلن معترك الحياة العملية فور الاْنتهاء من الدراسة الجامعية، والتي من المستحيل لهن أن يقطعنها تحت أي ظرف، وهي تعمل منذ أربع سنوات في واحدة من أهم مكاتب البورصة في العاصمة الفرنسية، وقد اْستطاعت أن تجد لابنها مكانًا في حضانة أطفال مجاورة لبيتها، وهكذا..فالأمور كلها تسير علىٰ خير ما يرام.

إذن فما هي المشكلة..!.. إنها رغم كل ما تراه من معطيات إيجابية في حياتها فإن لديها شعورًا بعدم الرضا ما يفتأ يتزايد ما بين طفلها وعملها والقيام بالواجبات المنزلية، فإنه يتملكها شعور بأنه لم يعد لديها لحظة واحدة تفرغ فيها لنفسها. أولًا: هناك جدول أعمالها في البورصة والذي يلقي عليها بثقله، وكذلك عليها اللهاث، يوميًا في المساء، وهي تسرع للوصول إلى الحضانة قبل ساعة الاْنصراف..بالطبع فليس هناك مجال

للحديث عن عطلة نهاية الأسبوع فهي محجوزة ورُتِّب أمرها سلفًا، إذن ما الذي بقىٰ لأجلها شخصيًا..!.. لا شيء!.

ومثلما هي حال (فردريكا) تلك، فإن هٰذا الثمن تدفعه كل الأمهات الشابات في فرنسا اليوم، وحسب صديقتنا هٰذِه فإن مهنة المرأة تأخذها من نفسها. وحول هٰذا الموضوع فإنها تؤكد بأنها عندما كانت في الجامعة فإنه كان لديها شعور بالتفاؤل للمستقبل. اليوم يقولون لها غدًا عندما يكبر ابنك، فإنه سيكون لديك الوقت للرياضة وكل شيء، ولكنه حسب رأيها فإنه عندما يكبر الولد، سيكون قد دخل المدرسة وسيكون عليها الأهتمام بمدرسته ومساعدته بأداء واجباته المدرسية؛ لذلك فإنها تحلم بأن يصبح العمل في فرنسا مثل الدول الأسكندنافية، أي أن دوام الموظفين ينتهي مع أنتهاء دوام الطلاب في المدارس في الساعة الثالثة بعد الظهر، وبذلك يتاح للعائلة أن تجتمع وتتلاقىٰ فيما بينها لكي تستطيع مواصلة السعي في اليوم التالي بمعنويات عالية. بينما يستمر النظام كما هو في فرنسا، أي: العمل إلى السادسة مساء وما إن تحل الساعة العاشرة ليلًا إلا ويكون الإنسان قد سقط من الإعياء.

وهي رغم كل هٰذا التذمر لا تحاول إيجاد عمل -نصف دوام صباحًا فقط-؛ لأنه حسب ما تراه يظل هامشيًا وليس له متجه؛ لأنه في فرنسا -وللأسف الشديد- إذا أراد المرء أن تكون له قيمة وأن يؤخذ علىٰ محمل الجد، فإنه عليه أن يكون «منذورًا» للعمل قلبًا وقالبًا وبدون تحفظ.

كل أولئك النساء المجازات -صاحبات الشهادات- يرغبن فقط ببعض الهواء الطلق والحرية، وأن يكون لهن بعض الوقت يعشن فيه لأنفسهن بدل اللهاث الدائم وراء كسب القوت. وإن كان هناك قلة قليلة ممن يتمتعن بميزة «عدم العمل»، فإن الأكثرية الغالبة هي في النساء

اللواتي يعشن ظروف عمل لا يُحسدن عليها، فهن كما يقول المثل الفرنسي يعشن الحياة «نوم ومترو وعمل وبالعكس» (Dodo metro boulot) وهكذا يمضي العمر.

موظفة أخرىٰ لديها أيضًا دبلوم في العلوم السياسية وإجازة في العلوم الاْقتصادية، وهي منذ مدة تعمل في مصرف كبير في قسم خدمة الدراسات، وهي محظوظة؛ لأنها لا تعمل سوىٰ أربعة أيام في الأسبوع، لديها يوم إضافي لعطلة نهاية الأسبوع هو الجمعة، وكما تقول: «كل الأمهات العاملات في فرنسا يحلمن بمثل يوم الجمعة الذي أتمتع به»، فهي عندما تقدمت بطلب يوم عطلة إضافية فإنهم- بشكل تلقائي- أعطوها يوم الجمعة لوجود أطفال لديها، وبذلك تصبح العطلة موصولة لثلاثة أيام، وفي حال عدم وجود أولاد فإنه من الممكن اْختيار أي يوم آخر، لكن الملفت للنظر فعلًا كان هو دهشة المسئول في طلب كهٰذا، خاصة لمن كان لديها أطفال، إذ عليها أن تعمل أكثر لتكسب أكثر، لذلك كانت نظرة المدير إليها نظرة مريبة؛ لأن طلبًا كهٰذا لا يبدو محترمًا، وكما قالت: فإن الجميع ينظرون إليها الآن بطريقة مريبة.

ولأن أول الغيث قطرة، فإن الغرب الآن أخذ ينظر للعمل ككل نظرة جديدة فالذي كان يفاخر من قبل بأن الإنسان يعيش ليعمل ويجد، وأنه ليس مثل الشرق المتخلف الكسول! أخذت الآن هناك صيحات جديدة تعلو وترتفع ضد هٰذا الفهم؛ لأنه وحتىٰ نهاية الثمانينيات، فإن الحياة المهنية كانت تسرق الوقت كله، حتىٰ أصبح العمل هو المكان الوحيد للحياة الحقيقية ومكان تحقيق الذات، وكان هو المكان الوحيد الذي تمضي فيه الحياة، يعمل المرء طوال النهار، وعندما يخرج المرء منه يعود إلىٰ نقطة السلام.

اليوم صار الشباب المتأهل علميًا يرغب بأن يمارس مهنة يحبها، ولكن شريطة ألا ترغمه علىٰ أن يتخلىٰ عن عائلته وأصدقائه وساعات فراغه، هٰذا الاهتمام بالمحافظة علىٰ هويته وعلى استقلاله آخذ الآن بالظهور عند الرجال بعد أن كان مطلبًا ملحًا للنساء أولًا بسبب وضعهن الاجتماعي، وثانيًا: بسبب الأمومة، الآن يحاولون التخلص من الشكل الآلي لأداء العمل، والذي كان يحرم هٰؤلاء المساكين أصحاب الشهادات من أن يتنفسوا أو حتىٰ يتنهدوا، أو أن يعيشوا للحظة خارج مكاتبهم، أو التواجد بعيدًا عن جدران المؤسسات التي يعملون فيها.

أحدهم وهو من المتخرجين حديثًا في الكلية العليا للأشغال العامة قال: «لم يصنع أبي شيئًا طوال حياته إلا ملاحقة عمله، كانت المعاملات - وحتىٰ في نهاية الأسبوع - تبقىٰ معه، وحتىٰ في أثناء العطلة التي غالبًا ما تكون مختصرة، فإن الهاتف كان لا ينقطع عن الرنين، وعندما بلغ السابعة والخمسين استغنوا عن خدماته مثل ليمونة عصروها ثم ألقوا بها كما يلقون منديلًا ورقيًا قذرًا.

لذلك فإنه بالنسبة إليَّ، فإن موضوع أن أكرس حياتي لأجل المؤسسة التي أعمل فيها غير وارد إطلاقًا..؟ حسنًا يمكنني العمل، ولكن بدون أية تضحية؛ لأنه علينا أن نعمل لكي نعيش، وليس أن نعيش لكي نعمل.

وإلىٰ أن يتنبه المسئولون إلىٰ أهمية ما قيل: فإنه علىٰ ما يبدو ما زال هناك وقت طويل أمامهم ليعيشوا كي يعملوا...!» انتهىٰ.

في هٰذِه المقالة المترجمة عن الفرنسية ما يحتاج إلى الوقوف عنده والتعليق عليه:

- وردت في الفقرة الأولىٰ هاتان العبارتان عن (فردريكا): «أليس

لديها أي رسالة تؤديها في الحياة» و«ليست لديها أفكار خاصة تسعىٰ لإقناع الناس بها، وهما عبارتان لهما دلالة واحدة تقريبًا. فردريكا تعيش علىٰ هامش الحياة، وليس هناك ما تؤمن به فتعمل من أجله، وليس هناك غاية سامية تسعىٰ إليها وتتجه نحوها.

ماذا ينتج عن هٰذا؟ أي شعور تثيره في النفس هٰذِه الحياة الهامشية ؟ لا شك في أنه الشعور بعدم الرضا وهٰذا هو ما تقوله بنفسها: «إن لديها شعورًا بعدم الرضا ما يفتأ يتزايد» إنه ليس شعورًا ثابتًا بعدم الرضا، ولكنه شعور «ما يفتأ يتزايد». وسيظل يتزايد ما آستمرت حياتها الهامشية التي لا رسالة فيها ولا غاية تسعىٰ إليها.

- حين يكون كل وقتها مستهلكًا للعمل والبيت والطفل، فإنها لن تجد وقتًا لنفسها، لتتأمل وتتفكر وتتدبر، تتأمل في خلق الله، وتتفكر في حقيقة الوجود، وتتدبر معنى الحياة وغايتها، وهٰذا ما قرأناه في الحديث عنها «ما بين طفلها وعملها والقيام بالواجبات المنزلية فإنه يتملكها شعور بأنه لم يعد لديها لحظة تفرغ فيها لنفسها».

لا شك في أنه ثمن باهظ، ولكن (فردريكا) لا تدفعه هي وحدها، بل تدفعه جميع الأمهات العاملات في فرنسا، كما جاء في المقالة. إن (فردريكا) تعلن صراحة أن عمل المرأة يأخذها من نفسها.

- أليس هٰذا الحصار من العمل خارج البيت والعمل داخله يحرم المرأة حريتها ؟ فأي حرية إذا كانت لا تجد لحظة تفرغ فيها لنفسها ؟! الحرية ليست الخروج من البيت للعمل ساعات طويلة.. ثم العودة إليه للعمل ساعات أخرىٰ، فهٰذا قيد من أعظم القيود، إنما الحرية أن تعمل المرأة في البيت وحده؛ لتجد ساعات أخرىٰ تفرغ فيها لربها، ثم لنفسها.

هٰذا ما عبرت عنه تمامًا تلك العبارات التي وردت ضمن المقالة

السابقة: «كل أولئك النساء المجازات، صاحبات الشهادات، يرغبن فقط ببعض الهواء الطلق والحرية، وأن يكون لهن بعض الوقت يعشن فيه لأنفسهن بدل اللهاث الدائم وراء كسب القوت»!.

«بعض الهواء الطلق والحرية» أليس تعبيرًا عن الإحساس بالاختناق والأسر نتيجة هذا العمل المتواصل الذي يسلب المرأة حقيقة الحياة وحقيقة الحرية ؟!.

- وإلىٰ هؤلاء الذين ينطقون بلساننا من أبناء أمتنا ويدعون إلىٰ عمل المرأة خارج بيتها ويرون فيه ميزة، إلىٰ هؤلاء نوجه الدعوة لقراءة العبارات التي وردت في المقالة الفرنسية وجاء فيها وصف عدم عمل المرأة خارج بيتها بأنه «ميزة»: «إن كان هناك قلة قليلة ممن يتمتعن بميزة عدم العمل، فإن الأكثرية الغالبة هي من النساء اللواتي يعشن ظروف عمل لا يُحسدن عليها» هلّا تأملتم الوصف جيدًا! ميزة عدم عمل المرأة.

- لاحظوا كيف تحلم الفرنسيات بيوم عطلة ثالث -مع السبت والأحد- «كل الأمهات العاملات في فرنسا يحلمن بمثل يوم الجمعة الذي أتمتع به».

إذا كان يوم عطلة ثالث حلمًا، فماذا يكون تفرغ المرأة الأم لبيتها وزوجها وأطفالها، وقبل هذا: لربها ثم لنفسها، كما هو حال المرأة المسلمة التي كفاها دينها مؤونة العمل، وألزم من حولها من الرجال بالإنفاق عليها دون مَنٍّ أو أذىٰ ؟! ألن يكون حال الأم المسلمة المتفرغة لزوجها وأولادها وبيتها، التي تجد وقتًا لعبادة ربها وذكره، وللاهتمام بنفسها، ألن يكون حالها حلم الأحلام وغاية الأماني ؟!

- لقد كان من بين أحلام (فردريكا) أن يصبح العمل في فرنسا مثل الدول الأسكندنافية، أي: أن ينتهي دوام الموظفين مع دوام الطلاب في

المدارس في الثالثة والنصف بعد الظهر بحيث يتاح لأفراد الأسرة أن يجتمعوا ويتلاقوا حتىٰ يستطيعوا مواصلة العمل في اليوم بمعنويات عالية، بدلًا من دوام الموظفين في فرنسا الذي ينتهي في السادسة مساء!

ولكم أن تتصوروا هٰؤلاء الأطفال المساكين، يعودون من مدارسهم في الثالثة والنصف، إلىٰ بيوتهم الخالية من أمهاتهم العاملات؛ لينتظروا فيها ثلاث ساعات تقريبًا قبل أن يعدن إليهم وهن متعبات منهكات، أي اَهتمام يبقىٰ عندهن ؟ وأي همة تفضل من عملهن ؟

من يعدّ لهٰؤلاء الأطفال طعامهم؟! من يسألهم عن أحوالهم؟! من يمسح عنهم تعبهم؟! من يرعاهم ويهتم بهم ؟ لا أحد، فعليهم الاَنتظار ثلاث ساعات أخرى، اَنتظارًا لا يأتي بعده الفرج كاملًا، فالأمهات يعدن إلىٰ بيوتهن وهن يحتجن إلىٰ من يخفف عنهن تعبهن ؟!

- لقد أدرك الرجال أيضًا أن الإغراق في العمل يأخذ حقوقًا أخرىٰ، حقوق الأهل والأسرة والأصدقاء، ولهٰذا ما عادوا يحرصون على العمل وحده، العمل الذي ينسيهم ما في الحياة من أبعاد اَجتماعية مختلفة لابد من التوجه إليها والعيش في ظلالها؛ لأنها تلبي الطبيعة الإنسانية التي خلقوا عليها، وتميزهم عن الحيوانات: «اليوم صار الشباب المتأهل علميًا يرغب في أن يمارس مهنة يحبها شريطة ألا ترغمه علىٰ أن يتخلىٰ عن أسرته وأصدقائه وساعات فراغه. هٰذا الاَهتمام بالمحافظة علي هويته وعلى اَستقلاله آخذ الآن بالظهور عند الرجال بعد أن كان مطلبًا ملحًا للنساء بسبب وضعهن الاَجتماعي وبسبب الأمومة».

وإذا كان الرجال في الغرب بدأوا يحرصون علىٰ ألا يحرمهم العمل من ساعات الفراغ، فكيف تفعل المرأة المسكينة التي يدفعونها للعمل خارج البيت وداخله فلا تجد ساعة فراغ واحدة؟

- في المقالة عدة خطوط ترسم صورة قاسية للمادية التي باتت تسيطر على الغرب:

الخط الأول: نلمحه في العبارات التالية: «في فرنسا، للأسف الشديد، إذا أراد المرء أن تكون له قيمة، وأن يُحمل علىٰ محمل الجد، فإن عليه أن يكون منذورًا للعمل قلبًا وقالبًا وبدون تحفظ».

الخط الثاني: نلمحه في المثل الفرنسي الذي ورد في المقال: «الحياة نوم ومترو وعمل، وبالعكس».

الخط الثالث: نلمحه في دهشة المسئول من طلب الموظفة الحصول علىٰ يوم عطلة إضافي مقابل تخليها عن أجر هٰذا اليوم طبعًا) مع أن لديها أطفالًا، فمن كان لديها أطفال فإنها تحتاج لدخل أكبر، فكيف تتخلىٰ عن أجر هٰذا اليوم ؟ باتوا ينظرون إليها نظرة مريبة.

هٰذِه الخطوط الثلاثة تظهر الصبغة المادية التي باتت تصبغ المجتمعات الغربية فلا تترك مجالًا لربانية تكسب النفس سكينة تحتاجها.

لقد كان من أوائل ما نزل على النبي ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝﴾[1].

يقول ابن كثير رحمه الله: أي إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، وقطعت علائقها؛ فانصب إلى العبادة، وقم إليها نشيطًا فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة.

ولن تسعد النساء، ولن يسعد الرجال، في الشرق أو في الغرب، إذا لم تتوجه قلوبهم وجوارحهم في شغلهم وفراغهم إلىٰ الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[2][3].

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص ١٢٠-١٢٤.

(٢) الشرح: ٧-٨ .

(٣) طه: ١٢٤ .

التزين لواحد وخدمته ذل!!
والتزين لمئات وخدمتهم تحرر!!!

تضيق زوجات حين يُدْعَين إلى الحرص على التزين لأزواجهن، أو إلىٰ حُسْن تعاملهن معهم، ويرين ومعهن رجال متغربون، أن هٰذِه الدعوة تمس كرامتهن، وتنال من ٱستقلالهن .

بينما نجد أن دعوة أخرىٰ (تشبه هٰذِه الدعوة إلىٰ حسن التبعل للزوج الواحد)، تصدر عن صاحب عمل، أو مدير مؤسسة، إلىٰ حسن التعامل مع رجال كثيرين، ربما في كل يوم دون أن يرىٰ أحد هٰذِه الدعوة ماسة بكرامة المرأة، أو نائلة من ٱستقلالها.

هٰذا واحد من أخبار كثيرة توضح ما نقول وتؤكد عليه:

حذر محمد شاهين، رئيس قطاع خدمات الطيران في «مصر للطيران» المضيفات العاملات علىٰ طائرات الشركة بالإيقاف عن العمل، وعدم تكليفهن بالعمل في أي رحلة للطيران، في حالة زيادة أوزانهن خمسة كيلو جرامات.

وقال شاهين: إنه يتم حاليًا تدريب (٥٠٠) مضيفة جديدة مع التركيز علىٰ إعادة تدريب أطقم الضيافة الحالية، خاصة العناصر الشابة التي تتماشىٰ مع روح التجديد في مصر للطيران؛ من أجل رفع كفاءة الخدمات التي تقدم للمسافرين علىٰ طائراتها .

وأشار إلىٰ أنه سيتم تطبيق قواعد جديدة لاختيار أطقم الضيافة التي يتم تشغليها على الطائرات، من أهمها حسن المظهر، واللياقة في التعامل مع الركاب، وتشجيع العناصر الملتزمة بالأوزان المطلوبة، واستبعاد المضيفات اللاتي يَخفْن .

وأضاف أن «مصر للطيران» تواجه منافسة شديدة مع شركات الطيران العالمية، مما يتطلب تطوير خدماتها، وتحقيق الألتزام بين أطقم الضيافة.

وإذا كان هٰذا الخبر، الذي نقلناه بالحرف، يشير إلىٰ «مصر للطيران» فإن حال شركات الطيران الأخرى العربية والعالمية لا تختلف عن حالها، وهو ما يؤكده شاهين في الخبر السابق بقوله: «إن مصر للطيران تواجه منافسة شديدة مع شركات الطيران العالمية؛ مما يتطلب تطوير خدماتها، وتحقيق الألتزام بين أطقم الضيافة».

«تحقيق الألتزام بين أطقم الضيافة» والالتزام باحترام الركاب، والابتسام في وجوههم، والصبر علىٰ إزعاجاتهم، وخدمتهم بكل شيء، بمجرد أن يضغطوا زر جرس مثبت في ذراع المقعد الذي يجلسون عليه، الألتزام بالمحافظة علىٰ وزن لا يزيد، الألتزام بلباس موحد أنيق.

هٰذِه الألتزامات كلها أليست قيودًا؟ أليست نيلًا من أستقلال المرأة؟ ألا تمس كرامتها؟

المضيفة تصبر علىٰ هٰذا كله حتىٰ لا تُوقف عن العمل، وتستمر فيه لتحصل آخر الشهر علىٰ دراهم معدودة، ومع هٰذا توصف بأنها متحررة!

بينما ربة البيت، يزيد وزنها كما تشاء، وتتزين حينما ترغب، ويُلزم زوجها بالنفقة عليها، وحمايتها، ويعدها ربها بالدخول إلى الجنة من أي أبوابها شاءت إذا أرضت هٰذا الرجل الوحيد: زوجها، ومع هٰذا يصفونها بأنها مقهورة، ومقيدة، وغير متحررة!

ما لكم كيف تحكمون[1]؟!.

---

(١) «وبضدهن تتميز المسلمات» ص ٣١-٣٨.

مضروبة في الأرض وفي الفضاء

هل تحسدين مضيفة الطائرة التي تحلق بها طائرتها في الهواء؟ هل تغبطينها علىٰ تنقلها بين بلدان العالم؟ وبعبارة مباشرة: هل تمنيت يومًا أن تكوني مضيفة طائرة؟

في بون بألمانيا، صرح الأمين العام للهيئة الألمانية لطواقم الطائرات أن مضيفات الطيران يتعرضن، أكثر فأكثر، أثناء الرحلات، لاعتداءات من جانب ركاب ثملين.

وفي مقابلة مع إذاعة مقاطعة السار قال: «أوتو زيغلماير» إن هناك أكثر من مائة اعتداء من هٰذا النوع سنويًا، في كل شركة طيران.

وأضاف أن مرتكبي هٰذِه الاعتداءات يلجأون في بعض الأحيان، إلى الاعتداءات الجسدية، إلىٰ جانب الإهانات العصرية في أحيان أخرىٰ.

وأوضح أن هؤلاء الركاب ليسوا في أغلب الأحيان من السياح المتوجهين إلىٰ منطقة لقضاء عطلتهم، أو العائدين منها، بل من المسافرين المعتنين بمظهرهم.

ورأىٰ «زيغلماير» أن السبب الرئيسي لهٰذِه الاعتداءات هو تناول الكحول علىٰ متن الطائرات. وانتقد شركات الطيران التي تقوم بدعاية حول توزيع المشروبات الكحولية مجانًا أثناء رحلاتها[1].

مائة اعتداء في كلِّ شركة طيران، فإذا كان في العالم كله ألف شركة طيران فإن هناك مائة ألف مضيفة يتعرضن للاعتداء سنويًا ؟

ونفهم من قول «زيغلماير»: «يتعرضن أكثر فأكثر..لاعتداءات» أن العدد في زيادة وليس في نقصان، أي أن هٰذِه الظاهرة، أو المشكلة، لا

(١) «وبضدهن تتميز المسلمات» ص ٥٥-٥٦.

تتجه في طريق الحل، إنما في طريق التفاقم والتأزم.

ولعله لم يغب علىٰ ملاحظتنا أن الأمين العام لهيئة طواقم الطائرات لم يشر إلى اعتداء الركاب على المضيفين الرجال، وفي هٰذا دلالة واضحة علىٰ أن الركاب المعتدين يستضعفون المرأة، أو يطمعون فيها، أو يستهينون بها ولا يحترمونها.

فإذا كان الأمر كذلك فهل لنا أن نسأل: أين تحرير المرأة ؟ أين هم محررو المرأة ليحموها من هٰذِه الاعتداءات التي تقع عليها؟! ألم يخرجوها من بيتها؟! لماذا إذن يتركونها عرضة لهٰذِه الاعتداءات البدنية والنفسية؟!

لقد أوضح «زيغلماير» أن المعتدين هم من «المسافرين المعتنين بمظهرهم» فهل يشير هٰذا إلىٰ غرور هٰؤلاء الركاب واعتقادهم أن مظاهرهم الأنيقة، أو ثيابهم الفاخرة، ينبغي أن تكون سببًا في انصياع المضيفات لهم ؟!!

ويبقىٰ ما رآه في أن السبب الرئيسي لهٰذِه الاعتداءات هو تناول الكحول علىٰ متن الطائرات، وانتقاده شركات الطيران التي تقوم بدعاية حول توزيع المشروبات الكحولية مجانًا أثناء رحلاتها، فهٰذا يشير إلىٰ أن أكثر المتضررين من الخمرة هن النساء المعتدىٰ عليهن من الرجال المخمورين، ومن ثم فإن في مقدمة المستفيدين من تحريم الإسلام للخمرة ومنعها في كل مكان، وليس في الطائرات فحسب؛ النساء.

مسكينة أنت أيتها المرأة، يضربك الرجال المخمورون في الأرض، ويضربونك وأنت محلقة في الهواء ولا يحميك منهم إلا شرع رب الأرض والسماء[1].

---

(١) جريدة «الوطن» الكويتية، العدد (٧٧١٠).

قيود عصرية تكبل المرأة الروسية

موسكو- رويتر: عندما تقدمت ناتاشا بيلابيفا بطلب وظيفة ٱستجابة لإعلان يطلب سكريترة، طلب منها الحضور؛ لإجراء مقابلة للتعرف علىٰ إمكانياتها.

قالت: أعرب المدير عن رضائه لإجادتي الإنكليزية والإيطالية، ثم تفحصني من أعلىٰ إلىٰ أسفل وقال: «إنك جميلة وتبدين مثيرة، وإذا أردت العمل كسكرتيرة فقط فسيكون المرتب ضئيلًا جدًا».

وأضافت ناتاشا [٢٥] سنة خريجة كلية اللغات في جامعة موسكو «وبعد ذلك قال لي: إنني أستطيع أن أكسب في يوم واحد ما يعادل مرتبي الشهري، إنه المعيار الآن».

ورفضت ناتاشا واستمرت عاطلة منذ تخرجها قبل عام، وهي الآن تعيد النظر في رفضها لعرض المدير.

وناتاشا ضمن جيش من العاطلين الروس وعددهم (٥٧٧,٠٠٠) عاطل، [٧٥] في المائة منهم من النساء، وعلىٰ رغم ٱنخفاض معدل البطالة في روسيا بالمقارنة مع الغرب، فإن الحكومة تخشىٰ أن يصل عدد العاطلين إلىٰ ما بين أربعة وستة ملايين بنهاية ١٩٩٣م.

ومعظم العاطلات تراوح أعمارهن بين [٣٠] و[٥٠] سنة وتلقين تعليمًا جامعيًا، وثلثهن مهندسات، والباقي عالمات وطبيبات ومعلمات وخبيرات ٱقتصاديات.

وعندما قامت الثورة البلشفية في العام ١٩١٧، دعت إلى المساواة بين الرجال والنساء، وكان التوظيف للجميع وكانت النساء يقمن بعمل الرجال نفسه.

وطوال عشرات السنين كانت البطالة جريمة عقوبتها السجن، وحتى الأمهات كن مجبرات على العمل شئن أم أبين وأقامت الدولة شبكة واسعة النطاق من دور الحضانة.

وكان برنامج التصنيع الذي بدأه الديكتاتور الراحل جوزيف ستالين في الثلاثينيات يعاني من نقص في الأيدي العاملة من الرجال بعد الحرب العالمية الأولىٰ والثورة والحرب الأهلية فتم تجنيد جحافل من النساء.

وأحاطت العقيدة السوفيتية المرأة بهالة من التكريم، ووصفتها بأنها عاملة بطلة تبني وتقود الجرار الزراعي، أما مواصفات الأنوثة التقليدية من ملابس أنيقة ومستحضرات تجميل وعطور تدير رءوس الرجال فلم تكن ممنوعة، ولكنها كانت غير مرغوب فيها.

والآن أصبح من الممكن الاستغناء عن العمالة النسائية، وتغلق دور الحضانة الحكومية. وبعدما كانت المرأة تقوم بأعمال تتطلب جهدًا بدنيًا كبيرًا وتعتمد علىٰ نفسها ماليًا يجري تشجيعها الآن على البقاء في البيت والاعتماد على الرجل، وتنهال عليها وسائل الإعلام بوابل من الصور والتحقيقات الصحافية عن الموضات وملكات الجمال.

ونساء كثيرات ممن أجبرن على العمل في الماضي يقلن: إنهن يفضلن البقاء في البيوت كزوجات مسئولات عن رعاية الأسرة، ولكن كثيرات أيضًا لا يستطعن الاستغناء عن العمل وليس لديهن خيار آخر، ومع ذلك تمت إزاحتهن من سوق العمالة، وتقول منظمة العمل الدولية إن [٣٠] في المائة من مديري الشركات الكبرىٰ في روسيا يفضلون الآن تعيين رجال، وأي إعلان يطلب رجالًا فقط قد يكون غير قانوني في الغرب ويعتبر تفرقة جنسية. وفي الغرب يمكن أيضًا توجيه اتهام لأصحاب الأعمال بمضايقة العاملات، ولكن هٰذا المفهوم يكاد يكون غير موجود

حاليًا في روسيا.

تقول (زويا خودكينا) التي تعمل في مركز دراسات الاختلافات الجنسية في موسكو: «عندما يتم الإعلان عن وظيفة يذكر صاحب العمل ما إذا كان يريد رجلًا أم امرأة ، وإذا كان يريد امرأة فإنه يذكر مواصفاتها بتحديد الطول ومقاس الصدر والخصر ولون الشعر والسن، وعادة يفضلون الشقراوات كما يطلبون من المتقدمات ارتداء ملابس قصيرة فوق الركبة عند إجراء المقابلة».

وخودكينا وزميلاتها الثلاث عشرة من العاملات في الحركة النسائية شكلن مجموعة ضغط للدفاع عن حقوق المرأة. قالت: «نحاول نشر الوعي بين النساء ليعرفن حقوقهن. ونناضل أيضًا ضد تشريعات تقوم على التفرقة».

وفي العام الماضي وضعت لجنة حكومية لحماية الأسرة مشروعات قوانين إذا تمت الموافقة عليها فسيكون استمرار المرأة في العمل أكبر صعوبة.

وتقترح الحكومة خفض ساعات العمل للأمهات اللاتي لهن أطفال دون الرابعة عشرة بمقدار خمس ساعات أسبوعيًا مما يعني استبعادهن من الوظائف المهمة.

- يا سبحان الله!!

أليس هٰذا ما جنته على المرأة الروسية المبادئ الشيوعية؟! بل ما جنته شعارات التحرر على المرأة في كل مكان؟!!

تعالين أخواتي نتأمل في هٰذا التقرير الذي بثته وكالة رويتر في الشهر الماضي ونقلناه لك بالنص دون حذف أو إضافة:

١- هلَّا تدبرتن في مأساة «ناتاشا بيلايفا» التي هي خريجة كلية اللغات

في جامعة موسكو، وتتقن الإيطالية والإنكليزية إلىٰ جانب اللغة الروسية، ومع ذلك فهي عاطلة عن العمل منذ تخرجها؛ لأن مديري الشركات لا يهتمون بهٰذِه القدرات التي تملكها، إنما بشكلها الذي وصفه أحدهم بقوله: «إنك جميلة وتبدين مثيرة» ولهٰذا يريدها أن تعمل بجسمها لا بعلمها !!.

أين التحرير؟! وأين الكرامة؟! وأين المساواة؟!!

٢- هاهم يغلقون دور الحضانة، ويشجعون المرأة على البقاء في بيتها، ويتراجعون علىٰ كل دعاواهم التي تأكد بطلانها، ويعودون إلىٰ مبادئ الإسلام دون أن يسموه، فهل يقدر أحد أن يصفهم بالرجعية؟ لماذا ندعو المرأة المسلمة إلىٰ تجربة ما فشلوا فيه؟ لماذا نخرج المسلمة من بيتها والتي خرجت منه تعود إليه؟ لماذا نرسل أطفالنا إلىٰ دور الحضانة من أجل أن تعمل المرأة وهم يغلقون هٰذِه الحضانات عندهم؟ لماذا نطلب من المسلمات ألا يعتمدن علىٰ رجالهن في الإنفاق عليهن، وهم يطلبون الآن من نسائهم أن يعتمدن علىٰ أزواجهن؟!!

٣- «ونساء كثيرات ممن أجبرن على العمل في الماضي يقلن إنهن يفضلن البقاء في البيوت كزوجات مسئولات عن رعاية الأسرة».

هٰذِه العبارة التي وردت ضمن التقرير الذي نقلته «رويتر» ألا يشير بوضوح إلىٰ أن فطرة المرأة هي في البقاء في البيت مسئولة عن الأسرة، وليس في العمل خارجه «مجبرة»؟ ألا يعني هٰذا أن عملها مع الرجل لم يكن نتيجة رغبتها الحقيقية؟

٤- «عندما يتم الإعلان عن وظيفة، يذكر صاحب العمل ما إذا كان يريد رجلًا أم ٱمرأة، وإذا كان يريد ٱمرأة يذكر مواصفاتها بتحديد الطول ومقاس الصدر والخصر، ولون الشعر، والسن، وعادة يفضلون الشقراوات، كما يطلبون من المتقدمات ٱرتداء ملابس قصيرة فوق الركبة عند إجراء المقابلة».

هٰذِه هي كلمات زويا خودكينا التي وردت ضمن التقرير! أفليس هٰذا رِقًّا جديدًا؟! ألا يشبه هٰذا من يريد شراء جارية؟! هل هٰذِه الصفات هي التي تحدد قدرات المرأة في العمل؟! أليس واضحًا أن صاحب العمل يريد من هٰذِه المرأة أشياء غير عملها في الوظيفة المطلوبة؟! أهذا تقدير للمرأة ومساواة لها بالرجل، أم هو امتهان واحتقار؟!!

المرأة في الشرق والغرب بحاجة إلىٰ من يحررها حقيقة من هٰذِه العبودية، ولن يحررها منها إلا الإسلام(١).

(١) «وبضدهن تتميز المسلمات» ص ٤٩-٥٠.

سيدة الداخل!

لا تزال المرأة اليابانية تلعب دورًا هامشيًا على الساحة السياسية وسجلت المرشحات رقمًا قياسيًا، لكنهن لا يشكلن سوىٰ ١٠٪ من الإجمالي العام للمتنافسين علىٰ مقاعد البرلمان، وأغلبيتهن ينتمين إلىٰ أحزاب صغيرة.

وقالت كيكو كيهيرا رئيسة ٱتحاد الناخبات في طوكيو: «إن وعي الناخبات السياسي منخفض، إنهن في حاجة ماسة إلىٰ فرص أكبر لارتقاء سلم السلطة».

ورغم أن الإناث يشكلن أكثر من نصف إجمالي الناخبين في اليابان، وعددهم [٩٨] مليون ناخب، فإنه لا توجد مرشحات تخطب ودَّهن مباشرة للحصول علىٰ تأييدهن في قضايا نسائية.

«وكانت المرأة - اليابانية- قد حصلت علىٰ حق التصويت بمقتضىٰ قانون الحقوق السياسية النسائية الذي صدر عام ١٩٤٥، وبعد عامين رشحت [٨٥] ٱمرأة نفسها في الٱنتخابات العامة».

«واستمر الرقم حول هٰذا المعدل حتى المعركة الحالية؛ حيث بلغ عدد المرشحات (١٥٣) ٱمرأة من إجمالي (١٥٠٣) مرشحين».

«وتنص التقاليد اليابانية علىٰ أن مكان المرأة هو البيت إلىٰ درجة أن كلمة «زوجة» باللغة اليابانية ترجمتها الحرفية «الشخص داخل البيت» أو «سيدة الداخل»(١).

هل لأحد، بعد ٱطلاعه علىٰ هٰذا التقرير، أن يقول: إن بقاء

---

(١) «وبضدهن تتميز المسلمات» ص ٢١-٢٤.

المسلمة في بيتها من أسباب تخلف البلدان المسلمة اليوم ؟

ليس لأحد أن ينازع في تقدم اليابان، وازدهار اقتصادها، وتفوق صناعاتها على الرغم من أن النساء فيها، في أغلبهن، ملازمات بيوتهن، غير مشاركات في الحياة السياسية.

بعد خمسين سنة، أو أكثر، لم تتجاوز نسبة المرشحات في الانتخابات اليابانية العشرة في المائة من نسبة المرشحين، فمن الذي صرف المرأة اليابانية عن ترشيح نفسها والقانون لا يمنعها من ذلك؟

ما بال الاتحادات النسائية، والجمعيات المختلفة، لم تنجح بعد خمسين سنة في إقناع المرأة بالعمل السياسي؟

لقد أشار التقرير إلىٰ أن نسبة العشرة في المائة إنما وصلت في الانتخابات الأخيرة، أما النسبة التي استمرت خمسين سنة فلم تتعد الستة في المائة [٨٥] من (١٥٠٣) وهي نسبة مقاربة لنسب مشاركة المرأة في العمل السياسي في كثير من دول العالم، بل لا تتجاوز النسبة [٣] أو [٤] في المائة في غير قليل من تلك الدول.

وأحسب أن أكثر المشاركات في العمل السياسي هن من غير المتزوجات، أو المطلقات؛ لأن المرأة المتزوجة المستقرة تجد فطرتها ونفسها في بيتها، مع زوجها وأولادها، إضافة إلىٰ أنها لا تملك الوقت الزائد لتمضيه في قاعة البرلمان أو غيرها.

وهٰذا كله لا ينقص من قدر المرأة شيئًا؛ لأن عملها في بيتها لا يقل أهمية وشأنًا وخطرًا عن عمل الرجل خارجه، في السياسة، أو غيرها، فإذا كان هو «سيد الخارج» فإن المرأة هي «سيدة الداخل» كما تعني كلمة «الزوجة» في اللغة اليابانية[1].

---

(١) تقرير إخباري كتبته «ألين لايز» من طوكيو وبثته وكالة أنباء رويترز.

عمل المرأة أضاع الأولاد

يقول الشيخ الشعراوي[1] -رحمه الله-:

إن قضية عمل المرأة، قد أضاعت الأجيال من الأولاد، فافتقد الأبن حنان الأم ورعايتها، ونشأ في حالة اضطراب نفسي، نشهدها الآن في الأجيال الشابة التي بعدت عن حنان الأم ورعايتها وتعليم أولادها القيم في الحياة.

قد يقال: إن دور الحضانة قد حلت هٰذِه المشكلة وأن المرأة يمكنها أن تترك أولادها في دور الحضانة، في رعاية مشرفات مثقفات، نقول: إن هٰذا كلام لا يتفق مع الواقع، فلا توجد امرأة تستطيع أن تعطي حنانها، واهتمامها لمائة طفل، ذلك أنها إذا أعطت هٰذا الحنان والاهتمام لطفلين أو ثلاثة، فإنها ستهمل باقي الأطفال، فضلًا عن أن حنان الأم عاطفة طبيعية، وضع الله ﷻ فيها من مقومات الرعاية والحب والاهتمام ما يحتاجه الطفل.

ولا يمكن لأي امرأة أن تعطي لأطفال غيرها نفس الحنان الذي تعطيه لأولادها.

ومن هنا مهما ارتقت مشرفة الحضانة، فإنها لا تستطيع أن تعطي الطفل حنان أمه، بل يبقى الشيء ناقصًا، ولعل الحيرة النفسية التي يعانيها جيل الشباب في العالم كله، إنما تعطينا صورة لما يمكن أن يحدث عندما يبتعد الطفل من حنان أمه، فهو ينشأ قاسيًا عليها، فاقد الإحساس بالانتماء لها، روابط الأسرة عنده مفككة، فاقد للقيم الاجتماعية، ولشعور التضامن والانتماء وغير ذلك.

---

(١) «المرأة في القرآن الكريم» ص١٧-٢٢.

وفضلًا عن هٰذا كله، نكون قد حملنا المرأة فوق طاقتها؛ لأنها مكلفة بأعباء البيت وأعباء العمل، فهي لا تجد وقتًا لإعداد الطعام، ولذلك نجد عددًا من الزوجات يقمن بإعداد الخضار في مكاتبهن مشغولات وهن في العمل بما يتطلبه البيت من طعام ورعاية وغير ذلك.

الواحدة منهن تعود من عملها متعبة لتجد أنها لابدَّ أن تعد الطعام، وترعىٰ شئون بيتها وأولادها، فإذا ٱنتهت من هٰذا كله، وعاد الزوج إلىٰ البيت، وجد زوجته في غاية الإرهاق، والزوج له مطالب، وأهم هٰذِه المطالب أن يجد سكنًا في بيته وامرأة تستقبله؛ لتمحو من نفسه تعب النهار وشقائه، ولكنه بدلًا من ذلك يجد زوجة مرهقة، لا هي سكن ولا هي مستريحة الأعصاب، ولا هي قادرة علىٰ أن تستقبل زوجها بابتسامة، مهمتها قد فسدت، كل هٰذا؛ لأننا خرجنا عن المفهوم الحقيقي لمهمة المرأة في الحياة.

ولو نظرنا إلىٰ عمل المرأة لأشفقنا عليها؛ لأنه في هٰذِه الحالة ستكون مهمتها أصعب وأشق من مهمة الرجل؛ لأن عمل الرجل هو السعي في سبيل الرزق، ثم الراحة بعد ذلك، أما عمل المرأة فهو في البيت، ثم الحمل وأثناء الحمل المرأة تعاني.

والله ﷻ يقول: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾(١).

وهكذا نرىٰ أن الحمل للأم يجعلها تعاني، ويجعلها محتاجة إلىٰ رعاية خاصة وقت الحمل، ولذلك فهو شيء ليس محببًا؛ لأن فيه مكاره، فالأم الحامل ليست كالزوجة غير الحامل في نشاطها وحركتها وتمتعها

---

(١) الأحقاف: ١٥ .

بالحياة، بل تحس أنها ثقيلة في حركاتها، وكلَّما تقدم الحمل أحست بالثقل؛ لأن هناك إنسانًا يتكون في داخلها.

ويلفتنا الحق جل جلاله إلىٰ هٰذِه الحقيقة في قوله تعالىٰ ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾[1].

وهكذا نرىٰ أن حمل المرأة يبدأ خفيفًا، ثم بعد ذلك يثقل عليها، وبهذا تصبح حركتها صعبة، ويكون العمل عليها ثقيلًا، وكلما زادت شهور الحمل كان العمل على المرأة أكثر مشقة، والمرأة بطبيعتها مخلوق ضعيف، ولذلك يقول الحق ﷻ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[2] في هٰذِه الآية يلفتنا الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ أن المرأة بحكم خلقها ضعيفة، وأن الحمل يزيدها ضعفًا علىٰ ضعف إذن فهٰذِه مشقة تتحملها المرأة بالإضافة إلىٰ مشقة العمل في البيت وفي الوظيفة، فتزيدها إرهاقًا حتىٰ إذا وضعت، فهي محتاجة إلىٰ فترة طويلة؛ لتستعيد قواها ولذلك فهي تلازم الفراش عدة أسابيع الولادة.

ثم يأتي الطفل وهو محتاج أيضًا إلىٰ رعاية وعناية، من رضاعة وتغيير مستمر لملابسه الداخلية والخارجية، وإعداد الطعام له علىٰ فترات قصيرة، وتذهب الأم إلىٰ عملها، وقلبها مشغول بطفلها لا تستطيع أن تعمل، ولا أن تفكر تفكيرًا سليمًا، ولا أن تعطي أنتباهها للعمل؛ لأنها مشغولة بشيئين والله سبحانه لم يجعل لأحد منا قلبين في جوفه، وتعود إلىٰ بيتها لتجد طفلها محتاجًا إلىٰ أن تعد له أشياء، وتجد زوجها محتاجًا إلىٰ

---

(١) الأعراف: ١٨٩ .

(٢) لقمان: ١٤ .

أن تعدَّ له أشياء، وإذا كان لها أولاد آخرون، فهم محتاجون أيضًا منها إلىٰ أشياء تعدها لهم.

وهكذا نرىٰ أن الحمل عليها يكون ثقيلًا جدًا أكثر من حمل الرجل، وهٰذا يجعلها رهفة ويخرجها عن مهمتها في الحياة، وهي أن تكون سكنًا لزوجها والله ﷻ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[1].

إذن السكن هنا وهو المهمة الأساسية للمرأة في الحياة قد ضاع، وضاع معه السلام والاستقرار في البيت والأسرة وحملنا المرأة فوق طاقتها.

أهم واجبات المرأة: العناية بشئون الأسرة

يقول د/ البوطي[2]:

من أهم واجبات المرأة انصرافها إلى العناية بشئون الأسرة، وتربية أولادها، وتمهيد السبيل الأمثل أمامهم لتكوين الذات، وتنمية مقوماتها المختلفة بعيدًا عن مشكلات الحياة ومزالقها.

ولا يشك باحث منصف بأن المرأة معدةً- في تكوينها الجسمي والنفسي والعاطفي ومجموع كينونتها الذاتية- لوضع معايشِ الحياة الأسروية ضمن إطار من السعادة والبهجة والرضا، سواء كان ذلك بالنسبة لزوجها أو بالنظر لأولادها أو بالنسبة لنفسها هي.

بل لا شك إطلاقًا في أن المخلوق الوحيد الذي أوتيت يده القدرة علىٰ نسج هٰذا الإطار، وتلوين الحياة كلها بأطياف السعادة والجمال،

---

(١) الأعراف: ١٨٩ .

(٢) «علىٰ طريق العودة إلى الإسلام» ص١٨٢- ١٨٥.

إنما هو المرأة وإنما تنبثق الحياة المثلىٰ من خليتها العظيمة الأولى: الأسرة. فبمقدار ما تمتد مظلة هٰذِه الرعاية الحانية عليها، يتكامل نموها بعيدًا عن سائر المنغصات والأدواء، والعكس أيضًا صحيح.

وإذا كان صحيحًا ما قلناه من أن اقتسام أعباء الحياة والمجتمع في شركة عادلة متكافئة، لا تعني أن يتسابق الطرفان إلىٰ مجاذبة واجبات بعينها، بل الصورة الصحيحة لهٰذِه الشركة العادلة أن يتقاسما الأعباء مناصفة حسب مهارة كلٍّ واختصاصه، أقول: إذا كان صحيحًا هٰذا الذي قلناه، فإن في انصراف المرأة إلىٰ شئون الأسرة علىٰ مستوىٰ لائق من الثقافة والدراية والعلم، ما يجعلها متكفلة بمعظم مقومات المجتمع ونهضته. ومع ذلك، فإن الشريعة الإسلامية فتحت للمرأة من بيتها النوافذ الكثيرة إلىٰ كل عمل مفيد تتقنه، إذا لم يكن في ذلك تجن علىٰ هٰذا الواجب الأساسي الخطير، وإذا لم يكن فيه ما يستلزم التخلي عن واجب الستر والصيانة الذي مر بيانه.

إن الإسلام يقرر أن حجر الزاوية في حياة المرأة إنما هو بيتها وأسرتها.

وحسبنا تعبيرًا عن ذلك قوله ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾(١). وهو يفرض بناء علىٰ ذلك أن يكون كل ما تتحلىٰ به من علم وثقافة ووعي رفدًا لملء هٰذِه الثغرة، أي: إنه لا يوجد ثمة ما يمنع من أن تنطلق المرأة من دائرة الأسرة إلىٰ عمل مفيد تتقنه بشرط أن تكون القاعدة منها والمثابة إليها.

وقد استلزم هٰذا الواجب الخطير عدة نتائج، غدت لما بينها من

---

(١) الأحزاب: ٣٣ .

تلازم- أحكامًا تشريعية لا مجال للخلاف فيها.

منها أنها لا تكلف بالإنفاق لا علىٰ نفسها ولا علىٰ غيرها من زوج أو أصول أو فروع، بل المكلف بالإنفاق عليها في أعم الأحوال- والدها ما دامت في بيت أبويها، ثم زوجها إذا تزوجت وانتقلت إلىٰ بيت الزوجية، لا يستثنىٰ من ذلك إلا حالات نادرة علىٰ تفصيل وخلاف في ذلك بين المذاهب الأربعة فيها.

ذلك لأن من العسير، بل ربما من المستحيل، أن تنصرف المرأة إلىٰ واجبها الفطري والاجتماعي من رعاية الأسرة وتربية الناشئة، ثم تكلف مع ذلك بالإنفاق علىٰ نفسها أو علىٰ أحد ممن يلوذ بها، وهٰذا فقد كانت القسمة العادلة في مجال التعاون لإقامة المجتمع الإنساني السعيد، تقتضي أن يكون الرجل هو الكادح في الأسواق والمسئول عن الرزق والإنفاق، وأن تكون المرأة هي العنصر المربي والظل الوارف للحياة كلما ٱشتد لفحها وقسا هجيرها. وقد يتبادلان المهمة ويتعاونان في الوظائف، ولٰكن علىٰ أن يكون ذلك ٱستثناء جزئيًا من أصل كلي وأن يكون هٰذا الأصل هو السائد في نظام المجتمع وعلاقة ما بين الرجل والمرأة.

وقد أبرم القرآن هٰذا الحكم بنصوص صريحة لا تقبل أي نظر أو تأويل، وذلك في مثل قول الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1]. قوله تعالىٰ: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦ لِيُنفِقْ ذُو

(١) البقرة: ٢٣٣ .

سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾[١]. وهٰذا النص الثاني وإن كان يتحدث عن نفقة الزوجة المطلقة على الزوج فهو من أبلغ الأدلة علىٰ وجوب نفقتها عليه ما دامت عرى الزوجية موصولة بينهما.

الظواهر التي ترتبت على عمل المرأة

يقول د/ نور الدين عتر[٢]:

إن الحديث اليوم في ربوعنا ومجتمعنا عن اتصاف المرأة بالإنسانية، واستحقاقها كرامة الإنسان أمر بدهي مسلم به، لا يحتاج لإعادة، ولا إلىٰ ذكر، ولكنا نذكر اليوم ذلك الواقع التاريخي الأسود، ليعلم كل إنسان فضل الإسلام الحنيف على الإنسانية، إذ كان هو المعلم المؤثر بهٰذا التقدم الإنساني العظيم، ولتحس المرأة أنها مدينة في فوزها بحقوق الآدمية والكرامة لنبي العالم أجمع محمد بن عبد الله باعث الحضارة المثلىٰ، ومنقذ العالم من الظلمات إلى النور ﷺ.

لكنا نخطئ خطئًا جسيمًا إذا جعلنا وضع المرأة في الأمم الأجنبية هو المثل الذي يحتذىٰ كما يحاول إقناعنا به بعض مقلدة الأجنبي وعساكره الفكريين.

والحقيقة أن المرأة في أوربا وأمريكا إنما أعطيت مظاهر الحقوق والمساواة بالرجل، وبقي تحت تلك المظاهر استغلال المرأة واللعب بالاستمتاع بها هنا وهناك، وغطى القوم ذلك بما أسموه تحريرًا أو رقيًّا..!

ولم تكن حال المرأة عند الأجانب إلا مظهرًا من المظاهر خاليًا من

---

(١) الطلاق: ٦-٧.

(٢) «عمل المرأة واختلاطها» ص٢٥- ٣٤.

القيم الإنسانية، مثلها في ذلك، كما قال الأستاذ العقاد: «مثل التقليد الذي جرىٰ عليه الحاكم البريطاني حين يأمر باعتقال شخص، فيرسل إليه كتابًا يختمه بهٰذا التوقيع: (خادمكم المطيع فلان) هكذا يذيل الحاكم خطابه الذي يعتقل به سيده المطاع!!».

وهكذا أيضًا من ينظر إلىٰ مظاهر الغرب، كما قال العلامة الجليل مصطفىٰ صبري:

«من ينظر إلىٰ هٰذِه المظاهر عند الغرب يحسب أهله يعبدون المرأة ويجلُّونَها إلىٰ هٰذا الحد، ومن هٰذِه المظاهر ٱعتبرت المرأة الشرقية منكودة الحظ، لٰكن الحقيقة أن الغربيين ومقلدتهم منا يعبدون هوىٰ أنفسهم، وما إجلال الرجل للمرأة وتقديمه إياها إلا نوع من الضحك عليها لمخادعتها وجعلها أداة للهو واللعب، حتىٰ إن ٱشتراكها في أعمال الرجال الذي هو معدود من فوزها وانتصارها ما هو إلا ٱحتمالها لأعباء الحياة القاسية».

وهٰذا يعني: أن الرجل الغربي ضاعف واجبات المرأة وجعلها تحتمل مسئوليات مثل مسئولياته، إلىٰ جانب متاعب البيت وأعباء الحبل وتربية الأولاد، فصار يستغلها بذلك، ويخفف عن نفسه من الواجبات التي حوّلها على المرأة، ثم جعل ذلك تحريرًا للمرأة وفوزًا لها بالمساواة المزعومة!

ثم تأتي- بعد هٰذا- فئة في بلادنا تعيش بأبدانها وتخلفها في الشرق، وبقلوبها وأهوائها الهازلة في البلاد الأجنبية، فتؤمِّن علىٰ ذلك وتدعو إليه، قد غطت علىٰ أبصارها الأهواء المتعبدة للأجنبي، وربطت أعناقهم به أغلال التقليد، حتىٰ أصبحوا هم وإياه علىٰ حدٍّ سواء في البعد عن الحق وعن الطريق المستقيم!.

وفي يقيني أنه لو لم يكن لهٰذِه الوضعية المعكوسة للمرأة عند

الأجانب ما يؤيدها من قوة السلاح وبهارج المادة والدعاية المتعصبة التي ألبستها عند مقلدتهم لبوس الحق، لو لم يكن لها ذلك لكانت سواد وجه لأي قوم ٱختاروها وسلكوا طريقها. ولكن هكذا يضل من ٱغتر وغاب عن طريق الله وهداه.

إن مصدر حقوق المرأة في أوربا وأمريكا يحاط بهالة من الشعارات الجميلة، شعارات: الحرية، الاحترام، المساواة...، لكن الحقيقة أن الأجانب لا يعبأون في تقويم أمورهم، ومنها حقوق المرأة إلّا بالعامل المادي، وعنصر الانتفاع، وهو هو شأنهم في تعاملهم مع الأمم المستضعفة التي يستكبرون عليها.

هٰذا المقياس الذي يهمل العوامل الإنسانية والقيم الإيمانية والخلقية لابدَّ أن يؤدي، بل إنه قد أدىٰ- بالفعل- إلىٰ صنوف من الجور والخسف أصابت المرأة، وأناختها تحت أثقال كثيفة من وبالها.

إن المرأة في بلاد أوربا وأمريكا مكلفة أن تنفق علىٰ نفسها متىٰ وصلت سن البلوغ، حتىٰ لو كانت بنتًا في بيت أبويها، أو زوجةً في بيت زوجها، أو أُمًّا لها أولاد ذكور أو إناث أغنياء، بل من البلاهة أن تأمل البنت الغضَّةُ العُود أن يعطف عليها أبوها فينفق عليها بعد البلوغ، أو أن يتحمل الزوج تجاه ٱمرأته مسئوليته التي نعرفها نحن المسلمين، ليس مقابل تكليفها بواجباتها المنزلية، بل مقابل تفرغها لحق زوجها فقط، نقوم بها ٱمتثالًا لأمر رب العالمين.

وهكذا أدىٰ لك التعبد للمادة إلىٰ ظواهر خطيرة:

الظاهرة الأولى: القضاء على الأسرة، وكيف توجد الأسرة وقد ضاعت مسئولية الرجل عن زوجته، وضاعت مسئوليته وهو أب عن أولاده، فلا سلطان له عليهم؟! بل كيف توجد الأسرة وقد فتحت المتعة الحرام أبوابها، وراحت أجهزة كثيرة خطيرة تروّجها، بل تحبذها وتغري

بها، عياذًا بالله تعالى.

الظاهرة الخطيرة الثانية: محق أنوثة المرأة، حيث إنها لما أضطرت إلى العمل والكد؛ لكي تكسب عيشها، ألجأتها الضرورة أن تخوض غمار الأعمال المرهقة، والحرف الشاقة، حتى التي لا يمارسها إلا طبقة جلفة من الرجال، فأصبحت المسكينة تعمل سائقة تاكسي إلىٰ أواخر الليل، وحمالة للأمتعة، وماسحة أحذية، وشغالةً في أعمال المعادن والأعمال الصعبة في معامل السيارات، وهكذا حتىٰ لم يبق للمرأة من المرأة إلا هيكلها، ثم الأفظع أندماج الرجال والنساء في أزياء واحدة من الثياب والهيئات من قصات الشعر وغيرها، حتىٰ لم يميز المرأة عن الرجل إلا صوتها، وبروز ثدييها إن برزا!!.

وهٰذا ملحوظ بوضوحٍ في قسمات المرأة في بلادنا، وبلاد الإسلام، أنك تجدها كثيرًا ما تخط علامات الرجل علىٰ قسمات وجهها.

أما المرأة الأجنبية فالأمر أخطر، حتىٰ قد يصعب تمييز نساءٍ عن الرجال، بل أصبح مألوفًا أن يقدم علىٰ سَطو مريع فتاة غادة أو أن يكون مرتكب جريمة قتل شنيعة مروِّعة أمرأة ميادة!!

الظاهرة الخطيرة الثالثة: إبعاد الأولاد عن أمهم وحرمانهم حُنُوَّهَا وعطفها، مما يؤدي إلىٰ فساد تكوينهم وسوء تربيتهم، كما أنه يحرم المرأة الأم متعة الأمومة، وسعادة العطف علىٰ أولادها، وهي قيم عليا في ميزان الله تعالىٰ، وهي عليا في ميزان الخلق وفي ميزان علم التربية، وميزان علم النفس والشعور الإنساني.

الظاهرة الخطيرة الرابعة:- وهي أسوأ نتائج المقياس المادي لحقوق المرأة- أرتباط حقوق المرأة بأنوثتها:

إن الأجانب يرفعون أصوات الإعلام للدعوة إلىٰ أن تحصل المرأة علىٰ كل حقوقها مساوية للرجل، في الحقوق الأقتصادية والسياسية

والاجتماعية، ويُصدِرون نُصوصًا تداعب أحلام المرأة، لكن حقائق الحياة عكس ذلك تمامًا، إذ ما تلبث المرأة أن تخوض غمار الحياة، وما يلبث الرجل العاقل إذا اختبر حقائق الأمور أن يظهر له ويظهر للمرأة أن المرأة لم تجاوز أن تكون سخرةً لخدمة الرجال- خادمة لنهمهم- مقابل لقمة عيشها، دون أي تقدير لدورها الذي يعجز عنه كل الرجال، لذلك أصبح ظاهرًا جدًا عندهم أن المرأة التي نالت حلمها الغالي بأن اقترنت برجل، هكذا نقول اقترنت برجل؛ لأنهم وقد انهمكوا في المادة وانغمسوا في البحث في اللذة أعرضوا عن الزواج إلا قليلًا، واكتفوا بالصداقة وعهدها؛ ليخفف الرجل من أعبائه، وذلك لمزيد قسوة قلبه، وبالتالي فإن الرجل متىٰ قضىٰ نهمته من قرينته- سواء كان اقترانهما بعقد زواج أو صداقة فجور يضيق بها ذرعًا، ويمل عشرتها، ويخرجها من البيت، وإذا حاولت الدفاع عن كرامتها نالت أشد المرارة، حتىٰ قد ينالها الضرب إلىٰ درجة التحطيم، فلا تجد لها سبيلًا إلا الهروب من بيتها والشرود في مهانة الحياة.

وقد صدرت دراسة إحصائية في بلاد الحضارة الغربية البالغة الأوج- كما يزعمون- أعني الولايات المتحدة الأمريكية أنه كل (١٢) ثانية تخضع امرأة لهٰذا الوباء، وباء توحش الرجل على امرأة سئم منها، كل (١٢) ثانية تضرب امرأة إلىٰ درجة القتل، أو كسر عظم، أو تحطيم من قبل زوج أو صديق ، وقد سجلت نحو ذلك في بريطانيا أيضًا جمعية متخصصة حملت اسمًا ترجمتُه: «جمعية الرفق بالنساء المعذبات جدًا»، وذلك بالنظر إلىٰ ما سجل في مكاتب الشكاوىٰ، أو غرف الطوارئ في المستشفيات، أو عيادات الأطباء، أما الحالات التي لم تسجل فكثيرة لا يعلمها إلا الله، حتىٰ لقد سجل خبراء بحقائق الأمور هناك أن حقيقة حياة المرأة في بلاد أوربا وأمريكا لا تزيد علىٰ عشر سنين أو خمس عشرة

سنة، هي مدة الإمتاع بأنوثتها للرجال، فإذا بلغت مرحلة الكهولة لم يبق لها أحد، ولا يحوم حولها أحد، ولا تجد من يسعدها من بنت ولا ولد، إلا ابنا يزورها أو بنتًا بين حين وحين، زيارة قصيرة يقدم لها ٱنحناءة ٱحترام تقليدية عابرة، وما أقل ذلك إن كان.

أما في ظل حكم الله تعالى الإسلامي الحنيف، وعلى الرغم من تقصير المسلمين فالأمر علىٰ عكس ذلك، بدءًا ونهايةً؛ تبدأ البنت حياتها معززة مكرمة، تتعزز بثيابها الإسلامية فتغلق الطريق أمام أهل الريبة والمقاصد السيئة، فلا متعة إلا بما شرع الله، وهي مصونة أن تبْذُلَ- من أجل عيشها- نفسها، قد كفاها ربُّها ذلك بشرع النفقة الواجبة علىٰ أبيها، ثم علىٰ زوجها إن تزوجت، ثم على ابنها إن تأيَّمتْ أو ٱفتقر زوجها. وكلما ٱزداد تقدم سنها تزداد مكانتها في قلوب الرجال والنساء، يتسابقون لإرضائها، إنها في جنة نعيم في ظل هٰذا الشرع، شرع ربها تبارك وتعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[1].

هل المرأة التي ترعى بيتها امرأة عاطلة؟

تقول د/ ليلىٰ صقر[2]:

أباح الإسلام للمرأة العمل لكسب عيشها تمامًا كما أباحه للرجل، وهنا نقف وقفة، لماذا يعمل الإنسان؟! يعمل الإنسان عادة نتيجة حاجته للاستهلاك، والعمل مرتبط دائمًا بالظروف الٱقتصادية التي يحياها الفرد، فالحاجة هي الدافع للعمل، وكلما تعددت حاجيات الإنسان ٱزدادت

(١) الإسراء: ٢٣ - ٢٤.

(٢) «منبر الإسلام» العدد (٨) سنة ١٩٧٣.

رغبته في العمل لإشباع هٰذِه الحاجيات، إلىٰ جانب ذلك فالعمل في حدِّ ذاته حاجة من حاجات الإنسان لا لزيادة الدخل فحسب؛ بل ليشعر بكيانه ووجوده، فالطفل يقوم بحركات يمكن أن نسميها عملًا وتؤدي في نظرنا حاجة بيولوجية للطفل.

كذلك التلميذ في المدرسة يعمل والمرأة في البيت تعمل والرجل يكد ويكدح حتىٰ يحصل علىٰ قوته وقوت أولاده وزوجته، فالحياة سلسلة متواصلة من العمل المتواصل، وعمل الفرد في الحياة هو الذي يكون شخصيته، فالرجل العاطل إذا ما ساعدناه للحصول علىٰ عمل فإنما نحن نساعده علىٰ أن يكون شخصًا سليمًا في المجتمع، نساعده حينذاك علىٰ تكوين شخصيته.

أمَّا بالنسبة للمرأة فهل معنىٰ مساواة المرأة بالرجل أن ينطبق عليها كل هٰذا الكلام بحرفيته؟!

هل يمكن أن يكون حكمنا عليها كحكمنا على الرجل الذي إن لم يؤد عملًا يكتسب به قوته نحسبه شخصًا ضعيفًا عاطلًا، وإلا فلا توجد مساواة بين الرجل والمرأة؟! إذا أجبنا علىٰ هٰذا السؤال بالإيجاب فهٰذِه نظرة ضعيفة ناقصة، وإذا قلنا: إن معنى الإسلام يساوي الرجل بالمرأة أنه لابد من عمل المرأة وإلا فهي مخلوق ضعيف عاطل، فهٰذا تشكيك، وهٰذا ٱفتراء برئ منه الإسلام، فالحق أنه لا يمكن الحكم علىٰ ربة البيت بأنها عاطل، فالمرأة التي تعمل في خدمة بيتها وزوجها وأولادها هي أفضل بكثير في نظر الدين والمجتمع عن المرأة التي تعمل خارج بيتها في أرقى المناصب وتفشل في واجبها الأساسي ألا وهو رعاية الأولاد والزوج، فإذا كان الإسلام قد قرر مشاركة المرأة للرجل في كيان الدولة والمجتمع سواء بسواء عدا بعض ٱستثناءات قليلة متصلة بطبيعة المرأة مما

يحفظ أنوثتها ويتفق مع طبيعتها في بقاء النوع الإنساني، ويعترف لها بالحياة والخلود والجنة والتعليم حسب عملها وإخلاصها، فأهمية عمل المرأة في الأسرة لا يقل أهمية عن عملها خارج المنزل وإن كانت تحصل علىٰ قوة من الخارج فإن ذلك نتيجة عملها ونتيجة وضعها في الأسرة.

بقاء المرأة في المنزل زيادة في الإنتاج

يقول د/ محمد على البار[١]:

والمضحك المبكي أن البلاد المختلفة تعاني من بطالة حقيقة وُمَقنعة، وهناك الملايين من الرجال الذين يبحثون عن عمل فلا يجدونه، ومع هٰذا تقام حملات إعلامية ضخمة تتحدث عن نصف الأمة المشلول، ونصف الأمة المسجون، ونصف الأمة المعطل عن الإنتاج، ويطالبون إخراج المرأة إلىٰ ميادين العمل والإنتاج، ولا إنتاج هناك.

وتخرج المرأة ويتوقف عمل المرأة في بيتها وفي حقلها، وتتوقف الصناعات المنزلية الإنتاجية، ويتحطم نظام الأسرة.

ربما اعترض معترض وقال لنا: لو وافقناكم علىٰ ما قلتموه بالنسبة للبلاد الأوربية والبلاد النامية إلَّا أننا سنختلف معكم حول خروج المرأة في البلاد البترولية الغنية، فالأموال متوفرة والعمالة قليلة، والأيدي المحلية غير متوفرة بصورة كافية مما يستدعي جلب كثير من الأيدي العاملة من الخارج مما يؤدي إلىٰ تغيرات اجتماعية غير مرغوب فيها، ويؤدي ذلك إلىٰ تغيير البنية الديموغرافية للسكان بحيث يصبح العنصر الأجنبي يشكل خطرًا حقيقيًا على السكان الأصليين لهٰذِه البلاد.

---

(١) «المرأة في ميزان العمل» (ص ١٤٣-١٥٤) باختصار.

وليس هناك من حلٌ في تخفيف هٰذِه الأزمة سوىٰ إخراج نصف الأمة المعطل حاليًا عن العمل والإنتاج إلىٰ ميدان العمل والإنتاج.

هٰذا هو ملخص لآراء من يقولون بإخراج المرأة إلىٰ ميدان العمل في البلاد البترولية الغنية، منهم مثقفون وموظفون رسميون..

وعلىٰ ما يبدو من وجاهة هٰذا المنطق لأول وهلة إلَّا أننا إذا تعمقنا النظر فيه وجدناه لا يحل أي مشكلة، بل على العكس يوجد مشاكل جديدة، بل وينسف جذور المجتمع المتماسك القائم الآن فعلًا.

نحن نعرف نقص اليد العاملة المحلية وخاصة في المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات، ولكن هل خروج المرأة من بيتها سيحل هٰذا الإشكال؟

ألا تحتاج المرأة التي تخرج من بيتها إلى العمل إلىٰ خادمة لتنظيف بيتها، ثم ألا تحتاج إلىٰ مربية لتربية أطفالها؟

وأين هي الخادمة، وأين هي المربية، وقد بلغ أجر الخادمة أكثر من ألف ريال في الشهر، ومع هٰذا لا تجدها، أما المربية وخاصة التي تجلب من أوربا، كما تفعل بعض العائلات السعودية الغنية فإنه يكلف عدة آلاف كل شهر مع تذاكر السفر والعودة إلىٰ بلادها كل عام مرة أو مرتين.

فما هو الدخل الذي ستحصل عليه المرأة بخروجها إلى العمل ليعوض هٰذِه المصاريف الجديدة، ثم ألا تحتاج في خروجها للعمل يوميًا للمواصلات والتاكسي، هنا قد بلغ منتهى الفحش في الغلاء، ألا تحتاج بعد ذلك إلىٰ ثياب تناسب العمل وإلىٰ أدوات الزينة حتىٰ تظهر بالمظهر اللائق بها، أليست تلك كلها مصاريف.

ومن الناحية الاجتماعية ألا يتهدم كيان الأسر عندما تعود مكدودة سيئة الخلق إلىٰ منزلها وتجد زوجها في مثل وضعها، والأطفال أشبه

بالأيتام، وهي مضطرة لأخذ حبوب منع الحمل حتىٰ لا تضطر إلى البقاء في المنزل لتواجه أعباء الحمل والرضاعة.

وللحبوب مضارها الطبية وأهونها النرفزة وحالات الكآبة والقلق وأخطرها زيادة الجلطات في الساقين والرئتين.

إن البلاد البترولية الغنية تعاني من نقص في عدد السكان.

فعدد سكان المملكة العربية السعودية يتراوح ما بين ٧ إلىٰ ٨ ملايين نصفهم تقريبًا من الأجانب، ويدخل في تعريف الأجنبي اليمني، والحضرمي، والمصري، والسوري، واللبناني، والفلسطيني، والأردني، والباكستاني، والهندي، والكوري، والأوربي، والأمريكي..

وقد أصدرت وزارة الصحة بالمملكة العربية السعودية إحصائية بعدد المواليد عام ١٣٩٨، ١٩٧٨ جاء فيه: أن عدد المواليد في هٰذا العام بلغ ٩٥ ألفًا بلغ عدد الأجانب منهم عشرون ألفًا، ويكون بذلك عدد المواليد السعوديين خمسة وسبعون ألفًا فقط، ولم تنشر إحصائية بعدد الوفيات في العام نفسه، ولربما وجدنا أن عدد الوفيات أكثر من عدد المواليد والحل الواقعي والعملي هو زيادة عدد السكان، وتشجيع الزواج والتناسل.

وتيسير الزواج بخفض المهور والحفلات والتكاليف الباهظة للظهور بمظهر اجتماعي مرموق أمر ينبغي الإسراع فيه لحل هٰذِه المشكلة، كما أن توفير السكن بثمن رمزي للراغبين في الزواج أمر ينبغي تنفيذه علىٰ وجه السرعة..

وفي مقال للكاتبة السعودية سهيلة زين العابدين التي نشرته جريدة المدينة علىٰ حلقات جاء في العدد ٤٨٨٣ الصادر في ٢٩/ ٥/ ١٤٠٠ بعد أن ذكرت مشكلة نقص السكان في المملكة، وكيف أن ذلك يعوق التنمية ما يلي:

«وأنا في نظري أنه لا يمكن حل مشكلة نقص العمالة إلَّا عن طريق الآتي:

أولًا: التشجيع علىٰ زيادة النسل؛ لكي يرتفع معدل زيادة السكان بشكل سريع، وملموس علينا أن نقدم معونات مالية سخية لوالد كل طفل حتىٰ يستطيع الفرد العادي تربية أبنائه وتعليمهم علىٰ أحسن ما يكون لنضمن الكم والكيف معًا، إن أنسب وقت للتشجيع على النسل هو الآن؛ لأن جميع الظروف مهيأة لذلك، فعلينا أن نحسن ٱستغلالها قبل أن تنضب الثروة البترولية.

ثانيًا: ٱتباع سياسة (مص الأدمغة) التي تتبعها الآن الولايات المتحدة الأمريكية، فمعروف لدى الجميع أن الولايات المتحدة تمنح الجنسية لكلٍّ من يظهر تفوقًا في أي مجال من المجالات بدون أي قيد أو شرط فيصبح عندئذ من رعاياها ويصير ٱرتباطه بها أشد وأوثق، ونحن لو طبقنا هٰذِه السياسة في بلادنا ومنحنا الجنسية السعودية لكلٍّ مسلم يظهر تفوقًا في أي مجال من المجالات بعد أن يثبت لدينا حسن سيره وسلوكه وسلامة عقيدته من أية ٱنحرافات سيساعدنا علىٰ حل مشكلة العمالة، ومواجهة الزيادة السكانية المترتبة علىٰ سياسة التشجيع على النسل كما سيساهم في نمو المملكة وتقدمها وازدهارها من جهة أخرىٰ، كما أنه سيحق لاقتصادنا رصيدًا ٱدخاريًا جيدًا».

وتواصل الكاتبة المسلمة كلامها فتقول:

«لماذا لا نسهل منح الجنسية السعودية للمهارات المسلمة وضمهم إلى الأسرة السعودية الكبيرة؟ نحن أخوة في الدين والعقيدة، والدولة الإسلامية قد بلغت أوج مجدها بسواعد المسلمين وتكاتفهم على ٱختلاف

جنسياتهم وألوانهم فالناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي ولا عجمي إلَّا بالتقوىٰ، وما من مسلم إلَّا ويفخر بالانتماء إلىٰ هٰذا البلد الكريم المعطاء بلد الأمن والاستقرار ومهبط الوحي والرسالة المحمدية، فأراد الله له أن يكون بلد العقيدة والإيمان.

«وهٰذِه في رأيي هي الحلول الجذرية لمشكلة العمالة في بلادنا، ولنصرف النظر عن تحميل المرأة عبء نقص العمالة، ولنقصر أعمالها علىٰ ما تقتضيه الضرورة الملحة كتعليم بنات جنسها وتقديم الخدمات الطبية والاجتماعية لهن».

وإذا علمنا أن فرنسا وألمانيا وروسيا تقدم الحوافز المادية وتخفف الضرائب إلىٰ أقصىٰ حدٍّ عن الأسر التي تنجب أطفالًا كثيرين، لتشجيع النسل، وكذلك تفعل إسرائيل وبصورة أشد بلغت بها أن تشجع أي يهودية أن تنجب ولو بطريق الزنا واعتبار ذلك إنجازًا قوميًا عظيمًا. وهٰذِه طريقة اليهود المعهودة في الأنحراف والفساد. فإن واجب البلاد البترولية الغنية ذات الأراضي الشاسعة والسكان القليلين أن تبادر إلىٰ دعم سياسة زيادة السكان.

وإذا عرفنا حسب قرارات هيئة الصحة العالمية أن كل طفل يحتاج إلىٰ رعاية متواصلة من أمه لمدة ثلاث سنوات، فإننا سنجد أن الأمهات مشغولات باستمرار ولا وقت لديهن للخروج فيه إلى الشوارع والمكاتب.

وفي خلال فترة زمنية معقولة نستطيع أن نضاعف من عدد السكان في الجزيرة العربية، أما إذا أخرجنا المرأة إلى العمل، فإن النتيجة الحتمية هي أن عدد السكان سيتناقص بدلًا من أن يزيد؛ لأن المرأة العاملة لا تريد أن تتحمل مسئولية الحمل والرضاعة وتربية الأطفال، بل ولا يمكنها أن تتحمل ذلك لو أرادت.

والغريب حقًا أن نجد ٱستعمال حبوب منع الحمل ينتشر ٱنتشارًا كبيرًا في الجزيرة العربية الخالية من السكان تقريبًا، ذلك لأن الأمهات لا يستطعن أن يقمن بتربية أعداد كبيرة من الأطفال؛ نتيجة للأوضاع الاجتماعية الراهنة وقلة عدد الخادمات، وضيق المساكن، فكيف بالأمر لو خرجت المرأة إلى المكتب والمصنع؟!

ليس هٰذا فحسب، ولكن هناك عددًا من الأمهات يقمن بإجهاض أنفسهن وإسقاط أجنتهن؛ لأنهن لا يستطعن أن يواجهن مشكلة زيادة الأطفال ورعايتهم في الأوضاع الراهنة، وتصور كيف يكون الوضع عندما تخرج المرأة أيضًا إلى العمل!!

وسيصحب خروج المرأة تغييرات ٱجتماعية جذرية مهما ٱدعينا عكس ذلك، ولابد أن يزداد الزنا وبالتدريج سيسمح به وسيغلف النتن والقذر بعبارات الحب الجوفاء وعبارات التحرر والتقدم.. إلىٰ آخر المعزوفة الممجوجة التي لا تمل أجهزة الإعلام عن إسماعنا إياها صباح مساء، وسيزداد الزواج صعوبة، وستقل الرغبة في إنجاب الأطفال حتىٰ لو أمكن الزواج، وسيقل عدد السكان، وسيصبح المتنفس الوحيد للرغبات الجنسية الجامحة هو العلاقات الجنسية المحرمة، والتي سيسهل تنفيذها نتيجة لخروج المرأة واستعمال حبوب منع الحمل.

وتكون النتيجة الحتمية زيادة الحاجة للعمالة الأجنبية بدلًا من خفض تلك الحاجة، وسننتهي حتمًا إلىٰ حالة من الفوضى الاجتماعية والخلقية كالتي عانىٰ منها الغرب، وستكثر الجرائم بمختلف أنواعها ويزداد العنف وإدمان المخدرات بين الشباب الذي فقد حنان الأمومة ودفء الأسرة؛ لأن الأمهات كن مشغولات عنه في المصانع والمتاجر والمكاتب.

وهكذا يكون خروج المرأة للعمل وبالًا على المرأة وعلى المجتمع وخسارة ٱقتصادية واجتماعية فادحة.

من حق المرأة ألا تعمل بعد الزواج

بقلم: إيليس ماكجنلي[(١)]

إن السؤال القديم هل من حق الزوجات الٱحتفاظ بوظائف بعد الزواج؟ لم يعد يستحق المناقشة في هٰذِه الأيام، فإن الزوجة العاملة لم تعد مجرد ظاهرة، بل هي حقيقة من حقائق الحياة الحديثة. أما السؤال الجديد الذي يثير علماء الٱجتماع والمشتغلين بالشئون النسائية في الوقت الحالي فيبدو أنه عكس ذلك وهو: هل من حق ربات البيوت ألا يعملن بعد الزواج؟ وهل نعد نحن النساء، بعد أن نلنا حرياتنا أخيرًا.

خائنات لجنسنا إذا ٱرتددنا إلىٰ مجرد دورنا القديم الذي حجزنا ألافا كثيرة من السنين؟

إن لي آراء حاسمة بشأن هٰذِه النقطة، فإنني أصر علىٰ أن النساء لهم أكثر من حق في البقاء كربات بيوت، بل إن لديهن تفويضا بذلك، وإنني أقدر مهنتنا وأهميتها في الحقل البشري إلىٰ حد أنها تبدو لي مهنة كافية لأن تملأ الحياة والقلب. ولو كنا في مجتمع مثالي لما كنا في حاجة إلىٰ أي عمل آخر.

ومع ذلك فإن العالم يزداد تحسنا بصفة عامة. إذا التزم كل من الرجال والنساء مجالهم الخاص ولست أقول إن من الأفضل للنساء الٱبتعاد عن الأعمال الخارجية، ولكن ذلك هو الأفضل للمجتمع بصفة عامة وعلىٰ أية حال فإن الشرف الغامض والالتزام الذي على النساء هو

---

(١) نقلاً من مجلة «حضارة الإسلام» ص١٠٧

أن يعملن على ٱستمرار دوران هٰذا الكوكب في فلكه، إننا نحن النساء المضحيات المانحات. ولسنا آكلات للحياة، وإذا قيل لنا علىٰ نحو تعسفي. كما يفعل بعض علماء النفس والدعاية، إن من واجبنا أن نعمل في أي مكان آخر غير المنزل فهٰذا لغو زائف، فإن الأعمال التي تستحق أن نمزق شمل الأسرة من أجلها قليلة، ولا ينبغي القيام بها إلا إذا كانت الأسرة نفسها هي التي سوف تستفيد بها لا مجرد ربة البيت نفسها

أرجعوا النساء إلى البيوت

يقول الشيخ المنجد[1]:

يقول تقرير هيئة الصحة العالمية: إن كل طفل مولود يحتاج إلىٰ رعاية أمه المتواصلة لمدة ثلاث سنوات على الأقل، وإن فقدان هٰذِه الرعاية يؤدي إلى ٱختلال الشخصية لدى الطفل كما يؤدي إلى ٱنتشار جرائم العنف. وطالبت هٰذِه الهيئة بتفريغ المرأة للمنزل، يعني ناس رأوا بأعينهم ضرر مغادرة النساء للبيوت، قالوا: أثر على الصحة النفسية للطفل. يا جماعة أرجعوا النساء إلى البيوت وطالبت هٰذِه الهيئة بتفريغ المرأة للمنزل، وطلبت من جميع حكومات العالم أن تفرغ المرأة لعمل البيت وتدفع لها راتبًا شهريًا ترىٰ في بعض الدول الأوروبية يدفعون راتبًا للمرأة إذا قعدت في بيتها، تخيلوا: ٱكتشفوا أن خروج النساء من البيوت ضيع الأسرة، ولذلك صاروا يدفعون رواتب للمرأة التي تقعد في البيت، سبحان الله تشجيعًا للنساء على القعود في البيوت لأجل رعاية الأولاد، لأجل رعاية هٰذا العش، لأجل تحقيق الٱستقرار النفسي والعائلي.

وقد أثبتت الدراسات الطبية والنفسية أن المحاضن وروضات

(١) نقلا من شريط «وليس الذكر كالأنثىٰ».

الأطفال لا تستطيع القيام بدور الأم في التربية ولا في إعطاء الطفل الحنان الدافق الذي تغذيه.

أما عن بريطانيا فقد عرضت تقرير علمي إلى الزيادة المطردة في عدد النساء اللاتي يخرجن من بيوتهن للعمل، وأنه ترك آثارًا وخيمة على الجيل، وأثبتت الدراسات أن أبناء الأمهات العاملات أكثر الأطفال إخفاقًا وارتكابًا للشغب والجرائم وتعرضًا للأمراض النفسية والمشكلات الاجتماعية.

وانج شيانج ساي، العضو الذكر في اللجنة الوطنية للمؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني: شجع المرأة العاملة على الرجوع إلى البيت، وليس لحل مشكلة البطالة وإنما تعبيرًا عن القلق على وضع الأسرة والأطفال.

وشهد عام ١٩٩٩م، اليوم العالمي للمرأة نقل وقائع حفل بهيج تحتفل فيه البلاد بتكريم المرأة السويسرية لتفانيها في أداء واجباتها المنزلية.

لقد ذكرت بعض النساء اللاتي بلغن مناصب عليا كلامًا عجيبًا: براندا بارنيز قررت أن تتخلى عن وظيفتها كرئيسة تنفيذية لشركة بيبسي كولا وعن راتب سنوي قدره مليوني دولار، كم تأخذ هذه المديرة، الرئيسة التنفيذية لشركة بيبسي كولا؟ مليونا دولار سنويًا دخلها السنوي، لماذا تخلت عن مليوني دولار في السنة؟ قالت: إلا لأنني اكتشفت أن راحة زوجي وأولادي الثلاثة أهم من المنصب ومن ملايين الدولارات، وأن المنزل هو أكثر انسجامًا للفطرة والتكوين، تكوين المرأة. وقبلها بيني هابينيس رئيسة كوكاكولا في المملكة المتحدة اتخذت القرار نفسه؛ لأنها تريد أن تنجب طفلًا وتصبح أمًا، وكذلك فعلت لندا كسلي رئيسة تحرير

مجلة هي المعروفة بالدفاع عن خروج المرأة للعمل أطلقت صرختها المدوية: لم أترك العمل بسبب حاجة أبنائي لي، بل بسبب حاجتي لهم، أنا أحتاج أولادي، أحتاج أن أكون مع أولادي.

وتقول آمرأة ألمانية: إنني أرغب في البقاء في منزلي

ولكن طالما أن أعجوبة الآقتصاد الألماني الحديث لم تشمل كل طبقات الشعب، فإن أمرًا كهٰذا -العودة إلى المنزل- مستحيل مع الأسف.

تقول آمرأة إيطالية: إنني أغبط المرأة المسلمة، وأتمنىٰ لو كنت مولودة في بلادكم.

تقول آمرأة فرنسية عندما ذكرت أمنيتها لطبيب معها في العمل، لفت نظرها أن زوجته محجبة وعرفت أنه مسلم فسألته: كيف تقضي زوجتك يومها في البيت؟

فقال: عندما تستيقظ في الصباح يتم ترتيب ما يحتاجه الأولاد للمدارس، ثم تنام حتى التاسعة أو العاشرة، ثم تنهض لاستكمال ما يحتاجه البيت من ترتيب وتنظيف وتعنىٰ بشئون البيت، فسألته: ومن ينفق عليها وهي لا تعمل؟ هٰذا السؤال عندهم طبيعي ليس بغريب: من الذي ينفق عليها وهي لا تعمل؟

قال زوجها الطبيب: أنا، قالت: ومن يشتري لها حاجياتها؟

قال: أنا أشتري لها كل ما تريد فسألته بدهشة: تشتري بيدك كل شيء؟

قال: نعم، قالت: حتى الذهب؟ قال: حتى الذهب، قالت: إن زوجتك إذًا ملكة. وأقسم ذلك الطبيب بالله أنها عرضت عليه المرأة هٰذِه الفرنسية - أن تطلق زوجها وتنفصل عنه بشرط أن يتزوجها، وتترك مهنة الطب، وتجلس في بيتها زوجة ثانية.

وظيفة المرأة أن تنشئ للأمة الرجال

يقول الأستاذ / أحمد بن عبد العزيز[1]:

المرأة هي المرأة مهما ٱعترضتم أيها المؤيدون للتوظيف، المرأة هي الإنسان الذي خلقه الله جل جلاله. فهي تختلف عن الرجل في تقويمها وتركيبها، وتختلف أيضًا عن الرجل من ناحية البنية الجسمية والنفسية، وعلماء النفس وعلماء الأجناس وعلماء الطب يعرفون ذلك.

وحذار أيتها الفتاة المسلمة أن يخدعك معسول المنىٰ، فإن مكانك لعسير في وظائف هي من ٱختصاص الرجال، ولكن لك وظائف أخرىٰ هناك علىٰ مملكة البيت أيتها الملكة، فوظيفتك الأساسية:

- وظيفة الأم الصالحة التي تنشئ للأمة الرجال.
- ووظيفة الزوجة التي تملأ بيتها بالأفراح والمسرة.
- ووظيفة سيدة البيت التي تديره وتدبره لتجعله جنة الأسرة.
- ووظيفة المرأة الكاملة التي هي الحنان والعطف والرحمة والمحبة.

فأنت ملكة في بيتك، تخرجين أجيالًا بعد أن تربوا في مدرستك وفي أحضانك، وشربوا لبان العقيدة والإيمان الراسخ.

وأنت الأرض الخصيبة التي تبث الحب والتضحية والإخاء والصدق والتكريم.

أنت المربية في البيت التي تربي أثمن شيء بالوجود، هو الطفل لتجعل منه الرجل التي ينشأ علىٰ حب الأمومة وترضع هٰذا الطفل منذ نعومة أظفاره منابع الحب الصافي بلا شوائب.

---

(١) «موقف الإسلام في توظيف المرأة» ص ٨٢-٨٦ باختصار.

وأخيرًا:

إنـمـا الأطـفـال نـبـتٌ   يـشـبـه الـغـصـن طـريًّـا
حـين تـرعـاهـم سـتـجـني   ثـمـرًا حـلـوًا شـهـيًّـا
كـن لـهـم خـيـر صـديـق   مـخـلـص الـقـلـب وفـيًّـا
يـرفـعـوا ذكـرًا سـيـبـقـىٰ   سـاطـعًـا مـثـل الـثـريـا

الباب الخامس

حجاب المرأة

حجاب المرأة المسلمة

إن التاريخ نفسه هو الذي حدثنا عن أن التساهل في الحجاب في كل دين سبق إنما كان فسوقًا عن أمر الدين، وأن التخلي عنه في كل حضارة إنما كان إيذانًا بانهيار تلك الحضارة وضياعها .

فالإسلام إذن قد جاء بالحجاب والبشرية تعرفه وتتمسك به في فترات غير قصيرة من تاريخها، فأصلح الإسلام من أمر الحجاب ما أصلح وجعله في الصورة التي تلائم الحياة الإنسانية المستمرة، وفق منهج الإسلام ونظامه إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها. ودعاة السفور في كل عصر هم دعاة إلى الشر، وأعداء للحق والخير وراغبون في أن تفسد الأخلاق وينحسر التدين عن الناس؛ ليعيشوا هم في هٰذا الجو الموبوء الفاسد الذي دعوا إليه فأدىٰ إلىٰ تبرج النساء وجعلهن فتنة للرجال.

وكل دعاة السفور والتبرج والخروج عما أمر الله هم كالشياطين، يحبون أن تشيع الفاحشة في الناس، ليلغ فيها ويرضىٰ عنها كلُّ شرير فاحش وإن تستر بادعاء غير ذلك.

وفي كلِّ عصر نجد دعاة التبرج ونجد لهم قوة ولدعوتهم أستجابة؛ لأن الشر أقرب إلىٰ هوى النفس وأدخل في ممارستها للملذات، وأدعىٰ إلىٰ تخلص الإنسان من قيود الدين والتزاماته.

وهم جميعًا -سواء أكانوا من المسلمين أم من غيرهم- يشتركون في صفة واحدة وهي أنهم يعيشون علىٰ هدم الأخلاق الفاضلة وحرب ما جاء به الإسلام، وإخراج الإنسان من تكريم الله له إلىٰ جعله أقرب ما يكون من الحيوان.

وإن مجتمعات المسلمين قد تأثرت بهٰذِه الدعوة الخبيثة بصورة أسوأ مما تأثرت مجتمعات الغرب، وذلك أن المسلمة المتبرجة أو السافرة

تعصي ربها فتستحق عقابه، وتسهم في إفساد المجتمع الذي تعيش فيه اجتماعيًا واقتصاديًا وأخلاقيًا، وتحمل وزر ذلك كله؛ لأنها تسببت بتبرجها فيه، ويشاركها في ذلك كل داع إلىٰ هٰذا الشر وكل راض عنه أو قادر علىٰ منعه بما له من ولاية شرعية علىٰ إحدى النساء ثم لم يمنعها.

وإن المرأة المتبرجة لتعطي أسوأ المثل لأبنائها أو أخواتها أو صديقاتها، وتشجعهن بعملها علىٰ معصية الله ورسوله واستحقاق عقاب الله سبحانه.

وإن كل امرأة تستجيب للسفور أو التبرج تهدم نفسها ومجتمعها وتحطم القيم الإسلامية فيه وتعين بنفسها علىٰ نفسها؛ لأنها سريعًا ما تقع في أسر الخوف من الذئاب البشرية، المفتونة بجسد المرأة وما ظهر منه، والتي تتربص بهٰؤلاء النساء؛ لتنطلق في ممارسة شهواتها ونزواتها لا تلوي علىٰ شيء، فذلك هو اللحم العاري وتلك هي الذئاب الجائعة، إن المرأة المتبرجة عندئذٍ تفقد الإحساس بالأمن في حياتها سواء أكانت متزوجة أم غير ذات زوج.

وإن المرأة المتبرجة المخالفة لما أمر الله به تعود بنفسها وببنات جنسها إلىٰ عهد الرقيق، يوم كانت المرأة تعرض مفاتنها علىٰ من يدفع أكثر من الرجال؛ لأنَّ المرأة مطلب للرجل بحكم الفطرة، وقد أحل الله له أن يطلبها في إطار من الشرعية النظيفة، فإذا تبرجت المرأة أعطت الرجل طريقًا آخر يطلبها منها، ليست شرعية ولا نظيفة، فمن الضحية؟ الرجل أم المرأة؟!

إن غفلة ما مثلها غفلة أن تستجيب المرأة لدعاة التبرج، سواء أكان هٰؤلاء الدعاة رجالًا أم نساء؛ لأنها تستجيب لمن يدعوها إلى الإضرار بنفسها أبلغ الضرر، إنها تستجيب لمن يدعوها إلى الضياع في الدنيا

والعذاب في الآخرة.

ولابدَّ لنا أن نعرف دعاة السفور ومن وراءهم بصفاتهم لا بأسمائهم؛ لتحذرهم كل مسلمة وكل مسلم، وليحذرهم المخدوعون من غير المسلمين؛ لأن الأديان كلها حرمت التبرج والسفور قبل أن يدخلها التحريف والتزوير.

وها هي شبهاتهم حول الحجاب ودحضها:

الشبهة الأولىٰ:

إن حجاب النساء لم يكن موجودًا من قبل، وإنما هو نظام ٱبتدعه الإسلام.

والجواب عن هٰذِه الشبهة من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول:

من الأوهام الشائعة خاصة عند الغربيين أن حجاب النساء نظام ٱبتدعه الإسلام، وأنه لم يكن له وجود قبل الإسلام لا في جزيرة العرب، ولا في غيرها، وكادت المرأة المحجبة عندهم أن تكون مرادفة للمرأة المسلمة، أو المرأة التركية التي كانت تمثل الإسلام في نظرهم من خلال «تركيا» دار الخلافة، وهٰذا الوهم مما يبين مدىٰ جهلهم لا بحقائق الإسلام نفسه فحسب، بل أيضًا بحقائق التاريخ، ونصوص كتبهم الدينية التي يتداولونها، ويتعصبون لها، ولا يكلفون أنفسهم عناء قراءتها ومراجعتها، ونخص بالذكر التوراة والإنجيل.

فمن يقرأ كتبهم يعلم بغير عناء كبير في البحث أن حجاب المرأة كان معروفًا بين العبرانيين، من عهد إبراهيم ﷺ، وظل معروفًا بينهم في أيام أنبيائهم جميعًا، إلىٰ ما بعد ظهور النصرانية[1].

---

(١) «عودة الحجاب» (٣/ ٧٥-٧٦).

فالحجاب مذكور في شريعة اليهود

جاء في «سفر التكوين» الإصحاح الرابع والعشرون (٦٣-٦٦) قصة طويلة عن آمرأة آسمها «رفقة» وفيها «... وخرج إسحاق ليتأمل في الحقل عند إقبال المساء، فرفع عينيه ونظر، وإذا جِمَال مُقْبِلَة، ورفعت رفقة عينيها، فرأت إسحاق فنزلت عن الجمل، وقالت للعبد: من هٰذا الرجل الماشي في الحقل للقائي، فقال العبد: هو سيدي، **فأخذت البرقع وتغطت**».

وفي الإصحاح الثامن والثلاثين من «سفر التكوين» (١١-١٤)

«قال يهوذا لثامار كنَّتِهِ آقعدي أرملة في بيت أبيك حتىٰ يكبر شيلة ابني؛ لأنه قال: لعله يموت هو أيضًا كأخويه، فمضت ثامار، وقعدت في بيت أبيها، ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع آمرأة يهوذا. ثم تعزىٰ يهوذا فصعد إلىٰ جُزَّاز غنمه إلىٰ تِمْنَةَ هو وجيرة صاحبة العَدُ لّاميّ، فأخبرت ثامار، وقيل لها: هو ذا حموك صاعد إلىٰ تمنة ليجُزَّ فخلعت عنها ثياب تَرَمُّلها، وتغطت ببرقع وتلففت، وجلست في مدخل تمينايم التي علىٰ طريق تمنة، لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي له لم تعط له زوجة، تأمل فيما فعلته «ثامار» حين أخبرت بقدوم حَمِيها. لقد سارعت إلىٰ برقعها فغطت به وجهها وإلىٰ ثيابها فلفت بها نفسها؛ لأن حماها قد كبر وليست بزوجة له.

وفي النشيد الخامس من أناشيد سليمان تقول المرأة: أخبرني يامن تحبه نفسي أين ترعىٰ عند الظهيرة؟ ولماذا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك؟

وذكر أيضًا أن الله سيعاقب بنات صهيون علىٰ تبرجهن كما جاء في الإصحاح من سفر أشعياء ما يلي: قد آنتصب الرب للمخاصمة وهو قائم لدينونة الشعوب... وقال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشامخن، ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن، وخاطرات في مشيهن،

ويخشخشن بأرجلهن، يصلع السيد هامة بنات صهيون، ويعري الرب عورتهن - أي في يوم القيامة - ينزع السيد في ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب والسلاسل والمناطق وحناجر الشمامات والأحراز، والخواتم وخزائم الأنف، والثياب المزخرفة، والعطف والأردية والأكياس، والمرائي والقمصان والعمائم والأُزر، فيكون عوض الطيب عفونة وعوض المنطقة حبل، وعوض الجدائل قرعة وعوض الديباج زُنَّارُ مِسح» وعوض الجمال كي.

فهٰذا نص علىٰ فاعلات تلك المحرمات يعاقبن يوم القيامة، حيث تنزع عنهن الزينة والملابس الجميلة، ويظهرن قُرعًا جزاء ما كشفنه من شعورهن وتكوىٰ أجسادهن بالنار لما أبدينه من جمالهن.

ويقول الأب متى المسكين[1]:

«كانت المرأة اليهودية مغطاة الرأس بحيث لا تظهر معالم وجهها على الإطلاق، حبيسة المنزل، تحت سلطان زوجها أو أبيها» ويؤكد ذلك ما قامت به رفقة زوجة إسحاق عندما قابلته لأول مرة «[١٥] وسألت العبد: من هٰذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا؟ فقال العبد: «هو سيدىٰ» فتناولت الحجاب وتغطت ...» [التكوين ٢٤: ١٥، ١٦].

والحجاب مذكور أيضًا في النصرانية

جاء في رسالة «بولس» الأولىٰ إلىٰ أهل. كورنثوس التنفير من كشف المرأة عن رأسها وعقوبة من لا تستره بقص شعرها. قال: «كل آمرأة تصلي أو تتنبأ ورأسها غير مغطىٰ، فتشين رأسها؛ لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه. إذا المرأة إن كانت لا تتغطىٰ فليقصَّ شعرها وإن كان قبيحًا بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتتغطَّ». [الإصحاح الحادي عشر ٤-٦]

---

(١) «حقوق المرأة وواجباتها» ص٢٧- دير الأنبا مقار.

ويقول أيضًا: آحكموا في أنفسكم. هل يليق بالمرأة أن تصلي إلىٰ الله وهي غير مغطاة. الإصحاح الحادي عشر ١٣-١٤

ويقول «بُولَس» في رسالته «كورنثوس» الأولىٰ: (إن النقاب شرف للمرأة)، وكانت المرأة عندهم تضع البرقع علىٰ وجهها حين تلتقي بالغرباء، وتخلعه حين تنزوي في الدار بلباس الحداد.

وكانت الكنيسة في القرون الوسطىٰ تخصص جانبًا منها للنساء حتىٰ لا يختلطن بالرجال.

قال الكونت «هنري دي كاستري»:

(ربَّما كان الإنجيل أكثر تدقيقًا في التشديد - يعني في الحجاب - ولكنه لا يعمل به إلا قوم خصهم الله بمواهب الكمال) اهـ من كتاب «الإسلام خواطر وسوانح» اهـ[1].

ليس للمسيحية لبس خاص للمرأة، أي: له شروط خاصة، ولكن اللبس يشترط فيه الحشمة والوقار، ويلاحظ أن لبس الراهبات في المسيحية مشابه للبس المسلمات المفروض شرعًا، كما أن المسيحية لا تجيز أي أنواع الزينة للوجه، كما لا تجيز إجراء أي تعديلات في الوجه بالماكياج أو العمليات الجراحية.

يقول بطرس داعيًا النساء بالحشمة:

«[٣] على المرأة ألا تعتمد الزينة الخارجية لإظهار جمالها، بضفر الشعر والتحلي بالذهب، ولبس الثياب الفاخرة [٤] وإنما تعتمد الزينة الداخلية، ليكون قلبها متزينا بروح الوداعة والهدوء، هٰذِه هي الزينة التي لا تفنىٰ، وهي غالية الثمن في نظر الله» [١ بطرس ٣: ٣-٦].

كما يوصي بولس: «كما أريد أيضًا أن تظهر النساء بمظهر لائق

---

(١) «عودة الحجاب» (٣/ ٧٧).

محشوم اللباس، متزينات بالحياء والرزانة، غير متحليات بالجدائل والذهب واللآلئ والحلل الغالية الثمن بل بما يليق بنساء يعترفن علنا بأنهن يعشن في تقوىٰ الله» [اتيموثاوس ٢: ٩- ١٠].

كما توصي التعاليم الدسقولية[1] بعدم التزين للغرباء: [٢] فإذا أردت أن تكوني مؤمنة وأن ترضي الله أيتها المرأة لا تتزيني لترضي رجلًا غريبًا، ولا تشتهىٰ أن تلبسىٰ مقانع وثيابًا وأحقافًا، هٰذِه التي تليق بالزانيات ليتبعك الذين هكذا يُصادون بهٰذِه الأعمال».

والمسيحية تحرم إجراء المكياج لتعديل الخلقة أو العلمليات الجراحية لتغيير الخلقة «[٣] لا تزيني وجهك الذي خلق من قبل الله، لأنه ليس فيه شيء يعوزه التزين؛ لأن كل شيء خلقه الله حسن جدًا وإذا زُين مالا يعوزه التزين؛ تزيدون على الخير فتشتمون نعمة الخالق».

المسيحية لا تؤمن بادعاء النساء أن الزينة من أجل الزينة وتحذر من الفتنة الناتجة عنها[2]: [٤] ولكن أيضًا تزينت فقط من أجل الزينة والجمال، فلن تفلتي من الحكم، غضب الله والتشبه بالزانيات، لأنك من جهة هٰذا تلزمين آخر ليتبعك ويشتهيك فتحفظي لكيما لا تقعي في الخطيئة ولا أيضا يتشكك آخرون لأجلك».

وتحرم المسيحية النظرة الحرام «من نظر إلى أمرأة ليشتهيها فقد زنىٰ بها قلبه» [متىٰ ٥: ٢٨].

وتحرم المسيحية الصوت العالي أو المتصنع للمرأة يقول بولس: «ليصمت نساؤكم في الكنائس، لأن ليس مسموحًا أن يتكلمن، بل

---

(١) التعليم الدسقولية: تعاليم للرسل- حسب أدعاء المسيحيين- أي التلاميذ، وفي أعتقاد المسيحيين أن هٰذِه التعاليم وصايا من الرسل ورثتها الكنائس.

(٢) الأب متى المسكين: المرأة حقوقها وواجباتها- ص٦٦، دير الأنبا مقار.

يخضعن كما يقول الناموس» [١ كورنثوس ١١:١١].

تغطية رأس المرأة من الاحترام والتقديس:

يقول بولس آمرًا النساء: «[٦] فإذا كانت المرأة لا تغطي رأسها، فليقص شعرها! ولكن ما دام من العار على المرأة أن يقص شعرها أو يحلق فلتغط رأسها» [١ كورنثوس ١١: ٦]؛ ولذلك كانت وصايا آباء المسيحيين عن الاحتشام حتىٰ في الاحتفال بالعرس.

يقول البابا يوحنا[1] ذهبى الفم في العظة رقم ٢ على الرسالة الأولىٰ كورنثوس: حتىٰ يحذر المسيحيين مما قد يؤدي إليه حفل الزواج من إفساد للنقاوة الأخلاقية للمرأة المسيحية ويعرضها للخطر:

«... ولكن عندما تجرى احتفالات الزفاف تحدث أشياء تدعوا للسخرية والضحك ... فهناك رقص وصنوج وآلات للنفخ وأغنيات وكلمات هابطة وسكر حتى الثمالة ثم يتم تقديم كل تفاهات الشيطان».

ثم يوضح تأثير ذلك على العروس فيقول: «كيف لا توجه أقسىٰ أنواع الإدانة لتلك العادات التي تجبر عذراء عاشت طوال حياتها داخل نطاق منزلها، وعُلمت دروس الحياء، منذ نعومة أظافرها، أن تتخلىٰ فجأة عن حيائها تمامًا، لكي تتعلم أن تنزع برقع الحياء منذ بداية زواجها، وأن توضع وسط رجال شهوانيين أجلاف دنسين ومخنثين؟»

وقد أوضح أنه لا ينقد الزواج ولكن ما يصاحبه من شرور فقال: «أنتقدُ مجموعة الشرور المصاحبة لصحوة الزواج، وعمل الماكياج، وظلال العيون، وكل الأشياء غير الضرورية من هٰذا القبيل، حقًا فمنذ ذلك اليوم فإنها سوف تصبح مطمعًا للعشاق قبل أن تكن محط أنظار

(١) الآباء والمرأة: إليزابيث. أ. كلارك ص ٥٩، ٦٠ دار الثقافة.

عريسها المقبل»[١].

وفي يوم من الأيام حكمت الكنيسة الأرثوذكسية بحرمان المرأة حقها في المجتمع ! فحظرت عليها حضور المآدب والحفلات، وألزمتها الحجاب صامتة صابرة، لا شأن لها إلا الطاعة للزوج، والقيام بالغزل والنسيج، وطهي الطعام، وإذا خرجت من بيتها خرجت مستورة الجسم من قمة رأسها إلىٰ أخمص قدمها.

ولعله لهٰذا بقيت آثار البرقع والحجاب عند أهل الكتاب حتىٰ يومنا هٰذا، وذلك واضح في زي راهبات النصارىٰ، ودخول النصرانيات الكنيسة، وقد غطين رءوسهن بساتر، بل هن حتى اليوم في حفلات أعراسهن يغطين وجوههن بنقاب شفاف فلعله من بقايا دينهم[٢].

الوجه الثاني:

إن كلَّ قارئ للتاريخ، فضلا عن أن يكون منقِّبًا في صفحاته ليعلم أن حجاب المرأة كان معروفًا قبل الإسلام بقرون عديدة.

ففي الحضارة اليونانية قبل انهيارها كان الحجاب معروفًا للمرأة، وكان عفاف المرأة وتصونها من أغلىٰ ما يعتز به المجتمع اليوناني قبل أن تنهار حضارته[٣].

---

(١) المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ص٢٤٨-٢٥٠ .

(٢) عودة الحجاب ٣/ ٧٥-٧٨ .

(٣) فرضت أثينا وأغلب بلاد اليونان الحجاب على النساء الحرائر، ورفعته عن الإماء والبغايا.

ففي بيوت الحريم - علىٰ سبيل المثال - كانت المرأة أو الفتاة التي لم تتزوج بعد تقبع في ركن الحريم لا تغادره حتىٰ زواجها؛ حيث يتم نقلها إلىٰ بيت الزوجية. ولم يكن الزوجان يرىٰ أحدهما الآخر إلا ليلة الزفاف.. ولم يكن الزواج يخول المرأة حرية الاختلاط بالرجال، ولا حرية الخروج من المنزل. فلم تكن المرأة=

وكان حجاب المرأة شائعًا في البيوتات العالية، بل كانوا يبنون بيوتهم علىٰ أساس الفصل التام بين الرجال والنساء، لكلٍّ بيت ما يخصه.

ولما أخذت هٰذِه الحضارة في الآنهيار كان من بين أسباب آنهيارها أن التقيد بالحجاب لم يعد معمولًا به، وإنما حل محله التبرج والفسوق حتىٰ أصبحت العاهرات في مكانة مرموقة، وأصبحت بيوت العاهرات تقصد من سائر طبقات المجتمع، بل إن المومسات أصبحن خوادم

= تستقبل في دارها سوى النساء، أو أقاربها الأقربين من الذكور، ولا يسمح لها باستقبال ضيوف زوجها، أو مجالستهم، أو تناول الطعام معهم ولو بحضور زوجها، بل كان مجرد حضور الزوج مصحوبًا بأحد أصدقائه سببًا في آختفاء المرأة في الجزء الخارجي من الدار، لتحتمي في الغرف المخصصة للنساء.

وعندما قدم «كورنيلوس تيبوس»، المؤرخ الروماني، لزيارة اليونان في القرن الأول قبل الميلاد، أدهشته حياة العزلة والانفصال التي تعيشها المرأة اليونانية، وهو الذي تعود في بلده على آختلاط الجنسين، فكتب يقول:

«كثير من الأشياء التي نظمها الرومان بلباقة، يرىٰ فيها اليونانيون منافاة لحسن الآداب. فأي روماني يستشعر العار من أصطحابه زوجته إلىٰ مأدبة؟ والرومانيات يشغلن عادة الحجرات الأولىٰ من المنزل، والأكثر تعرضًا للرؤية، حيث يستقبلن كثيرًا معارفهن. وأما عند اليونانيين فالأمر على النقيض. فنساؤهم لا يشتركن في مأدبة إلا إذا كانت لدىٰ أقاربهن، وهن يشغلن دائمًا الجزء الأكثر آنزواء من المنزل، والذي دخوله محرم علىٰ كل رجل غير قريب».

ولم يكن يسمح للمرأة أن تخرج من دارها إلا بإذن زوجها، ولم يكن ذلك عادة إلا لسبب وجيه، كزيارة قريبة، أو عيادة مريض، أو أداء واجب العزاء. وفي الحالات التي كان يسمح فيها للمرأة بالخروج كانت التقاليد تلزمها بوضع حجاب يخفي معالم وجهها.

ويصف «ديكايرش» حجاب نساء «طيبة» - إحدى المدن اليونانية - فيقول:

«إنهن كن يلبسن ثوبهن حول وجههن بطريقة يبدو معها هٰذا الأخير وكأنه غطي بقناع، فلم يكن يرىٰ منهن سوى العينين.

انظر «تطور المرأة عبر التاريخ» ص ٣٥-٣٦

للمعابد وسمي بغاؤهن بالبغاء المقدس.

وكان الرومان في بعض فترات حضارتهم يسنون القوانين التي تحرم على المرأة الظهور بالزينة في الطرقات، بل كان من قوانينهم قانون أوبيا الذي يحرم على المرأة المغالاة في الزينة حتىٰ ولو كانت في البيت.

ثم تساهلت هٰذِه الحضارة في حجاب المرأة وتركت للمرأة حبل التبرج علىٰ غاربه فكان الفسق والفجور، وكان ذلك إيذانًا بانهيار الحضارة فانهارت.

وكانت النساء الرومانيات مغاليات في الحجاب في العهد الأول للجمهورية، حتىٰ إن القابلة كانت لا تخرج من دارها إلا مخفورة، ووجهها ملثم، وعليها رداء طويل يلامس كعبيها، وفوقه عباءة لا تبدي شيئًا من قوامها، ثم تغيرت الحال في عهد الإمبراطورية، حتىٰ هالت بعض المصلحين، وهب (كاتون) ينذر بالخطر المحدق الذي سيلتهم كل شيء.

كذلك عرف الفرس القدماء الحجاب، وعدوا كشف المرأة أو الرجل عن شيء من جسده غير الوجه مظهرًا منافيًا للاحتشام والأدب، وكانت النساء يغطين أجسامهن من قمة الرأس إلىٰ أخمص القدم، وبعد حكم دارا الأول كان احتجاب نساء الطبقة الراقية عن المجتمعات نظامًا ضروريًا مراعىٰ، فصرن لا يجسرن على الخروج إلا في هوادج تغطيها الستائر، وحظر عليهن أن يخالطن الرجال في مجتمع خاص أو عام؛ بل لقد منعت المتزوجات من رؤية أدنى الرجال إليهن قرابة حتى الآباء والإخوة، ونشأ عن ذلك أننا لم نجد للنساء ذكرًا أو صورًا في النقوش أو التماثيل التي خلفتها إيران القديمة، أما الخليلات والمحظيات فكن علىٰ ضد ذلك، يتمتعن بحرية عظيمة؛ لأن المفروض فيهن أنهن يرفهن عن مواليهن وضيوفهم.

وشاع الحجاب عند الهنود أيضًا، حتىٰ في عصر المهابراتة.

وعرفه الأثينيون القدماء، وقد ورد في الإلياذة قول هكتور: «لست أرضى الغار إذا ٱشتجرت النصول بين الطرواديين والطرواديات الطويلات النقاب» ومن هٰذا، ومن ذكر قناع إيقاب، وبرقع هيلانة، وبراقع النساء والربات، نعرف أن اليونانيات ٱستعملن النقاب.

علىٰ أنه ما زال شائعًا إلى العصور الوسطىٰ وما بعدها، وما زالت له آثار، ولم تغير منه النصرانية شيئًا، لذلك كان ذائعًا في الدولة البيزنطية، وإن لم يكن عامًا.

وكذلك عُرف الحجاب في آشور القديمة[1] وعرف أيضًا في الحضارة السومرية[2]،

---

(١) أكدت الحفريات في آشور القديمة علىٰ أن الحجاب معروف عندهم، حيث عُثر علىٰ لوحات طينية ترجع إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، تحتوىٰ علىٰ قواعد قانونية أقدم من ذلك عهدًا. وفي إحدىٰ فقرات اللوحة الأولىٰ منها بيان مفصل عن نظام الحجاب الذي كان مطبقًا على الحرائر دون الإماء والداعرات والعواهر. بل كانت توقع على الأمة أو العاهر التي تتحجب عقوبات شديدة. فالأمة كانت تُصْلَمُ أذنها علىٰ سبيل المثال، والعاهر كانت تجلد خمسين جلدة ويصب القطران علىٰ رأسها. وكان من الواجب علىٰ كل من يشاهد أمة أو عاهرة أو داعرة متحجبة أن يقبض عليها، ويأتي بها إلىٰ محكمة القصر، وكان يكافأ علىٰ عمله بمنحه ثيابها. وعلى العكس من ذلك إذا شاهد إنسان أمة أو عاهرة أو داعرة متحجبة ولم يقبض عليها تعرض لعقاب شديد، فكان يجلد خمسين جلدة، وتثقب أذناه، وتربطان بخيط يعقد عند ظهره، ويأخذ من أقام عليه الدعوىٰ ثيابه، ويسخر في خدمة الملك شهرًا.

ونلاحظ أن الأمة إذا خرجت مع سيدتها وجب عليها أن تتحجب، وكذلك تفعل العاهر أو الداعر إذا تزوجت.

وتبين فقرة أخرىٰ من اللوحة نفسها الإجراءات التي ينبغي أتباعها عندما يريد الرجل إعطاء سريته صفة الزوجة؛ فينبغي عليه أن يستدعي خمسة أو ستة من معارفه ويحجبها أمامهم قائلًا: «إنها زوجتي». فتصبح زوجة له.

(٢) توصلت الباحثة التركية «موازيز سيج» (٩٢ عامًا) والمتخصصة في الحضارتين=

وعرف أيضًا في العصر الجاهلي للعرب[١].

= لسومرية والحيثية عبر دراسة قامت بها علىٰ الحفريات الأثرية التي عُثر عليها في تركيا، إلىٰ أن الحجاب كان معروفًا في الحضارة السومرية والتي يرجع تاريخها إلىٰ أربعة آلاف عام مضت وكانت السيدات يضعن علىٰ رؤوسهن غطاء شبيهًا بالحجاب الذي تضعه المرأة اليوم. وقد تمكنت «سيج» مديرة كلية الآثار التركية من فك شفرة الكتابة المحفورة علىٰ ثلاثة آلاف لوح، مما ساهم في كشف أسرار تارخية عن الحجاب وأكدت «سيج» أن النتائج تكشف عن فطرة الحجاب عند المرأة، والنقوش الأثرية التي وجدت علىٰ جدران المعابد، والمقابر تثبت أن المرأة كانت ترتدي غطاء علىٰ رأسها قبل ظهور المسيحية.

انظر مجلة «الوعي الإسلامي» العدد ٥٠٧ سنة ١٤٢٨هـ.

(١) أما دعوىٰ فير Veir أن الحجاب لم يكن معروفًا في الجاهلية فغير صحيحة تدحضها الأخبار، وتبطلها الأشعار.

١- فالأخبار صحيحة في ممارسة النساء للحجاب، منها أنه كان السبب في اليوم الثاني من أيام الفجار الأول، أن شبابًا من قريش وبني كنانة رأوا امرأة جميلة وسيمة من بني عامر بسوق عكاظ، وسألوها أن تسفر فأبت، فامتهنها أحدهم، فاستغاثت بقومها فقامت حرب.

ومنها أن السبب في اعتلاق عبد الله بن علقمة بصاحبته حبيش أنه نزل ضيفًا عند آلها، فأجلسوه في متحدث لهم، فخرجت حبيش وعلىٰ وجهها سب أخضر، فضربه الهواء، فانكشف وجهها ويداها، فهام بها عبد الله.

وكانت هند بنت صعصعة جد الفرزدق تفاخر بقولها: من جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعة يحل لي أن أضع خماري معهم فلها صرمتي: أبي صعصعة، وأخي غالب، وخالي الأقرع، وزوجي الزبرقان بن بدر. وهي ذات الخمار؛ لأنها دخلت علىٰ هؤلاء الأربعة فألقت خمارها، فقالوا لها: ما هذا، ولم تكوني متبرجة؟ فقالت: داخلتني خيلاء حين رأيتكم، فأي امرأة من العرب وضعت خمارها عند مثلكم فلها صرمتي.

وفي أمثالهم ما يؤيد معرفتهم الحجاب، كقولهم: (إن العوان لا تُعَلَّم الخمرة) أي لا تحتاج إلىٰ تعلم الاختمار، يضرب مثلا للرجل المجرب.

والشعر الجاهلي حافل بذكر الحجاب كما حفل بذكر السفور، فمثلا يقول النمر بن تولب في امرأته التي هجرته: =

= وصدت كأن الشمس تحت قناعها   بدا حاجب منها وضنَّت بحاجب
ويقول الربيع بن زياد العبسي بعد مقتل مالك بن زهير:
من كان مسرورًا بمقتل مالك   فليأت نسوتنا بوجه نهار
قد كن يخبأن الوجوه تسترا   فاليوم حين بدون للنظار
يخمشن حرات الوجوه على أمرئ   سهل الخليقة طيب الأخبار
ويتغزل الحطيئة في قوام محبوبته ووجهها، ويكني عن وجهها بأنه موضع النقاب:
طافت أمامة بالركبان آونة   يا حُسْنَهُ من قوامٍ ما ومُنْتَقبا
ويعجب الشنفرىٰ بحبيبته وهيٰ منتقبة لا تكشف وجهها:
فقد أعجبني لا سقوط قناعها   إذا ما مشت ولا بذات تلفَّت
وتحرض أم عمرو بنت وقدان قومها على الثأر بأنهم إن لم يثأروا فعليهم أن يدعوا السلاح ويتكحلوا وينتقبوا كالنساء:
إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم   فذروا السلاح ووحّشوا بالأبْرق
وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا   نُقُبَ النساء فبئس رهط المرْهَق
ولقد يتمثل الحجاب في أن تتخدر المرأة، فلا يراها إلا الأقربون، ولا تبرز إلا في الفواجع. يدل علىٰ ذلك قول زهير:
وما أدري وسوف إخال أدري   أقوم آل حصن أم نساء
فإن تكن النساء مخبَّآتٍ   فَحُقَّ لكل مُحْصَنَةٍ هِداء
وفي قول مهلهل يرثي كليبًا:
علىٰ أن ليس عدلًا من كليب   إذا برزت مخبأة الخدور
وفي قول عدي بن زيد:
يُسارِقْنَ من الأستار طَرْفا مُفَتَّرا   ويُبْرِزْنَ من فَتْق الخدور الأصابعا
انظر: «المرأة في الشعر الجاهلي» للدكتور أحمد الحوفي، وكذلك «ظاهرة حجاب المرأة في الأدب الجاهلي» للدكتورة زينب محمد جكلي بمجلة «الأحمدية» العدد الأول ص ٣٥١.

الوجه الثالث:

إن الله ﷻ خلق الناس على الفطرة، والفطرة السليمة تجعل الإنسان يواري عورته من غير حاجة إلىٰ آيات أو أحاديث وبدون أوامر أو نواهٍ مثلما حدث مع أبينا آدم وأمِّنا حواء، حيث يقول الله ﷻ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾(1) فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما. حينما عصىٰ سيدنا آدم وزوجته ربهما ظهر شؤم المعصية فظهرت عوراتهما، فماذا صنعا بفطرتهما عليهما السلام؟ يقول ﷻ بعد الآيات السابقة موضحًا الإجابة علىٰ هٰذا السؤال: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾(2).

أخذ كل منهما من ورق الجنة؛ ليستر به ما ظهر من عورته، وهكذا تكون الفطرة.

ويقول سبحانه: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾(3).

فما حدث لآدم ﷺ مع عدوه إبليس نرى أن الحياء من التعري وانكشاف السوءة شيء مركوز في طبع الإنسان وفطرته، ويحكي الله عن قصة بلقيس مع سيدنا سليمان عليه السلام حينما دخلت الصرح وظنت أن به ماء ولم تكن تعرف أنه زجاج، فماذا فعلت؟ قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾(4) والكشف عن الساق يدل على أن بلقيس كانت ترتدي ملابس طويلة وكانت محجبة، هذا على الرغم من أنها لم تسمع آيات ولا أحاديث بل كانت كافرة، ولكن كانت

---

(1) طه: ١٢٠، ١٢١.
(2) الأعراف: ٢٢.
(3) الأعراف: ٢٧.
(4) النمل: ٤٤.

ذات فطرة سليمة[١].

وكل هذِه الآيات توحي بأهمية هذِه المسألة وعمقها في الفطرة البشرية، فاللباس وستر العورة زينة للإنسان، وستر لعوراته الجسدية، كما أن التقوى لباس وستر لعوراته النفسية.

والفطرة السليمة تنفر من انكشاف سوءاتهما الجسدية والنفسية، وتحرص على سترها ومواراتها، والذين يحاولون تعرية الجسم من اللباس، وتعرية النفس من التقوى ومن الحياء من الله، ثم من الناس. والذين يطلقون ألسنتهم، وأقلامهم، وأجهزة التوجيه والإعلام كلها لتأصيل هذِه المحاولة - في شتى الصور والأساليب الخبيثة - هم الذين يريدون سلب الإنسان خصائص فطرته وخصائص إنسانيته التي بها صار إنسانًا متميزًا عن الحيوان.

قال تبارك وتعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[٢].

إن العري فطرة حيوانية، ولم تزل الحيوانات في انكشاف منذ خلقت، لم يتغير حالها يومًا، بعكس الإنسان الذي يصحُّ أن نَصِفَهُ بأنه (حيوان مستور). وهذِه الفطرة الحيوانية لا يميل الإنسان إليها إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان.

إن رؤية العُرْي والتكشف جمالًا هو انتكاس في الذوق البشري قطعًا، ومؤشر واضح يبين انتشار التخلف في المجتمع البشري.

وحتى هؤلاء الذين يتشدقون بالتقدم المزعوم يقولون:

---

(١) «الحجاب قبل الحساب» ص١٧-١٨ .

(٢) الإسراء: ٧٠ .

إن الإنسان بدأ حياته على طريقة الحيوان عاريًا من كل ستر إلا شعره، ثم رأى أن يستر جسمه بأوراق الشجر، ثم بجلود الحيوانات، ثم جعل يترقى في مدارج الحضارة حتى اكتشف الإبرة، وابتدع وسيلة الحياكة، فاستكمل ستر جسمه.

وهكذا كانت نزعة التستر وليدة التقدم المدني، فكل زيادة في هذا التقدم كانت مؤدية إلى زيادة في توكيد الحشمة، وكل خلل في كمال الستر عنوان التخلف والرجعية.

وآية ذلك أن المتخلفين في أواسط أفريقيا عراة، وحين تشرق حضارة الإسلام في هذِه المناطق يكون أول مظاهر هذِه الحضارة اكتساء العراة، وانتشالهم من وهدة التخلف، والتسامي بهم إلى مستوى «الحضارة» بمفهومها الإسلامي الذي يستهدف استنفاذ خصائص الإنسان وإبرازها[1].

الشبهة الثانية: كبت الطاقة الجنسية:

تقول هذِه الشبهة بأن الطاقة الجنسية في الإنسان طاقة كبيرة وخطيرة، وخطورتها تكمن في كبتها، وزيادة الضغط تولد الانفجار، وحجاب المرأة يغطي جمالها، وبالتالي فإن الشباب يظلون في كبت جنسي يكاد أن ينفجر أو ينفجر أحيانًا على شكل حوادث اغتصاب وغيرها، والعلاج لهذِه المشكلة إنما يكمن في المرأة من هذا الحجاب؛ لكي ينفس الشباب الكبت الذي فيهم، وبالتالي يحدث التشبع لهذِه الحاجة، فيقل طبقًا لذلك خطورة الانفجار بسبب الكبت والاختناق.

الرد على الشبهة:

هذِه الشبهة تبدو في ظاهرها أنها منطقية وعقلانية، ويبدو منذ الوهلة الأولى أن الذي يطرحها يبحث عن مصلحة المجتمع خوفًا عليه من

---

(١) «عودة الحجاب» (٣/ ١٣٩، ١٤٠).

الانحلال، وفي واقع الأمر أن الذي يطرح مثل هذا الطرح إنما يسبب في طرحه هٰذا خطورة عظيمة على المجتمع تنذر بتفكيكه وتحطيمه وقلبه رأسًا على عقب.

فلو كان هذا صحيحًا لكانت أمريكا والدول الأوربية وما شاكلها هي أقل الدول في العالم في حوادث الاغتصاب والتحرش في النساء وما شاكلها من الجرائم الأخلاقية.

ذلك لأن أمريكا والدول الأوربية قد أعطت هذا الجانب عناية كبيرة جدًّا بحجة الحرية الشخصية إلى درجة أنك ترى المجلات الخليعة تباع في كل مكان، وبرامج التلفزيون بعد الثانية عشرة مليئة بالبرامج الخليعة والمثيرة جنسيًا، والمرأة هناك إذا ما أقبل الصيف فإنها تخلع ثيابها وتبقى بالمايوه؛ لتستحم على شاطئ البحر، وفي المدن الساحلية، فإنها تخرج بالمايوه، وفي الكثير من الشواطئ الساحلية، قد أباحوا للمرأة أن تعري صدرها، وتلبس قطعة واحدة فقط، ومحلات الفيديو والتي يطلق عليها «للبالغين فقط» Adults only تنتشر في أمريكا كلها، وفي هٰذه المجلات ما يشيب له الولدان من الإثارة الجنسية والشذوذ، يستطيع أي بالغ أن يؤجر الفيلم ويأخذه إلى بيته أو يراه في المحل، ودور الدعارة تنتشر إلى درجة أن بعض الدول تعرض الزانية في الفترينة؛ ليراها الزبائن من الخارج، فماذا كانت النتائج التي ترتبت على هذا الانفلات والإباحية، هل قلت حوادث الاغتصاب؟ وهل حدث التشبع الذي يتحدثون عنه؟؟! وهل حُميت المرأة من هٰذه الخطورة؟!

في كتاب تصدره الفيدرالية في أمريكا تحت عنوان «الجريمة في أمريكا» Crime in U.S.A وهذا يعني أن إحصائيات الكتاب موثقة من قبل الحكومة، وليس من قبل شركات الإحصاء.

في ص [٦] يقول الكتاب: «إنه تتم جريمة اغتصاب بالقوة، كل ستة

دقائق في أمريكا، وهو يتحدث في سنة (١٩٨٨) ويعني بالقوة، أي تحت تأثير السلاح».

وفي نفس الكتاب يعرض لنا الإحصائية التالية:

في سنة ١٩٧٨ كانت عدد حالات الاغتصاب في أمريكا (١٤٧,٣٩٨) ألف حالة.

في سنة ١٩٧٩ كانت عدد حالات الاغتصاب في أمريكا (١٦٨,١٣٤) ألف حالة.

في سنة ١٩٨١ كانت عدد حالات الاغتصاب في أمريكا (١٨٩,٤٥) ألف حالة.

في سنة ١٩٨٣ كانت عدد حالات الاغتصاب في أمريكا (٢١١,٦٩١) ألف حالة.

في سنة ١٩٨٧ كانت عدد حالات الاغتصاب في أمريكا (٢٢١,٧٦٤) ألف حالة.

وهذِه الإحصائية وما يشابهها من أخبار موثقة تدل على ازدياد معدل الجريمة الجنسية في تلك البلاد ما هي إلا بمثابة تفسير عملي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[1].

وهٰذا معناه أن المتبرجة التي أبدت مفاتنها وأبرزتها لكل غاد ورائح معرضة للأذىٰ من قبل ذئاب البشر؛ لأنها بذلك تثير الشهوات الكامنة، أما المتحجبة فإنها تخفي تلك المفاتن والزينة، فأي شهوة تثيرها تلك المتحجبة؟ وأي غريزة تحركها تلك المتغطية؟ والله شرع الحجاب؛ ليكون

(١) الأحزاب: ٥٩ .

حماية للمرأة من الأذىٰ؛ لأنه يعلم ﷺ بأن التبرج دعوة إلىٰ زيادة الجرائم الجنسية بما يحرك من الغرائز الساكنة.

وأمام الذين يصرون بعد ذلك علىٰ تلك الشبهة ويعتقدون صوابها أربع حقائق، وهي:

الحقيقة الأولىٰ: أن الإحصائيات تكذبهم.

الحقيقة الثانية: أن الغريزة الجنسية موجودة في الرجال والنساء، وهي سر إلهي أودعه الله في الرجل والمرأة لحكم كثيرة منها: ٱستمرار النسل، ولنا أن نتخيل لو لم توجد هٰذِه الغريزة، ثم يطلب من الرجال أن يتصرفوا طبيعيًا أمام مناظر التكشف والتعري دونما ٱعتبار لوجود تلك الغريزة.

الحقيقة الثالثة: أن الذي يثير الرجل هو رؤيته لمفاتن المرأة، ولا يمكن أن يصادم الفطرة التي خلقه الله عليها فتخبو شهوته عند رؤية ما يثير.

الحقيقة الرابعة: إن الذي يدَّعي أنه يمكن معالجة الكبت الجنسي بإشاعة مناظر التبرج والتعري ليحدث التشبع فإنه بذلك يصل إلىٰ نتيجتين:

الأولىٰ: أن هٰؤلاء الرجال الذين لا تثيرهم الشهوات والعورات البادية من فئة المخصيين، فانقطعت شهوتهم فما عادوا يشعرون بشيء من ذلك الأمر.

الثانية: أن هٰؤلاء الرجال الذين لا تثيرهم العورات الظاهرة من الذين أصابهم مرض البرود الجنسي.

فهل الذين يدعون صدق تلك الشبهة يريدون من رجال أمتنا أن يكونوا ضمن إحدىٰ هاتين الطائفتين من الرجال؟؟![١].

---

(١) «ما المانع من الحجاب» ص١٣-١٧ .

يقول الأستاذ/ محمد سعيد مبيض[١]:

هدف الإسلام الأساسي في علاج المشكلة الجنسية هو مبدأ: سد الذرائع ومبدأ الوقاية خير من العلاج؛ منعًا للإثارة المؤدية إلى الفساد. لقد حرم الإسلام التكشف وإظهار الزينة والاختلاط كل ذلك حفاظًا علىٰ نظافة الأسرة المسلمة من أن ينحدر بعض أفرادها في بؤرة الفساد، وأقول: بعضها لا كلها؛ لأن مقاومة البعض ضعيفة أمام المغريات والمثيرات، وإن الإسلام حين وضع هٰذِه القاعدة كان حريصًا علىٰ أن لا تشذ حتىٰ ولو أسرة واحدة؛ لكي يبقى المسلمون جميعهم مثالًا في الأستقامة والنصاعة والسمو والشرف والنقاء؛ لأن وجود بؤر الفساد في المجتمع الإسلامي إنما هو نذير بانتشار الفساد وعمومه.

يقول الأستاذ سيد قطب: إن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق في التكوين الحيوي؛ لأن الله قد ناط به ٱمتداد الحياة علىٰ هٰذِه الأرض وتحقيق الخلافة لهٰذا الإنسان فيها، وهو ميل دائم يسكن فترة ثم يعود، وإثارته في كل حين تزيد عراقته وتدفع به إلى الإفضاء المادي للحصول على الراحة، فالنظرة تثير، والضحكة تثير، والحركة تثير، والدعابة تثير، والنبرة المعبرة عن هٰذا الميل تثير، والطريق المأمون هو تقليل هٰذِه المثيرات بحيث يبقىٰ هٰذا الميل في حدود طبيعته، هٰذا هو المنهج الذي ٱختاره الإسلام مع تهذيب الطبع وشغل الطاقة البشرية بهموم أخرىٰ في الحياة.

لقد أصاب سيد قطب -رحمه الله تعالىٰ- في وصفه لهٰذا الميل: قال الرسول ﷺ: **«ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»** رواه

---

(١) «إلىٰ غير المحجبات أولًا» ص ٦٤-٦٦.

الشيخان[١]؛ ذلك لأن الميل الجنسي بين الرجل والمرأة من فطرة الله التي فطر الناس عليها، فكما أن فطرة الطعام ضرورية للحياة والنماء فكذلك فطرة الجنس ضرورية لبقاء النوع واستمرار الحياة.

هٰذا الشد والجذب إلى الطعام وإلى الجنس لا يتوقف بعد تناوله أو ممارسته، فهو يحرك هاتين الشهوتين بعد زمن طال أم قصر؛ فيشعر الإنسان بالرغبة إليهما كلما حركهما منظر الطعام أو النساء.

ولا تهدأ هٰذِه الرغبة بكثرة الاختلاط كما يدعي المخالطون، فكما لا تهدأ الرغبة إلى الطعام بالنظر إليه حين يجوع الإنسان، كذلك لا تهدأ الرغبة إلى الجنس باعتياد النظر إليه، وكما تثير رائحة الطعام الزكية شهوة الإنسان الشبع إلى الطعام وإن أخره عن تناوله الشبع كذلك يثير تكشف المرأة رغبة الرجل إليها، وإن منعه من هٰذا اللقاء الحياء والأخلاق والدين. وكلما كانت عوامل الإثارة قوية كالبسمة الجذابة والحركة المثيرة ومنظر اللحم المكشوف والثوب المحجم الشفاف كلما كان الاندفاع قويًا والإقدام علىٰ مخالفة القيم والاستعداد لارتكاب الفاحشة ممكنًا، وصدق الله العظيم حين وصف موقف سيدنا يوسف من امرأة العزيز فقال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٢].

والاختلاط إما أن يؤدي إلىٰ إثارة شهوة الجنسين وزيادة حدتها، فيتحول الاتصال إلىٰ فوضىٰ لا ضابط لها، كما هو الأمر في أوربا وروسيا وفي كل مجتمعات الخلط، وإما أن يؤدي هٰذا الاختلاط والابتذال إلى التآلف بين الجنسين فينتهي إلى البرود الجنسي، وهذان

(١) البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) كلاهما من حديث أسامة بن زيد.
(٢) يوسف: ٣٣ .

أمران أحلاهما مر.

جاء في صحيفة الأخبار القاهرية عدد ٢٦ محرم ١٣٧٧ تصريح للدكتور جون كيشلر أحد علماء النفس الأمريكيين في شيكاغو قال فيه: إن ٩٠٪ من الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسي، وإن ٤٠٪ من الرجال مصابون بالعقم، ومن نتائج البرود الجنسي يتولد الشذوذ الجنسي.

يقول الأستاذ محمد رشيد العويد(١)

حين هاجم الداعون إلى التحرر -بل التحلل- خُلق العفة قالوا: إنها -أي العفة- تسبب الكبت، والكبت يسبب العقد النفسية.

وحين يحاربون هٰذا الكبت لينقذوا المجتمع منه دفعوا المرأة إلى الخروج من بيتها سافرة بزينتها، ودعوا إلى الآختلاط، وقالوا: إن الآختلاط يجعل الأمور عادية، فلا ينظر الرجل إلى المرأة نظرة شهوة، فهي معه في كل مكان، في الشارع والعمل وسيارة المواصلات العامة.

وصدق من صدق، فبعد أن كان من يدعو إلىٰ هٰذا واحدًا أو اثنين صاروا خمسة وستة، ثم صارت لهم مجلات وصحف وجمعيات تحمل دعوتهم وتروج لها.

وتصدىٰ لهم أهل الصلاح والتقوىٰ من الشيوخ والعلماء، حذروا من مغبة هٰذِه الدعوات، وذكروهم بأنها تخالف شرع الله، وكل ما خالف شرع الله فهو باطل.. ولا يأتي بخير.

ومضىٰ أهل الباطل في دعواتهم الفاسدة، يمدهم شياطين الإنس والجن، يمدونهم بما يعينهم علىٰ ما مضوا فيه وذهبوا إليه، حتىٰ مكنوهم مما أرادوا.. وكان ما كان من نتائج مفزعة أيقظت من كان غافلًا ونبهت

---

(١) «رسالة إلىٰ حواء» ص ٤٥٥-٤٥٩ .

من كان سادرًا، فبدأت دعوات الخير تقوىٰ، وأصوات الحق ترتفع، وعادت ملايين المسلمات إلىٰ دينهن وحجابهن قبل فوات الأوان. والصحوة الإسلامية ماضية إن شاء الله حتىٰ يقوم المجتمع الإسلامي كما أراده الله.

ونريد هنا أن نبين لدعاة الباطل أي كارثة كانوا يسوقون إليها مجتمعاتنا، وأي غابية رهيبة كانت ستؤول إليها.. لولا لطف الله وعنايته. سنحيلهم إلى المجتمع الغربي الذي ٱنطلقت أول ما ٱنطلقت دعواتهم فيه، فمنه صدرت نظريات فرويد في رد كل شيء إلىٰ الجنس والكبت الجنسي، ومنه -من الغرب- ٱنطلقت دعوات الحرية الجنسية والاختلاط والتحلل.. فهل نجحوا في تهذيب المشاعر وتلطيف الغريزة الجنسية كما كانوا يزعمون؟!

الاختلاط عندهم في المدارس والجامعات، في المؤسسات والشركات، في المحال والمنتديات. والمرأة عندهم تخرج كما تشاء، وتلبس ما تشاء، تستر ما تشاء وتكشف ما تشاء. والقانون لا يحاسبها إذا زنت ما دامت راضية، كما لا يحاسب الشاب كذلك. أليس هٰذا ما أرادوه؟

حسن النتيجة التي أرادوها لهٰذا، وهي تلطيف المشاعر الجنسية، لم تتحقق! بل العكس، ٱكتسبت طبيعة حيوانية بشعة في صورة الاغتصاب في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من نصف مليون عملية ٱغتصاب سنويًا. وفي مدينة لوس أنجلوس التي أصبحت تشتهر بأنها «عاصمة حوادث الاغتصاب في العالم» تشير الإحصائيات إلىٰ أن واحدة من كل ثلاث فتيات في سن ١٤ عامًا معرضة للاغتصاب في تلك المدينة. وفي عام واحد أدخل إلىٰ غرف الطوارئ، في مستشفيات المدينة، ٣٦٤٦ ضحية ٱغتصاب أي: عشر حوادث ٱغتصاب كل يوم في مدينة واحدة!

لقد بلغت الحالة ذروتها من السوء إلىٰ حد دفع لحاكم ولاية كالفورنيا أن يعلن في حديث تلفزيوني حربًا لمدة عشر سنوات بكلفة خمسة مليارات دولار لمكافحة الجريمة.

وقال: «إن مستوى الخوف ودرجة العنف البشعة ضد الصغار والكبار علىٰ حد سواء أوجدت جوًا من شأنه تقويض حقنا الأساسي في أن نكون أحرارًا في مجتمعنا».

وتأملوا عبارته الأخيرة: «أن نكون أحرارًا في مجتمعنا»، فهٰذا هو المفهوم الحقيقي للحرية، فحين تكون آمنًا فأنت علىٰ قدر كبير من الحرية، أما حين تكون زوجتي مهددة وابنتي مهددة وأختي مهددة بالاغتصاب، فأي حرية هٰذِه؟!

ولننتقل إلىٰ أوروبا، لنقرأ في ملفات الأمن عن بعض حوادث الٱغتصاب، إنهم يقولون: إن مرتكبي جرائم الٱغتصاب كثيرًا ما يكونون أناسًا عاديين سنحت لهم الفرصة فلجأوا إلى الٱغتصاب أي أنهم لم يكونوا ليغتصبوا لو لم تكن المرأة قريبة منهم.

واقرأوا هٰذِه الأمثلة كما يوردها تقرير من البوليس الفرنسي:

«... المغتصبون ليسوا دائمًا من الشاذين أو المتخلفين عقليًا، ومن هنا يزداد حجم الرعب في أوساط النساء من كل الأعمار، حتىٰ أولئك اللواتي تجاوزن سن الأربعين. وتزداد معه حيرة علماء النفس وعلماء الٱجتماع أو خبراء الجريمة خصوصًا.

وهم يأخذون -كعينة- ذلك المواطن في مدينة غرينوبل «٣٧ سنة» فهو أب لتسعة أولاد، ومع ذلك ٱشتهر في سجلات البوليس كمدمن على الٱغتصاب، فقد ٱرتكب في عام ١٩٦٧م أربعين حادث ٱغتصاب منها

أربعة حوادث في يوم واحد.

وهناك المواطن الفرنسي بول. ك مثلًا، يعمل صرافًا في باريس، ولا يمارس أي عمل من أعمال العنف، ومع ذلك وقف بسيارته أمام محطة سكة الحديد في «ليون» عندما عثر علىٰ مسافرة أضاعت العنوان الذي تريد الذهاب إليه، فعرض عليها المساعدة وأخذها في سيارته، ثم كان هناك حادث ٱغتصاب دون مبرر.

وهناك جان د. الذي ٱعتدىٰ علىٰ أربع فتيات منهن قاصرتان في عمق إحدى الغابات قرب مدينة مونبليه.

وجميع المغتصبين أناس عاديون لا يشكون أي مرض، ومع ذلك ٱستطابوا الجنس القهري، وكأنه أصبح موضة العصر.

ترىٰ هل هم كثيرو العدد أولئك المجرمون بالمغامرة؟

تجيب «كوليت دومار غريبة»المحامية المتخصصة في جرائم الٱغتصاب بقولها: «لم يعد هناك حالات ٱستثنائية.. إن الأمر يكاد يكون موجة واسعة الٱنتشار».

والبوليس الفرنسي يلاحق آلافًا من مرتكبي جرائم الٱغتصاب كل عام، ولكنه لا يلقي القبض في النهاية إلا علىٰ نسبة ضئيلة، كذلك فإن ثماني فتيات من كل عشر فتيات يرفضن الٱدعاء علىٰ المغتصب. وهناك تقرير مبدئي يقول: إن عدد النساء المغتصبات في فرنسا كل عام أكثر من مائة ألف ٱمرأة.

وهناك أزمة غطاء أمني إزاء ترويع النساء وخطفهن والاعتداء عليهن. فقد تقدمت الفتاة الباريسية «سيلفي» إلىٰ قسم البوليس في المنطقة السابعة من باريس بشكوىٰ ضد مجهول ٱعتدىٰ عليها بقوة السلاح، وبدلًا من أن

يقول لها المفوض: أعطينا أوصافه ودعي الأمر لنا، إذا به يواجهها قائلًا: أنت السابعة منذ الصباح.. فتشي بنفسك عن مهاجمك.. وعندئذ نتدخل!!!

هٰذا هو الآغتصاب في الغرب.. إحدى الثمار الفجة المرة.. لخروج المراة من بيتها سافرة متبرجة، يراها كل الرجال.

فأين مزاعم الزاعمين بأن الآختلاط يخفف من حدة الغرائز الجنسية، أين دعاوى المدعين بأن خروج المرأة من بيتها يهذب الشهوات الجنسية..؟!

الشبهة الثالثة:

أن تربية المرأة تنبع من الباطن، فالفتاة التي ربيت ونشئت على الأخلاق الفاضلة لن يشرد بها عن الفضيلة شكل الثوب الذي ترتديه، كما أن الفتاة التي آستمرأت الآنحراف وربيت بعيدة عن الفضيلة لن يكسبها الفضيلة جلباب سابغ ترتديه أو خمار تديره علىٰ أطراف وجهها أو حتىٰ نقاب تسدله عليه، وربما ضربوا أمثلة وهمية أو صحيحة بفتيات متحجبات وربما متنقبات ضبطن بأعمال وسلوكيات شائنة.

الجواب عن هٰذِه الشبهة:

ونحن نقول: صحيح أن التربية تنبع من الباطن، ولا تلتصق عن طريق ثياب من الخارج، وما كان لشكل الثياب أو نوعها أن يقوم يومًا ما مقام التربية ومناهجها.

ولكن من الذي قال لكم من علماء الشريعة الإسلامية: إن الحجاب إنما شرع ليكون ضابط خلق وأداة تربية سلوكية للفتاة، أو في أي مصدر من مصادر الشريعة الإسلامية عثرتم علىٰ نص يؤكد ذلك؟

إن هٰذا الآفتراض الوهمي الذي لا يوجد أي سند له ينطبق على

المثل العربي القائل: زنَّاه، فحده[١].

إن الحكمة الباعثة علىٰ مشروعية الحجاب تتمثل في ذلك البيان المنطقي الذي أتينا عليه مفصلًا، والذي لا مجال لإدخال أي ريبة فيه، وقد ذكرها القرآن في نص جامع مركز، وهو قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[٢].

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾: تلك هي الحكمة، هل قرأتموها ووقفتم بأي تدبر عندها؟

الحكمة أن تختفي المثيرات الجنسية والمفاتن الغريزية عن أبصار الرائين والناظرين إليها من الرجال، فلا يستثيرهم منها شيء إلىٰ أي تحرش أو إيذاء، ولا يبصروا من الفتاة أو المرأة إلا شريكة معهم في الخدمات الإنسانية، وبذل الجهود الاجتماعية المتنوعة، ما دام المجال الذي يتم فيه التلاقي بينهما مجالًا اجتماعيًا يتداعىٰ فيه الجميع إلى التعاون في بناء المجتمع وإقامة دعائمه الحضارية.

أي أن الحكمة من الحجاب ليست إعانة المرأة بواسطته على الانضباط بالأخلاق الفاضلة، ولكن الحكمة منه إعانة الرجال الناظرين إليها علىٰ هٰذا الانضباط ذاته، وعلىٰ أن ينظروا إليها ويتعاونوا معها إنسانةٌ مثلهم ذات مقومات علمية وثقافية وقدرات اجتماعية، لا علىٰ أنها كتلة من المهيجات الغريزية.

---

(١) أي ألصق به الزنا افتراءً ليخضعه للعقاب عليه قسرًا.

(٢) الأحزاب: ٥٩ .

ونحن نفترض أن في النساء اللائي يمارسن السلوكيات الشائنة من قد تستر وراء مظهر الحشمة أو الحجاب، ولكن فهل هٰذا يستوجب - بحكم المنطق- ازدراء الحشمة ومقاومة الحجاب الشرعي؟!..

إن كان الأمر كذلك فمظاهر السفور والإغراء أولىٰ إذًا بالمقاومة والازدراء، لأن المنحرفات اللائي يجنحن في انحرافهن إلىٰ عرض زينتهن ومفاتنهن أضعاف المنحرفات اللائي يتسترن في بعض الأحيان بمظهر الحشمة والتستر.

ومع ذلك، فالعجيب أن الحشمة وحدها هي التي توضع من قبل هٰؤلاء الناس في قفص الاتهام، وتبقى المثيرات والمهيجات التي تعلن عن نفسها مبرأة عن أي تسبب لتهييج الرجال وإضعاف الوازع الخلقي في نفوسهم، فضلًا عن أن يشار إليها بأي من أصابع الاتهام(١)!!

«ولابد من الإشارة هنا إلىٰ أن عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها، وليست غطاء يلقىٰ ويسدل علىٰ جسمها، وما كان للثياب أن تنسج لصاحبها عفة مفقودة أو تخلق له استقامة معدومة. وما شرع الله حجاب المرأة ليخلق لها هٰذِه العفة والطهارة في أخلاقها، وإنما شرعه محافظة علىٰ عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم علىٰ مفاتنها، ولو كان المأمول في الحجاب أن يكون- كما يتوهم البعض- مجرد تصعيد لخلق الفتاة وعفتها إذن لأجازت الشريعة الإسلامية أن تبرز الفتاة المحصنة الخلوقة عارية أمام الرجال كلهم في أبهىٰ مظاهر الفتنة والجمال».

الشبهة الرابعة:

الحجاب عائق عن تقدم المرأة، كثيرًا ما يطرح محترفو الإساءة إلى

---

(١) «المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني» ص ١٦٠-١٦٢.

الإسلام والذين يضيقون ذرعًا به لارتباطات شخصية أو لأسباب نفسية أمثال العبارات التالية:

الإسلام كبل المرأة بأثقال الحجاب..! الإسلام فرض على المرأة التخلف عندما ألزمها بالحجاب..تقدم المرأة وتحررها رهن بتحررها من قيود الحجاب..الخ.

فإذا بدأنا وحررنا أنفسنا قبل كل شيء من التقيد بالأسبقيات والانقياد لها أيًا كانت هٰذِه الأسبقيات، ما الذي يمكن أن نقوله عندما يوجه إلينا السؤال التالي:

أصحيح أن الحجاب عاق المرأة عن التقدم وزَجَّها في سجن الجهالة والتخلف؟ وما وجه العلاقة بين هذين الأمرين إن كان الجواب: نعم؟

والجواب الذي يمليه الفكر الموضوعي المتحرر من الأسبقيات هو أنه لا تبدو أي علاقة بين الحجاب الذي شرعه الله وبين التخلف، كما أنه لا توجد أي علاقة بينه وبين التقدم.

فلم يكن يومًا ما شكل الثوب الذي ترتديه المرأة أو نظامه طولًا وقصرًا أو عرضًا واتساعًا، ذا أثر في توجهها العقلي أو نشاطها الإنساني، ومنذ أقدم العصور إلى اليوم كانت البلاد والمجتمعات الإنسانية ذات تقاليد متنوعة ومختلفة جدًا في (هندسة) الثياب وأشكالها بالنسبة لكل من الرجال والنساء معًا، فما سمعنا وما سمع أحد أن تنوع الثياب هٰذا لعب دورًا في تفاوت تلك الأمم والجماعات في حظوظ التقدم العلمي والحضاري..

إن الثياب التي ترتديها الهنود رجالًا ونساء ذات طابع فريد من نوعه، والثياب التقليدية العريقة التي ترتديها نساء اليابان كانت ولا تزال ذات طابع فريد مختلف، كما أن الثياب التي تستريح إليها الأوربيات والأمريكيات هي الأخرىٰ ذات طابع مختلف، ولم يشعر أي من هٰذِه

الأمم بأن هٰذا التنوع الكبير في (موديلات) الثياب ينبغي أن ينتج عنه تنوع مماثل في درجة التقدم، والحضارات التي سادت يومًا ما كالحضارة الساسانية والبيزنطية والإسلامية وغيرها، لم تقف عند شيء ٱسمه مشكلة الثياب، ولم تناقش فيها، بل لم تشعر بها.

فمن أين جاءت، ومتىٰ ولدت هٰذِه الحقيقة التي لا علم للعالم كله ولا لتاريخه بها؟

إذن، يجب علينا أن نصنف زنوبيا أو الزباء ملكة تدمر في الجاهلات المتخلفات نظرًا إلىٰ شكل الثياب التي كانت تؤثر الظهور به، كما يجب علينا أن نصنف مجتمع العراة في إفريقية السوداء في الشعوب الحضارية المتقدمة؛ نظرًا إلىٰ تحررها البالغ في مجال التقيد بالثياب.

وفي أطراف الخليج فتيات ونساء جاهلات يسابقن فتيات الحي اللاتيني وأندية الشانزليزيه في باريس في المظهر والزينة والتحرر، فهل ٱنعتقن بهٰذِه الرقية السحرية من الجهالة والتخلف وسجلت أسماؤهن في ديوان العالمات المتقدمات؟

وفي عمق بلادنا العربية كالشام ومصر نساء متحجبات بلغن الذروة في ٱختصاصات علمية متنوعة، وساهمن إلىٰ أقصىٰ حد في الأنشطة والخدمات الاجتماعية المتنوعة، فهل أهدرت حشمتهن التي ٱستجبن فيها لحكم الله ﷻ، كل ما قد شهد لهن به مجتمعاتهن من الامتياز العلمي والسبق الحضاري والنشاط الاجتماعي، فتحولن في لحظة سحرية عجيبة إلىٰ جاهلات رجعيات متخلفات؟![1].

---

(١) «المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني» ص ١٦٢-١٦٤ .

الشبهة الخامسة:

الحجاب مظهر غير حضاري:

يقولون: إن شكل الحجاب الخارجي مظهر من مظاهر التخلف في المجتمعات، وهو مظهر غير حضاري، فما معنىٰ لهٰذِه الخيام السوداء المتحركة وهٰذِه الغربان، وهو عودة إلى البدائية في المجتمعات الإنسانية.

وهٰذِه شبهة ساقطة في ذاتها، حيث إن التقدم لا يقاس بالمظاهر الخارجية، مثل اللباس والبناء والدواب والزخارف وغيرها من الأمور الظاهرية، والذي يقيس تقدم المجتمعات بهٰذِه المظاهر الخارجية فإنه فاقد للموضوعية والمنطق.

والحضارة كلمة تطلق علىٰ مجموع الأخلاق والسلوك والقيم لأمة من الأمم، أما المظاهر الخارجية فلا علاقة لها بالحضارة، بل هي من المدنية.

ومثالًا علىٰ ذلك: عند الذهاب إلىٰ أمريكا، فإن المرء يلمس ويشاهد تقديس الحرية من قبل الجميع الحاكم والمحكوم، حتىٰ بنوا تمثالًا في وسط أكبر المدن الأمريكية يمثل «الحرية». فيستطيع أي مواطن في أمريكا ٱنتقاد من يشاء، من رئيس الولايات المتحدة حتىٰ أصغر موظف، دون أن يؤاخذ أو يعاقب، أو يلام من قبل أحد، والحرية قيمة من القيم.

ولذلك فإن أمريكا أصبحت قائدة العالم ليست بتكنولوجيتها فحسب، بل بما تملك من قيم إنسانية تحافظ عليها الحكومة قبل الشعب، بل إن الحكومات المتعاقبة يتعلق نجاحها أو سقوطها بمقدار الاحترام لهٰذِه القيم، وتطبيقها لها.

ومثال آخر: في أي دولة أوربية عندما تذهب إلىٰ أي محطة للحافلات فإنك تجد جدولًا معلقًا فيه مواعيد وصول الحافلات طوال

الأسبوع بالساعة والدقيقة، فمثلًا يكتبون موعد أول حافلة يوم الاثنين هو الساعة ٦,٤٥ صباحًا، فيذهب المواطن هناك فيجد الحافلة تأتي بالدقيقة تمامًا دون تأخير دقيقة واحدة، ولو أنه تأخر دقائق قليلة لرأيت الشكاوىٰ من كل مكان عليه، وربما فصل من عمله، وربما أحدث ذلك ضجة إعلامية كبيرة في المجتمع. «فاحترام المواعيد» قيمة من القيم، وبالتالي مقياس تقدم أوربا وحضارتها ليس بما تملك من تكنولوجيا فحسب، بل بما تملك من قيم ومبادئ تحافظ عليها.

وبالمقارنة فإن مجتمعاتنا تعد مجتمعات متخلفة، لا بسبب عدم امتلاكنا للتكنولوجيا فقط، إنما بسبب تخلينا عن القيم والمبادئ، والتي مصدرها ديننا العظيم، لذلك فإن مجتمعاتنا تُعَدُّ من أكثر المجتمعات انتشارًا للظلم، وامتهانًا للحقوق الأساسية للإنسان، ومن أكثر المجتمعات تخلفًا بالأخذ بالنظام، والأخذ بالشورىٰ، والاستماع للرأي الآخر، وغيرها من القيم، وعلىٰ هٰذا فإن الالتزام بالحجاب الإسلامي يعد خطوة إلى الأمام علىٰ طريق بناء الحضارة، لأنه خلق وسلوك وقيمة نابعة من ديننا الحنيف، وليس كما يزعمون صورة ومظهر غير حضاري.

يقول الدكتور / جلال الدين عبد الرحمن[١]:

ومما يلزم تغييره جذريًا ويجب على الأمة أن تبتره من مجتمعاتها سفور المرأة وتبرجها في الطرقات وكشف عوراتها والمحرمات فيها للناس بدون حياء غير مكترثة بالأخلاق ولا متعظة بالأموات ولا متأثرة بقوله تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا

(١) «غاية الوصول إلىٰ دقائق علم الأصول» ص ١١٩.

يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾(١).

وإذا سألناهن عما دفع بهن إلىٰ هٰذا - زعمت صويحبات يوسف- أن المدنية والمصلحة تقضي أن تتطور المرأة ولا تتخلَّف عن ركب الحضارة.

بئست الحضارة هٰذِه التي حطت من قيمة المرأة، بل جعلتها سلعة رخيصة يعف عليها الذباب، تعافها النفوس الأبية، وتنهشها الكلاب الضارية.

ولتحقيق ما أقول فلنستحضر في فكرنا ما نشاهده في الطرقات مما يتعرض له من المعاكسات، وما نراه في مكاتب الموظفين والموظفات، وما يتبادلونه من عبارات تجردت من الحياء، وأصبحت وباء تفر منه الحَيِيَّة وتسعد به الخبيثة الدنيَّةُ.

وصدق شوقي إذ يقول:

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

ثم لننظر في الصحف اليومية: كم من الجرائم وقعت بسبب سفورهن، وكم من الخطايا اُرتكبت من أجل حسنهن الذي بهر الشباب فأخذ بعقولهم، وسلب الإنسانية من نفوسهم، وحولهم إلىٰ وحوش كاسرة، فعزفوا عن الزواج، ورغبوا في شريعة الغاب، فطاب لهم المعاش بين لذة فانية، وطمس الله علىٰ بصائرهم؛ فتناسوا النعيم المقيم في جنات عرضها السموات والأرض.

هٰذِه قطرة من بحر لجي تلاطمت فيه الخطايا، وعلت فيه أمواج الرذيلة، ثم بعد ذلك كله نتهم المجتمع بالوهن والفساد وعدم التقدم

---

(١) النور: ٣١ .

والمدنية التي تزيل الكبت عن الشباب، وإذا ٱرتفع صوت العلماء ٱتهموا بالجمود والتخلف، وذهبت كلماتهم أدراج الرياح.

ويقول د/ محمد سعيد رمضان البوطي:

إنه لعجيب حقًا أن الواحد من هٰؤلاء ما يتحدث عن جهل المرأة وتخلفها إلا ويجعل من صورة المرأة المتحجبة مظهرًا لذلك، وما يتحدث عن ثقافة المرأة وتقدمها ونشاطها الفكري والاجتماعي إلا ويجعل من صورة المرأة العارية أو السافرة مظهرًا لذلك.

وإننا لنجزم بأن هٰذا التلازم المختلق ليس إلَّا بهتانًا كبيرًا لا أساس له ولا دليل عليه.

وإننا لنعلم جميعًا أن فتياتنا الجامعيات متحجبات بحجاب الإسلام، مستمسكات بحكم الله ﷻ، وهن أسبق إلى النهضة العملية والثقافية والنشاط الفكري والاجتماعي من سائر زميلاتهن المتحررات، ولقد رأينا بالمقابل الكثير من مظاهر التبذل والعري في كثير من أنحاء أفريقيا وآسيا وجهات من أوربا، دون أن تبعث بشيء من سحر النهضة العلمية والنشاط الفكري والثقافي، بل رأيناها مقرونة بأبشع أشكال التخلف الفكري والثقافي.

وإن كل مطلع على التاريخ يعلم أن تاريخنا الإسلامي مليء بالنساء اللاتي جمعن بين الإسلام أدبًا واحتشامًا وسترًا، وعلمًا وثقافة وفكرًا وخدمة للمجتمع، دون أن تتعثر الواحدة منهن بفضول ثوبها أو يعوقها عن ذلك حجابها واحتشامها.

إن التخلف له أسبابه، والتقدم له أسبابه، وإقحام شريعة الستر والأخلاق في الأمر خدعة مكشوفة ثقيلة، لا تنطلي إلا علىٰ متخلف عن مستوى الفكر والنظر الموضوعيين.

الشبهة السادسة:

الحجاب فيه حرمان المرأة من إظهار زينتها. وتقييدًا لحريتها الشخصية.

والجواب: هل تقبل المرأة أن تكون سلعة رخيصة يعاينها الجميع، الخسيس والكريم؟ وهل تقبل أن تسلم جسدها لعيون الذئاب البشرية؟

وهل تقبل أن تكون رخيصة إلىٰ هٰذِه الدرجة؟

والإسلام لا يحرم المرأة من أن تتزين أمام زوجها، أو محارمها أو صديقاتها، وإنما حرم أن تتزين للرجال الأجانب لشيء يرجع إلىٰ مصلحتها أولًا، وهٰذا يتضح جليًا في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾﴾[(١)].

فهنا يأمر الله نبيه بأن يأمر أزواجه وبناته وكل النساء المؤمنات بأن يتحجبن ويرتدين الملابس الطويلة الواسعة؛ لأن ذلك أحرىٰ أن يعرف أنهن شريفات عفيفات فلا يؤذيهن أحد، لا بكلمة ولا بنظرة ولا غير ذلك.

فانظر إلى الشباب الذي يقف في الطرقات يتربص الفتيات، إذا مرت فتاة متبرجة من أمامه يوجه إليها الغمز واللمز، وإذا مرت فتاة محجبة على الهيئة التي أمرها الله بها فإن هٰذا الشباب يتوقف تلقائيًا عن المعاكسة أو المضايقة حتىٰ تمر هٰذِه الفتاة التي حفظت الله في نفسها فحفظها من غيرها.

يقول الشيخ الشعراوي[(٢)] -رحمه الله-:

سألتني صحفية إنجليزية: لماذا يمنع الدين الإسلامي المرأة من أن

---

(١) الأحزاب: ٥٩

(٢) «المرأة في القرآن» ص٨٤-٩٥ .

ترتدي ما تشاء؟

لماذا يقيد حريتها في أن تختار ثيابها وترتدي ما تحب، أليست هٰذِه حرية شخصية للمرأة؟

قلت: قبل أن أجيب علىٰ هٰذا السؤال، لابد أن نتفق علىٰ نقطة هامة، هي أنه ليس لإنسان يعيش في مجتمع ما يسمىٰ بالحرية المطلقة، فلابد أن تكون حريته حرية نسبية لا تعتدي علىٰ حريات الآخرين، وبعيدًا عن مخالفة الدين وتعاليمه.

هل تستطيعين أنت أن تفعلي ما تريدين؟ إذا أردت أن تمشي في الطريق العام بدون ملابس على الإطلاق، فهل يمكنك ذلك بدعوىٰ أنك حرة تفعلين ما تشائين؟!

إذا أردت أن تستمعي إلىٰ موسيقي عالية بعد منتصف الليل، فهل تستطيعين أن تستمعي إلى الراديو في أعلىٰ صوت؟ أو إذا أردت أن تصلحي شيئًا في منزلك والناس نيام فهل تستطيعين إحضار النجار أو النقاش ليفعل ما يشاء؟..

هل تستطيعين إذا دخلت أحد المحال، أو البنوك ووجدت صفًا طويلًا من الناس يقف، هل تتجاهلين الصف وتكونين أول الواقفين؟

هل تستطيعين أن تتركي سيارتك وسط الطريق، أو في مكان ممنوع فيه الأنتظار، لأنك حرة، ومن حريتك أن تضعي سيارتك في المكان الذي تريدينه؟ بل هل تستطيعين أن تتجاوزي بسيارتك السرعة المسموح بها، وهل تستطيعين أن ترتكبي فعلًا فاضحًا أمام الناس؛ لأن ذلك من حريتك؟..

وأستطيع أن أمضي إلىٰ ألوف الأمثلة؛ لأنه لا يوجد شيء أسمه

الحرية المطلقة في أي مجتمع، ولكنها حرية نسبية، تعطيك من التصرف الذي تريدينه ما ليس فيه ٱعتداء علىٰ حرية الآخرين، فإذا حدث ٱعتداء علىٰ هٰذِه الحرية فإن المجتمع يتدخل؛ ليوقفك عند حدك قائلًا: هٰذا ليس من حريتك؛ لأنك ٱعتديت علىٰ حرية الآخرين.

الطريق الوحيد لكي تتمتعي بالحرية المطلقة هو أن تذهبي إلىٰ مكان لا يعيش فيه أحد، مكان تعيشين فيه وحدك دون أن يكون فيه آخرون، حينئذ تستطيعين أن تتمتعي بحريتك كما تشائين، فما دام لا يوجد أحد حولك ولا أحد من الناس يراك؛ إنك تستطيعين أن تفعلي ما تشائين.

هٰذا بعيد عن منطق الدين، وبعيد عن منهج السماء، فإذا كان هٰذا هو منطق الحياة في الكون، فكيف تريدين من منهج الله أن يخلق مجتمعًا من الفوضى الذي يضيع فيه كل شيء؟

الله ﷻ يقول في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾(١).

ويقول جل جلاله في كتابه العزيز: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾(٢).

هٰذا هو حكم الله ﷻ بالنسبة للمرأة، وهو إخفاء الزينة التي تلفت الأنظار.

وبداية أحب أن أقول: إن من ٱختار الدين فعليه أن يقبل أحكام هٰذا

---

(١) الأحزاب: ٥٩ .

(٢) النور: ٣١

الدين، حتىٰ ولو كانت هٰذِه الأحكام تقيد حريته في: ٱفعل ولا تفعل؛ لأن تقييد الحرية هنا هو لخير الإنسان وليس شرًا له.

إن هٰذِه الأحكام جاءت من الله ﷻ وهو أعلم بنا من أنفسنا، فإذا كانت تقيد حركتنا فهي تعطينا الخير وتذهب عنا السوء، فلا يوجد دين بلا منهج إلا أن يحاول الإنسان أن يرضي غريزة التدين فيه، وفي نفس الوقت يفعل ما يشاء فيعبد الأصنام أو الشمس أو غير ذلك مما لا يقيده بمنهج في الحياة، يخلص نفسه من تعاليم الله ليفعل ما يشاء، وفي هٰذِه الحالة يكون قد كفر والعياذ بالله؛ لأنه لا يريد منهجًا سماويًا يقيد حريته.

والمرأة التي تتضرر من الحجاب بزعم أنه يقيد من حريتها بستر ما أمر الله من مفاتنها، عليها ألَّا تعترض علىٰ منح هٰذِه الحرية لغيرها، فإن أباحت لنفسها أن تتزين وتكشف عن مفاتنها؛ لتجذب إنسانًا وتفتنه، فعليها ألا تعترض علىٰ قيام غيرها بكشف زينتها ومفاتنها لتجذب زوج هٰذِه المرأة أو ابنها.

إن الهدف هو صيانة المجتمع كله من الفتنة، وإبقاء للاستقرار والأمن بالنسبة للمرأة، حتىٰ لا يخرج زوجها من بيته وهي لا تعلم هل ستفتنه ٱمرأة أخرىٰ فيتزوجها، أم أنه سيعود إلىٰ بيته؟

إن الله ﷻ قد وضع من القواعد والضوابط ما يمنع الفتنة للمرأة والرجل حفاظًا لاستقرار الأسرة وأمنها وأمانها، وحرم أي شيء يمكن أن تكون فيه فتنة من ٱمرأة لرجل غريب عنها، ولذلك حرم إبداء الزينة إلا لمحارم المرأة، حرمه الله تبارك وتعالىٰ في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى

ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾(١).

وهٰؤلاء الذين ذكرهم الله تبارك وتعالىٰ في هٰذِه الآية الكريمة هم من محارم المرأة التي لا تحرص علىٰ إبداء زينتها أمامهم، وحتىٰ إذا فعلت فإن هٰذِه الزينة لا تثير في نفوسهم أية شهوة، إما لأنهم لم يبلغوا السن التي يحسون فيها بالشهوة، وإما أنهم تعدوا هٰذِه المرحلة تمامًا، بل إن الله ﷻ حرَّم على النساء أن يضربن بأرجلهن كنوعٍ من التحايل؛ لإظهار الزينة التىٰ أخفتها الثياب، وذلك بتعمد اهتزاز الجسم؛ لتظهر مفاتنه، وقال الحقُّ جلَّ جلاله ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢).

كل هٰذا قد يفهمه البعض علىٰ أنه تقييد لحرية المرأة، ولكنه في الحقيقة حماية لها.

لو أن الله ﷻ لم يفرض الحجاب لكان على المرأة أن تطالب به؛ لأنه أكبر تأمين لها ولحياتها، ذلك أن نضارة المرأة موقوتة، وفترة جمالها -لو حسبناها- فلن تزيد علىٰ خمسة عشر عامًا، ثم بعد ذلك تبدأ في الذبول. هب أن امرأة بدأت في الذبول، وزوجها ما زال محتفظًا بنضارته قادرًا على الزواج، وخرج إلى الشارع، ووجد فتاة في مقتبل العمر وفي أتم نضارتها وقد كشفت عن زينتها، ماذا سيحدث؟

إما أن يُفتن بهٰذِه الفتاة، ويترك زوجته ويتزوجها، وإما أنه عندما يعود إلى المنزل يلحظ الفرق الكبير بين امرأته وبين هٰذِه الفتاه؛ فيزهد في زوجته ويبدأ في الانصراف عنها.

لكن لو حجبت النساء مفاتنهن عن الرجال لصارت كل منهن آمنة من

---

(١) النور ٣١ . (٢) النور: ٣١

فقدان زوجها ومن تغير نفسه من ناحية زوجته، ولظلت محتفظة بحبه لها وإقباله عليها، لماذا؟ لأن الجمال نمو، والنمو في المخلوقات والنبات والحيوان والإنسان لا يدركه المتتبع له، ولذلك تجد الرجل وله ولد ينظر إليه كل يوم، فلا يمكن أن يلحظ أنه يكبر، ولكن لو غاب عنه شهرًا يتجمع نمو الشهر كله وهو بعيد عنه، وعندما يعود يحس بأنه قد كبر.

والفلاح مثلًا إذا جلس بجوار الزرع لا يلحظ نموه ولا يراه، فإذا غاب عنه فترة لاحظ هٰذا النمو.

الرجل مع زوجته كذلك فهو عندما يتزوجها وهي عروس تكون في أبهىٰ زينتها ونضارتها، لكن لأنه يراها كل يوم، فإنه لا يلحظ فيها أي تغيير، وتكبر وتذهب نضارتها وجمالها من أمامه شيئًا فشيئًا دون أن يلاحظ هٰذا الذبول، بل تظل في عينيه هي نفس العروس الجميلة التي زفت إليه.

ولكن إذا رأى امرأةً غيرها أصغر منها ولا تزال في قمة نضارتها بدأت المقارنة وأحس بالتغيير وأثر ذلك في نفسه.

ولذلك ونحن نرىٰ أمهاتنا بعد أن كبرن وملأت وجوههن التجاعيد لا نشعر بهٰذا، بل نجد في أمهاتنا نضارة لا نشبع من النظر إليها.

فإذا كان الله ﷻ قد حجب المرأة من أن تستلفت الأنظار إليها بالكشف عن زينتها، وهو قد حجب غيرها ممن هن أصغر وأجمل وأكثر نضارة من أن يستلفتن أنظار زوجها فيعرض عنها.

والعجيب أن المرأة لا تلتفت إلىٰ هٰذِه الحكمة، وهي أن الحجاب حماية لها ولزوجها ولبيتها، بل تأخذ المسألة علىٰ أساس من الحرية الجوفاء ناسية أن هٰذا التقييد إنما شرِّع لحمايتها.

والعقاب في الشرع في كل الحالات لا يبدأ إلا عند النزوع إلىٰ عمل شيء فأنت ترىٰ وردة جميلة، ٱنظر إليها كما شئت فليس في ذلك إثم ولا حساب، وتمتع برائحتها كما شئت، فليس هناك إثم ولا حساب، إلا أن تمد يدك لتقطعها حينئذ تكون قد ٱعتديت.

وأنت ترىٰ فرسًا جميلة، ٱنظر إليها كما شئت وتمتع بالنظر إليها كما تريد فلا إثم عليك، إلا أن تحاول أن تركبها دون إذن صاحبها وهكذا كل ما في الدنيا من جمال، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾[1].

زينة لمن؟ ألصاحبها فقط؟ الآية جاءت بالزينة علىٰ إطلاقها، ولهٰذا فهي زينة لصاحبها ولمن أراد أن ينظر إليها ويتمتع بجمالها كل ما في الكون من جمال ٱنظر إليه كما تشاء، فليس هٰذا محرمًا إلا المرأة فالنظرة إليها محرمة من المرأة للرجل ومن الرجل للمرأة والنظر إليها والتأمل في جمالها من غير زوجها إثم، وكذلك الرجل بالنسبة للمرأة، نظر المرأة للرجل وتأملها في ملامح رجولته إثم، ولذلك يقول الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠﴾[2].

وقوله جل جلاله: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[3].

لماذا حرِّمت النظرة بين الرجل والمرأة، ولم تُحرَّم بالنسبة لباقي مخلوقات الكون؟! لأن النظرة هي بداية النزوع بالنسبة للرجل والمرأة،

---

(١) النحل: ٨ . (٢) النور: ٣٠ .
(٣) النور: ٣١ .

وما دامت النظرة قد بدأت فأنت لا تستطيع أن تتحكم في نفسك بالنسبة لما يمكن أن يحدث بعد ذلك.

النظرة قد أوجدت تغييرًا يقودك إلى المعصية، ولذلك نجد مثلًا عندما حرم الله ﷻ علىٰ آدم وحواء أن يأكلا من الشجرة المحرمة في الجنة لم يقل لهما لا تأكلا من هٰذِه الشجرة، بل قال جل جلاله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾(١).

لماذا لم يقل الله ﷻ: لا تأكلا من هٰذِه الشجرة؛ لأنه أراد أن يحميهما من إغراء المعصية، فلو أنه قال لهما: لا تأكلا من هٰذِه الشجرة، ربما جلسا إلىٰ جوارها، فأغراهما لون ثمارها أو شكل هٰذِه الثمار، أو الرائحة المنبعثة منها، ولذلك قال لهما سبحانه ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ ليقيهما الإغراء الذي يمكن أن يوقعهما في المعصية، وكما يقول رسول الله ﷺ:-

«إن لله محارم فلا تقربوها، فمن حام حول الحِمَىٰ أوشك أن يقع فيه». وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: **«إن الله حد حدودًا فلا تعتدوها وفرض فرائض فلا تضيعوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها»**.

إذن فتحريم النظر بين الرجل والمرأة حماية لكليهما.

والله جل جلاله يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾(٢).

علىٰ أننا لابد أن نلتفت إلىٰ حقيقة هامة، هي أن الله ﷻ يريد أن تعتدل الموازين في كونه، ويريد للعقل الذي ميز الله به الإنسان أن يعطي حرية الاختيار دون أية مؤثرات حتىٰ تستقيم الأمور في الكون، وإظهار

---

(١) البقرة: ٣٥ .

(٢) الأحزاب: ٥٣ .

المرأة لمفاتنها يجعل الميزان يختل، لماذا؟..

لأن المرأة إذا تعمدت إغراء رجل غريب بزينتها والكشف عن جسدها تتدخل في عمل العقل؛ لأنه في هٰذِه الحالة قد يتخذ قرارًا ويعلم أنه باطل؛ لينال من هٰذِه المرأة أو يرضيها، وكلنا يعلم تأثير النساء في الصفقات التي تحدث في العالم كله، وكيف أنهن يتخذن كوسيلة للإغراء؛ ليقضى الإنسان بغير الحق، ويختل ميزان الحكم.

كل هٰذا موجود في شركات عالمية كبيرة تستخدم إغراء المرأة؛ لتتم أعمالًا وصفقات مشبوهة، ما كانت لتتم لو أن الميزان كان معتدلًا. والعقل هو الحكم الوحيد في هٰذِه المسائل من أمور الدنيا.

يقول الدكتور البوطي(١):

عندما تشترك المرأة مع الرجل في لقاء علمي أو فكري مثلًا، يهدف إلىٰ إصلاح ٱجتماعي أو معالجة لمشكلة علمية أو ثقافية فإننا نفرض في هٰذِه الحالة مسايرة لرغبة من يتأففون من الحجاب وقيوده، أن تبرز المرأة في هٰذا اللقاء العلمي أو الفكري المشترك، بادية الزينة، قد أبرزت الكثير من مغرياتها علىٰ نحو ما تفعله المرأة المتحررة اليوم، تُرىٰ ما الذي يحصل عندما تقوم هٰذِه المرأة بهٰذا المظهر المثير لتناقش في مسألة فكرية أو معضلة ٱجتماعية أو حتىٰ عمل أدبي؟

الذي لابد أن يحصل هو أن تهتاج في الرجال الذين يرونها ويسمعونها مشاعرهم الغريزية، وتتغلب علىٰ أنشطتهم الفكرية، فتشرد بهم الغريزة عن كلامها ومحاكماتها الفكرية، إلىٰ ما يتبدىٰ أمامهم من مغرياتها الجسدية أي: أن حديثها إليهم يكون في واد والمهيجات الغريزية تسبح بهم في واد

(١) «المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني» ص ١٥٧- ١٥٨.

آخر، وهٰذا يعني بكل وضوح أن الرجال إنما يتعاملون معها، على الرغم من حديثها العلمي أو الفكري الذي تطرحه، علىٰ أنها كتلة أنوثة تهيج الغريزة وتبعث على المتعة، ولا يحفلون من حديثها الفكري بشيء.

وأذكر أن ٱمرأة أو فتاة ألمانية كانت تشترك في أحد الملتقيات الفكرية التي كانت تعقد سنويًا في الجزائر، وكنت واحدًا من المشتركين فيه، ولما دُعيَتْ إلىٰ إلقاء كلمتها في ميقاتها المحدد، كانت كأي ٱمرأة غربية، بادية الزينة والمفاتن، وكانت تضيف إلىٰ ذلك كله الكثير من حركاتها..

نظرتُ إلىٰ وجوه الحاضرين أتفحصها، وهي مسترسلة في حديث فكري لا تُنكَر أهميته، فلا والله ما رأيت الأعين إلا طافحة بمشاعر الغريزة وأخيلة المتعة، وما عثرت في الوجوه علىٰ أي أثر لتفاعل ذهني أو تجاوب علمي، وكان الصدى الوحيد لحديثها الذي ألقته أن ترك بعضهم بطاقة في غرفتها من الفندق، يعرفها فيها علىٰ نفسه ويدعوها إلىٰ سهرة كوكتيل!

وذلك عندما فرض عليها من مظاهر الحشمة ما يبرز شخصيتها الإنسانية التي تشكل قاسمًا مشتركًا مع الرجل، ويخفي مظاهر الفتنة والإغراء المعبرة عن أنوثتها، كلما دعاها الداعي الإنساني إلى الٱشتراك معه في أي من المجالات الإنسانية أو الٱجتماعية المتنوعة، ثم تركها بل دعاها إلىٰ أن تبرز من مظاهر أنوثتها كل ما يكون سبيلًا إلىٰ شركة أخرىٰ مع الرجل، ترتشف معه من خلالها المتعة التي جعلها الله حقًا لهما، وذلك عندما تلتقي مع الرجل تحت مظلة تعاقد شرعي مقدس علىٰ تبادل مقومات هٰذِه السعادة فيما بينهما بكل ما تستتبعه من مسئوليات.

إن أي ٱمرأة مسلمة ملتزمة لو حلت محل تلك المرأة الألمانية، في

إلقاء تلك الكلمة الفكرية المفيدة، لن تبرز أمام ذلك الحشد إلا ما يريه منها إنسانيتها التي تشكل جامعًا مشتركًا مع من حولها من الرجال، ولسوف تمعن في إخفاء ما قد يشغلهم عن شخصيتها الإنسانية هٰذِه من مظاهر الزينة والفتنة، وعندئذٍ ستجد أن الجميع مشدودون إلىٰ حديثها الفكري المبدع، وسترتفع بهم إلىٰ مستوىٰ دراياتها واهتماماتها العلمية، بدلًا من أن يهبطوا بها شاءت أم أبت، إلىٰ حضيض الغريزة والجنس..

هٰذا علىٰ أن الشريعة الإسلامية لا تفصل هٰذِه المرأة عن أنوثتها أو عن حظها الأنثوي، ولكنها تعلمها بدقة أن تمارس الحكمة القائلة: لكل مقام مقال.

الشبهة السابعة:

إن التزام المرأة بما قد فرضته الشريعة الإسلامية في حقها، يتناقص مع ضرورات الحياة الصناعية اليوم، ذلك لأننا بحاجة ماسة إلىٰ حشد كل يد عاملة، والاستفادة من سائر الطاقات الإنسانية للحاق بسير الآلة وإدارة عجلة التصنيع، وإنما يكون ذلك باشتراك المرأة التي هي نصف المجتمع مع الرجل في قيادة هٰذِه الحياة الجديدة والاستفادة من طبيعتها، ولا يمكن أن تشترك المرأة معه في شيء من ذلك وهي مقيدة بقيود الستر والحجاب.

والجواب عن هٰذِه الشبهة:

إن مثل هٰذا الكلام إنما يقال في أمة تشكو مصانعها الوفيرة العامرة قلة الأيدي العاملة التي تديرها، أو في أمة تبحث فيما بينها فلا تجد شابًا واحدًا يتسكع علىٰ ناصية شارع، أو يجتر البطالة في زاوية أحد المقاهي. ومعلوم أن مثل هٰذِه الأمة لم تظهر بعد حتىٰ في دول الدرجة الأولىٰ بهٰذا الاعتبار.

وإذا كانت المسألة تقليدًا لأوربا، فقد بات معلومًا أن اشتراك المرأة مع الرجل في حالات الكسب في أوربا ونحوه يرجع إلىٰ عاملين اثنين:

أولهما: تفاقم سلطان الإباحية، حتىٰ لم يعدْ يصبر الرجل عن المرأة والعكس، في أي طور من أطوار العمل أو شأن من شئون الحياة، فالرجل حريص علىٰ أن تكون المرأة إلىٰ جانبه في الوظيفة التي يؤديها والمعمل الذي يشتغل به، والمتجر الذي يتردد عليه، والمطعم الذي يغشاه، والشارع الذي يسير فيه وهو بطبيعته وضع شاذ يتسبب في شقاء الجنسين أكثر مما يتسبب في إسعادهما.

ثانيهما: عامل الشح والتكالب المادي، والرجل الغربي يعاني من ذلك الشيء المذهل العجيب، فرب الأسرة لا يرىٰ ما يدعوه للإنفاق على ابنته، ما دام يعتقد أنها قادرة علىٰ أن تذهب فتشتغل في أي وظيفة أو معمل أو مطعم أو فندق، وكذلك الزوج، لا يرىٰ ما يدعوه للإنفاق علىٰ زوجته التي بوسعها أن تنطلق فتأتي بالمال من أي مكان، وهكذا فإن البذخ الشديد من جانب يستلزم الشح والبخل الشديدين من جانب آخر؛ لأن أولهما لا يأخذ حظه إلا بالاعتماد على الثاني. إن علىٰ مروجي هذه الشبهة أن يدركوا ما يمكن أن يدركه كلُّ مفكر من أنَّ انصهار الغرب في أتون المادة، حوَّل الذات الإنسانية بكلِّ خصائصها ونوازعها وأشواقها إلىٰ ما يشبه كتلًا ممسوخة من المادة، فهي تتحرك وتذهب وتجيء في فلكها وسلطانها فلا جرم أن تنصهر الأسرة في ذلك الأتون أيما انصهار، فهٰذِه هي دوافع اشتراك المرأة مع الرجل في مختلف مجالات الكسب، والعمل يعلمها كل متبصر عاقل، وليست شيئًا مما يسمىٰ بضرورة اللحاق بعجلة الآلة والسيطرة علىٰ حياة التصنيع وما إلىٰ ذلك.

قالوا عن الحجاب

يقول الأستاذ / محمد أحمد السباعي[(١)]:

---

(١) «المرأة بين التبرج والتحجب» ص ٩٢.

جاء في صحيفة «الجمهورية» بتاريخ ١٩٦٨/٤/٦بتوقيع حيوان متهكمًا علىٰ حالة العري في النساء:

كل الكلام عن الأخلاق والتقاليد والحشمة والأدب والذوق، لم يمنع مجموعة كبيرة من الجنس الناعم الحلو في كشف ركبه للناس، ومع ذلك فإن كثيرًا من الرجال يوافق علىٰ لبس الميني جيب، بل ويرحب به، ويقول صديقي: إنه يريد أن يلبس كل ستات مصر الفساتين القصيرة: حتىٰ يتمتع بمشاهدة أكبر عدد ممكن من الركب، وأكبر مساحة من السيقان، ولكنه يضع شرطًا بسيطًا: إنه يشترط ألا ترتدي زوجته، ولا أمه ولا أخته ولا ابنته ملابس قصيرة، وليس هٰذا التهكم يحتاج إلىٰ تعليق.

ومنه ما جاء تحت عنوان (الدين والموضة) في صحيفة الجمهورية، بقلم الأستاذ الكبير «حافظ محمود»، قال:

فالرجال هم المسئولون عن هٰذِه الأزياء، لا لأنهم لا يمنعون بالقوة نساءهم من لبسها، بل؛ لأنهم هم الذي يضعون هٰذِه الأزياء أولا، ثم يتغزلون فيها ثانيًا، ولو أن المرأة رأت رأيًا رجاليًا عامًا يستنكر هٰذِه الأزياء لا في الصحف، ولا من فوق المنابر، بل في الحياة العادية لأقلعت عنها نهائيًا ثم يقول: ينبغي أن يكون مفهومًا بوضوح: أن المرأة لا تتزيىٰ ولا تتزين لنفسها أو لبنات جنسها، إنما هي تتزيىٰ وتتزين للرجل، فلو أن الرجل - كل رجل- برهن بالفعل ألا يتأثر جنسيًا، أو جماليًا، بهٰذِه الأزياء، لعدلت عنها النساء ثم يقول: (وإن مصممي الأزياء يدفعون المرأة - وهم من الرجال- إلىٰ أن تفهم أن وظيفتها مجرد وظيفة جنسية، والمرأة طالما ترىٰ تدلل الرجل فيها، وهي علىٰ هٰذا الزي، فهي لن تقلع عنه مهما كتبنا أو خطبنا في هٰذا الموضوع، العلاج إذًا له جانبان، الجانب الأول: هو ألا يشجع الرجال النساء علىٰ هٰذِه الأزياء بتصميمها

لهن، ثم بإظهار الإعجاب بلابسات الأزياء التي من هٰذا الطراز.

والجانب الثاني: هو أن تقتنع المرأة بأن لها وظيفة إنسانية غير وظيفتها الجنسية، اقتناعًا ينعكس على الرجال، فيعاملونها معاملة أرقىٰ من معاملات المتاع، ولإقناع الجنسين بذلك ينبغي أن نرجع إلىٰ قيمنا الروحية، والرجوع إلى القيم الروحية معناه هو أن يوضع كل شيء في موضعه، فالأزياء مثلًا ينبغي أن نفرق فيها بين أزياء النوم، والاستحمام، وبين أزياء العمل والسير في الطريق، ثم يقول: إن من أعجب المتناقضات أن ترى المرأة تصلىٰ، فتتشح في لحظات الصلاة بما يستر جميع أطرافها، فإذا فرغت من الصلاة عادت إلى الميني جيب وملحقاته، أفليس عجيبًا أن تتستر المرأة - وهي بين يدي الله الذي يعلم ما بداخلها- ثم تتعرىٰ أمام سائر الناس؟!!

ومن المتناقضات أيضًا: أنهن في بيوتهن، يلبسن ما يكسو أجسامهن، فإذا خرجن إلى الطرقات: لبسن ما يكشف عن نصف هٰذِه الأجسام، المسألة إذا هي مسألة علاقة المرأة بالرجل، وهل هي علاقة جنسية فقط؟ أم هي علاقة إنسانية قبل وبعد العلاقة الجنسية؟

إن الدين يحدد هٰذِه العلاقة في كل جوانبها الإنسانية، فلو إننا رجعنا إليه جميعًا لرجعت إليه النساء جميعًا.

وليست مشكلة العري قاصرة علينا بل أننا نقرأ في الصحف، عن كثير من مشاكله في البلاد الغربية والشرقية.

ومن ذلك: قرأنا أن أحد الإيطاليين أطلق النار علىٰ سائق ابنته، بسبب الميني جيب، ومن ذلك: ما ورد في التقارير في العاصمة اليابانية، أنها تعزو زيادة الجرائم الجنسية إلى الضعف بسبب «الميني جيب»، و «الميكروجيب».

ومن ذلك أيضًا ما دفع المسئولين في جزيرة (سيلان) إلىٰ منع

المدرسات من لبس الملابس الخليعة الماجنة، وكذلك فعلت حكومة أندونسيا.

وجاء في تقرير لأحد خبراء المرور - في إنجلترا- أن حوادث المرور كلها ترجع إلىٰ كثرة لابسات الميني جيب في الشوارع، لأنَّ سائقي السيارات لا يهتمون بالطريق؛ لشدة البحلقة في سيقان لابسات الميني جيب.

هٰذا ومن العجيب أن تكشف المرأة عن مواضع الفتنة في جسمها، وهي موقنة أنها موضع فتنة للرجل، ثم تعيب على الرجل أن ينظر إليها، فإذا كانت هي جادة في هٰذا الآستنكار، فلم لا تمتنع عن كشف ما يثير فضول الرجال؟ أما أنها تكشف عن سيقانها وأفخاذها وصدرها، ثم تعيب على الرجل أنه ينظر إلىٰ هٰذِه المواضع التي كشفتها له، عن عمد وسبق إصرار، إنها كشفتها له كشفتها ليراها الرجل، إن هٰذا التعفف هو الإغراء بعينه.

ثم يقول الأستاذ السباعي:

في أوائل عصر النهضة في مصر هال بعض المفكرين ما صارت إليه المرأة من التخلف والجهل، وما عانته من طغيان الرجل، فطالبوا بإطلاقها من سجنها حيث كانت قعيدة البيت لا تغادره حتى الوفاة، وطالبوا لها بقسط من التعليم، كما طالبوا بحقها في مزاولة العمل.

وكان «قاسم أمين» أعلىٰ هٰؤلاء المفكرين صوتًا، في طلب هٰذِه الحقوق، ونجحت الدعوة إلىٰ ذلك، وأقر المجتمع لها بالتدريج بهٰذِه الحقوق.

ولما أن شعرت بأنَّ المجتمع لم يعد ينكر عليها حقًا، آنطلقت إلىٰ كافة المجالات آنطلاقًا عليه أثر حقدها علىٰ ما كانت عليه، متمسحة بكلمات (قاسم) وغيره، ولم تعرف المدى الذي يجب أن تقف عنده،

ونظر الرجل إليها مبهورًا في أول الأمر مستنكرًا، ثم آستملحها في أثوابها المغرية، فأوسع لها؛ لأنه رأىٰ فيها عنصرًا لذيذًا يجمل حياته، إذ وجد الرجل والمرأة جميعًا في هٰذا الجو متنفسًا، قد يكون من النفور الذي ينشأ بين الأزواج من طول المعاشرة، وقد يكون لأن الرجل لا يرىٰ في آمرأته الآهتمام بالتجمل له، فانجذب إلى المرأة التي يجد فيها ما كان يأمل أن تكون عليه زوجته، فخرج بعضهم إلىٰ بعض، ولٰكن هل كان هٰذا هو المقصود من الدعوة إلىٰ إطلاقها؟

يلزمنا في هٰذا المقام أن نجمل للقارئ أصول الدعوة التي نادىٰ بها المصلحون، الذين طالبوا للمرأة بحريتها، حتىٰ نبرئهم مما نسب إليهم، ونسقط عنهم أوزار ما آرتكب باسمهم، هل قصدوا أن تنطلق المرأة في التبرج، إلىٰ أن يصير المستور من جسمها أقل من المعروض منه، قال في ذلك الأستاذ «قاسم أمين»: «إنا نطلب تخفيف الحجاب، ورده إلىٰ أحكام الشريعة الإسلامية؛ لأننا لا نميل إلىٰ تقليد الأمم الغربية في جميع أطوارها وعوائدها، لمجرد التقليد وللتعلق بالجديد لأنه جديد، فإننا نتمسك بعوائدنا الإسلامية ونحترمها ونرىٰ أنه مزاج الأمة تتماسك به أعضاؤها، ولسنا ممن ينظر إليها نظره إلى الملابس، يخلع ثوبًا كل يوم ليلبس غيره، وإنما نطلب ذلك؛ لأننا نعتقد أن لرد الحجاب إلىٰ أصله الشرعي مدخلًا عظيمًا في حياتها المعيشية» ثم زاد ذلك تحديدًا فقال: لا ريب أن ما ذكرناه من مضار التحجب يندرج في حكمة إباحة الشرع الإسلامي، لكشف المرأة وجهها وكفيها، ونحن لا نريد أكثر من ذلك.

هٰذِه دعوة «قاسم أمين» إلى السفور لا تحتاج إلىٰ إيضاح فدعوته لا تخرج عن كشف الوجه والكفين، ولو عرفنا أن المرأة في عصره كانت ممنوعة من الخروج من المنزل، محجوزة فيه، لعرفنا معنىٰ دعوته. فأين

تلك الدعوة مما صارت إليه المرأة في جيلنا؟!

يقول الشيخ محمد عبد الله الخطيب(١):

كنت أود أن يجد الذين ينادون بطرح الحجاب ويدعون للاختلاط وللسفور، أن يجدوا العبرة والعظة في الواقع المرير الذي تعانيه المجتمعات العربية والإسلامية من جراء تجاوزات الشريعة الإسلامية والبعد عن أخلاقياتها، ومحاولات هتك الحجاب والنيل من عفاف المرأة المسلمة، والهجوم السافر على الملتزمة، ولكنهم طرحوا كل ذلك وراء ظهورهم، وطفقوا يرددون مقالات سبقهم بها من قديم من يقلدون ويجرون وراء المدنية الغربية ويأخذونها بحلوها ومرها وخيرها وشرها، وهم ضحايا الغزو الفكري، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «**لَتَتبعن سَنَنَ مَن قَبْلَكُم شِبْرًا بِشِبْر وذراعًا بِذِرَاعٍ، حتىٰ لو سَلَكوا جُحْر ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوه**»، قلنا: يا رسول الله، اليهودُ والنصارىٰ، قال: «فمن؟»(٢) أي فمن غيرهم؟

قضية الحجاب ليست مجرد أصطلاح بشرىٰ أو مذهب لقوم من الناس أو قانون وضعي أو عرف لبيئة من البيئات تقرره أو ترفضه وتلغيه أو تعدله، كما تنعق الأبواق المسلطة علىٰ حياة الناس وشرفهم، وعفافهم؛ لتدمير إنسانيتهم وتحطيم كرامتهم وفق الخطة الصهيونية الحقيرة والخطيرة التي وضعتها بروتوكولات شياطين صهيون، والتي تقول بالنص: (يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق، في كل مكان لتسهل سيطرتنا، إن فرويد معنا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، لكي لا يبقىٰ في نظر

---

(١) آفاق عربية.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٤٥٦، ٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩) [٦].

الشباب شيء مقدس ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار الأخلاق).

هٰذِه هي الحقيقة التي يجب أن نتأملها في واقعنا المعاصر، فلا نجري وراء الذين يتاجرون بقضية المرأة وتهدر حياتنا وتدمر بيوتنا، ونقع في مخالب الأعداء، ولقد نفذ اليهود الخبثاء شياطين الفساد والإفساد في الأرض خطتهم من خلال الغزو الثقافي ومن خلال عملاء الاستشراق والتبشير، حتىٰ أصبحنا نرى الكثير من أجهزة الإعلام تصمم علىٰ عرض الحياة من جميع جوانبها، وكأنها تدور أساسًا حول الجنس وتنبع منه، وما الأفلام والمسلسلات والحوارات والروايات الساقطة المسمومة إلا الدليل العملي علىٰ ذلك، سبحانك اللهم هٰذا بهتان عظيم.

إن هٰذِه القضايا إنما هي من الثوابت في ديننا وهي فطرة خلقها الله في الإنسان، وهي شريعة محكمة أنزلها الله لجميع البشر، وأقدرهم علىٰ تطبيقها وتنفيذها والنزول علىٰ أحكامها بما سخر لهم في الأرض من مقدرات وأرزاق منذ خلق الله أدم ﷺ ومنذ دبت الحياة علىٰ ظهر الأرض، يقول الحق ﷻ ينادينا جميعًا أن نعتصم برسالته حتىٰ لا نقع في قبضة الشيطان: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾[1].

يقول عبد الرحمن بن أسلم -رضىٰ الله عنه- في معنىٰ قوله تعالىٰ

(١) الأعراف: ٢٦-٢٧ .

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ﴾: يتقي الله فيواري عورته، فذاك لباس التقوىٰ، وينبغي أن نعلم أن هناك تلازمًا بين شرع الله: اللباس لستر العورات والزينة، وبين تقوىٰ الله كلاهما لباس، فهٰذا يستر عورات القلب ويزينه وينوره، وذاك يستر عورات الجسد ويزينه ويكرمه. إن شعور التقوىٰ والحياء والخوف من الله، هو الذي ينبع منه الشعور باستقباح عري الجسد والحياء منه، والذي لا يستحي من الله ولا يتقيه ولا يخشاه لا يهم أن تنكشف سوءته، بل هو يدعو للعري والسفور، وهو الإنسان التافه الساقط الذي تعرىٰ من الإيمان والأخلاق ومن الحياء، والآية تقول: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾(١) وهنا تحذير شديد، ودعوة إلى الحذر، وتخويف من الله لنا، من أن الشيطان يرىٰ هٰؤلاء، من حيث لا يرونه مما يسهل عليه فتنتهم.

كما تؤكد الآية هٰذا الأمر الخطير ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٢) وهٰذه حقيقة أيضًا، فالشيطان ولي هٰؤلاء الذين تجرءوا علىٰ الله ولم يخشوا عقابه، ويا ويل من كان الشيطان وليه وهو عدوه الأكبر ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾(٣). ويا ويل من يسيطر عليه عدوه ويستهويه ويقوده كما يشاء بلا عون ولا نصير.

وللأسف الشديد ٱنتشرت هٰذه الأمراض بين المسلمين والمسلمات، والمنظور منهم أن يأخذوا بيد الإنسانية الحائرة ويهدوها سواء السبيل، ففي دينهم مفاتيح الحل لجميع ٱلمشكلات لكن سقط

---

(١) الأعراف: ٢٧. (٢) الأعراف: ٢٧.

(٣) فاطر: ٦.

المصباح المنير الذي كان يدهم، بل أصبح بعضهم يسبح في الظلام ضد التيار ولا يتقي الله في أمته ولا يحرص علىٰ سلامتها وسيادتها.

إن الحجاب الذي تعلن عليه اليوم الحرب، هو الستر وهو جملة الآداب والأخلاق السامية التي جاء بها الإسلام؛ ليهدم ما كانت عليه المرأة في الجاهلية من تبرج وتحلل وإثارة، وإن النماذج المشرفة للفتيات المؤمنات الملتزمات في المجتمعات العربية والإسلامية اليوم لهي صورة عظيمة للمرأة المسلمة تستحق من كل غيور علىٰ مستقبل هٰذِه الأمة أن يعمل علىٰ تثبيتها وتقويتها واستمرارها وشيوعها في المجتمع، ويجب أن تحاط بكل رعاية، وأن يدفع عنها كل شر وأن ترد عنها بشتى الأساليب والوسائل والأقلام المنحرفة والعقول التي مردت على الإثم والدنس والدفاع عن الباطل وتزييف الحقائق.

إنها قضية حيوية في مستقبل أجيالنا وبلادنا، وإن وجود هٰذا المستوى الكريم في الألتزام بهٰذا الدين لهو صفعة علىٰ وجوه أعداء الإسلام من دعاة التبرج والانحلال، كما يجب علينا أن نفضح الدعوات المشبوهة التي تنطلق وتنادي بتحرير المرأة، وتعمل علىٰ سلخها من دينها وأخلاقها والسير بها في فلك الشهوات والمتعة والهوىٰ.

إن تبرج المرأة وتقليدها للمرأة الأوربية هو السم الذي يقضي علىٰ كل مقومات أمتنا العربية والإسلامية، وعلى الشباب المؤمن بوجه خاص.

هل الحجاب قيد ورجعية؟ وهل هو سجن للمرأة كما يزعمون؟

لقد سئلت بعض المحجبات عن شعورهن إزاء الزي الإسلامي الجميل، هل هو قيد؟ فكانت الإجابة مشرفة وتدل علىٰ وعي إيماني كبير وعلىٰ فهم صحيح لهٰذا الدين، قالت إحداهن: والله إن عزنا في هٰذا الحجاب ولقد شقيت كل متبرجة وسعدنا نحن به، وقالت الثانية: إن

الحجاب لا يمنعنا أبدًا من تلقى العلم في أعلىٰ درجاته وليست هناك أي علاقة بين الٱختلاط والعلم، ولا بين السفور والعلم فهٰذِه أكاذيب، وقالت الثالثة: ستتمسك بالحجاب إلى الأبد ونحن لا ننادي بالتحرر، لأننا متحررات فعلًا، ومصونات من يوم أن نادىٰ محرر الإنسانية رسول الله ﷺ بالإسلام الذي حرر البشرية وأخرجها من الظلمات إلى النور.

ويقولون: إن عفة المرأة ليست في الثياب التي تلبسها ولا في المظهر الذي تحرص عليه، وإنما العفة في داخلها، في سلوكها، في تعاملها مع الآخرين، وهٰذِه مغالطة، وقولهم هٰذا حق يراد به باطل، فمن قال: إن عفة المرأة في لباسها فقط؟ هٰذِه واحدة، ومن قال: إن عفة اللباس للمرأة هو عفة للمرأة وحدها؟ إنما هو عفة للرجل أيضًا.

نعم، للرجال الذين تؤثر فيهم المرأة وتبرجها وفتنتها، فهو وظيفة ٱجتماعية لا فردية، ويقولون: إنه إذا شاع الٱختلاط بين الرجل والمرأة تهذبت طباعها وقامت بينهما صداقات بريئة، وهٰذا كذب صريح، وضحك على العقول؛ لأن المرأة في أوربا منذ قرون وهي منغمسة في الٱختلاط المشين الحيواني وما زال الجنس قائمًا علىٰ قدم وساق، لم تهذب الغرائز ولم تحدث الصداقات البريئة ولم ترتقِ الطباع، لأن الغريزة لا تتهذب بالإدمان والهبوط، إنما تسمو بالتربية والتهذيب والوقوف عند حدود الله والالتزام بمنهجه وغض البصر والإيمان بالله.

ويقولون: إن الحجاب يمنع المرأة من المشاركة في النهضة الفكرية والثقافية والاجتماعية، وهٰذا تدليس وكذب فإن المرأة المسلمة ٱشتركت في القتال مع الجيوش وفي جلب الماء وفي التمريض للمجاهدين، وأم حرام -رضىٰ الله عنها- سافرت في أول أسطول إسلامي مع زوجها لفتح قبرص وركبت هناك فرسًا، وجمح بها وألقاها على الأرض وماتت

شهيدة، والمرأة المسلمة جاهدت مع رسول الله وهاجرت الهجرتين وتحملت تبعات الدعوة إلىٰ الله، ولم تكن في حاجة إلى العري والسفور، بل إن أوائل الثانوية العامة هٰذا العام بالذات كانت الغالبية العظمىٰ منهم من الفتيات المؤمنات المحجبات، أفلا يعتبر هٰذا ردًا عمليًا علىٰ أعداء الحجاب والمحجبات؟

ويقولون: إن حبس المرأة المسلمة وراء الحجاب يمنعها من الزواج، وهٰذِه دعوىٰ لا دليل عليها ولا برهان، ولا ندري من قال لهم: إن الإسلام حبس المرأة بحيث لا تخرج من بيتها فهٰذِه مزاعم غير صحيحة على الإطلاق، وقد أثبتت التجارب والواقع أن جميع الرجال يبحثون عن الزوجة الشريفة المحافظة الملتزمة، التي لم تختلط ولم تبتذل طوال حياتها، وهٰؤلاء الذين ينكرون علينا هٰذِه النظرة للمرأة هم أنفسهم يلهثون دائمًا وراء العفيفات للزواج، وهم يثورون ويغضبون لو علموا أن زوجاتهم اختلطن برجل واحد طوال حياتهن، أما المرأة السافرة المبتذلة فهم يرضونها في ميدان آخر، في النوادي والحفلات والسهرات وعروض الأزياء، وقد يكتبون عنها مقالات مطولة، ويمنحونها الجوائز والمناصب ويصفقون لها، لكنهم مع كل ذلك لا يقبلونها ربة لبيوتهم ولا شريكة لحياتهم ولا أمًا لأولادهم، فهٰذا شيء وذاك شيء آخر.

إن التجارب التي وصلت إليها البشرية والثمار المرة التي جنتها حين أباحت الاختلاط والسفور لتهتف كلها بالمسلمين: أن عودوا إلىٰ دينكم؛ لأنه من عند الله العليم بما يصلح البشرية.

وهٰذِه كاتبة أمريكية هليسيان سنانسيرى- التي تخصصت في دراسة مشاكل الشباب تقول بالحرف: إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخليق به أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الشاب والفتاة في حدود المعقول،

وتحتم عدم الإباحية الموجودة عندنا في الغرب، هٰذِه الإباحية التي هددت الأسرة في أوربا وأمريكا، فالقيود التي يفرضها المجتمع العربي صالحة ونافعة؛ لهٰذا أنصح أن تتمسكوا بها، ٱمنعوا الٱختلاط، بل ٱرجعوا إلىٰ عصر الحريم والحجاب فهو خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا.

ثم تقول: إن الإباحية عندنا هددت الأسرة وزلزلت القيم والأخلاق، إن الفتاة الصغيرة عندنا أقل من عشرين سنة تخالط الشباب وترقص وتشرب الخمر، والسجائر وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والإباحية، فهل بقي شيء؟ هٰذا هو حديث ٱمرأة غير مسلمة، ولكنها عاقلة، فهل يفيق السكارىٰ؟ وهل يدرك الساخرون بالمسلمة أعباء جريمتهم؟ أما لهٰذِه الأمة عليهم من حقوق؟ فهل تكف عن منع المحجبة من المعهد والمدرسة والجامعة ولا نضيق عليها؟ ألا ينتهي من يقيم السدود ويضع العقبات أمام المؤمنات؟ وماذا يقول هؤلاء وغيرهم حين يسألهم ربهم ﷻ لحساب من تجرمون في حق المرأة وتحاولون تحويلها إلىٰ سلعة للترفيه والزينة؟

إن التخلف والرجعية والانتكاس لن تكون أبدًا فيمن ٱتبع أمر الله ووقف عند حدوده وصان شرفه وعرضه وأسلم قياده لربه، إنما يكونون فيمن ٱفترىٰ وكذب واعتدىٰ وظلم المؤمنة التي تسلك طريق الله المستقيم.

يقول د/ نور الدين عتر[١]:

في عدة بلاد تُمنع المرأة من ستر رأسها أيضًا وهٰذا إمعان في الضلال ممن يأمر بذلك، والعجيب أن يكون شعار بعض هٰذِه البلاد أو

---

(١) «عمل المرأة واختلاطها» ص ٧٦-٨٠.

شعار هٰذِه البلاد كلها الحرية، وهٰذا نفاق وكذب وضلال عظيم ودجل، أين الحرية ولا يستطيع الإنسان أن يلبس ما يريد في حق نفسه ثم هناك من يفلسف ذلك بالتحرر، تحرير المرأة المسلمة، قولوا لنا من ماذا تتحرر وتتخلص؟. هل تتخلص من قانون النفقة الواجبة؟ هل تتخلص من إنفاق الزوج عليها؟ ولا يوجد هٰذا القانون في معظم دول العالم الآن، معظم دول أوربا وأمريكا، لا يوجد قانون يلزم الرجل أن ينفق على المرأة، فلا تستطيع أن تقاضيه أن ينفق عليها، بل تجبر أن تعمل وتشارك الرجل في النفقة، وفي كثير جدًا من الأحيان تكون هي المنفق والرجل هو المتمتع، يأخذ مرتبها عند القبض يوم ٱستلامها ويذهب إلى الخمارة؛ لينفقه على الفجور والخمور، ووظيفتها الكد والسعي. مم تتحرر؟ ولماذا لا يحدثنا هٰؤلاء عن تحرير المرأة عندهم؟ لماذا لا يسعون إلىٰ تحرير المرأة غير المسلمة من الظلم الٱقتصادي والاجتماعي، وظلم الٱعتداء علىٰ عرضها، وأن تدفع دفعًا رغم أنفها لتعمل حتىٰ تكسب قوتها الضروري؟ لماذا لا يتحدثون عن ذلك الظلم ويتحدثون عن أمر لا لزوم له للمرأة المسلمة، إنما حاجتها وضرورتها أن تزداد تمسكًا بدين الله ﷻ، ثم الحجاب- بأي مذهب أخذناه- لا يمنع المرأة من نشاط علمي وتعليمي أو مهنة أو تجارة؛ فجواز الأعمال المدنية عامة متفق عليه بين الفقهاء، ومارست النساء عبر التاريخ هٰذا الحق، لم يعوِّق الحجاب المرأة عن ذلك إطلاقًا، لٰكن نحن نستشكل أمرًا ليس له وجود؛ لتصورنا نظام الحجاب علىٰ غير ما هو عليه، والله تعالىٰ أعلم.

ونضيف إلىٰ ما ذكرناه جوابًا علىٰ هٰذِه المداخلة فنقول للأخوات القارئات:

إن الله تعالىٰ- جلت حكمته- لما وسع للمرأة مجال المشاركة في

أعمال وتجارات وحرف ومهن، أحكم شريعته عن الفساد وأكمل حكمه أن يدخله نقص، ففرض على المرأة ما يجعلها تعمل في هٰذِه الحقول بمجرد ذاتها بعيدًا عن تدخل أنوثتها، وما في أنوثتها من إغراء وإثارة للرجال، فمن أجل ذلك فرض عليها الحجاب. إن نظام الحجاب إعزاز للمرأة بأن تُعامل علىٰ موهبتها وقدرتها التي تشترك فيها مع الرجل، وتسابقه بها بعيدًا عن ٱستغلال الرجل فرصة عملها هٰذِه، أو ٱستغلالها هي أنوثتها للتقرب بعامل ٱجتذاب الأنوثة أو الغريزة.

وهنا يظهر فرق عظيم جدًا بين إسهام المرأة المسلمة في التنمية الحضارية وإسهام المرأة الأجنبية اليوم.

فالمرأة الأجنبية ومن يقلدها من نساء المسلمات يمتزج عملها باشتراك أنوثتها، وذلك باب فساد كبير في الأخلاق والمجتمع وهو في الحقيقة إهدار لقيمة عملها ونبوغها وتفوقها؛ لأن ذلك كله ٱمتزج بصفة الأنوثة وذاب فيها.

فإذا ألقت ٱمرأة أجنبية بحثًا علميًا، ووقفت متزينة، وتمايلت رائحة غاديةً لم تجد في نظرات الحضور إليها إلا آثار ٱجتذاب الأنوثة، وبالتالي تكون نتيجة هٰذا البحث دعوة لترفيه يدعوها إليه بعض الحضور.

وإذا أنجزت صنع شيء أو أتقنت أداء عمل لم يكن تقويمه بحسب جودته بل بحسب صفات الأنوثة فيها، وذلك لا شك إهدار لكرامتها في هٰذا الجهد وذلك الإتقان أو الإبداع.

أما المرأة المسلمة فإن الحجاب لا يحرمها المشاركة والعمل إلا فيما لا خير لها فيه، فإنها تؤدي ذلك العمل النافع وقد أبرز الحجاب شخصها كإنسان وأبعد إثارة أنوثتها، فيتوجه الكل إليها رجالًا ونساءً يشاطرونها الفكرة في البحث العلمي أو الخبرة في التجويد العملي في

العمل الذي قامت به، وبذلك تفرض علىٰ من تعاملهم النظرة المجردة إلىٰ مقدرتها في العلم، أو الإتقان والإبداع في العمل بعيدًا من أن يتسفلوا بها إلىٰ درك الغريزة والجنس، وقد تبين بذلك الردُّ على المتشددين الذين يحظرون على المرأة العمل كيف كان، وإن الشرع الإسلامي على العكس مما يقولون، قد أعطى المرأة حق العمل لكسب المال؛ لتعيل نفسها أو تعين أهلها وتكسب الثقة بنفسها وتشغل فراغات وقتها في حدود مأمونة هي شريعة ربِّها.

أنانية الرجال هي الدافع إلىٰ مقاومتهم لحشمة النساء:

يقول د/ البوطيٰ[(١)]:

ترى ما الذي يكمن وراء دعوة طائفة من الرجال النساء إلى التخلي عن قيود الحشمة طبق الضوابط الشرعية التي فرضها الله؟..أهو حقًا الغيرة علىٰ مصالح المجتمع، والرغبة في تحرره عن قيود التخلف، والدفع به إلىٰ مراقى السمو والتقدم؟

أعتقد أن اُفتراض كون الدافع لهم إلىٰ ذلك هٰذِه الغيرة المخلصة الصافية، على المجتمع أو على المرأة من الطرافة بمكان. وأعتقد أن الذي يجزم بهٰذا الاُفتراض ويطمئن إلي أنه هو الحق، يعاني من قدر كبير من السذاجة.

إن الذي يحضر حفل اُستعراض فني ينتقي من هٰذِه الحفلات أكثرها إثارة وعرضًا للمفاتن.. فهل في الناس من يشك في أنه إنما يبحث في ذلك عن هوىٰ نفسه وإشباع غريزته؟ ومن ثم فإنه إنما يعبر بذلك أصدق تعبير عن أنانيته؟ وهل في العقلاء من إذا رآه وقد ألهب كفيه بالتصفيق إعجابًا

(١) المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني ص١٦٦-١٧١.

بالعارضات وعروضهن، وقرَّ في نفسه واستقر في عقله أنه محب لهن غيور علىٰ مصالحهن مُضح بنفسه من أجلهن؟

الأمر كما هو واضح ليس أكثر من الٱهتمام بالذات، عن طريق ٱستخدام الآخرين.

ولنأت بمثال أقرب إن الذي يعجب بدار يسعىٰ إلى ٱمتلاكها، أو أثاث رائع يسعىٰ إلى ٱقتنائه، تمامًا كالذي يعجب بالمرأة ويسعىٰ إلىٰ مد جسور المتعة بينه وبينها، ويعمل علىٰ أن تبرز أمامه بأبهىٰ زينتها وكامل مغرياتها، إنما يعبر بكل ذلك عن ٱهتمامه بذاته وحبه لنفسه، وإدارة كل ما قد تمتد إليه يده من الرغائب والمتع، علىٰ محور شخصه.

فهل هٰذا يدخل بشكل ما في المعنى الإنساني والحقيقي للحب؟ معاذ الله.

الحب أن يرى الإنسان ذاته في الآخرين، أي أن يرىٰ في رعايته لهم سعادة لذاته.

أما أن يرى الإنسان الآخرين في ذاته، أي أن يرىٰ منهم أدوات لأهوائه ومتعه، فهي الأنانية في أصفىٰ معانيها ملفوفة ربما بأوراق من سلوفان الحب.

وكم هو ضروري وهام أن يدرك المجتمع الفرق بين هاتين الحالتين، وأن يعطي كلا منهما من المعاملة ما يستحق.

إذن فبوسعنا جميعًا أن نعلم أن الدعوة اللاهثة التي تنطلق من أفواه كثير من الشباب إلى الفتيات والنساء، بأن يتحررن من ضوابط الستر والحشمة وأن يمارسن حظوظهن في إبراز مفاتنهن في الأسواق والأندية والمجتمعات، إنما تحركها الرغبة ذاتها التي تدفع النظارة إلى البحث عن عروض فنية أكثر إثارة وعرضًا للمفاتن، والتي تدفعهم إلى التصفيق الحاد

كلما صافح الواقع المرئي هوىً متميزًا في نفوسهم.

أما عن مصلحة هٰؤلاء الفتيات أو العارضات، والغيرة علىٰ سعادتهن ومصيرهن، فلا وقت للبحث أو النظر في شيء من ذلك؛ إذ الداعون أو المصفقون، إنما يرون في فتنة هٰؤلاء الفتيات أنفسهم، ويمارسون السعي من خلال ذلك إلىٰ إشباع ذاتهم.

والمرأة هي التي تسقط ضحية ذلك كله في نهاية المطاف، لقد أحبَّتْ من خلال الطريق الذي دفعت إليه وراحت تبحث عمن يحنو عليها ويرعاها من خلال الشريك الجنسي علىٰ حد تعبير الكاتبة الألمانية المجيدة: (إسترفيلار)[1] ولكنها لم تعثر علىٰ من يجني منها ثمار متعته، ويرىٰ فيها الرعاية لذاته وغريزته، ثم يمضي باحثًا عن ثمار شهية أخرىٰ، في مثيلات لها أو أجمل منها.

وإن في مأساة المرأة الغربية نموذجًا بينًا يجسد هٰذا الذي نقول.

ولا شك أن كلا من الرجل والمرأة، في هٰذا المضمار محب لذاته باحث عن إسعاد نفسه، ولكن الرجل تغلب بقوته الخادعة فنال منها ما يريد وسخرها لتحقيق ذاته، وأما المرأة فغُلِبَتْ من جراء ضعفها واستخذت لسلطان رقتها، وسكرت بالأحلام التي بثت في مخيلتها، ثم صحت لتعلم الحقيقة المرة، لقد نالوا منها كل ما يريدون، دون أن تنال هي منهم بعض ما تريد!!

لعل في القراء من يظن أنني أنسج هٰذا الكلام من ضباب الوهم

---

(١) أ. فيلار: طبيبة، درست الطب في جامعة «ميونخ» بألمانيا الغربية، ثم تركت عملها في الطب وتفرغت للكتابة والتأليف، تمتاز كتاباتها بالتحليلات النفسية المعمقة لعلاقة ما بين الرجل والمرأة، من أبرز كتبها «الرجل المروض» و «حق الرجل في التزوج من أكثر من واحدة»، وهي من مواليد ١٩٣٥م.

والخيال، ولٰكن الواقع أنني أضع من هٰذا الكلام صورة مصغرة جدًا لواقع مرير كبير، تضيق الصفحات الطوال عن رسمه واستيعابه.

وفي جعبتي نماذج كثيرة لهٰذا الواقع، ومع أنني هنا لست بصدد ٱستعراضها، غير أن من المفيد، بل من الضروري فيما أعتقد أن أضع أمام القارئ نموذجًا واحدًا منها:

ذات يوم، قبل بضعة أعوام، دَخَلَت مكتبي في كلية الشريعة فتاة ٱصطنعت -فيما بدا لي- حجابًا سترت به جزءًا من شعرها. واستأذنتني أن تجلس فتقص علىٰ مأساتها، أملًا في أن أهديها إلىٰ مخرج أو أعينها علىٰ حل.

كانت خلاصة قصتها أنها نشأت في بيت لا يعرف للدين معنىٰ ولا ينضبط منه بأي قيم.. وتلقَّت تربيتها وثقافتها في المدارس فالجامعة، دون أي رقيب عليها أو ناصح مشفق عليها، قالت: وكان الشباب منذ مرحلة الدراسة الثانوية يحومون حولها، ويظهرون الإعجاب بها، ويدفعونها إلىٰ مزيد من التحرر من المظهر والسلوك، قالت: فاستسلمت لذلك كله، وتحول قلبي إلىٰ فندق علىٰ حد تعبيرها، يحتله الوافدون إليه من الشباب واحدًا إثر آخر.

وفي الجامعة ٱزدادت علاقتي مع الشباب ٱستجابة وعمقًا، وكان الكل معجبًا بما أتمتع به من التحرر في المظهر والسلوك، مع الضغط المستمر عليَّ بأن أزداد تحررًا وسعيًا إلىٰ تحقيق الذات وتعلقت تلك الأثناء بشاب منهم تراءىٰ لي أنني قد أحببته، وسيطر هواه علىٰ مجامع نفسي، إذ كان يؤكد لي صادق حبه وتعلقه بي، فعرضت عليه أن يخطبني من أهلي واقترحت عليه مشروع زواج، فأظهر الٱستجابة الكلية وأكد أن هٰذا هو مشروعه القائم في ذهنه، وأنه سيتقدم لخطبتي عما قريب،

وازدادت من جراء هٰذِه الثقة صلة ما بيننا قوة وعمقًا، وفي إحدى اللقاءات ٱستطاع أن يستلب مني أعز ما أملك، إذ كنت قد أيقنت بحبه ووثقت بوعده، وصدقت أحلامي بأنه الشاب الذي سأركن إليه وأحتمي به.

وتكرر من بعد، حصوله علىٰ مبتغاه، ورحت أذكره بالخطبة، وأستعجله بإنجاز الوعد، وراح هو يستمهلني ويتذرع بأعذار علمت فيما بعد أنه يختلقها.

وفي إحدى اللقاءات طالبته بإلحاح أن ينجز وعده في الخطبة، فألقىٰ إليَّ نظرة تفيض بالإزدارء، وقال: عندما أقرر الزواج سأبحث عن فتاة شريفة لا تجعل من نفسها ملهاة للشباب !!

طرقت سمعي هٰذِه الكلمة وكأنها صيحة كبرىٰ أيقظتني من نوم متطاول عميق، لأجد نفسي بين حشد من الناس العابثين بي والمخادعين لي، ورأيتني غريبة في هٰذا العالم حتىٰ عن أهلي الذين تركوني أهيم علىٰ وجهي كما أشاء، ومع ذلك فلو شكوت إليهم نتيجة إهمالهم لي وإعراضهم عني لتعرضت يقينًا لأسوأ أشكال الهلاك.

ثم قالت في غمرة التأثر: لقد أيقنت الآن أنني لو تحصنت بمبادئ الإسلام ونصائحه؛ لما نال مني أي دجال مخادع ولبقيت مكلوءة السعادة والشرف، ولست أدري ما الذي يمكن أن أفعله الآن.

قلت لها: أفكان من الضروري أن تمتحني أوامر الله وتخوضي غمار هٰذِه التجربة القاتلة كي تصلي أخيرًا إلىٰ هٰذا اليقين؟

ألم يكن يغنيك عن ذلك ما ينبغي أن يعلمه كل عاقل سلفًا، من أن هٰذا الدين ليس في مجموعه إلا جملة نصائح الإله الذي هو أرحم الراحمين يخاطب بها عباده المكرمين؛ كي يسعدوا برعايتها ويجدوا فيها

حماية لهم من كل سوء؟

لقد أعرضت عنه خلال السنوات التي مضت، وآثرت علىٰ أوامره وأحكامه الأنقياد لخداع العابثين، ولكنك ستجدينه على الرغم من ذلك يؤنسك في غربتك، وينقذك من بؤسك وآلامك، ولن يكلفك ذلك سوى الأصطلاح معه بصدق، والانقياد لأوامره ووصاياه جهد الأستطاعة بثقة واطمئنان.

قالت لي: إنني منذ اليوم أعاهد الله - تائبة نادمة- على الأنقياد لأوامره والخضوع لجميع أحكامه. ولن ألتفت بعد اليوم لخداع شيطان، ولن أستخذئ لأي من الأهواء والمغريات.

قلت لها: فترددي علىٰ بين الحين والآخر، وأعتقد جازمًا أن الله سيجعل لك من أمرك فرجًا ومخرجًا.

ومن أعاجيب لطف الله أنها ما إن غابت عني ثلاثة أو أربعة أيام، حتىٰ زارني شاب يشكو إلي أنه بحاجة إلىٰ زواج ولا يجد الفتاة الدّينة المناسبة وتبين لي أنه متدين وملتزم عن دراية ووعي.

قلت له: هل لك في فتاة يسرك شكلها وتطمئن إلىٰ دينها وسلوكها، ويكون لك في الزواج منها أجر كبير لا يناله إلا الصديقون، وأنا بذلك كفيل؟

فقال متحمسًا: نعم. من هي؟

شرحت له خبرها، ووضعته أمام جلية أمرها وأكدت له ثقتي بصدق توبتها. فازداد رضًا وانشراحًا. ووكل إليَّ مهمة إنجاز هٰذا الأمر على النحو الذي أريد. وسبحان مقلب القلوب، سبحان ربي الرحيم الودود الذي شرح الصدر ويسر الأمر، ومسح بيمين لطفه ركام الآلام الخانقة التي أطبقت علىٰ فؤاد تلك المسكينة التي ذهبت ضحية السماسرة،

سماسرة الدعوة إلىٰ التقدم والتحذير من التخلف.

وفقني الله، فجمعت بينهما؛ وفي جلسة واحدة تعارفا تحاورا وتعاهدا وتواثقا، وخطبها الشاب من أهلها حسب المألوف، وجمع الله بينهما في حياة زوجية رغيدة وسعيدة، تحت مظلة من الألتزام بتعاليمه المسعدة، وصدق الله القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾(١).

تلك هي عاقبة النصائح الماكرة، وهٰذِه هي ثمرة الأنقياد لتعاليم أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ﷻ.

هٰذا نموذج وفي الجعبة والذاكرة نماذج شتىٰ تزيد الإنسان العاقل يقينًا برحمة الله وفضله وحكمته ولطفه، كما تزيده تحذيرًا من مكر الماكرين، وخداع المستغلين الأنانيين.

إذن لم يكن فيما قد شرعه الله من حجاب الحشمة للمرأة ما ينزل بها عن درجة المساواة مع الرجل. بل العكس هو الصحيح، فإن ضوابط الحجاب هي التي حافظت علىٰ مشاركة المرأة للرجل مشاركة حقيقية فعالة في سائر القضايا الإنسانية والاجتماعية والعلمية المختلفة كما قد رأيت، وأن أنسلاخها عن ضوابط الحشمة التي هي ترجمة الحجاب الإسلامي، هو الذي هبط بها عن مستوىٰ هٰذِه الشركة، إلىٰ مستوىٰ فتاة المتعة وأداة الترفيه عند الرجال.

---

(١) الأنفال: ٢٤ .

شهادة الغرب عن الحجاب

مما لا شك فيه أن التبرج يتنافىٰ مع الأخلاق الحميدة مثل خلق الحياء الذي فطر الله المرأة عليه، كما أن التبرج يؤدي إلى ٱنتشار الفساد في البلاد حيث يترتب عليه إثارة الشهوات، بما يؤدي إلى ٱنتشار الزنا، بما يترتب عليه من عواقب وخيمة تعاني منها المجتمعات الآن، مما دفع الكثير من المفكرين والكتاب إلى المناداة بالتصدي لهٰذا التبرج الذي، لا يقل خطورة عن القنبلة الذرية كما قال المفكر (جورج بالوش هورفت) في كتابه «الثورة الجنسية» بحيث قال: والآن .. وبعد أن كادت أذهاننا تكف عن الخوف من الخطر الذري ووجود ستروثيتوم في عظامنا وعظام أطفالنا، لا يفتقر العالم إلىٰ عناصر بشرية تقلق للأهمية المتزايدة التي يكتسبها الجنس في حياتنا اليومية. وتشعر بالخطر إذ ترى العري وغارات الجنس لا تنقطع. اهـ.

يقول البروفيسور فون هامر:

الحجاب في نظر الإسلام، وتحريم ٱختلاط النساء بالأجنبي عنهن، ليس معناه ٱنتزاع الثقة بهن. وإنما هو وسيلة إلى الاحتفاظ بما يجب لهن من الاحترام وعدم التبذل. فالحق أن مكانة المرأة في الإسلام قمينة[١] بأن تغبط عليها.

ويقول هملتن أحد علماء الإنجليز وكتَّاب الغرب المعروفين: إن أحكام الإسلام في شأن المرأة صريحة في وفرة العناية برقابتها من كل ما يؤذيها، ويمس سمعتها، ويتناول كرامتها. ولم يضيق الإسلام في

(١) الجدير والخليق. ٱنظر: «المعجم الوسيط»، مادة (قمن).

الحجاب كما يزعم بعض الكتاب الغربيين، بل إنه تمشىٰ مع مقتضيات الغيرة والمروءة.

تقول لورافيشيا فاغليري[١]:

«اجتنابًا للإغراء بسوء السلوك ودفعًا لنتائجه يتعين على المرأة المسلمة أن تتخذ حجابًا، وأن تستر جسدها كله، ما عدا تلك الأجزاء التي تعتبر حريتها ضرورة مطلقة كالعينين والقدمين. وليس هٰذا ناشئًا عن قلة ٱحترام للنساء، أو ٱبتغاء كبت إرادتهن، ولٰكن لحمايتهن من شهوات الرجال. وهٰذِه القاعدة العريقة في القدم، القاضية بعزل النساء عن الرجال، والحياة الأخلاقية التي نشأت عنها، قد جعلتا تجارة البغاء المنظمة مجهولة بالكلية في البلدان الشرقية، إلا حيثما كان للأجانب نفوذ أو سلطان. وإذا كان أحد لا يستطيع أن ينكر قيمة هٰذِه المكاسب، فيتعين علينا أن نستنتج أن عادة الحجاب، كانت مصدر فائدة لا تثمن للمجتمع الإسلامي».

وجاء في مجلة حصاد الأخبار[٢]

«الاحتشام واجب» والا ستقوم الستائر بالمهمة!

يومًا بعد يوم يتأكد المتتبع لأخبار أجهزة الحكم ومراكز صنع القرار ورموزها في عالم السياسة والإدارة والتجارة والعسكر، إلىٰ جانب أخبار مشاهير الفن والإعلام، في العالم الغربي «المتقدم» أن الفساد الأخلاقي فيها لا يعرف حدودًا تفرضها الصفة الٱعتبارية للشخصية أو الجهة المعنية بحكم المركز الذي تشغله فمن فضائح الرشوة والعلاقات «المافيوية» في إيطاليا مثلا، إلىٰ فضائح التحرش الجنسي التي طالت أبرز رموز الإدارة

---

(١) نقلًا من كتاب: «قالوا عن الإسلام» ص٤٢٠ .

(٢) «حصاد الأخبار» ص ٨٩

الأمريكية إلىٰ جانب الجيش الأمريكي مرورا بالوزيرة «الحشاشة» الفرنسية والأخرىٰ «البريطانية» «الشاذة» يتواصل عرض مسلسل الفساد؛ ليكشف فصولا متتابعة «تبهر» العالم شرقًا وغربًا بالمجتمع «المدني» و«الحضارة» الغربية العظيمة!! وربما ما «يميز» تلك الأخبار فقط أنها واضحة ويجري تداولها بـ«حرية» بعد الكشف عنها رغم كل محاولات التغطية والتمويه. ولا يغيب عن البال هنا أن هٰذا الكشف لا يعود إلى التزام أخلاقي تحاول الهيئة الإعلامية المفترضة التأكيد عليه، بل هو غالبًا نتيجة لتضارب في المصالح بحكم علاقة الشخصية أو الجهة «المفضوحة» مع الجهات الممولة والمشرفة على المؤسسات الإعلامية، أو أنه لغاية الإثارة والتشويق وصرف اهتمام القراء أو المشاهدين عن مشاكلهم الحيوية.

ولعل خير مثال علىٰ ذلك ما أوردته صحيفة «صن داي تايمز» البريطانية عن إصرار ديف أيرلند نائب الحزب الديموقراطي في المجلس البلدي بمدينة أيست رايدنج في مقاطعة يوركشاير، بوجوب تغطية طاولات الاجتماع بستائر «للحشمة» من أجل إلزام الأعضاء من الجنس الخشن بالاهتمام بمجريات الاجتماعات، وليس اختلاس النظريات للسيقان العارية لزميلاتهم!!! وما يدعو للاستغراب أكثر أن متوسط أعمار النساء في ذلك المجلس يبلغ ٤٨ سنة، أي أنهن لسن أعمار فرقة «سبايس جيرلز» لكي يلهبن أفئدة هٰؤلاء الرجال الحمقى الطاعنين في السن بما يصرف أنظارهم، والقول لإحدى المسئولات النسائية.

وقال أيرلند -الذي طالب بوضع الملاءات على الطاولات-: «أعتقد أن جلوس الأعضاء الرجال الذين يحملون معدلات معقولة من هرمون التيستوستيرون مع زملائهم سيصرف نظرهم علىٰ نحو كبير (...) صحيح أن الرجال رجال، ولكن يجب أن نركز على العمل. وقد طرحت

هٰذِه المسألة لأني أعتقد أن الأعضاء من النساء لا يتوجب عليهن الذهاب إلى الاجتماع والقلق يساورهن حول طريقة جلوسهن. ورغم تأكيد بوب تريس زعيم الحزب الليبرالي أنه لا يعتقد أن النائب أيرلند يقصد بكلامه أنه محاط بثلة من كبار السن القذرين، إلا أن هناك بعض الأعضاء من النساء اللاتي يتعمدن الإثارة. ومنهن إحدى النائبات عن الحزب ذاته (كولين جيل) التي اشتهرت بـ«جسارتها» في انتقاء الملابس القصيرة الفاضحة، حيث علقت علىٰ هٰذا الإجراء الذي اعتقدت أنها المستهدفة من ورائه: «أرغب في إبراز (مفاتني) وصرف نظر بقية الأعضاء عن النقاشات السياسية الجارية. وأعتقد أنه من الواجب علىٰ من يمتلك شكلا جميلا أن يستخدمه.

وأنا فخورة بساقي ولا أريد تغطيتها بالملاءات.!! أما الأستاذ أرثر بولارد رئيس مجموعة حزب المحافظين في ذلك المجلس «المحترم» فقد قال في طرح يبدو منطقيًا: «من الطبيعي أن يلاحظ المرء السيقان، ولكنه أثناء حضوره جلسة عمل فإنه ينتقل بنظره عبر الوجوه لا تحت الطاولات، سواء أكان الذي أمامه رجالًا أم نساء.

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد استعراض هٰذا الخبر: ترىٰ أيهما أهم: ذاك الجدل حول الملاءات، أم ازدحام فصول مدارس البريطانية، أم تشرد أطفالها، أم معالجة مشاكل البطالة، والاختناقات الاقتصادية.

جاء في مجلة «الأزهر»(١) ما يلي:

من مجلة «الفتح» التي كان يحررها محب الدين الخطيب ننقل هٰذِه القصة:

---

(١) «مجلة الأزهر» الجزء الخامس رجب سنة ١٣٩٦هـ.

في عام ١٩١٧ جاء القيصر ويلهلم إلى الأستانة يزور حليفه السلطان العثماني، فأرسل إليه الأتراك سربًا من الأوانس سافرات الوجوه بالزي الأوروبي يقدمن له باقة زهر، فتقبلها القيصر منهن ولم يقل شيئًا، ثم أول ما شاهد بعد ذلك الصدر الأعظم قال له: يا طلعت، أرسلتم لي بعض صبيات تركيات بالزي الأوروبي يقدمن لي باقة أزهار، أتظن أني أفرح برؤيتهن بهٰذا الزي؟

ثم قال له: يا طلعت، ٱعلموا أنكم أمة ليس لكم مكانة بين الدول إلا بالإسلام، أنتم لستم ذوي ثروة ولا عندكم صناعة ولا تجارة ولا وسائل مادية كما عند الأمم الأوروبية، ولكنكم معدودون من الدول العظام بسبب واحد هو أنكم علىٰ رأس الإسلام، والإسلام مئات من الملايين، فإذا أبحتم السفور لنسائكم وعبثتم بعادات قومكم آسفتم العالم الإسلامي الذي كل أهميتكم قائمة به ونفر منكم المسلمون، فلا تفعلوا هٰذا، فإنكم تصبحون علىٰ ما فعلتم نادمين، ثم إن الشرف عندكم شيء جميل، فلماذا تعدلون عنه؟!

وهو لباس ٱقتصادي يستر المرأة ويغنيها عن ٱتخاذ فستان كل ثلاثة أشهر مرة وأنتم لا تقدرون أن تبذخوا بذخ الأوروبيين. هٰذا ما قاله ويلهلم لطلعت، وهٰذا رواه لنا. ثم قال مثله للأمير سعيد حليم وأوصاه بالمحافظة على التقاليد الإسلامية القديمة، وقال له: نجاتكم إنما هي بها.

وقال له: «أنا وبعض بيوتات في بلادنا نحافظ علىٰ تقاليدنا القديمة، ولكن قد غلبت علينا المآخذ الجديدة التي أخشىٰ بها فساد المجتمع الأوربي كله».

ولقد أصاب الإمبراطور في كلامه. يريد أن يقول لنا: لا تجمعوا بين الفقر وفساد الأخلاق؛ فإنه باعتراف جميع الأتراك ودعاة التجدد منهم:

كان رقص النساء وتغيير الزي هما أكبر أسباب الأزمة الاقتصادية في تركيا.

وذلك أنهم أرادوا أن يقلدوا أناسًا هم ليسوا ذا ثروة كثروتهم فظهر عوارهم حالًا. أما المفاسد المعنوية لذلك فقد ظهرت بتناقص النسل وكثرة الانتحار وقلة الزواج وجميع المضار التي يعرفها كل من اطلع على حقيقة أحوالهم. اهـ.

ولقد نشرت صحيفة الجمهورية المصرية بتاريخ ٩يونيو ١٩٦٢م تحت عنوان: «كاتبة أمريكية تقول: امنعوا الاختلاط وقيدوا المرأة».

ونلخص المقال فيما يلي: واسم الكاتبة (هليسيان سنانسيري) الصحفية، زارت الجامعات ومعسكرات الشباب والمؤسسات الاجتماعية في مصر، فكان مما قالته: «إن المجتمع العربي مجتمع كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشباب في حدود المعقول، فعندكم تقاليد تحتم عدم الإباحية الغربية التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا؛ لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب.

وقد ذكرت في مجلة أمريكية هذه الأسباب التي لا تزال تؤدي إلى رواج الفحشاء، وقبولها هناك بالكلمات الآتية:

«عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثالوثها بدنيانا اليوم، وهي جميعها في تسعير سعير لأهل الأرض:

أولها: الأدب الفاحش الخليع الذي لا يفتأ يزداد في وقاحته ورواجه بعد الحرب العالمية بسرعة عجيبة.

والثاني: الأفلام السينمائية التي لا تزكي في الناس عواطف الحب

الشهواني فحسب. بل تلقنهم دروسًا عملية في بابه.

والثالث: ٱنحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء، الذي يظهر في ملابسهن، بل في عريهن، وفي إكثارهن من التدخين واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام، هٰذِه المفاسد الثلاثة تسير فينا إلى الزيادة والانتشار بتوالي الأيام، ولابد أن يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصرانيين وفناؤهما آخر الأمر، فإن نحن لم نحد من طغيانها فلا جرم أن يأتي تاريخنا مشابهًا لتاريخ الرومان ومن تبعهم من سائر الأمم الذين قد أوردهم هٰذا الاتباع للأهواء والشهوات موارد الهلكة والفناء، مع ما كانوا فيه من خمور ونساء ومشاغل رقص ولهو وغناء.

في كتاب «تاريخ الفحشاء» A History of prostition لجورج رائيل إسكات - هٰذا الإنكليزي الذي يكتب وهو يشير إلىٰ حالة بلاده في الغالب: «عدا النساء اللاتي لا يملكن من وسائل الكسب غير أن يبعن أجسامهن، هناك كثرة كاثرة - لا تزال تزداد من النساء اللاتي يملكن وسائل أخرىٰ لاكتساب حاجتهن، ومع ذلك يتعاطين البغاء حرصًا علىٰ زيادة الإيراد، وهٰؤلاء لا يختلفن عن عامة البغايا والعواهر في شيء، ولٰكن لا يطلق عليهن هٰذا الاسم بل لنا أن ندعوهن: العاهرات غير المحترفات.Amateur prostituees وقد بلغ عدد هٰؤلاء العاهرات غير المحترفات في هٰذِه الأيام مبلغًا لم يعهد قط فيما قبل، فهٰؤلاء يوجدن في كل طبقة من طبقات المجتمع، من الدنيا إلى العليا، ويبلغ من نخوتهن أنك إن دعوت إحداهن عاهرة ولو بكناية، ثارت ثائرتها غضبًا، إلا أن غضبهن ما كان ليغير من وجه الحقيقة شيئًا، والحقيقة الواقعة علىٰ كل حال هي أنه لا فرق بينهن وبين بغي ماجنة من بغايا (بكاديلي) من الوجهة الخلقية، وقد أصبح تعاطي الفجور وعدم التصون بل ٱتخاذ الأطوار السوقية معدودًا عند فتاة العصر من أساليب العيش المستجد (Fashion)، ويدخل في هٰذه

الأساليب أيضًا: التدخين، واستعمال الخمور الحامضة، وصبغ الشفاة بالإصبع الحمر، وإظهار الخبرة بالمعلومات الجنسية، وتدابير منع الحمل، والتحدث في الأدب الفاحش. ولا تزال تكثر النساء اللاتي يزاولن العلاقات الجنسية قبل الزواج من غير ما تحرج، وفي حكم النادر والشاذ وجود الأبكار اللاتي يكن في الحقيقة والواقع أبكارًا عندما يعقدن النكاح -عقد الوفاء الأبدي- أمام منبر الكنيسة».

ويمضي هٰذا الكاتب في بحثه، فيحلل في مقام آخر الأسباب التي قد أفضت بأحوال المجتمع إلىٰ هٰذا الحد المتطرف، ومن الأحرىٰ أن نسرد تحليله ذلك في كلماته هو:

«أولها هٰذا الولع الفاحش بالتبرج، الذي قد بعث في نفس كل فتاة أشد الحرص على الأشياء الفاتنة الغالية من أحدث الطرز، وأدوات الزينة والزخرفة من شتى الأنواع، وهٰذا من أكبر أسباب هٰذِه الفحشاء غير المحترفة، فكل من له عينان بصيرتان ينظر أن من تمر به ليل نهار من مئات الفتيات وآلافها كثيرًا ما يكون عليهن من الملابس الفاخرة الثمينة مالا يمكن أن تتسع له مكاسبهن الطيبة؛ ولذلك يصدق القول في هٰذِه الآونة أيضًا كما كان يصدق قبل نصف قرن، أن تلك الأزياء الفاخرة لا يشتريها لهن إلا الرجال، أما الفرق بين هٰذِه الآونة وتلك الأيام، فهو أن كان الذين يشترون لهن تلك الملابس إذ ذاك هم بعولتهن أو آباؤهن أو إخوتهن، والذين يشترونها لهن الآن هم رجال آخرون غير أولئك».

«وأن لحرية النساء أيضًا يد لا تنكر في إيجاد هٰذِه الأحوال، وقد بلغ من ضعف رعاية الآباء ورقابتهم لبناتهم أن قد تهيأ لهن من الحرية والانطلاق ما لم يكن ميسورًا حتىٰ للأبناء قبل ثلاثين أو أربعين عامًا».

«والسبب الآخر الخطير الذي قد عمت لأجله الفوضى الجنسية في

المجتمع أن النساء لا يزلن يتهافتن على الأشغال التجارية ووظائف المكاتب والحرف المختلفة، حيث تسنح لهن فرص الاختلاط بالرجال صباح مساء، وقد حط ذلك من المستوى الخلقي في الرجال والنساء، وقلل جدًا من قوة المدافعة في النساء لاعتداءات الرجال علىٰ عفتهن، ثم أطلق العلاقة الشهوانية بين الجنسين من كل القيود الخلقية، فالآن أصبحت الفتيات لا يخطر ببالهن الزواج أو الحياة العفيفة الكريمة، حتىٰ صار اللهو والمجون الذي كان يطلب في الزمان الغابر أوغاد الناس، تطلبه كل فتاة اليوم، وأمست البكارة والفتوة شيئًا من آثار الماضي يئود حفظهما فتاة العصر الجديد، فليست متعة الحياة عندها إلا أن يعب المرء كأس اللذات إلىٰ صبابتها في الشباب، فهي تسعىٰ وراء تلك اللذات، وتبحث عنها في المراقص والأندية الليلية والفنادق والمقاهي، وربما أمعنت في بحثها هٰذا إلىٰ أن تصحب رجلًا أجنبيًا إلىٰ نزهة نازحة في السيارة، وبذلك تُلقي بنفسها راضية مختارة إلىٰ بيئة وأوضاع تشعل النزعات الجنسية إشعالًا، ثم هي لا تخاف النتائج الطبيعية لذلك، بل ترحب بها وتستقبلها بطيبة النفس»[1].

مجلة «التايمز» الأميركية تدعو إلىٰ لباس المسلمات:

لقد نشرت مجلة «التايمز» الأميركية في عددها الصادر في ١٢/ ١١/ ١٩٩١ مقالة لكاتب يطالب فيها الدولة بالتدخل وإقناع النساء بارتداء ملابس محتشمة، والملابس الإسلامية خاصة.

وتناولت «التايمز» هٰذِه الدعوة بمناسبة الضجة التي أثيرت حول ازدياد موجة الاعتداء على السكرتيرات والمجندات حيث رأىٰ كاتب

---

(١) «الحجاب» للمودودي ص٦٨ وما بعدها.

المقال أن إلزام النساء أو نصحهن بارتداء الملابس الإسلامية سيعود عليهن بالخير الكثير، ويحدّ من ثم من الاعتداءات الجنسية وغيرها من الممارسات الخاطئة.

وقد دعت أيضًا شرطة مانشستر إلى الحجاب. جاء هٰذا في مجلة النهضة عدد ١١٨١ في ١/ ١٢/ ١٤١٠هـ وذكر في الخبر أن الهيئة العامة للشرطة تنظم حملة متعددة الجوانب؛ للحد من هٰذِه الجرائم (حوادث الاغتصاب) فأصدرت كتابين:

الأول: منهما يحمل عنوان «نصائح بسيطة للمرأة عن العنف الجنسي».

الثاني: بعنوان «نصائح بسيطة للرجل لتحاشي العنف الجنسي مع النساء».

وركز كتاب النساء علىٰ إزالة دواعي الاغتصاب، ولا سيما الملابس التي ترتديها المرأة سواء كانت طفلة أو فتاة، وطريقة ارتدائها لها، بل يصل المؤلف إلىٰ حد لوم المرأة على الخلاعة والكشف عن المفاتن، إلى الحد الذي يثير الشباب الصعاليك والمهووسين جنسيًا، ويقول المؤلف: إنه إذا اقتربت المرأة أو الفتاة من الحجاب، فلن يلهث وراءها أحد، وإلا فالمرأة أو حتى الطفلة هي الملومة أولًا وأخيرًا- لما يحدث لها.

فهٰذه هي أصوات الغرب الذي أطلق العنان للمرأة وأعلن الإباحية تنادي بالعودة إلىٰ الماضي بعد أن تجرع الغرب جزاء ما اقترفت يداه وصدق الله إذ يقول: ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابًا شديدًا وعذّبناها عذابًا نكرًا * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خُسرًا﴾[1]

---

(١) الطلاق: ٨-٩.

ثم بعد ذلك نجد سفهاء القوم منا يخرجون علينا وينادون بتقليد الغرب وإعلان الإباحية بالرغم مما أكده الغربيون أنفسهم من خطر التبرج والإباحية. أفبعد هذا كله سنظل نلهث وراء هذا التبرج وهذا الفساد؟

ماذا قلن عن الحجاب

تحجبت فزادني الحجاب جمالًا وحفظني من عيون الآخرين.

كاترين «هدى» بعد إسلامها

إن الدنيا تتراءىٰ لعين الناظر بالإيمان كتابًا مفتوحًا ذا معان في غاية البلاغة.

البريطانية «مريم ويلد» بعد إسلامها

أعيش في رضا وطمأنينة كبيرتين، وأحمد الله علىٰ أن هداني إلى الإسلام.

الألمانية «سالمة»

ارتديت الحجاب فور إسلامي استجابة للأمر الصريح في القرآن الكريم.

الألمانية «خديجة»

عندما أسلمت أصررت على ارتداء الحجاب الكامل من الرأس إلى القدم.

من كتاب «دوافع الغربيات لاعتناق الإسلام» لـ هـ.بول

حياتي بدأت عندما أسلمت، وسنوات عمري الماضية لا قيمة لها.

الفلبينية «إيمان»

عرفت الكثير وأنا أذرف الدموع، وشعَّ نور الإيمان في قلبي، وانتابني شعور خفي لم أكن أشعر به من قبل.

الدانمركية «مريم»

لا نتوقع توقف الاْعتداء الجنسي (SEX HARASSMENT) على المرأة بمخاطبة سمو أخلاقيات الرجال، وضبط أنفسهم فقط، ما دامت تنورتها القصيرة (SHORT SKRIS) تفسَّر -عندهم- أنها تقول: «هلموا إليَّ إن أردتموني».

خولة اليابانية المهتدية إلى الإسلام

لا أريد أن أتحدث، ففرحي بالإسلام لا يوصف أبدًا، ولو كتبتم كتبًا ومجلدات لن تكفي لوصف شعوري وسعادتي، أنا مسلمة، مسلمة، مسلمة. قولي لكل الناس إنني مسلمة وسعيدة بإسلامي، قولي لهم عبر وسائل الإعلام كلها: «تيريز» اليونانية أصبحت «خديجة» بدينها، بلباسها، بأعمالها، بأفكارها.

اليونانية «تيريز»

«خديجة» بعد إسلامها

لم أسعد في جانب من جوانب حياتي الإسلامية سعادتي بقوامة الرجل، أنا سعيدة جدًا بهذِه القوامة، فخورة بها، أنا اْمرأة ويهتم بي رجل، أعيش معه في سكينة وهدوء، ولا أصدق نفسي أنني لم أعد مسئولة عن لقمة العيش، ولا عن الشراء ومعاكسة الباعة، ولا طوارق الليل والنهار.. معي رجل يحميني، يدافع عني، أتحدى العالم بقوته ونتحداه بإسلامنا.

الدانمركية «مؤمنة»

الحجاب..شعار تحرر.
الحجاب يوفر لي مزيدًا من الحماية.
الحجاب إعلان عام بالالتزام.

بريطانية مسلمة

الحجاب جزء مني، من كياني، فقد ٱرتديت الحجاب قبل أن أسلم لإحساسي أنني أحترم نفسي وأنا أرتديه، فلا أعرض جسدًا ولا مفاتن، بل أبحث عن حياة كريمة.

طبعًا لم يكن حجابي قبل إسلامي مثله الآن، فالآن وبعد أن هداني الله إلى الإسلام، فقد أتقنت حجابي كله: الوجه واليدين والقدمين، ولون الحجاب، وكذلك سمكه، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

الألمانية «مؤمنة»

ليست لعبة للرجل

الحجاب ٱتباع للقرآن، فالله تعالىٰ فرض هٰذا ونحن نطبق ما يقول، ثم إن هٰذا للحفاظ على العائلة واحترام المرأة لنفسها، وهو ٱحترام يكنه الآخرون لنا أكثر من ٱحترامهم للتعري.

وفي هٰذا المجال أود أن أقول: إن الإسلام وضع المرأة في زي خاص، بينما الغرب يطلق للمرأة حرية أن تتعرىٰ ما تشاء، والإسلام له فلسفة تقوم علىٰ تكريم المرأة وعلى ٱعتبار أنها ليست سلعة كاللحم المعروض في محلات الجزارة، فالمرأة لها شخصيتها ولها كرامتها، يجب أن لا تُظهر محاسنها ومفاتنها إلا لزوجها.

والفلسفة الأوروبية القديمة كانت تعتبر أن المرأة لها روح، ولكنها خُلقت لمتعة الرجل، أي أنها لعبة الرجل؛ فلذلك يطلب منها أن تعري بعض أجزائها المغرية لإرضاء نهم الرجل وشهوته. لٰكن الإسلام لم يجعل المرأة لعبة للرجل، إذ أن لها كرامتها، ولا يصح أن يلعب الرجل بجسم المرأة أو يتخذها ملهاة، فهي مكرمة محترمة، وعليها أن تصون جسمها من أن يكون نهبًا مقسمًا للرجال لذلك طلب منها الإسلام أن تغطي ما

يمكن أن يكون مغريًا للرجل حفظًا لها وحفظًا للرجل، ولا يريد للمرأة أن تكون عاملًا من عوامل الإثارة، لذلك يريد من المرأة أن تكون في الشارع إنسانة محترمة ساترة لجسمها في الزي الإسلامي الذي فرضه عليها.

النرويجية

أسماء انسفيرول

اكتسبت احترامًا شديدًا

«الإيمان هو الألتزام بالكتاب كله، ومن ثم فقد أرتديت الحجاب فور إسلامي أستجابة للأمر الصريح في القرآن. وقد حوصرت من الجميع بحملة شرسة من الأستهزاء والسخرية.

وكان والدي أشد من صدم بهٰذا التحول الرهيب في حياتي، وكان محرجًا للغاية من ملابسي الجديدة- أقصد من حجابي- وحاول أن يثنيني عن طريقي بكل السبل لكنه فشل، وأدرك في النهاية أنني أرفض أن أكون من (المنافقين) وأنني قد أقتنعت واعتنقت هٰذا الدين تمامًا وإنني أبذل ما أستطيع لأن تصبح حياتي تسير وفق التصورات والتعاليم الإسلامية، ومن ثم فقد رضخ في النهاية وقبلني علىٰ ما أنا عليه، بل أيقن أن الإسلام شيء آخر يختلف كثيرًا عن سلوك وأفكار الكثيرين من المنتسبين إليه ورغم عدم إيمانه بالله العظيم إلا أنه أصبح أكثر إعجابًا بالإسلام، بل صار يدافع عني بكل قوة ضد كل من ينتقدني.

لقد عاملني زملائي في المكتب كما لو كنت آتية -بحجابي- من العصور الوسطىٰ، وكنت أشعر بالهمسات والتعليقات والنكات علي، وكنت أدعو الله كثيرًا وأسأله الثبات والاستقامة، واستجاب الله العظيم لدعواتي، وبدأ الكثيرون في تغيير موقفهم نحوي، بل ونحو الإسلام كله،

وأصبح الجميع أقل حدة وكراهية وتعصبًا، وأغرب ما خرجت به من تجربتي في الحجاب أن هناك الكثيرات من النساء يعمدن إلىٰ سلوك معين لكسب ٱحترام الرجال إلا أنني بهٰذا الحجاب ٱكتسبت ٱحترامًا شديدًا، وخاصة بين الرجال بعد الحملة الشرسة التي واجهتها في البداية».

البريطانية المسلمة

«خديجة»

«أتذكر أني يوم لبست الحجاب وقاومتني أمي قلت لها: إن طاعة ربي قبل طاعتك. وقد عاهدت الله على الٱلتزام بالحجاب حتى الممات».

«أعرف ٱمرأة أرادت التحجب فمنعها أهلها. وهي تفكر في أن تقيم بعيدًا عنهم حتىٰ ترتديه».

الكندية

جاكلين فيمات

أحسست بالمسئولية

وبعد ٱنقضاء فترة علىٰ إسلامي ٱرتديت الحجاب الشرعي. يوم أن ٱرتديت الحجاب شعرت بالمسؤولية حقًا، فأنا مسئولة عن العمل بما أعلم.

ومسئولة عن البحث عما لا أعلم، أن أكون محجبة جسمًا خاوية فكرًا..لا يمكن. إنه ضرب من العبث والكذب والتدليس، وبدأت أجاهد نفسي وأصلح ما بيني وبين ربي مما هو بعيد عن أعين الناس بعد أن أصلحت ما بيني وبين ربي مما يراه الناس «الحجاب».

كنت مثلًا أتكاسل عن صلاة الفجر في وقتها، فبدأت أجاهد نفسي وأضبط المنبه؛ لأقوم لصلاة الفجر، وهكذا بدأت أحاسب نفسي في كل

صغيرة وكبيرة وأراقب الله في أعمالي..

الأميركية المسلمة

آمنة

الحجاب لا يمنعها من الزينة

الحجاب لا تلبسه جميع المسلمات، فلماذا تلبسينه أنت؟

- لأنني أخاف الله، وصلتي به سبحانه صلة قوية، وإنني أعمل كل ما في وسعي لأنال رضاه، وهٰذا هو الإخلاص.

ثم إن الحجاب طابع مميز للمسلمات، ويجعلهن معروفات كمتدينات، وهٰذا يجنبهن إساءة الناس.

هناك جانب آخر ملاحظ هنا في الغرب أن المرأة تتزين عندما تخرج إلى الشارع. الأمر على العكس في الإسلام تمامًا، المسلمة تتزين لزوجها وفي بيتها ولها مطلق الحرية في ذلك، بل يحثها الإسلام عليه، لكنها إذا خرجت إلى الشارع فإنها يجب أن تغطي نفسها وتحجب زينتها فلا تبديها. كذلك يجب على الرجل أن يغطي ما بين السرة والركبة، وأن يغض بصره عندما يرى امرأة؛ لأن هناك حياء متبادلًا بين الرجل والمرأة في الإسلام.

العلاقة بين الرجال والنساء لها عدة مزالق، والنساء الغربيات يظلمن الرجال، كما يظلمن أنفسهن بتحررهن، ظلم في الدنيا والآخرة، وأنا في غنىٰ عن هٰذا الظلم.

هل يضايقك بعض الناس عندما تذهبين إلىٰ محلات الشراء وأنت محجبة؟

- لا..! ولا أفكر بذلك كثيرًا ولا أهتم به. ولقد حصل هٰذا مرة حين صرخ أحدهم «ارجعي إلىٰ بلدك». فقد حسبني مسلمة ليست من أهل البلاد، فأجبته بلهجة نرويجية حادة: «لن يمر زمن طويل قبل سقوطكم

وتحطمكم». لكنني أفضل أن يمر هٰذا دون أي مضايقات من ذاك النوع. وعلىٰ أي حال فإنه من الخطر أن يضع الشخص لنفسه حفاوة زائدة.

الدانمركية بيرغليون رولدرون

(أمينة بعد إسلامها)

جعلني متميزة

«فوجئت كثيرًا (بعد زيارتها بلدًا عربيًا): رأيت الموضة الغربية تحتل مكان الحجاب».

«..منذ أن وضعت حجابي ومعارفي يتساءلون: صرت مختلفة تمامًا! وهٰذا يميزني كثيرًا عن الأخريات».

البلجيكية ميشلين هيمانز

(مريم هبة الله بعد إسلامها)

الحجاب يشعرني بالخصوصية والأمان

في مقابلة أجرتها معها مجلة «فانيتي فير» تدافع «حسنة» التي اعتنقت الإسلام في عام ١٩٨٨، تدافع عن الخمار الإسلامي فتقول: «إنه يشعرك بالخصوصية والأمان، ويعزز ثقتك بنفسك، وبإمكانك أن تفعلي ما تشائين في منتهى الحرية عندما تلبسينه».

قرأت هٰذِه العبارات الجملية للمسلمة البريطانية التي كانت نصرانية بروتستانتية، قرأتها فتمنيت أن تقرأها معي كل مسلمة زاهدة في الخمار رافضة له، وأن تتأمل في المعاني العظيمة التي تحملها.

«إنه يشعرك بالخصوصية».

أي والله إنه يشعرنا بالخصوصية، وما أجملها من خصوصية، خصوصية ترفعنا وتسمو بنا، وتجعلنا نشعر باعتزاز وفخر تفتقدهما كثيرات من اللواتي يكشفن رءوسهن وأذرعتهن وسوقهن، خصوصية تتمناها كل

فتاة تبحث عن التميز، التميز الإيجابي الرفيع السامي.

و«الأمان»، أي والله بالأمان، يشعرنا الخمار بالأمان الغائب عن نفوس ملايين النساء الغربيات. الأمان الذي ينسكب في النفس سكينة وراحة.

«ويعزز ثقتك بنفسك»، الثقة التي هي أساس كل نجاح، الثقة التي تُبنىٰ عليها الشخصية المتوازنة المعافاة من الإحباط والضعف والانهزام، وليت كل فتاة سافرة متبرجة يملأ نفسها القلق والفشل والمعاناة، ليتها تدرك هٰذِه الحقيقة الجميلة، حقيقة أن الخمار يمنحها ثقة هي أحوج ما تكون إليها.

وتبقى العبارة الأخيرة التي تصحح بها أختنا البريطانية المسلمة «حسنة» تصورًا خاطئًا أستقر في أذهان كثيرات من البنات والنساء، بأن الخمار قيد يقلل من حريتهن «بإمكانك أن تفعلي ما تشائين في منتهى الحرية عندما تلبسينه».

أجل، «في منتهى الحرية»، فالخمار ليس قيدًا قط، إنه في حقيقته يمنح حرية عظيمة، ليست حرية التفلت والتبرج إنما حرية الآلتزام، وقد لا تدرك قارئات كيف يكون في الآلتزام حرية، لكن المحجبة الواعية تدرك هٰذِه الحرية كل الإدراك، تدرك أن نظرة الناس إليها علىٰ أنها إنسان، لا علىٰ أنها شيء براق لامع ملون، تشعرها بالحرية. وأن حركتها المريحة في لباسها الساتر الفضفاض -لا في اللباس الضيق الكاشف- تشعرها بالحرية، وأن إحساسها بالأمان وهي ترتديه -لا في القلق من أن لا تعجب الآخرين بتكشفها- يشعرها بالحرية. وأن آرتداءه في دقائق أو لحظات متحررة من الساعة أو الساعتين اللتين تمضيهما السافرة المتبرجة في إعداد زينتها قبل الخروج من بيتها يشعرها بالحرية.

ما أعظم هٰذا الفهم، وما أجمل هٰذا التصور، وما أحسن هٰذا الإدراك لحقيقة الخمار الإسلامي، حقيقته التي تجهلها كثيرات من السافرات المتبرجات[١]!

كتاب محجبات الإسلام

كتاب «محجبات الإسلام» لهند التعارجي باللغة الفرنسية، والكاتبة صحفية، والكتاب عبارة عن ٱستطلاع صحفي فريد من نوعه يتضمن تسجيلات لاستجوابات مباشرة، قامت بها الكاتبة مع نساء محجبات ومنقبات وسافرات من جميع الٱتجاهات الفكرية والنقابية والمذهبية، ومن مختلف الأوساط الٱجتماعية حول موضوع الحجاب.

وتنقلت الكاتبة الصحفية من مصر إلى الإمارات العربية المتحدة والكويت ولبنان وتركيا والجزائر، ولم يفتها أن تستمع إلىٰ بعض الرجال أيضًا، والكاتبة وإن كانت ضد الحجاب ولا تخفي رفضها للإسلام عمومًا فإنها مع ذلك كانت مخلصة لمهمتها، وأثبتت التصريحات التي تخالف موقفها بأمانة، وإن كانت لا تترورىٰ في التعبير عن موقفها الرافض في التعقيبات التي تتخلل ما تثبته من تلك التصريحات.

والحمد لله، فإن موقفها السلبي هٰذا لم يؤثر علىٰ قيمة الكتاب. ونحن نعتقد أن هٰذا الكتاب وإن كانت صاحبته أرادت منه أن تكون إسهامًا ومشاركة في «نضال المرأة» ضد الحجاب وضد الوضع الذي ٱختاره الإسلام للمرأة فإنه سيأتي بنتيجة عكسية، وسيصبح هٰذا الكتاب بما تضمن من أقوال وآراء الفتيات المؤمنات خير دعاية للحجاب، وخير دفاع عن الشريعة في هٰذا الموضوع بالذات ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾

---

(١) «مذكرات ذات خمار» ص ٤٨-٥٦.

لقد كانت الكاتبة صريحة في التعبير عن ٱنتمائها الثقافي والفكري إلى الغرب وافتتانها بحضارته، وأنها ثمرة النظام التربوي الفرنسي.

لقد صرحت في غير ما موضوع من الكتاب بما يفيد شرعًا عدم ٱنتسابها للإسلام، وذلك مثل قولها في ص ٣٧ «وفي لحظة تركت نفسي أعترف بأنني من جهتي لا أمارس الإسلام في حياتي قطعًا وأكثر من ذلك فإنني لا أومن بأية عقيدة دينية»... ونعود إلىٰ نتائج ٱستطلاعها وثمرة ٱستجواباتها لنستفيد منها في التعرف على الأسباب التي تدفع المرأة المسلمة إلىٰ حمل الحجاب.

الملاحظة الأولىٰ: أول ما يلفت النظر أن الحجاب لا تلتزم به الفتيات الفقيرات أو الغير متعلمات أو الذميمات الخلقة أو الواقعات في الإحباط الاجتماعي لعلة فقط . . ، بل أكثر الفتيات اللواتي التقت بهن هٰذِه الصحفية من أسر متوسطة أو غنية، بل بعضها أرستقراطي ومن أساتذة الجامعات والناجحات في ميادين المال والأعمال والإدارة والجميلات بل والفاتنات.

والملاحظة الثانية: أن كثيرًا من هٰؤلاء النساء تمسكن بالحجاب رغم ضغط الأسر والوسط الاجتماعي والزوج في كثير من الأحيان لحملهن علىٰ خلعه.

والملاحظة الثالثة: أن هٰؤلاء النساء لسن كلهن من أتباع الجماعات الإسلامية ولا من المتطرفات بل أكثرهن ضد التطرف.

والملاحظة الرابعة: أن الحجاب في بعض الدول مثل دول الخليج هو الأصل ومرتبط بالتقاليد وأخلاق البلد والمرأة نفسها لا تتصور أبدًا أن تخرج مكشوفة.

والملاحظة الخامسة: التفاوت بين النساء بحسب الوسط الاجتماعي

في نوع الحجاب، فهناك من تكتفي بحجاب خفيف، وهناك من يرتدين التشادور أو البرقع أو النقاب... الخ

أما التفسيرات التي أعطتها المرأة المسلمة لالتزامها بالحجاب فتتلخص فيما يلي:

أولاً: المرأة المسلمة لا ترىٰ في الحجاب أي رمز لإخضاعها واستسلامها، بل على العكس ترىٰ فيه رمزًا لتحررها.

ثانيًا: أنها بالحجاب تبرز خصوصيتها كامرأة وتفرض شخصيتها.

ثالثًا: أنها بالحجاب تعلن عن هويتها وانتمائها إلى الإسلام.

رابعًا: أنها بالحجاب تشعر باطمئنان داخلي وأمن نفسي.

خامسًا: أن الحجاب يحمي المرأة من مضايقات الرجال والسيارات في الشارع.

سادسًا: أن الحجاب يساعد المرأة علىٰ مراقبة نفسها وضبط أقوالها وأفعالها.

سابعًا: الحجاب وسيلة لاختراق العالم الخارجي؛ لأن المرأة لو كانت تريد القعود في البيت وعدم المشاركة في الحياة العامة لما كانت في حاجة إلىٰ حجاب.

ثامنًا: لا يتعارض الحجاب مع العمل.

تاسعًا: الحجاب يحرر المرأة من الاهتمام الذي توليه عادة لجمال مظهرها ويجعلها تتفرغ للمهم.

عاشرًا: الحجاب لا يتعارض مع الأناقة. أ.هـ.

المحجبة متميزة بهدوئها النفسي ووعيها الكامل

جاء في رسالة نالت بها صاحبتها درجة الماجستير حول «الآثار النفسية والسمات الشخصية للحجاب»، أن أهم نتيجة ارتبطت بالسمات

الشخصية للفتاة هي أن غير المحجبات أكثر قلقًا من الفتيات المحجبات، أي أن فئة غير المحجبات أكثر انفعالية وتوترًا وإحساسًا بالقلق، وأنهن أقل اتزانًا وجدانيًا من فئة المحجبات.

وتفسر الباحثة واسمها آمال حسن هٰذِه النتيجة بأن التقرب والتوجه إلىٰ الله يحقق للفرد نوعًا من التوافق والارتياح الداخلي أو النفسي. كما أن الالتزام بالأخلاق الدينية يسهم في تحقيق خير وسعادة الشخص ويضفي على الشخصية نوعًا من الاتزان.

وتوضح الدراسة أن من أهم السمات الاجتماعية للفتيات المحجبات أنهن أكثر تمسكًا واهتمامًا بالنواحي والقيم الدينية من غير المحجبات.

وتشير الدراسة إلىٰ أن الفتيات غير المحجبات يسعين وراء الاستثارة التي تحقق لهم الاستمتاع بالحياة، مما يدفعهن إلى الكذب الذي هو نوع من المجاراة أو التشكيل الاجتماعي. وفي الوقت نفسه يحاولن أن يظهرن متمسكات بالقيم والتعاليم لإقناع أنفسهن - قبل الآخرين - بذلك، مما يزيد حدة الصراع الداخلي الناشئ بين رغباتهن الدنيوية.. وبين إحساسهن بالذنب والتقصير.

وتنهي الباحثة دراستها مؤكدة أن الفتاة المحجبة متميزة عن قرينتها غير المحجبة باتساقها مع نفسها، وهدوئها النفسي، ووعيها الكامل بأهداف الحياة، وتحديد أولويات هٰذِه الأهداف لخدمة المجتمع الذي تعيش فيه.

وتجدر الإشارة إلىٰ أن الباحثة حصلت علىٰ درجة الامتياز علىٰ رسالتها التي تقدمت بها إلىٰ كلية الآداب بجامعة عين شمس في القاهرة، وكانت قد أجرتها علىٰ مائتين وخمسين طالبة محجبة وغير محجبة تم

أختيارهن من سبع كليات مختلفة.(١)

حجج المتبرجات والرد عليها

وللأسف إن هناك كثيرًا من المسلمات المتبرجات لا يعترفن بخطئهن، بل يحاولن تبرير هٰذا الخطأ بالاستناد إلىٰ حجج وأسباب واهية لا تغني عنهن من الله شيئًا، وهاهي تلك الحجج الواهية، والرد عليها(٢):

الحجة الأولىٰ:

إن قلبي نظيف وطهارة القلب وسلامة النية يغنيان عن الحجاب، وهٰذِه الحجة يجاب عنها بما يلي:

(١) إن طهارة القلب وسلامة النية تقتضي أن تخضع الجوارح للاستسلام لامتثال أوامر الله والاجتناب عن نواهيه، ولا يجتمع صفاء الباطن وطهارة القلب مع الإصرار على المعصية، فالحكم على النية يأتي عن طريق الظاهر، فمن كان ظاهره الصلاح قيل: إن نيته صالحة، والعكس صحيح.

(٢) إن تصفية الباطن لو كان كافيًا لرضاء الله تعالىٰ لَمَا جاء النبي ﷺ بالأوامر التي تتعلق بالأعضاء والجوارح، ولما نهى النبي ﷺ عن المنكرات التي يكثر تعدادها.

(٣) إن الإثم ليس شيئًا باطنيًا فقط، حتىٰ يرجع الصلاح أو الفساد

---

(١) «رسالة إلىٰ حواء» ص ٤٤٥-٤٤٦

(٢) وانظر في ذلك «الحجاب» للأستاذ وجدي غنيم، «وما المانع من الحجاب»؛ للأستاذ عبد الحميد البلالىٰ، والمحجبات المتبرجات للدكتور السيد العربي كمال ومذكرات ذات خمار للأستاذ محمد رشيد العويد.

إلى القلب فقط؟ لقد بين رب العزة أن هناك آثامًا ظاهرة وآثامًا باطنة ويتبين ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾[1].

الحجة الثانية:

الإيمان في القلب وحب الله ورسوله كفيلان برضىٰ الله عنها.

والجواب: إن رضاء الله عن المرء يكمُن في اتباع أمره، واجتناب نواهيه وما هٰذِه الحال التي وصلنا إليها إلا بسبب أولئك الذين لا يعرفون من القرآن سوىٰ رَسمِه، ومن الإسلام سوى اسمه، ويزعمون حب الله ورسوله فيقول قائلهم: «إن الله حبيبي، ولن يُعذبني بعمل أو بدون عمل» وَمَثل من يقول ذلك كمثَل اليهود والنصارى الذين قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[2].

ويقول تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[3].

ودرُ القائل:

تعصي الإله وأنتَ تزعمُ حبُه   هٰذا لعمري في القياسِ بديعُ
لو كانَ حُبُّكَ صادقًا لأطَعْتَهُ   إنَ المُحَبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مَطيعُ

ويقول الشيخ محمد محمود الصواف:

---

(١) الأنعام: ١٢٠ .   (٢) المائدة: ١٨ .
(٣) آل عمران: ٣٢ .

«إن مجرد الأنتساب إلىٰ شيء من الأشياء، لا يحقق الأمل المرجو بالنفع من وراء ذلك الأنتساب، ما لم يُدَعَم بالعمل بمقْتضاه ما يحُتِّمه عليك ذلك الأمر الذي أنتسبت إليه، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة:

١- لو أنتسبت إلىٰ دائرة ما أو عمل ما وعُينت فيها، فمتىٰ تستحق أن تُسمَّىٰ موظفًا وتأخذ الراتب المخصص لك؟ أليس المطلوب أن تُباشر العمل فعلًا، ويكتب رئيس دائرتك تاريخ مباشرتك؟ ثم تستمر في الدوام والعمل إلىٰ نهاية الشهر لتقبض الراتب، فإذا لم تباشر بالعمل الذي عُينت له، ولم تداوم، فهل تصبِر دائرتك عليك، وهل تصرف لك راتبًا؟

الجواب: لا بالطبع حتىٰ لو صدر أمر إداري بتعيينك فإن إلغاء الأمر وفصلك من دائرتك من أيسر الأمور.

٢- لو أنتسبت إلىٰ معهد أو مدرسة أليس المطلوب منك أن تُحضِّر الدروس، وتداوم بانتظام،فإذا عصيت أمر الإدارة ولم تسمع لها قولًا، وخالفت قوانين وأنظمة المعهد أو المدرسة، فهل تبقىٰ منتسبًا إليه، أم تفصل منه؟ لاشك أنك تُفصل ولا ينفعك هٰذا الأنتساب شيئًا.

٣- لو أنخرطت في سلك الجندية، وانتسبت إلى الجيش بصفة ضابط أو جندي، أليس المطلوب منك أن ترتدى البزة العسكرية؟ وتسمع وتطيع الأوامر؟فإذا لم ترتدِ هٰذِه البزة أو أرتديتها، ولكنك لم تقم بما يأمرك به آمروك، ولم تحافظ علي الطاعة والنظام العسكري، بل تخالف كل ما يفرضه عليك واجب الأنتساب إلي هٰذا المسلك الشريف، فهل ترىٰ أنك ستبقىٰ متمتعًا بنعم هٰذا الأنتساب، أم أنك ستفصل منه بأقل من لمح البصر وتحرم كل الحقوق التي كنت متمتعًا بها؟

أعتقد أنك ستحكم علىٰ نفسك بالفصل، إذ لم تبق أهلًا لهٰذا المسلك الكريم، وهكذا أنتسابك إلى الإسلام، أنك رضيت بالله ربًا

وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا.

أليس المطلوب منك أن تقوم بواجبات هٰذا الدين وتؤدي فرائضه وتقيم أركانه، وتحقق انتسابك إليه بالقيام بأهم ما يأمرك به.

ونقول لهٰذِه الأخت الفاضلة التي تمتنع عن الحجاب بحجة أن «الإيمان في قلبها» نسألها عما تقوم به عندما تطلب منها مسئولتها في الوظيفة الناظرة مثلًا طلبًا ما، كعمل تقرير، أو القيام بعمل ما كالإشراف أو أخذ أحد الدروس الإضافية، أو القيام بالاحتياط بدلًا من أحد المدرسات الغائبات، أو ما شابهها من الطلبات، هل من المعقول والمقبول أن تقول «أنا مؤمنة» و«مقتنعة» في قلبي بما طلبت الناظرة مني، ولكني لن أقوم بما أرادت مني؟ هل سيقبل ذلك منها؟؟ وماذا سيكون مصيرها؟؟ هٰذا مثال يتعلق بالبشر، فكيف إذا كان الأمر يتعلق بربِّ البشر ولله المثل الأعلى.

الحجة الثالثة:

الصوم والصلاة يغنيان عن الحجاب!

قد تدَّعي المتبرجة أنها تصوم، وتصلىٰ، وتتصدق علي الفقراء، وذات خلق حسن، وأن الحجاب مظهرٌ من المظاهر الجوفاء ليست له أهمية ولا ضرورة.

كيف بالله تعتقد ذلك بينما يُعتبر الحجاب ونبذ التبرج فريضة من أهم ما فرضه الله تعالىٰ على المرأة؟ إذ قَرَن النهي عن التبرج بالأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ (١).

(١) الأحزاب: ٣٣.

إذا كنت حقًّا تصلين وتصومين، فأنت بذلك تنفذين أوامر رب العالمين، وحريصة علىٰ طاعته فيما أمرك به.

والذي أمرك بالصلاة والصيام هو الذي أمرك بالحجاب، فلماذا تخالفينه في هٰذا الأمر؟ هل تؤمنين ببعض الكتاب وتكفرين ببعض كما قال ﷻ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

ولقد دعانا الله إلىٰ أخذ الإسلام كافة، أي: الٱلتزام بكل ما جاء فيه حيث قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾[2].

فالإسلام منهج حياة كامل متكامل لمن أراد أن يأخذ به، فكل شيء في هٰذه الحياة يجب أن يكون موافقًا لأمر الله كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾[3].

فيجب أن تخضع حياتُك كلها لما أمرك الله به دون ٱختيار بين الأوامر؛ لأنه لا طاقة لك بعذاب الله فاتقي الله علي كل حال.

الحجة الرابعة:

من تدعي أن الحجاب تزمت وتحتج بأن الدين يسر

ولا شك أن كثيرات يضعن عبارة «إن الدين يسر» في غير موضعها إن تعاليم الدين الإسلامي وتكاليفه الشرعية جميعها يسر، لا عسر فيها وكلها في متناول يد المسلم المُكلف بها وفي ٱستطاعته تنفيذها، إلا من

---

(١) البقرة: ٨٥ . (٢) البقرة: ٢٠٨ .

(٣) الأنعام: ١٦٢ .

كان من أصحاب الأعذار فإن الله جَعَل لهم أمرًا خاصًا بهم يقول تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1]

وإنما الدين يسر عبارة لا يُراد بها إلغاء أوامره وإنما تخفف لدى الضرورة فقط، وبالكيفية التي رخَّص لنا بها الله ورسوله ﷺ فمثلا: يجب على المصلي أن يصلي قائمًا فإن لم يستطع فليصلِّ قاعدًا فإن لم يستطع فبالكيفية التي يقدر عليها.

كما أن الصائم يُرخَّص له الإفطار في رمضان إن كان مسافرًا أو مريضًا، ولكن لابد من القضاء والفدية في بعض الحالات، أو الفدية أو القضاء في حالات أخرىٰ، وكل ذلك من يسر الإسلام وسماحته، أما أن تترك الصلاة أو الصوم أو غيرهما من التكاليف الشرعية جملة واحدة وتقول: (إن الدين يسر) ﴿وما جعل الله عليكم في الدين من حرج﴾ فإن ذلك لا يجوز، وبالمثل الحجاب فإن تركه لا يجوز، إلا أن الله قد وضَعَ الحجاب عن القواعد من النساء، وحتىٰ في هٰذه الحالة اشترط عليهن عدم التبرج قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٦٠﴾[2]. وبالرغم من إعطائهن هٰذه الرخصة إلا أن الله -تعالىٰ- بيَّن أن عدم أخذهن بها خير لهن ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾[3].

الحجة الخامسة:

لم يهدني الله.

وترد الكثير من الأخوات غير المحجبات بهٰذه الشبهة، بقولها: «الله

---

(١) البقرة: ١٨٥ .

(٢) النور: ٦٠ .

(٣) النور: ٦٠ .

يهديني، أرغب بالحجاب، ولكن الله لم يهدني بعد، ادعُ لي بالهداية».

والأخت التي تقول ذلك فهي تقع في مغالطة كبيرة ونسأل تلك الأخت الكريمة «كيف علمت بأن الله لم يهدك؟؟».

فإن كان الجواب بأنها تعلم فهي واحدة من اثنتين:

الأولىٰ: أنها اطلعت علىٰ علم الغيب في الكتاب المكنون، وعلمت منه أنها من الشقيات اللاتي يكون مصيرهن إلى النار.

الثانية: أن مخلوقًا أخبرها بمصيرها، وأنها ليست من المهتديات، إما أن يكون ملكًا، أو إنسانًا.

فإذا كان الجواب الطبيعي لهذين الافتراضين بالنفي، فكيف علمت بأن الله لم يهدك؟؟ هٰذا أمر.

الأمر الثاني أن الله بيَّن في كتابه الكريم أن الهداية نوعان:

١) هداية دلالة.

٢) هداية توفيق.

أولا- هداية الدلالة:

وهٰذا النوع معناه: الإرشاد إلى الحق.

فالله يبين للمخلوقين المكلفين طريق الحق، وطريق الباطل عن طريق رسله، وكتبه، والرسل يبينون لقومهم هٰذا الطريق.

وكذلك الدعاة، يبينون للناس هٰذا الطريق، فالجميع مشترك في هٰذا الأمر.

ثانيًا- هداية التوفيق:

وهٰذِه تختص بالله ﷻ وحده لا شريك له، وهي تثبيت الحق في القلوب، والعصمة من الزلل، والإعانة على المضي في طريق الحق والثبات عليه، وتحبيب الإيمان وتزيينه في القلوب، وتكريه الكفر

والفسوق والعصيان لمن استجاب لله تعالىٰ واهتدىٰ بهديه، وهذا النوع من الهداية إنما يأتي بعد النوع الأول، فالله يعرض الحق على الجميع، وبهذا يقول الحق ﷻ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾(١) وقد أودع الله في كل مكلف القدرة على الاختيار بين طريق الحق أو الباطل، فإن اختار الحق بمحض إرادته، جاءت «هداية التوفيق» إذ يقول تعالى في ذلك: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾(٢).

وإذا اختار الباطل بمحض إرادته، زاده ضلالًا، وحرمه من «هداية التوفيق» إذ يقول تعالى في ذلك: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾(٣).

ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾(٤).

ويضرب الشيخ الشعراوي مثالًا جميلًا لهذا النوع من الهداية، وسنة الله تعالىٰ فيه، فيقول ما معناه: «مثل ذلك مثل رجل يريد أن يسأل عن عنوان، فذهب إلى شرطي المرور يسأله عن العنوان، فقال له: تذهب الشارع الفلاني وتنعطف جهة اليمين، ثم الشمال، ثم تسلك الشارع الآخر، وتجد أمامك مبنى لونه كذا، ستجد العنوان هناك.

يقول الشيخ الشعراوي: فهذا الرجل بين أمرين إما أن يصدق الشرطي وينطلق حسب التعليمات التي تلقاها، فكلما مضى وتوغل كلما زاد هديه، واقترب من المكان والعنوان الذي يريد.

وإما أن يقول أن ذلك الشرطي كذاب، فيمضي عكس ما قال له

---

(١) فصلت: ١٧ .
(٢) محمد: ١٧ .
(٣) مريم: ٧٥ .
(٤) الصف: ٥ .

الشرطي، فكلما توغل زاد ضياعًا، وهكذا هي قصة الهداية والضلال»[١].

وهو مثال رائع في تقريب هذِه السنة الربانية، فمن اختار الحق أعانه الله وثبته، ومن اختار الباطل أضله الله وتركه مع نفسه وشيطانه.

هكذا هي سنة الله في خلقه: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾[٢]. وسنة الله في التغيير الذي يريد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[٣].

فالذي يريد الهداية، ويطلب من الناس أن يدعوا له بها، لابد أن يبذل أسبابها ولنا في مريم عليها السلام أسوة، فهي تحتاج إلى الطعام، وهي في أقصى حالات الضعف التي تمر بها المرأة وهي في المخاض، فيطلب منها الرب أمرًا لا يقوى عليه أشد الرجال. بل لا يقوى عليه حتى الشديد منهم بمفرده، يطلب منها أن تهز جذع النخلة، بالرغم من ثبات جذع النخلة، وصعوبة هزه، إذ يقول سبحانه لها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾[٤] وهي لم تقم بهز النخلة وهي في ذلك الوضع من الضعف إنما أراد منها فقط بذل السبب بوضع يدها على النخلة؛ ليتحقق قانون السببية، ولتتحقق سنة الله في التغيير، فإذا بالنتيجة ﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾[٥].

هذِه هي سنة الله تعالى في التغيير، فلا يمكن لمؤمن يمكث في بيت من بيوت الله، حتى ولو كان ذلك البيت هو مكة المكرمة، فيجلس ويتعبد الله هناك ويطلب من الله الرزق، لا يمكن أن يستجيب الله له دون أن يبذل أسباب كسب الرزق، فإن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة.

---

(١) قال ذلك في محاضرة: «هل الإنسان مُصَيَّر أم مُخَيَّر» في الكويت في الثمانينات.

(٢) فاطر: ٤٣ .

(٣) الرعد: ١١ .

(٤) مريم: ٢٥ .

(٥) مريم: ٢٥ .

فابذلي أسباب الهداية تنالينها بإذن الله، والتي منها الدعاء بالهداية، واختيار الرفقة الصالحة، والإقبال على كتاب الله قراءة وتدبرًا، وارتياد مجالس الذكر والمحاضرات الدينية، والاستماع إلى الأشرطة الدينية، وقراءة الكتب الإيمانية، وقبل كل ذلك ترك كل ما يبعدك عن طريق الهداية مثل الرفقة السيئة، وقراءة المجلات الهابطة، ومتابعة البرامج التلفزيونية التي تحث على العلاقات المحرمة، من الأفلام والمسلسلات وغيرها، والسفر من غير محرم، والعلاقات التليفونية مع الشباب وغيرها من الأمور الصادة عن طريق الهداية.

الحجة السادسة:

إنني غير مقتنعة بالحجاب

إن الطامة الكبرى أن تخرج هذه الكلمات من فم فتاة مسلمة، لأن هذا يعني أن هناك انتكاسة للفطرة، لأن هذه كمن يقول: إنني غير مقتنع بالنظافة. فهل الأصل فينا القذارة؟!.

هل الأصل في المرأة هو العُري أم أن الأصل هو الستر والعفاف؟

فيا من تقولين هذا الكلام، اعلمي أنني لن أحدثك عن الحجاب، ولكن أحدثك عن الإسلام.

فهل أنت مقتنعة بالإسلام؟ هل أنت مسلمة حقًا وصدقًا؟ إذا كنت كذلك أقول لك: قال الله، وقال رسول الله ﷺ حتى إذا ما كنت معترضة أقول اعترضي على الله ورسوله، ولا تعترضي على كلامي.

واعلمي أنك لن تكوني مسلمة حقًا وصدقًا حتى تُسلمي بحكم الله ورسوله لذلك قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[(١)].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[(٢)] ثم يأتي السؤال ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(٣)]. وهذا أسلوب إنشائي نوعه استفهام وغرضه الأمر، أي: أسلموا لله رب العالمين.

والله نسأل أن يجعلنا من المسلمين المستسلمين لأمر الله رب العالمين.

والأخت التي تتحجج بهذِه الشبهة لا بدَّ أن تفرق بين أمرين، وهما: الأمر الرباني، والأمر البشري.

فإذا كان هذا الأمر هو من كلام البشر، فالبشر يخطئون ويصيبون، «كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب ذلك القبر»[(٤)]، كما قال الإمام مالك، وما دام في حيز كلام البشر فلا يُلزم أحد بالأخذ به، وعلى هذا يمكن لأي إنسان أن يقول: «بعدم الاقتناع» ولا يؤاخذ بذلك.

أما إن كان هذا الأمر هو من الأوامر الربانية، أي: أن الله هو الذي أمر به في كتابه، أو أمر به نبيه بأن يبلغه لأمته، فلا يوجد مجال أن يقول إنسان: «إني غير مقتنع» وإن قالها أو قالتها في اعتقاد، وهي أو هو يعلم أن هذا الأمر قد جاء في كتاب الله، فهي أو هو يعرض نفسه لخطورة الخروج من الملة وهو لا يدري؛ لأن ذلك معناه عدم التصديق والشك في صحة الأمر، وهذِه من أخطر الكلمات.

ولو أنها قالت: أنا عاصية، أو أن تقول: إن هواي لا أستطيع مغالبته، ونفسي ضعيفة، أو إرادتي ضعيفة، فكل هذِه الكلمات وما

---

(١) النساء: ٦٥ .
(٢) الأنبياء: ١٠٨ .
(٣) الأنبياء: ٨ .
(٤) يقصد به الرسول ﷺ.

شاكلها لا توازي كلمة «غير مقتنعة»؛ لأنها كلمات تدل على الاعتراف بالضعف والخطأ والمعصية، ولا تجعل من نفسها حكمًا على أوامر الله تصحح ما تشاء وتخطئ ما تشاء، وتأخذ مما تشاء، وتدع ما تشاء.

والله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

فليس لعبد أن يختار إذا جاء أمر الله، ما دام يؤمن به، أنه أحكم منه، وأعلم، والعبد أفقر أضعف، بل واجب المؤمن والمؤمنة عند سماع الأمر أن يقولوا ما قال المؤمنون: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2]. وعندما يأمرنا الله بأمر يعلم أن ذلك في صالحنا، وسبب من أسباب سعادتنا، وعندما أمر المرأة بالحجاب يعلم أن هذا من أسباب سعادتها وكرامتها وعزتها.

ولأن الله ﷻ هو العالم، وعلمه محيط، يعلم ما كان من قبل خلق البشر، وما سيكون في المستقبل من غير حدود، ويعلم ما لم يكن من الأحداث لو كانت ماذا سيكون، وأمام هذا الاعتقاد الذي ندين به كمسلمين أمن المعقول أن يرد كلام صاحب هذا العلم المحيط، ويؤخذ كلام الناقصين من البشر، وذوي العلم القاصر.

ونضرب لذلك مثلًا من الواقع، فنقول: إننا إذا اشترينا جهاز الحاسب الآلي، والذي صنعه موجود معنا. وهو يعرف كيفية تشغيله، ويعرف ما به من الألف حتى الياء، فهل من المعقول أن ننادي غسال السيارات ليعلمنا كيفية تشغيله؟! لا يقول عاقل بذلك، بل العقل يدفعنا أن

---

(١) الأحزاب: ٣٦ .

(٢) البقرة: ٢٨٥ .

نتادي المتخصص بذلك الجهاز ليشرح لنا كيفية تشغيله، وطريقة إصلاحه إذا تعرض للعطب.

والذي خلق الإنسان، وصنعه، هو رب العباد، لذلك فمن الطبيعي أن يكون هو الأعلم بما يضره وينفعه، وأن كل احتكام، وانصياع، واستسلام لغير الله فهو ضرب من الجنون، والحماقة، والغباء، والحماقة هنا سببها هو امتثالنا لمن لا يعلم، ومن يأخذ نصيحة الجاهل فإنه يعرض نفسه للضياع، وهذا ما يحدث لنا كمسلمين وللأسف الشديد، ذلك لأننا طلبنا الجواب ممن لا يملكه. كما أن كثيرًا منا لا يعرف ما تعني كلمة «الإسلام» وهو الاستسلام والانقياد والخضوع الكامل لأوامر الله ونواهيه.

الحجة السابعة:

صغر السن.

وهذِه الشبهة أكثر من يرددها ولاة الأمر من الآباء والأمهات، وبعض الأخوات غير المحجبات، وهذِه الشريحة غالبًا ما يكون في نيتها الحجاب، ولكنها تؤخره لهذِه الشبهة والتي هي أقرب إلى الهوى والشهوة، منها إلى الشبهة.

ويكون الرد غالبًا «حرام[1] حرمانها من التمتع بالحياة، فهي لا زالت صغيرة، فالثياب الجميلة تستهويها، والتجمل بأنواع التسريحات تغريها، وإظهار محاسنها يحقق لها الكثير من السعادة والنشوة، مما يجعلها أكثر سعادة، وتمتعًا بالحياة، فلماذا نقف في وجهها، ونمنعها السعادة مبكرًا، وإذا فاتنا نحن القطار، فلماذا نجعله يفوتها أيضًا بهذِه السرعة».

---

(١) حرام بالمعنى العرفي، وليس الشرعي.

و«صغر السن» عندهم يمتد حتى العشرين سنة، أما التي تحيض وهي في سن الثالثة عشر، ففي تصورهم أنها طفلة.

إن أولئك الآباء والأمهات الذين يمنعون تحجب بناتهم بحجة صغر السن عليهم مسئولية عظيمة أمام الله يوم القيامة.

فالفتاة عندما تبلغ الحيض يجب عليها الحجاب شرعًا وولي الأمر عندما يمنعها عليه إثم عظيم، والله سائله يوم القيامة عن ذلك: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1] ويقول النبي ﷺ «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[2] فالأب هو الراعي الأول في البيت وهو مسئول يوم القيامة عن كل فرد في رعيته.

وليسأل الأب نفسه، كم ستفتن ابنته من الشباب؟ وكم ستسبب من انحراف لهؤلاء الشباب؟ وكم ستتعرض للإساءة من قبل هؤلاء الشباب؟؟

كم من فتاة صغيرة كانت تظن أن العمر أمامها طويل، وهي الآن ترقد في ظلمات القبر.

إن الموت إذا جاء وحان أجله لا يفرق بين صغير وكبير لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾[3] فهل إذا جاءك ملك الموت الآن ستقولين له: أمهلني قليلًا حتىٰ أتوب؟ وهل سيمهلك حقًا؟

الحجة الثامنة:

الناس تسخر مني.

ماذا سيقول لك الناس..؟ وماذا سيقولون عنك؟

سيقولون: إنك بحجابك لا تلفتين الأنظار، أم يقولون: إنك

---

(١) الصافات: ٢٤ . (٢) تقدم تخريجه.

(٣) الأعراف: ٣٤ .

أصبحت متدينة، متأخرة، رجعية!

أليس هٰذا أفضل لك من أن يقولوا عنك كلامًا يخدش حياءك ويمس عرضك..؟

إن الناس لا تكف عن الكلام والسخرية فمن تُرضين إذًا؟ الناس أم رب الناس؟ الذي وصف حال الناس وهم يسخرون من المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1] ويقول تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[2] هٰذا ما يحدث في الدنيا من سخرية واستهزاء. ولكن ما هي النهاية؟ يقول تعالىٰ تكملة الآيات الأولىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[3] ويوضح الله -ﷻ- هٰذه النهاية في الآية الأخرىٰ، فيقول: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾[4]

فهل تضيعين هٰذا الجزاء العظيم الذي أعده الله للمؤمنات والمؤمنين من أجل كلام الناس.

ثم إن الناس تسخر من كل شئ فهم يسخرون من المصلين، فهل سنترك الصلاة من أجلهم؟ وهم يسخرون من الملتزمين، فهل نترك الإسلام من أجلهم..؟

إن أبا طالب مات كافرًا بسبب كلام الناس، حيث روي عن أبي

---

(١) المطففين: ٢٩ - ٣٣.
(٢) البقرة: ٢١٢.
(٣) المطففين: ٣٤ - ٣٦.
(٤) البقرة: ٢١٢.

هريرة -ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ لعمِّه «قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة» فقال عمه: لولا أن تُعيِّرُني قريش، يقولون إنما حمله عليه الجزع لأقْرَرْتُ بها عَيْنَكَ(١).

الحجة التاسعة

لا تعجبني تصرفات المحجبات، ولا يوجد حجاب حقيقي.

١-فهناك من تتحجب من أجل ستر بعض العيوب الجسمانية.

٢- وهناك من تتحجب من أجل الزواج؛ لأن غالب الشباب سواء المتدين وغيره يفضل المحجبة.

٣- وهناك من تتحجب من أجل التستر علىٰ بعض الأعمال التي نهىٰ الله عنها، وهي بالحجاب تكسب ثقة أهلها بها، فلا تصبح موضع شبهة، وبالتالي تستطيع أن تخرج متىٰ شاءت وإلىٰ أي مكان دون أن يعترضها أحد.

٤- وهناك من تتحجب من أجل مسايرة الموضة، وهو ما يطلق عليه «الحجاب الفرنسي» حيث أظهرت شيئًا من خصلات شعرها، وبدىٰ نحرها، وارتدت فستانًا قد يصل إلىٰ نصف ساقها، وأظهر معالم جسدها، وقد يكون رقيقًا يشف عن الكثير، وأحيانًا يحل البنطلون محل الفستان، ولتكملة «الموضة» يطلين الوجه بأنواع المساحيق وتسكب كمية لا بأس بها من العطر، حتىٰ لَيَتَعطر الطريق برائحتها.

٥- وهناك من تكون مجبرة عليه من والديها المتدينين، أو عائلتها المحافظة، فتلبسه مكرهة، غير راغبة فيه، ولكنها تخاف نزعه مما سيلحق بها من أذىٰ من أهلها، لذلك فهٰذا الصنف من النساء، ما أن ترىٰ فسحة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥) [٤١، ٤٢].

لا يراها فيها الرقيب حتىٰ تنزع كل شيء؛ لأنها غير مقتنعة بالحجاب.

والجواب عن هٰذِه الحجة فيما يلي:

الوجه الأول:

إن كثيرًا من الناس عندما ينظر إلىٰ كوب الماء ويجد نصفه ممتلئًا والنصف الآخر فارغًا، ثم يريد أن يصفه فيقول: إن كوب الماء نصفه فارغ بدلًا من أن يقول نصفه ممتلئ.

هكذا أنت أختاه تنظرين دائمًا إلى السيئ مع أن غالبية المحجبات من ذوات الخلق، وبرغم ذلك نقول: إنه ليس لك شأن بغيرك، فكل إنسان ملزم بنفسه، فإذا كنت ترين بعض المحجبات يتصرفن تصرفات سيئة وتبغضي ذلك وتنتقديه، فارتدي أنت الحجاب وأظهري للناس الصورة الطيبة والصحيحة للمحجبات وكوني قدوة حسنة لغيرك حتىٰ تصبحي بذلك داعية إلىٰ الله بسلوكك وحجابك الشرعي وتنالي من الأجر مثل أجور من تبعك ونهج نهجك.

الوجه الثاني:

فالمتحجبة بَشَرٌ يصيب ويخطئ وليس المقصود من الحجاب هو عصمة صاحبته من الخطأ؛ لأن كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، وإن كنت أدعو كل متحجبة بأن تبتعد عما تقع فيه الكثيرات من الأخطاء كالغيبة والنميمة وغير ذلك، وأن تجتهد في أن لا يراها مخلوق إلا حيث أمر الله، مع اجتناب نواهيه؛ لأن صورتها في الأذهان تختلف كثيرًا جدًا عن صورة غيرها من المسلمات غير المتحجبات.

فينبغي أن تكون نظرتنا للمتحجبة نظرة موضوعية فلا نظن أنها بتحجبها قد طبقت جميع أوامر الدين، وأنها أصبحت بمنأىٰ عن الخطأ.

الوجه الثالث:

نقول للجميع: العيب فيهن أم في الحجاب؟ وهل أنت تتحجبي لهن، أم تتحجبي آمتثالًا لأمر الله؟ والله المستعان.

الحجة العاشرة:

الحجاب سيعوقني عن الزواج:

صدقت أختاه..إن الحجاب حقًا سيعوقك عن الزواج، ولكن الحجاب سيعوقك عن الزواج من الرجل العاصي الفاجر، الذي ينظر إليك نظرة شهوانية حيوانية فحسب، حتىٰ إذا ما أخذ منك ما يريد تركك وبحث عن غيرك، نعم فالحجاب يعوقك عن الزواج بمن سيحول حياتك لجحيم لا يطاق..واعلمي جيدًا أن الله قد كتب آية خالدة في كتابه إلىٰ يوم القيامة، وتسير على العباد حتى الممات، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾[1].

فأنت بحجابك والتزامك دُرة مصونة ولن يتقدم إليك إلا الزوج الصالح.

واعلمي أختاه أن الشباب الآن حتى المنحرف منهم عندما يبحث عن عروس يبحث عن ذات الدين؛ لأنه يعلم أنه لن يجد الأمان وحسن الخلق والوفاء إلا عند من تخاف الله، فهي فقط التي يضمن عفتها، وهي فقط التي ستصونه وتحفظ عرضه.

فهٰذِه الشبهة مردودة من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول:

---

(١) النور: ٢٦ .

وهو أن الجمال وإن كان من الأسباب الرئيسة في الزواج، إلا أنه ليس هو السبب الوحيد التي تنكح المرأة من أجله، وكما بيَّنَ الرسول ﷺ الأسباب المتنوعة التي تنكح المرأة من أجلها فقال: «**تُنْكَح المَرْأَة لأَرْبَع: لمالها ولحَسَبِها ولِجَمالِها، ولدينها، فاظفر بذاتِ الدين تَرِبَتْ يَداكَ**».(١)

هكذا هم الناس لا ينظرون إلى الجمال فقط، بل هناك أمور تشترك أو تنفرد عن الجمال في ٱختيار الزوجة، ولكن أولئك الأخوات والآباء والأمهات يفترضون الجمال هو كل شيء، أو هو الشيء الرئيسي الوحيد، وما دونه يمكن التنازل عنه، وهٰذا مخالف لطبائع الناس.

الوجه الثاني:

أن التبرج سبب من أسباب عزوف عدد من الشباب من الاقتران ممن تتصف بهٰذِه الصفة، ظنًّا منهم بأن مثل هٰذِه الفتاة التي فرطت بأمر من أمور الله وهو «الحجاب» لا يستبعد بأن تفرط بغيره، ذلك أن الشيطان له خطوات، وإن كان الواقع في بعض الأحيان لا يوافق هٰذا الرأي، ولكن هٰذا هو حال معظم شبابنا اليوم، والذي يصر على الزواج ممن هي ملتزمة بالحجاب حسنة السمعة، وإن كان هو من غير الملتزمين.

الوجه الثالث:

أن الرجل الذي ٱختارك زوجة له من أجل تبرجك فإنه سرعان ما سيخونك أو يتركك إلىٰ غيرك ليتزوج منها، أو علىٰ أقل تقدير لن تنالي السعادة المنشودة التي تطلبها كل فتاة بالزواج، وذلك عندما يجد أخريات أجمل منكِ؛ لأنه سيلهث وراءهن حيث الجمال هو هدفه فقط، بل إن الأمر سيتفاقم كلما كبرت في السن، وذوىٰ جمالك شيئًا فشيئًا بعد الحمل

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦) [٥٣].

والولادة ومسئوليتك البيتية، التي لا تعتبر أمرًا هينًا على الإطلاق، وعندها سيشعرك أنك لا تُساوين شيئًا، وستذهب نفسك حسرات، وأنت ترين زوجك يلاحق الأخريات كما لاحقك من قبل؛ لأن من تزوج بمتبرجة لا يُؤمن جانبه، كما أنه من المعروف أن المرأة كلَّما تقدمت في السن زهد فيها الرجال شيئًا فشيئًا، ولكن الأمر بالعكس بالنسبة للرجل إذ إنه يجد في جميع مراحل عمره من ترضىٰ به زوجًا ويكون في الغالب قادرًا على الإنجاب.

الحجة الحادية عشرة:

زوجي لا يوافق

لقد تزوجت من هٰذا الزوج المسلم علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسول الله ﷺ، ولقد أقر هو بذلك أمام الناس جميعًا؛ لذلك كان لزامًا عليك وعليه تطبيق كتاب الله وسنة رسوله، ولقد أمرك الله ورسوله بالحجاب كما سبق وأن بينا ذلك، فعليك وعليه السمع والطاعة، وإذا أمرك بخلاف ذلك فلا سمع له ولا طاعة؛ لقول النبي ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»، وتذكري قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾(١).

فيا أختاه لا تقدمي أي إنسان مهما كان علىٰ الله ورسوله.

والأصل في هٰذه القضية: أن طاعة الله مقدمة علىٰ طاعة كل مخلوق كائنًا من كان، وأن الوالدين هما أحق بالطاعة من غيرهما بعد الله ما لم

---

(١) التوبة: ٢٤ .

يأمرا بمعصية.

الأمر الآخر: أن معصية ولي الأمر فيما يأمر به الله، تعتبر من أكبر القربات لله تعالىٰ، كما أنها تعتبر دعوة حية لولي الأمر.

الأمر الثالث: أن ولي الأمر سواء أكان أبًا أو زوجًا، إذا ما رأىٰ إصرار من هو مسئول عنه، فإنه غالبًا ما يرضخ للواقع، ويحترم ٱختيار من هو مسئول عنه، إلا إذا كان لا يوجد في قلبه حقيقة الحب لمن هو مسئول عنه، ونستعرض هاهنا بعض فتاوىٰ كبار العلماء عن هٰذِه القضية:

السؤال الأول: يجيب عليه فضيلة الشيخ ابن باز:

س: ما حكم من خالفت أمها في عدم طاعتها في حالة إذا كانت الأم تطلب شيئًا فيه معصية الله ﷻ، كأن تطلب التبرج والسفور وتدعي بأن الحجاب هٰذا هو خرافات، وليس له واقع في الدين وتطلب مني الخروج إلى الحفلات، واللبس من الملابس الذي يخرج ويبرز جميع ما حرمه الله في المرأة وتغضب عندما تراني متحجبة؟

ج: إنه لا طاعة للمخلوق سواء كان أبًا أو أمًّا أو غيرهما في معصية الخالق، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**»(١) وقال: «**لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق**» وهٰذِه الأمور التي تدعو إليها أم السائلة من معاصي الله فلا تجوز طاعتها فيها.

السؤال الثاني: يجيب عليه فضيلة الشيخ ابن عثيمين.

س: صدر قرار من السلطات العليا ببلدتي الإسلامية لإجبار الفتيات وجميع النساء علىٰ خلع الحجاب وبالأخص غطاء الرأس، هل يجوز لي تنفيذ ذلك، علمًا بأن من يرفض ذلك ترصد له العقوبات كالرفض من

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠، ٧١٤٥، ٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠) [٣٩، ٤٠].

العمل أو المدرسة أو السجن؟

ج. هٰذا البلاء الذي حدث في بلدتك هو من الأمور التي يُمْتَحَنُ بها العبد، والله ﷻ يقول: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾(1)

فالذي أرىٰ أنه يجب على المسلمات في هٰذِه البلدة أن يأبين طاعة أولى الأمور في هٰذا الأمر المنكر؛ لأن طاعة ولي الأمر في المنكر مرفوضة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾(2) لو تأملت الآية لوجدت أن الله قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾(3)

ولم يكرر الفعل ثالثة مع أولي الأمر، فدلَّ علىٰ أن طاعة ولاة الأمور تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله. فإذا كان أمرهم مخالفًا لطاعة الله ورسوله فإنه لا سمع لهم ولا طاعة فيما أمروا به فيما يخالف طاعة الله ورسوله «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»(4)

وما يصيب النساء من الأذىٰ في هٰذِه الناحية من الأمور التي يجب الصبر عليها والاستعانة بالله على الصبر، ونسأل الله لولاة أمورهم أن يهديهم إلى الحق.

ولا أظن هٰذا الإجبار إلا إذا خرجت المرأة من بيتها وأما في بيتها فلن يكون هٰذا الإجبار وبإمكانها أن تبقىٰ في بيتها حتىٰ تسلم من هٰذا الأمر، أما الدراسة التي تترتب عليها معصية فإنها لا تجوز، بل عليها دراسة ما تحتاج إليه في دينها ودُنياها وهٰذا يكفي ويمكنها ذلك في البيت

---

(1) العنكبوت: ١-٣.
(2) النساء: ٥٩.
(3) النساء: ٥٩.
(4) صحيح تقدم تخريجه.

غالبًا، خلاصة القول أنه لا يجوز طاعة ولاة الأمور في أمر منكر أبدًا.

السؤال الثالث: يجيب عليه فضيلة الشيخ ابن عثيمين:

سؤال: رجل متزوج وله أبناء، زوجته تريد أن ترتدي الزي الشرعي وهو يعارض ذلك، فبماذا تنصحونه بارك الله فيكم؟

الفتوىٰ: إننا ننصحه أن يتقي الله ﷻ في أهله وأن يحمد الله ﷻ الذي يسر له مثل هٰذِه الزوجة التي تريد أن تُنفذ ما أمر الله به من اللباس الشرعي الكفيل بسلامتها من الفتن، وإذا كان الله ﷻ قد أمر عباده المؤمنين أن يقوا أنفسهم وأهليهم النار في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾[1]. وإذا كان النبي ﷺقد حمل الرجل المسئولية في أهله فقال: «**الرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته**»[2].

فكيف يليق بهٰذا الرجل أن يحاول إجبار زوجته علىٰ أن تدع الزِّي الشرعي في اللباس إلىٰ زي محرم، يكون سببًا للفتنة بها ومنها، فليتق الله تعالىٰ في نفسه، وليتق الله في أهله، وليحمد الله علىٰ نعمته أن يسَّر له مثل هٰذِه المرأة الصالحة.

وأما بالنسبة لزوجته فإنه لا يحل لها أن تطيعه في معصية الله أبدًا؛ لأنه «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[3].

الحجة الثانية عشرة:

التبرج أصبح أمرًا عاديًا لا يلفت النظر.

وهٰذِه حجة عجيبة تدّعي قائلتها أن التبرج لا يثير انتباه الرجال،

---

(١) التحريم: ٦ (٢) صحيح تقدم تخريجه.

(٣) صحيح تقدم تخريجه.

كيف وهي به كاسية عارية؟ وتقول أيضًا: إن الذي ينتبه له الرجال هو منظر المرأة المحجبة الحجاب الكامل الذي يستر كل جسدها بما في ذلك الوجه والكفين؛ فيريدون معرفة شخصيتها ومتابعتها؛ لأن كل ممنوع مرغوب، ولمثل هٰؤلاء أقول: ما دام التبرج أمرًا عاديًا لا يلفت الأنظار أو يستهوي القلوب، فلماذا تبرجتنَّ؟ ولمن تبرجتن، ولماذا تحملت الواحدة منكن نفقات أدوات التجميل وأجرة الكوافير والموضات..؟ حتىٰ لقد قُدر ما تستهلكه النساء في ذلك بملايين الجنيهات الأجنبية سنويًا مما أثَّر على الاقتصاد وميزانية الدول العربية، ولو كان كل ممنوع مرغوبًا حقًا لرغب الناس في أكل الميتة والجيفة المنتنة؛ إذ إن ذلك مما يمنع الشرع أكله، وكيف يكون كل ممنوع مرغوبًا وأنت تأكلين الخبز يوميًا ومع ذلك ترغبين في أكله دائمًا ولا تخلو منه مائدة، لو كان كل ممنوع مرغوبًا حقًا أو ما يعتاده الإنسان يزهد فيه لزهدنا في الخبز مثلًا، بل لو كان التبرج أمرًا عاديًا لما نهىٰ الله عنه؛ لأن الله هو الذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلحه وما يُفسده، ولولا أن الفساد الحاصل من التبرج كبير لما نهىٰ الله عنه، ولما جعله الله علىٰ لسان رسوله ﷺمن كبائر الذنوب، وإليكم شهادة طبيب تُكذب الزَّعم القائل بأن التبرج أمر عادي، يقول الدكتور / سيد الجميلي:

«أَوْدَعَ الله الشبق الجنسي في النفس البشرية سرًّا من أسراره وحكمة من روائع حكمه جل شأنه وجعل الممارسة الحسية من أعظم ما ينزع إليه العقل والنفس والروح، وهي مطلب روحي وحسي وبدني، ولو أن رجلًا مرت عليه امرأة حاسرة سافرة عن جمال باهر، وحسن ظاهر، واستهواء بالغ ولم ينزع إلىٰ جمالها، يحكم عليه الطب بأنه غير سوي وتنقصه الرغبة الجنسية، ونقصان ذلك - في عُرف الطب - مرض يستوجب العلاج والتداوي، ناهيكم عن انعدام الرغبة تمامًا وهٰذا بدوره مرض عضال».

الحجة الثالثة عشرة:

إن الجو حار والحجاب يضايقني.

اتقي الله في نفسك أختاه، وتذكري رده ﷺ علىٰ من تحجج بشدة الحر حتىٰ لا يخرج للجهاد في سبيل الله حيث رد الله ﷻ علىٰ هٰؤلاء المنافقين، فقال: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾(١). فالصبر علىٰ حرِّ الدنيا أهون ألف مرة من الصبر علىٰ نار جهنم..فهل ستصبرين على النار؟ واعلمي أن النار هي الجزاء لمن خالف أمر الله، ولقد قال تعالىٰ: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾(٢).

الحجة الرابعة عشرة:

يقول الأستاذ محمد رشيد العويد(٣):

عندما تسأل بعض النساء:

- لماذا لا تلبسين الحجاب الشرعي؟

- تقول: أنا حرة !

- ولو كانت هٰذِه الحرية تلحق بك الضرر؟

- ماذا تعنين؟

- لو أن وزارة الصحة اكتشفت أن حلوىٰ موجودة في الأسواق تسبب لآكليها مرضًا خطيرًا، وأرادت الوزارة مصادرتها ومنع الناس من تناولها، فهل لأحد أن يقول: ليس من حق الوزارة أن تصادر هٰذِه الحلوىٰ وتمنعنا من أكلها، فنحن أحرار في تناول ما نشاء..! هل هم أحرارٌ حقًا؟

---

(١) التوبة: ٨١ . (٢) الطور: ١٦ .

(٣) «من أجل تحرير حقيقي للمرأة» ص ٤١-٥٩.

- طبعًا ليسوا أحرارًا، ولكن ما صلة هٰذا بحريتي في عدم ٱرتداء الحجاب، ولبس ما أشاء؟

- ٱسمعي ما يقوله أحد الأطباء الأوروبيين:

«في جسم كل إنسان أوروبي حوالي ثلاثين ندبة، يعود سبب وجودها إلىٰ أشعة الشمس، ويتحول بعضها تلقائيًا إلى النوع الخبيث الذي ينتج عنه سرطان الجلد».

يضيف الطبيب فيقول: «إن أشعة الشمس الحارة تهدم أسوار الدفاع الذاتي الموجودة داخل جسم الإنسان. وقضاء الساعات تحت أشعة الشمس أشبه بالتدخين بكثافة في مكان مغلق، وهو يصيب الإنسان بأذىً بليغ».

- الآن عرفت الصلة.

- هل أكمل لك كلام الطبيب؟

- ليتك تفعلين.

- يضيف الطبيب، فيقول: «والنساء أكثر عرضة للإصابة بمرض سرطان الجلد من الرجال، ومن أبرز سرطانات الجلد: سرطان الخلية القاعدية، وهو الأكثر ٱنتشارًا، وهٰذا النوع يهاجم الوجه والرقبة، ويشكل خطورة حقيقية علىٰ حياة المصاب.

وهناك نوع آخر من سرطانات الجلد الناتجة عن أشعة الشمس، يطلق عليه أحيانًا القرحة القارضة، ويصيب الخلايا الحاملة للصبغيات، وقد يصيب أي جزء من أجزاء الجسم، وإن كان ينتشر فوق أرجل السيدات، ويكشف هٰذا السرطان عن نفسه بمتغيرات ملحوظة في لون الجلد، أو من خلال الإحساس بالحكة، وأحيانًا بتطور الأجزاء المصابة إلىٰ حالة من الإدماء أو النزيف.

إن التعرض للأشعة فوق البنفسجية يشجع على ٱنتشار سرطان

الجلد، بل ويتسبب في دخول الجلد مرحلة الشيخوخة قبل الأوان».

ويختم الطبيب كلامه فيقول:

«ويعتبر سرطان القرحة القارضة الأكثر انتشارًا بين الأوروبيين، وينتج عن التعرض لأشعة الشمس. ويظهر علىٰ شكل تقيحات بيضاء أو في لون اللحم البشري، ثم يستمر في التطور علىٰ مدار السنوات، وبالطبع تظهر التقيحات على المناطق المعرضة للشمس من جسم الإنسان».

- لقد أفزعتني !

- هل أقرأ عليك نتائج بحوث قام بها علماء أميركيون وفرنسيون أيضًا؟

- إني مصغية إليك.

- نشرت جريدة «الأنباء» الكويتية في عددها الصادر في ١٥/ ٥/ ١٩٩٠ما يلي:

«قام علماء متخصصون في الولايات المتحدة وفرنسا بإجراء بحوث علىٰ نتائج ارتداء المرأة للملابس القصيرة، فأخذوا مقاييس لسيقان بعض الفتيات قبل ارتدائهن (الميني جيب)، ثم أخذوا مقاييس للسيقان نفسها بعد مدة معينة من ارتدائه، فوجدوا أن هٰذِه السيقان قد تضخمت بنسبة (٥٪)، وتغير لون جلدها بنسبة (٧٪)، ولقد نشرت المجلة الطبية البريطانية أن السرطان الخبيث الذي يصيب الجلد، في المناطق المكشوفة من جسد المرأة، أصبح في تزايد عقب انتشار موضة (الميني جيب) والملابس القصيرة بسبب تعرض المناطق المكشوفة لأشعة الشمس فترات طويلة علىٰ مدار السنة، وهو يبدأ أولًا بصورة بقعة صغيرة سوداء في الساق العارية، ثم يبدأ في الانتشار في كل مكان في الجسم[١]».

---

(١) وأيضًا ارتداء المرأة للملابس الضيقة يسبب للمرأة أضرارًا، فقد أثبتت دراسات=

= طبية حديثة أن ارتداء الملابس الضيقة في فترات المراهقة قد يسبب ما يُعرف بالتهابات بطانة الرحم، وهي حالة مؤلمة قد تسبب العقم، ونقصان الخصوبة عند النساء.

وأوضح البروفيسور جون ديكونسن- الخبير في ضغط الدم في معهد وولفسون للطب الوقائي ببريطانيا- أن الضغط المتسبب عن ارتداء الملابس الضيقة قد يؤدي إلىٰ تجمع وتراكم الخلايا من بطانة الرحم في منطقة أخرىٰ في الجسم مسببًا الألتهاب.

وقال الدكتور ديكونسن: إنه على الرغم من أن التعريف بهٰذا المرض تم قبل أكثر من ٧٠ عامًا إلا أن العلماء لم يتعرفوا بعد أسبابه، مشيرًا إلىٰ أن السر يكمن في كيفية عثور النسيج علىٰ طريقه من الرحم إلىٰ أجزاء أخرىٰ من الجسم مثل المبايض، حيث يتجمع ويتراكم مسببًا آلامًا حادة ما قبل الطمث، وأحيانًا العقم.

وأوضح أن تغييرات الضغط المتسببة عن الملابس الضيقة تُكسب هٰذِه الخلايا قوة دفع تسمح لها بالخروج من الرحم، وتجمعها في مكان آخر، منبهًا إلىٰ أن مثل هٰذِه الملابس تسبب ضغطًا كبيرًا حول الرحم، وقنوات فالوب القريبة من المبيض، وحتىٰ عند خلع هٰذِه الملابس فإن الضغط يبقىٰ لبعض الوقت في جدران الرحم السميكة بالرغم من انخفاضه حول قنوات فالوب، وهٰذا يتسبب بدوره في توجه الخلايا إلى الخارج لتصل إلى المبايض مضيفًا أن أثر هٰذا الضغط الرجعي الناتج عن تكرار هٰذِه العملية لسنوات عدة بعد البلوغ يؤدي إلىٰ تجمع الخلايا، وإحداث التهابات.

وقال: إن ارتداء الملابس الضيقة والمشدّات كان شائعًا في القرن الماضي بين النساء من الطبقات الراقية مما أدىٰ إلىٰ إصابتهن بآلام بطنية حادة، مما يدل علىٰ أن ما ترتديه المرأةُ من ملابس أثناء فترات الطمث الشهرية يؤدي دورًا مهما في زيادة خطر الإصابات.

وأشار الخبراء إلىٰ أنه إذا كان تفسير ضغط الملابس صحيحًا فإن التهاب بطانة الرحم يجب أن يكون- بناء علىٰ ذلك- نادرًا نسبيًا في الدول التي ترتدي فيها النساء ملابس واسعة وفضفاضة.

وأجاب ديكنسون عن ذلك بمقالة نشرتها «المجلة البريطانية للنساء والتوليد»، وقال=

- أرجوك.. هٰذا يكفي.

- ترىٰ لو أصدر حاكم بلد من البلدان قرارًا يمنع بموجبه النساء من كشف أجسامهن لأشعة الشمس؛ حماية لهن من السرطان، أفكان يتهم بمصادرة حرية المرأة؟ إن الله- ﷻ- يمنع المرأة من هٰذا الكشف؛ حماية لها من نار جهنم، ومن الفتنة، ومن شرور كثيرة.. أفتكون هٰذِه الحماية العظيمة سلبًا للحرية؟ ولا حرية حقيقية إلا في ظل الأمن، والصحة، والطمأنينة، والسلام النفسي والاجتماعي!.

الحجة الخامسة عشر:

سأرتدي الحجاب أول رمضان أو عندما أتزوج أو ... الخ.

والجواب عن هٰذِه الحجة:

يقول الأستاذ محمد رشيد العويد:[(١)]

حدثتني السيدة سامية حسين، التي كانت ضمن وفد جمعية الشباب

= فيها: إن الدراسات الطبية التي أجريت حول هٰذا الموضوع تدعم هٰذا التوجه، فجميع النساء في الهند- علىٰ سبيل المثال- يرتدين الساري، لذلك لم يظهر في الثلاثين سنة الماضية سوىٰ أربع حالات إصابة بالتهاب بطانة الرحم التلقائي، سجلت بعد مراجعة أكثر من ١٢ ألف مقالة نشرت في المجلات الطبية الهندية، مؤكدًا أن العكس صحيح في الغرب، إذ تعتبر هٰذِه الحالة من أكثر الحالات النسائية شيوعًا في الدول الغربية، حيث ترتدي النساء موديلات مختلفة من الملابس الضيقة.

من جانبها قالت آنجيلا برنارد- رئيسة جمعية التهاب بطانة الرحم الوطنية الأمريكية-: إن ارتداء الملابس الضيقة لفترات زمنية طويلة هو السبب في ارتفاع معدلات الإصابة بهٰذِه الحالة، مؤكدة على السيدات والفتيات ضرورة تجنب ارتداء هٰذِه الملابس، وخاصة في أثناء الدورة الشهرية.

(١) «رسالة إلىٰ حواء» الرسالة الأولىٰ ص٧٥-٧٦ .

المسلم، الذي زار الكويت، عن فتاة دانمركية ٱستمعت لشرح عن الإسلام منها ومن سيدة دانمركية مسلمة وكانتا السيدة الدانمركية وسامية تضعان الحجاب، فلما شرح الله صدر هٰذِه الفتاة للإسلام وأعلنت إسلامها طلبت من السيدتين إلباسها الحجاب الشرعي فقامتا بذلك على الفور وحسن إسلام هٰذِه الفتاة.

سمعت قصة هٰذِه الفتاة الدانمركية من السيدة سامية، فبكيت في نفسي وضحكت، بكيت تأثرًا لموقف هٰذِه الفتاة الدانمركية التي ٱمتثلت لكل ما يأمرها به الإسلام، بعد أن أحبته ودخلت فيه، دون أن تناقش أو تؤجل أو تسوّف، فقد رأت أن الإسلام حق والحق لا يأمرها إلا بحق، وضحكت في نفسي حين تذكرت فتياتنا المسلمات العربيات حين تقرر الواحدة منهن أن تتمسك بأهداب الدين فهي تقول: سأبدأ الصلاة في أول رمضان ولن أتركها بعد ذلك، وسأضع الحجاب بعد أن أؤدي الحج، ولن أخرج مع الشباب بعد أن أتزوج، وهكذا تقسم فتاتنا العربية الدين أقسامًا وتجعله مراحل وفترات.

ميزة الغربي والغربية أنه إذا آمن بشيء عمل له وأخلص وبذل من أجله جهده وماله ووقته واهتمامه كله.

أما نحن العرب، فإذا آمنا بشيء أعطيناه فضل جهدنا وبعض مالنا وشيئًا من وقتنا ونزرًا يسيرًا من ٱهتمامنا.

ألا يحق لي بعد هٰذا أن أقول إن شمس الإسلام ستشرق هٰذِه المرة من الغرب.

الحجاب المتبرج!!

يقول أ/ محمد رشيد العويد(١):

جمع بعض الإخوة المبررات التي تذكرها الفتيات والنساء اللواتي يلبسن الحجاب المتبرج، من خلال استبيان قاموا به، وطلبوا مني تفنيد هٰذِه المبررات والرد عليها، وفيما يلي تلك المبررات والرد الذي وفّق الله إليه.

المبررات:

- زوجي يطلب مني هٰذا.
- لا أريد أن أبدو شاذة.
- أحب أن أبدو أنيقة دائمًا.
- وسائل الإعلام هي السبب.
- صاحباتي يشجعنني عليه، ويسخرن مني إذا لبست غيره.
- الأصل هو الحشمة، والمكياج لا يتنافىٰ معها.

أريد أن أسأل الزوجة التي تضع المكياج علىٰ وجهها، وهي تغطي شعرها، متعلّلة بأن زوجها هو الذي يريدها أن تضع هٰذا المكياج: أتراها تطيع زوجها لو أرادها أن تفطر في رمضان؟ أو أرادها أن تترك الصلاة؟ أو أرادها أن تنزع الحجاب كله؟!

أي عذر واهٍ هٰذا؟! أما تعلم هٰذِه الأخت أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟ فكيف تطيع زوجها في معصية إبداء زينتها لغير المحارم؟ لتراجع هٰذِه الأخت نفسها، ولتتق ربها، ولتقل لزوجها بعزة الإيمان حين يطلب منها أن تخرج والأصباغ علىٰ وجهها: «لا طاعة لك عليَّ في هٰذا. ثم لا أدري كيف لا تغار عليَّ حين ترضىٰ بأن يرىٰ زينتي غيرك من الرجال»؟!

---

(١) «رسالة إلىٰ مؤمنة» ص١٩٢-١٩٨ .

أما التي تخاف أن ترتدي الحجاب الإسلامي فتبدو شاذة في المجتمع؛ فأريد أن أقول لها: إن هٰذا ٱنهزام واضح في نفسها، وضعف ظاهر في إيمانها، لماذا ترى الحجاب الإسلامي شذوذًا ولا تراه تميزًا؟! لماذا تشعر بالخوف من ٱرتدائه ولا تشعر بالعزة؟! هل سمعت بمسلمة في التاريخ الإسلامي قالت مثل قولها؟! حين نزلت آية الحجاب بادرت المسلمات إلىٰ مرطهن ملتزمات بما أمرهن الله، دون أن يشعرن بمثل هٰذا الخوف الغريب العجيب.

ثم أريد أن أسأل: كيف تبدو المحجبة حجابًا شرعيًا شاذة في المجتمع، والحجاب منتشر شائع ولله الحمد تلبسه المسلمات معتزات مفتخرات؟! وأبشرك بأن السافرة هي التي ستكون شاذة، وهي التي ستخاف من بقائها سافرة، فما هي إلا سنوات قليلة -إن شاء الله- حتىٰ يعم الحجاب الإسلامي الشرعي مع هٰذِه العودة الطيبة المباركة إلىٰ الله سبحانه وشرعه العظيم.

وأنتقل إلىٰ مَن تبرر عدم التزامها بالحجاب الشرعي بقولها: «أحب أن ألبس أحدث الأزياء فأبدو أنيقة دائمًا».

فأقول لها ولكل فتاة وامرأة: إن حب الأناقة مركوز في نفس كل واحدة، وهٰذا حب طبيعي لا يمكننا أن ننكره، أو نرفضه، أو ندعوك إلىٰ محاربته وقمعه، ولٰكن: كيف تلبينه وتمارسينه؟ لقد أباح لك الإسلام أن تتزيني لزوجك، وتتأنقي له كما تشائين، بل أمرك بهٰذا وحضّك عليه. كما أباحه لك مع صديقاتك وقريباتك، وأكثر ما تحب المرأة أن تبدو أنيقة متألقة أمام النسوة الأخريات.

الإسلام إذن؛ لم يحارب فيك هٰذا الميل نحو الأناقة، ولم يقهر فيك هٰذِه الرغبة في اللباس الجميل، لكنّه حدد من تظهرين فيه أمامه،

حماية لك، وحفظًا للمجتمع من الفتن التي تعاني منها المجتمعات غير المسلمة اليوم معاناة مُرَّة؛ ظهرت في ملايين حوادث الاغتصاب والأطفال غير الشرعيين.

أما الأخت التي تقول: «وسائل الإعلام، وبالأخص التلفاز، لها أثر كبير في ملبسي»، فإني أقول لها ما قلته لمن سبقتها: تأنقي كما تشائين، وتزيني مثلما تحبين، ولٰكن هٰذِه الزينة لا تبديها إلا لمن أذن لك الإسلام بإظهارها أمامهم.

ثم أحب أن أنبهك إلىٰ شرور التلفزيون الكثيرة، وما يشيعه من مفاهيم خاطئة في عقول النساء، فتحسبين أن النسوة اللواتي ترينهن علىٰ شاشته سعيدات هانئات، وهن في حقيقتهن تعسات شقيّات. فلا تغررك هٰذِه الألوان، ولا يخدعنّك جمال مصطنع، وابتسامة متكلفة تظهر بهما المرأة علىٰ شاشة التلفزيون.

وأصلُ إلىٰ من تقول: «صاحباتي يشجعنني علىٰ هٰذا اللباس، ويسخرن مني إذا لبست غيره»، لأقول لها: بل أنتِ التي تسخرين من تبرجهن وأتباعهن لهواهن، وانقيادهن للشيطان. انظري إليهن من عَلٍ، وارثي لحالهن، وشجعيهن أنتِ على اللباس الشرعي، ولا تأبهي بسخريتهن، ولا تبالي بها، واعلمي أن دأب الكفار والمشركين والعصاة هو السخرية من الحق. وأذكرك بآيات الله الكريمات التي تحكي لنا سخرية قوم نوح من نوح عليه السلام، حين كان يبني السفينة على البر، يقول تعالىٰ: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[1].

(١) هود: ٣٨-٣٩ .

قولي لها .. قولي لصاحبتك التي تسخر من حجابك: هل تريدين العذاب المخزي والعذاب المقيم؟ قولي لها: إني أسعىٰ إلىٰ طاعة ربي للنجاة من عذابه. أفتراك لا تخافين عذاب الله وعقابه؟

والآن نستمع إلىٰ من تقول : «الأصل هو الحشمة. ولا يهم أن وضعت المكياج أم لا» ونسألها: من حدد هٰذا الأصل؟ إن الأصول يحددها الشرع الإسلامي وليس لأحد من الناس أن يحددها. والمكياج زينة، وإظهار الزينة منهي عنه بنص قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾(١).

فيا أيها الأزواج والزوجات، انظروا وتأملوا. كم تضيعون من رحمات ربكم بكم، ومغفرته لكم؟!.

---

(١) النور: ٣١ .

تحرير المرأة من التكشف والسفور

يقول أ/ محمد رشيد العويد[١]:

وهل التكشف والسفور قيدان حتىٰ تُحرر المرأة منهما؟

التكشف الذي يؤكد حرية المرأة في كشف مفاتنها، وانطلاقها من اللباس الساتر، ومن الحجاب المخفي لزينتها، هٰذا التكشف قيد؟ كيف جعلتموه قيدًا؟

وأقول مجيبًا: نعم، هٰذا التكشف، وهٰذا السفور قيدان حقيقيان، يحرمان المرأة حريتها، ويشكلان لها قيودًا مؤلمة !

والحجاب، الحجاب الإسلامي، يحرر المرأة من هٰذِه القيود، ويكفل لها حرية عظيمة، توفر لها راحة نفسية، وطمأنينة قلبية، حرمت منها السافرة المتبرجة المتكشفة!

ورب قائل: هات برهانك إن كنت صادقًا !

وأقول: هاكم البرهان:

منذ بلوغ الأنثىٰ سن الحيض؛ تقوىٰ في نفسها رغبة أزلية في التجمل والتزين، رغبة في ظهورها جميلة، فاتنة، جذابة. وهٰذِه الرغبة تحمل الفتاة أعباء نفسية عظيمة، وقلقًا ذهنيًا متصاعدًا، وهمومًا أنثوية متزايدة:

لون البشرة، الطول الزائد، القصر الزائد، النحافة، البدانة، ملامح الوجه، كبر الأنف، ضيق العينين، بثور على الوجنتين..

أي فتاة تبلغ سن الحيض وتنجو من أحد هٰذِه الهموم في الشكل والمظهر؟ أليست هٰذِه الهموم قيودًا نفسيه مؤلمة، تنعكس علىٰ نفس الفتاة كآبةً، وعلىٰ ذهنها قلقًا، وعلىٰ أعصابها توترًا؟

---

(١) «من أجل تحرير حقيقي للمرأة» ص ١٤١-١٥٧ .

من يملك أن يقول: إن الفتاة تعيش، وهي تحمل هموم إخفاء هٰذِه العيوب، حريةً سعيدةً مُبْهِجة؟ والحمد لله أن الدراسات الاجتماعية والنفسية أكدت صدق هٰذا، وبرهنت عليه بما لا يترك مجالًا لرافض أو منكر.

وأمامي نتيجة دراسة اجتماعية، نشرت في واشنطن وأظهرت أن الفتيات الصغيرات اللاتي تجاوزن الـ١٢ عامًا؛ أكثر عرضة للكآبة النفسية من أقرانهن الذكور، وذلك بسبب انشغالهن الدائم بالتفكير في مظهرهن الخارجي.

وقالت الدراسة التي نشرتها مجلة «جورنال أبنورما سيكولوجي»: إن الشعور بهٰذِه الكآبة يزداد لدى الإناث في فترة المراهقة..ويستمر حتىٰ بلوغ مرحلة الشباب.

وأوضحت الدراسة التي بنت استنتاجها على السلوك الاجتماعي، لمجموعة كبيرة من طلاب وطالبات المراحل الدراسية المختلفة في الولايات المتحدة، أن هٰذا الشعور يقل، وينعدم أحيانًا، عندما تشعر الفتاة بالرضا عن نفسها.

ولاحظت الدراسة أن شعور الكآبة متساوٍ عند الذكور والإناث قبل البلوغ، لكنه يزداد عند الإناث بعد سن الـ ١٢عامًا.

ولاحظت الدراسة أيضًا أن الفتاة الكئيبة - نتيجة لقلقها العام علىٰ مظهرها الخارجي - يسودها اقتناع تام بأنها إما تكون قصيرة القامة جدًا، أو طويلة القامة جدًا، أو نحيفة جدًا، أو بدينة جدًا، كما يسودها شعور بأن ملامح وجهها مخيفة.

كيف يلغي الحجاب كآبتها؟

ولنتوقف قليلًا عند هٰذِه الدراسة:

- أظهرت الدراسة أن الفتاة تبدأ بالقلق والشعور بالكآبة منذ سن الـ١٢عامًا، وهو عادة سن بلوغ الأنثىٰ، وهو الوقت نفسه الذي فرض فيه الإسلام الحجاب على المرأة، فهو -الإسلام- يحميها إذن من تلك الكآبة النفسية، وذاك القلق الذهني، قبل بدئهما.

- أوضحت الدراسة أن الشعور بالكآبة يقل، وينعدم أحيانًا، عندما تشعر الفتاة بالرضا عن نفسها. وهٰذا ما يوفر الحجاب قدرًا كبيرًا منه للفتاة؛ حين يطمئنها إلىٰ أنها مثل غيرها في حجابها، وأن أحدًا لا ينظر إلىٰ غيرها نظرة إعجاب لا ينظر مثلها إليها.

- لاحظت الدراسة أن الفتاة الكئيبة - نتيجة لقلقها العام علىٰ مظهرها الخارجي - يسودها اقتناع تام بأنها إما تكون قصيرة، أو طويلة، أو نحيفة؟ أو بدينة،... والحجاب أيضًا ينجيها من هٰذا أيضًا؛ لأن مواصفات الحجاب الإسلامي تستر الكثير من هٰذِه الصفات الجسدية: (يحرم على المرأة أن تلبس ثيابًا رقيقة تشف عن جسمها، أو أن تلبس ثوبًا يصف حجم عظامها وهيئة جسمها).

(ويجب ألا يكون رقيقًا يظهر لون البشرة، وألا يصف أو يحدد معالم الجسم، وألا يكون ضيقًا أو ألوانه زاهية، فالثوب لابد أن يكون فضفاضًا واسعًا لا يبرز شيئًا من الجسم).

- يشتمل المظهر الخارجي على اللباس، وهٰذا يحمل أعباء مالية ونفسية للفتاة التي تضنيها متابعة الموضات، ومنافسة الزميلات

والصديقات والقريبات، في الظهور بما يشد أنظار الشباب إليهن.

وهٰذا أيضًا يريح الحجاب الفتاة منه؛ فلا تحتاج إلىٰ كثرة التغيير في لباسها إذا ما خرجت إلى الشارع، أو ذهبت إلىٰ مدرستها، أو إلىٰ عملها إذا كانت عاملة؛ لأنها تذهب إلىٰ هٰذِه الأماكن جميعها وغيرها في حجابها الذي يستر جسدها كله.

- وفي دراسة إحصائية أخرىٰ، قامت بها إحدىٰ شركات صناعة أصباغ الشعر الشهيرة، جاء أن سبعة من كل عشر نساء، فوق الخامسة والثلاثين من العمر، يقمن بصباغة شعرهن عندما يظهر فيه الشيب، كما أن [٢٤] في المائة من النساء يستخدمن نوعًا من الأصباغ الخاصة بالشعر، سواء أكان هناك شيب في رءوسهن أم لم يكن.

والحجاب هنا أيضًا، يخفي شيب المرأة، ويخفف عنها كثيرًا من قلقها إزاءه؛ إذا لم يلغه تمامًا.

وهكذا يحرر الحجاب المرأة من الكآبة النفسية، والقلق الذهني، والتوتر العصبي الناتجة جميعها عن حرص فطري لدى المرأة على الظهور جميلة، مُعْجِبَةً فاتنةً، ويحصر مجالات ظهورها في زينتها، أمام مجموعة قليلة من أقاربها، الذين لن يسببوا لها الكآبة النفسية إن لم تظهر أمامهم جميلة، من مثل زوجها، ووالد زوجها، وأبنائها، وأبيها، وأخوتها، وأبناء أخوتها أو أخواتها.

هل هٰذا كل ما في الحجاب من دلائل علىٰ تحرير المرأة؟

بل هناك أشياء أخر، منها:

الحجاب وحركة السير

هل يملك أحد المارة؛ أن يقول: إنه حر حين يقفز أمام السيارات، ويفاجئ سائقيها، فيسبب حوادث مرورية قاتلة؟!!!

أليس تصرفه هٰذا مُوجدًا لقيود تنال من توازن السائقين، ومن تحكمهم في السيارات التي يقودونها، ومسببًا لاضطرابات مرورية خطيرة، قد ينتج عنها حوادث قاتلة، وأضرار مادية كبيرة؟!!

إن السفور والتكشف اللذين تزعم المرأة أنهما من حريتها، مثل أي فعل آخر؛ يسرق أنتباه السائقين، ويشغلهم عن السياقة التي تحتاج إلى أنتباه كامل، تتيقظ فيه معظم الحواس.

اقرءوا تصريحًا لمدير الشرطة في مدينة جورج تاون؛ فقد حمل فيه النساء اللواتي يتكشفن ويرتدين الثياب المثيرة؛ مسئولية حوادث الأصطدامات وحوادث الطرق، وقال: إن المسئولين، إذا لم يجدوا حلًّا جذريًا وسريعًا لمنع أرتداء «الميني جيب» فإنه سيصبح أكثر خطرًا على الإنسانية من مفعول القنبلة الذرية ! ويضيف: فيما يركز السائق نظره واهتمامه علىٰ تفاصيل الحسناء التي يراها تتركز مقدمة سيارته في سيارة أخرىٰ، أو عابر سبيل، أو عمود كهرباء.

الحجاب والتنمية

زيادة التنمية، وتحسين وسائل الإنتاج، واستثمار الوقت أفضل أستثمار، أمور تسعىٰ إليها كل دولة من الدول.

ولا نحسب من يقف أمام تحقيق هدف من هٰذِه الأهداف، بأي عمل من الأعمال، يملك بأن يقول: إنه حر التصرف !

وعليه؛ فإن المرأة السافرة المتكشفة المتبرجة التي تشغل العاملين

عن أعمالهم، وتكون سببًا في قلة إنتاجهم وتراجع عطائهم لا تملك أن تقول إنها حرة.

وأنقل خبرًا صغيرًا؛ لكن دلالته كبيرة علىٰ صدق ما نقول:

أصدرت إحدىٰ أهم المؤسسات البريطانية (باركليز كارد) مرسومًا داخليًا، طلبت فيه من العاملات..عدم ٱرتداء الملابس المثيرة.

وعلل المسئولون في المؤسسة هٰذا المرسوم؛ بانشغال العاملين الرجال عن عملهم بسبب طريقة لبس بعض زميلاتهم.

هٰذِه مؤسسة خاصة، أدركت تأثير طريقة لباس العاملات فيها، علىٰ إنتاج العاملين الرجال وخفضه؛ بسبب ٱنشغالهم بالنظر إلى النساء العاملات، فعملت علىٰ إلغاء السبب؛ حرصًا منها علىٰ مستوى الإنتاج، وزيادته لا ٱنخفاضه.

ولم يملك أحد في هٰذِه المؤسسة أو خارجها أن يعترض، أو يرىٰ في هٰذا المرسوم حدًا للحرية الشخصية؛ لأن صاحب المؤسسة أيضًا حر في فعل ما يرىٰ فيه مصلحة لمؤسسته، وحماية لمستوىٰ إنتاجها.

والأمر في مؤسسة الحياة، والمجتمع أولىٰ وأهم؛ لأنه يمس مصلحة الأمة جميعها، والناس كلهم، ومن ثم فليس من الحرية، أن تخرج المرأة سافرة متبرجة متكشفة شاغلة بهٰذا الرجال عن مهماتهم في الحياة، من إنتاج، وبناء ونماء.

الحجاب والعدل

إذا كانت المرأة تحاور رجلًا بهدف إقناعه بوجهة نظرها في قضية من القضايا، وتعرض له خلال ذلك أدلتها وبراهينها؛ لكن الرجل كان - أثناء ذلك- ينظر إلىٰ شعرها تارة، وإلىٰ ذراعها تارة أخرىٰ، وإلىٰ رقبتها وجيدها تارة ثالثة، دون أن يهتم بما تعرضه من أدلة وبراهين؛ ألا ترى المرأة في نظرات الرجل هٰذِه وانصرافه عن سماعها باهتمام وتركيز؛ امتهانًا لها، ونيلًا من حريتها في عرض أفكارها، والإقناع بها دون تأثير سلبي أو إيجابي من شكلها وجسمها ومظهرها؟!.

إذا أعلنت جهة من الجهات؛ عن حاجتها إلىٰ موظفة للعمل، حسب قدرات وخبرات معينة، وتقدمت مجموعة من النسوة إلىٰ هٰذِه الوظيفة، وهن يحملن معهن شهادات ووثائق تثبت ما يملكن من قدرات وخبرات لكن اللجنة المكلفة باختيار الموظفة لم تنظر في هٰذِه الأوراق بقدر نظرها في شكل الموظفة، ومدىٰ جمالها، وقوامها، وجاذبيتها فهل يعد هٰذا تحريرًا للمرأة، وعدلًا في اختيار الموظفة الصالحة للعمل..؟

وهكذا، فالأمثلة كثيرة، وجميعها تؤكد أن التكشف والسفور يشكلان قيدين على المرأة، يمنعانها من تقديم كفاءتها، ويحولان دون ممارسة العدالة تجاهها، ويحرمانها من حقوقها الإنسانية الطبيعية المجردة البعيدة عن شكلها ومظهرها.

من يقرر كم تستر من جسمها؟

هل من الحرية أن تقوم أمرأة بالخروج عارية إلى الشارع؟ هل تملك أي أمرأة في العالم كله أن تخرج من بيتها عارية؟

لا نحسب أن هنالك من يجيب بـ: نعم، إن من حرية المرأة فعل هٰذا ! ولا نحسب أن هنالك أمرأة تجرؤ عليه ! ولا نحسب - فيما نعلم - أن أمرأة خرجت من بيتها عارية دون أن يمنعها من متابعة سيرها أحد!

إذن، المرأة لا تملك الحرية في هٰذا، وعليها أن تستر من جسمها ما تستر قبل أن تخرج، ولا يخالفنا علىٰ هٰذا أحد.

يبقى السؤال: ماذا تستر من جسمها؟ ومن يقرر كم تستر؟

تعالوا نقرأ ما كتبه دكتور فرنسي متخصص في جراحة الأمراض النسائية: «إن أغلب الأمراض الجنسية التي نعاني منها سببها الأختلاط غير المشروع بين الرجل والمرأة، ولو عدنا إلىٰ أصول هٰذِه المشكلة لوجدنا أن سببها تخلي المرأة والرجل عن حيائهما الذي وضعه الله في كل رجل وامرأة. وبخاصة، وبشكل كبير، لدى المرأة، فالمرأة بعد أن تخلت عن حيائها، وخالفت بذلك طبيعتها الإنسانية، راحت تختار الألبسة التي تكشف عن مفاتنها، فانتشرت الفتنة في المجتمع، وانتشرت الأمراض بعد ذلك».

ويضيف قائلًا: «لابد من التزام المرأة بلباس موحد علىٰ مدى الأزمان، لا تتغير مواصفات الحشمة فيه وإن تغيرت نوعيته، فاللباس المحتشم للمرأة في العصور الوسطىٰ هو نفسه لباس الوقحات في العصور القديمة، ولباس المرأة المحتشمة اليوم هو نفسه لباس العاهرات في القرون الوسطىٰ، في البداية كانت المرأة تغطي وجهها بغطاء سميك مع

تغطية سائر جسمها.

وكانت الوقحات في ذلك الوقت يضعن خمارًا شفافًا علىٰ وجوههن مع الحفاظ على اللباس الساتر لأجسادهن، وبعد زمن راحت فئة من النساء غير المحتشمات تقصر أثوابها الطويلة شبرًا فوق الكعب، ثم بعد زمن آخر، أصبح هٰذا اللباس هو نفسه لباس المحتشمات، بينما راحت الوقحات يكشفن أذرعهن وشيئًا من صدورهن وهكذا حتىٰ أصبحت الشريفات اليوم يلبسن ما كانت تلبسه عاهرات الأزمان الماضية».

إذن، كما يقول هٰذا الجراح الفرنسي: «لابد من التزام المرأة بلباس موحد علىٰ مدى الأزمان، لا تتغير مواصفات الحشمة فيه، وإن تغيرت نوعيته..» لتتطور صناعة الأقمشة التي تُفصل منها الألبسة، ولتُصنع من الصوف، أو القطن، أو الحرير الطبيعي، أو الحرير الصناعي، ولكن التطور ينبغي ألا ينقص من الحشمة، ألا يمسها، فالحشمة لا تتطور، ولا تتغير، ولا تتناقص.

والله سبحانه وحده من يبين مواصفات هٰذِه الحشمة، مواصفات اللباس الذي يحققها، والحجاب الذي يحفظها.

وعليه فإذا كانت المرأة لا تملك أن تخرج عارية، فإنها لا تملك كذلك أن تخرج كاشفة ذراعها أو شعرها أو نحرها أو ظهرها أو ساقها؛ لأن السَّتر لا يتجزأ، والحشمة لا تتقسم، ولأن الشهوة لا تتغير، والغريزة لا تتطور.

لقد نظمت حركات تحرير المرأة في أميركا يومًا كاملًا عن الأغتصاب، وألقيت عنه محاضرات ودراسات مختلفة، وكان تعريفها للاغتصاب: «إن المرأة تغتصب حتىٰ بمجرد نظرة إعجاب في الشارع من أحد المارة، وعليه فإن جميع النساء ضحايا الأغتصاب الجنسي».

كيف بربكم يمكن حماية المرأة من هٰذا الاغتصاب، كما عرفته حركات تحرير المرأة في أميركا، إلا بالحجاب الإسلامي؟!

لماذا لا تحترم حرية المحجبة في اختيار الحجاب؟

إذا كان من يدعو إلى السفور ينطلق من دعوى الحرية؛ فلماذا لا يحترم حرية المحجبة في اختيار الحجاب؟

لقد ردت علىٰ هٰؤلاء امرأة غير مسلمة، وحجتهم بالمنطق نفسه، منطق حرية الاختيار، إنها الروائية الفرنسية «أني أرنو» تقول معلقة علىٰ منع طالبات مسلمات في فرنسا من دخول المدارس وهن محجبات: «أرىٰ أن الحجاب وسيلة تؤكد بواسطته المسلمات هويتهن الثقافية، وهو أمر يجب أن يحترم؛ لأن منعه خرق للحرية الشخصية، صحيح أن المدارس الفرنسية علمانية، لكن هٰذِه مسألة حرية شخصية، فهناك فرنسيات مسيحيات يأتين إلى المدارس بملابس دينية دون أن يحتج أحد».

وترد علىٰ هٰؤلاء أيضًا رئيسة اتحاد التلميذات في فرنسا «كورين سيلر» وسنها [١٧] سنة، فتقول: «إن الكبار هم الذين يصنعون هٰذِه المشاكل، ولقد سمعنا كثيرًا من ردود الفعل المتخلفة، إن كل شيء بسيط بالنسبة إلينا أن تلبس فتاة الإيشارب أو الحجاب ليس مشكلة، في مدرستنا فتاتان ترتديان الحجاب منذ سنتين، دون أن يثير ذلك أي مشكلات، كما أن الطالبات اليهوديات اللاتي يتغيبن يوم السبت ينقلن بعد ذلك الدروس.

وكان قريبًا من هٰذا موقف وزير التعليم الفرنسي «ليونيل جوسبان» الذي أكد علىٰ ضرورة احترام آراء الآخرين..» وكذلك (ميشيل رواكار) رئيس الوزراء الذي يدعو إلىٰ «ضرورة احترام حرية الآخرين وآرائهم».

وفي بريطانيا.. تكررت المعركة نفسها؛ حين أقدم رئيس إدارة إحدى المدارس في لندن؛ علىٰ طرد طالبتين مسلمتين بريطانيتين من أصل

باكستاني من المدرسة، بسبب إصرارهما على ٱرتداء الزي الشرعي الإسلامي. وتلقفت الصحافة والإذاعة ومحطات التلفزة الخبر، فما إن مضت أيام قليلة حتىٰ سيطرت معركة الزي الشرعي الإسلامي على الساحة السياسية والإعلامية والدينية في بريطانيا.

وسارع والد الطالبتين - وهو من مشاهير أطباء العيون الٱختصاصيين في لندن - إلىٰ رفع عدة شكاوىٰ إلى الهيئات التي تدافع عن حقوق الإنسان، وإلى الهيئات التي تحارب التفرقة العرقية والعنصرية مطالبًا بإلغاء قرار رئيس إدارة المدرسة البريطانية، باعتباره قرارًا ينتهك الحرية الشخصية وحرية العقيدة، وباعتباره قرارًا يحمل رائحة التمييز العرقي والعنصري كون الطالبتين من أصل أسيوي.

ولم تأخذ معركة الزي الشرعي الإسلامي وقتًا طويلًا، إذ سرعان ما ٱضطر رئيس إدارة المدرسة أمام ضعف حججه ومبرراته، إلى التراجع عن قراره، وسمح للطالبتين بالعودة إلى المدرسة وهما تلتزمان بالزي الشرعي الإسلامي.

ونقلت محطات الإذاعة والتلفزة خبر عودة الطالبتين إلى المدرسة بالبث الحي المباشر، وشاهد ملايين البريطانيين عدة مئات من الطالبات البريطانيات يرحبن بالأناشيد والتصفيق بعودة الطالبتين المسلمتين إلى المدرسة، وشاهدت الملايين أيضًا الأب وهو يحتضن ابنتيه قبل أن تدلفا إلىٰ داخل المدرسة وقد ٱنهمرت دموع الفرح من عينيه وعيني ابنتيه فرحًا بالنصر الذي حققه الله لهما في معركتهما من أجل الٱلتزام بطاعة الله ﷻ، وإطاعة أحكام شريعته.

وهكذا تنتصر المحجبات في فرنسا وإنكلترا، حيث الحرية الشخصية مصونة، بينما يمنع الحجاب في بعض أقطار المسلمين في

الوقت الذي لا يُمنع فيه التكشف، بل العري[(١)]! اهـ.

يقول د/ عبد الكبير العلوي المدغري[(٢)]:

وإن من غرائب ما يسمع الإنسان في هٰذا الزمان أن يصدر في تركيا بلد الخلافة الإسلامية حكم من المحكمة الدستورية في مارس ١٩٨٩ يعلن عن منع الحجاب داخل الجامعات؛ لأنه يتعارض مع المبادئ التي تقوم عليها الدولة؛ وكم أعجبني جواب إحدى الفتيات عندما سألتها الصحفية، لماذا ترتدين الحجاب؟ فأجابت ولماذا لا أرتديه؟ ثم قالت: لو سألت فتاة سافرة لماذا جئت هكذا؟ لأجابتك: إن هٰذا لا يهمك وأنا حرة في أن ألبس ما أشاء، وكذلك المحجبة، المسألة إذا حرية شخصية.

فأين أدبيات الحرية الشخصية وأين حقوق الإنسان المعلن عنها في التصريح العالمي في حقوق الإنسان والتي تتصدر دساتير الدول

---

(١) جاء في جريدة «آفاق عربية» ما يلي:

أصدر قاض في مدينة شيكاغو الأمريكية حكمًا هو الأول من نوعه في تاريخ الولايات المتحدة حيث قضىٰ بإلزام شركة «أمريكان إير لاينز» بدفع تعويض قدره ستون ألف دولار لامرأة مسلمة رفضت الشركة طلب تعيينها بعد نجاحها في الآختبارات لإصرارها على آرتداء الحجاب مع زي الشركة. والشركة المذكورة من كبريات شركات الطيران الأمريكية، وصرحت متحدثة باسمها بأنها ستلتزم بدفع التعويض وقامت بالفعل بتوقيع آتفاق بينها وبين اللجنة الفيدرالية لفرص العمل المتساوية لدفع المبلغ المطلوب إلى المرأة المسلمة.

ومن العجيب أن الصحف العربية مثل جريدتي «الحياة والشرق الأوسط» آهتمت بهٰذا الخبر، وأبرزته بما يتفق مع أهميته لٰكن الصحف القومية عندنا تجاهلته تمامًا، والمثل العامي في مصر يقول: «اللي علىٰ رأسه بطحة يشعر بها» العديد من الفتيات ببلادنا يتعرضن للتميز والاضطهاد بسبب الحجاب وفي التليفزيون كل مذيعة تلتزم بالزي الشرعي يتم وقفها فورًا عن العمل ببلادنا الإسلامية.

(٢) «المرأة بين أحكام الفقه والدعوة إلى التغيير» ص ٢٨٠-٢٨١

المتمدنة؟! وأين المراقبة التي يمارسها منظمة العفو الدولية على الدول والحكومات لغرض ٱحترام حقوق الإنسان، وهي ترىٰ وتسمع حكومة فرنسا تطرد الفتيات المسلمات المحجبات من المدارس والجامعات، وترىٰ وتسمع المحاكم هناك وهنالك تصدر الأحكام والقرارات بالطرد، بدعوىٰ أن الحجاب يتعارض مع مبدأ علمانية الدولة؟!

هل بلغ الخزي بهٰذا العالم المادي العلماني هٰذِه الدرجة التي تسمح لضمائر القضاة بحرمان إنسان من نور العلم والمعرفة وطرده من مدرسته أو جامعته بسبب أنه ٱختار أن يضع منديلًا علىٰ رأسه؟! هل هٰذِه هي الحضارة الغربية والمدنية الغربية والثقافة؟!

لقد كان الإسلام يبسط سلطانه علىٰ إمبراطورية عظيمة تمتد من شرق آسيا إلىٰ غرب إفريقيا وجنوب أوروبا، وكانت الشريعة هي دستور تلك الإمبراطورية، وما سمعنا أن المسلمين منعوا المسيحيين أو اليهود من ٱرتداء ملابسهم المميزة، سواء في معاهد العلم أو في الشارع بدعوىٰ تعارض تلك الأزياء مع المبادئ التي تقوم عليها الدولة:

إن هٰذِه القرارات التي ٱتخذها القضاء، سواء في فرنسا أو في تركيا أو في أي بلد علماني آخر، تعتبر مظهرًا من مظاهر إفلاس الفكر اللائكي، وصورة من صور ٱنحطاطه وأنه فكر متطرف وبعيد كل البعد عن الموضوعية. اهـ

السفور قيد على سرعة الحركة والتنقل

يقول أ/ محمد رشيد العويد[1]:

إذا كان على الإنسان إذا أراد الخروج من بيته أن يلبس ثيابًا معينة،

---

(١) «من أجل تحرير حقيقي للمرأة» ص١٥٧-١٥٩ .

تحتاج إلىٰ عناية خاصة، وأن يلتزم بأصباغ معينة علىٰ وجهه، واقتضاه هٰذا كله الوقوف أمام المرآة فترة غير قصيرة من الزمان، فهل نملك أن نقول: إن هٰذِه الأفعال دلائل علىٰ حرية هٰذا الإنسان؟! أليست قيودًا تقلل من حركته وتؤخر خروجه من بيته، وتحول دون سرعة إنجازه أعماله، وتأخذ من وقته الكثير؟!!

وهكذا المرأة التي لا تلتزم الحجاب، عليها أن تراقب شكلها قبل كل خروج من بيتها، وتختار لباسها، وتضع من الأصباغ علىٰ وجهها، وتمشط ما شاءت أن تمشط من شعرها، وتضيع ما تضيع من وقت أمام المرآة لمراقبة هٰذا كله لباسها، ووجهها، وشعرها، وماكياجها..فأين الحرية في هٰذا؟ أين هي من المحجبة التي إذا اضطرت إلى الخروج من منزلها، لحاجة طارئة، بادرت إلىٰ حجابها تستر به جسدها كله في لحظات، وهي متحررة من جميع ما ابتليت به المرأة السافرة المتكشفة!

وإليكم مثلًا علىٰ هٰذا التصريح الذي أدلت به الرئيسة الفلبينية «كورازون أكينو» إلىٰ وكالة (رويتر) في ٧ ربيع الأول ١٤٠٨ الموافق ٣٠/ ١٠/ ١٩٨٧، تقول: «إنه بوسع الرجل أن ينهض من الفراش، ويمشط شعره ليكون مستعدًا لمباشرة عمله. غير أن الأمر يختلف بالنسبة إلى المرأة».

وتضرب (أكينو) مثلًا علىٰ هٰذا فتقول:

«في ليلة محاولة الانقلاب الفاشلة في ٢٨ آب (أغسطس) الماضي (٤/ ١/ ١٤٠٨) عندما تم إيقاظي من سباتٍ عميق؛ لإبلاغي بنبأ محاولة جنود متمردين اغتيالي، انصرف ذهني حينئذٍ إلى الاهتمام بمظهري».

وتابعت حديثها الذي أدلت به في مأدبة غداء لرابطة الصحفيين الأجانب في الفلبين:

«لو كنت رئيسًا - أي رجلًا - فكل ما يتعين علىٰ أن أفعله هو ارتداء

ملابسي. وهٰذا كل ما في الأمر. ولكن في حالة كون رئيس البلاد ٱمرأة، فإن الأمر يتطلب الٱهتمام بالمكياج».

ومضت تقول:

«لا يمكنني أن أسمح بأن تلتقط لي صور وقد ٱستيقظت لتوي من الفراش»

وهكذا يوفر الحجاب للمرأة جوًا آخر من أجواء الحرية، ومعنىً آخر من معانيها، يحررها من التكشف والسفور اللذين يقيدان حركة المرأة، ويؤخران خروجها من بيتها، ويرهقان أعصابها، ويسلبانها كثيرًا من وقتها.

التبرج دعوة صريحة للبغاء والإباحة المطلقة

يقول الأستاذ عبد الله أمين[١]

تعري الفتيات والسيدات مع الفتيان والرجال على الشواطئ المحاذية للطرق العامة الغاصة بالناس غادين ورائحين في وضح النهار، لا يكفي أن يحكم عليه بأنه تبرج أو تهتك أو بغير ذينك من الألفاظ العربية التي ليس في اللغة أقسىٰ منها لوصف المستهترات بالصيانة والآداب.

فقد كان أجدادنا العرب، الذين ورثنا دمهم وحضارتهم ودينهم ولغتهم إذا رأوا المرأة أظهرت محاسن وجهها ورقبتها، أو تكسرت وتبخترت في مشيتها وصفوها بالمتبرجة، وإذا رأوها لا تبالي أن يظهر بعض منها كالساق والذراع، وصفوها بالمتهتكة، وأصل التهتك أن ينشق سترها أو ثوبها ويظهر منها بدون إرادتها، ومع ما كان في معيشتهم، وهي معيشة رحلة وانتقال، وما في بيوتهم وهي أخبية لكل أسرة خباء من تعسر الٱحتجاب والتستر، هٰذا ما كان عند العرب منذ جاهليتهم الجهلاء عن

---

(١) مجلة «لواء الإسلام» العدد الثاني سنة ١٣٦٦هـ

مدلول هٰذِه الألفاظ. أما الكشف عن الصدور والظهور والأذرع والسيقان والأفخاذ والأعجاز والأطّراح أو الجلوس علىٰ هٰذِه الصور الذميمة، وعلىٰ مرأىٰ من جماهير الناس بلا مبالاة، فإنه من بدع هٰذا الزمان، ولم يعهد فيما مضىٰ من الأزمان، ولا يمكن أن يقاس بما كان في الدول العربية المختلفة من مظاهر التبرج والتهتك، ولا يصح أن يكون مدلولًا للألفاظ التي وضعت لوصف النساء المستهترات.

إن لهٰذا التعري ناحيتين: ناحية قريبة، وناحية بعيدة أما الناحية القريبة فالحكم الذي يصدق عليه أبلغ صدق هو أنه دعوة صريحة مكشوفة للبغاء والإباحة المطلقة، فإن لم يكن لذلك وكان لما يزعمون من التمتع بالماء والهواء والشمس، فلم هجرت الحمامات النسوية حتى ٱنقرضت، ولم تهجر الآن الشواطئ المختصة بالإناث؟ ولئن كان هٰذا الضرب من الفجور قبيحًا بالبغايا المرتزقات، إنه بالحرائر المسلمات أقبح القبائح، وأفظع، التي يقشعر لهولها البدن، ويقف لفداحتها الشعر، إن هٰذا التعري يغري الرجال والشبان والنساء والشواب بالفساد وفي هٰذا الفساد ما فيه من هتك حرمات الفضائل، وضياع الأنساب وخراب البيوت والانصراف عن الزواج، وانقراض النسل، وانصراف الشبان عن تكميل أنفسهم بالعلم والفضيلة إلىٰ هٰذا العبث، والاستهداف لأخطار الأمراض الجسدية والخلقية؛ وكل ذلك بلا شك يفضي في النهاية إلىٰ تدمير المجتمع. أما ما يزعمه أنصار العري من أن الملابس حائل بين الأجسام وبين الهواء والشمس فباطل ينكره العقل، ويكذبه الحس، وإلا لما ٱكتسىٰ حيوان بصوف أو وبر أو شعر ولا ٱكتسىٰ طير بريش، ولا حاول الإنسان منذ نشأته الأولىٰ أن يكتسي.

وأما زعم من يزعم أن الناس إذا ألفوا التعري فإنه يفقد تأثيره فلا

يغري أحدًا بفساد فزعم باطل أيضًا؛ لأن التعري ليس من الأمور التي تفقد تأثيرها بتكرارها، وإيلاف الناس إياها. إنه ليس كقصف المدافع، وفرقعة القنابل التي يألفها جنود الميدان وينامون أو يستذكرون دروسهم عليها؛ لأن وراء التعري ما ليس وراء المدافع والقنابل من غريزة جامحة وثابة لا تكل ولا تمل، ونشاطها في تجدد مستمر، كنشاط غريزة الطعام، وسرعان ما تهيج حين يعرض لها ما يهيجها إذا لم تشبع كما يسيل لعاب الجائع على الأكل حين يعرض عليه.

وإن الإنسان وبخاصة المدني الذي أوقظت حواسه وملكاته ومشاعره أبلغ إيقاظ بالعلم والفن والتدريب، وأرهف حسه أيما إرهاف، وعرف معنى الجمال في كل شيء وفي المرأة، ودرب علىٰ تذوقه والالتذاذ به وأخذ يغذي نفسه وروحه بضروب الجمال المختلفة في المساكن والأثاث والطعام والبساتين والمسارح والنساء لجدير أن يتأثر أبلغ تأثر بالمرأة العارية ويهيج هياجًا.

وإن الأمم التي لا تزال عارية على الفطرة كبعض أمم أوساط أفريقية وجنوبيها لتشيع فيها المفاسد والأمراض الخبيثة، ولبعض القبائل العارية قوانين صارمة لحماية البنات من مهاوي الفساد من جراء العري، ومع ذلك فيها ما فيها مما لا يلائم الفضيلة التي ينشدها العالم المتحضر.

إن جمرة هٰذِه الغريزة لا يمكن إخمادها إلا إذا أشبعت وإلىٰ حين. وكيف نشبعها في بلادنا وسن البلوغ فيها في الذكور والإناث الثانية عشرة والثالثة عشرة وهم لا يزالون حديثي عهد بالطفولة ولما تشتد سواعدهم وتكتمل مداركهم، وإن حرارة بلادنا لكفيلة بإذكاء نار هٰذِه الغريزة، فلسنا كأوروبا التي نقلدها في كل شيء تقليدًا أعمىٰ، إنها بلاد باردة يتأخر فيها البلوغ إلىٰ حوالي العشرين ويكاد بردها يخمد هٰذِه الغريزة، لقد ظهر هٰذا

التعري أولًا في أوروبا.

وسرعان ما تطاير شرره وشره إلىٰ مصر، وانتشار الرذائل في النفوس المريضة الضعيفة أسرع من ٱنتشار النار في الهشيم؛ لأن الفضائل قيود وأغلال ثقيلة لا يقوىٰ على ٱحتمالها إلا النفوس السليمة القوية؛ فإذا آنست النفوس الضعيفة ثغرة في بناء الفضيلة ٱنسابت إلى الرذيلة ٱنسياب الماء الدافق من ثقب ضعيف لا يزال يعمل فيه عمله حتىٰ يهدم الحائط الذي هو فيه. والمصريون مفتونون بتقليد أوروبا فتنة عمياء تريهم السيئات حسنات.

ولقد ٱنتقل هٰذا التعري من شواطئ البحر في بلادنا إلى المدن، فأنت ترى البنات والسيدات فيها يلبسن ملابس قصيرة فوق الركبة، فإذا جلسن وجلست أمامهن في سيارة عامة أو ترام أو مكان ما، رأيت عوراتهن؛ هٰذا إلىٰ تعري الصدور والسواعد والأعضاء والسيقان وكل سنة تزداد هٰذِه الملابس قصرًا وصغرًا. هٰذِه هي الناحية القريبة للعري وآثارها السيئة.

فأما الناحية البعيدة فالحكم الذي يصدق عليها أنه رجوع بالإنسان إلى التوحش؛ لأن هٰذا التعري ٱمتداد أو تدرج لعري سابق أخف منه، وهو بلا شك مقدمة لتعر لاحق أشد منه. إنه مقدمة للتجرد التام من الملابس لا على الشواطئ وفي الصيف، بل على الأرض اليابسة، وطوال العمر، ولقد بدأ فريق من الرجال والنساء في أوروبا - قدوتنا العليا - بعد الحرب العالمية الأولىٰ يدعون إلىٰ تجرد الذكور والإناث من الملابس تجردًا تامًا يشمل العورات، وقد وجدت هٰذِه الدعوة أنصارًا ولولا الحرب العالمية الثانية لما ٱنقطعت عنا أخبارهم ولانتقلت عدواهم إلينا، أليست بلادنا حارة فهي أحق بالتجرد من الملابس منهم؟!

إن هٰذِه الدعوة بدعة آخر الزمان أو آخر عهد الإنسانية: إنها بداية

السير في طريق التوحش وعودة الإنسان إلىٰ مقامه الأول بين صفوف الحيوان؛ لأن هٰذا الفريق من الناس الذي آثر التعري على التستر لا تلائمه الإقامة في المدن بين الناس المتسترين ولا هم يقبلونه بينهم، ولا تلائمه الإقامة في البيوت على الفراش الوثير، وبين الحيطان والستور، وليس من المعقول أن يفكر في ذلك إلا إذا عدل عن العري ورجع إلى الملابس، وإلا ففيم كان هٰذا التعري؟ ولم كان؟! إنه لا يلائمه إلا سكن الغابات وهٰذا ما فعله أنصار التعري في أوروبا، وإذا هو أوىٰ إلى الغابات كما يجب أن يأوي، وكما فعل أنصار العري فلابد له لاتقاء الضواري من أن يتسلق الأشجار، وإذا هو راض عن نفسه علىٰ هٰذا التعري وهٰذا التسلق أجيالًا طوالًا فقد جلده الغضارة والنضارة واكتسىٰ شعرًا، وطالت أظفاره، ودبرت كفوفه وأقدامه وحراقفه، وتغير خلقه تغيرًا يلائم هٰذِه الحياة؛ لأن الوظيفة تُكوّن العضو.

وبابتعاده عن الحضارة والمتحضرين يفقد حاجته إلىٰ تسعة أعشار اللغة، وينساها وبابتعاده عن الحضارة يبتعد بلا شك عن مصدر هٰذِه الحضارة وهو المدرسة، وإذا هو ٱبتعد عن المدرسة فقد نور العلم والمعرفة وانقطعت صلته بالإنسانية واتصلت ٱتصالًا وثيقًا بالوحشية، لأن الإنسان ما ٱمتاز علىٰ سائر الحيوان إلا بالنطق والعقل فإذا فقدهما فقد الإنسانية. لقد كان الإنسان في نشأته الأولىٰ عاريًا أبكم، لا يدري ما يقول وما يفعل، لا فرق بينه وبين سائر الحيوان، ثم أخذ يتدرج بهداية من الله في مدارج الترقي حتى ٱكتسىٰ كسوة كاملة، وعرف اللغات معرفة دقيقة تامة، وتعلم العلوم والمعارف واتسعت مداركه، وابتنى الدور والقصور وافترش الفراش الوثير، وجعل بيته فتنة للناظرين، ومازال يتدرج في مدارج الكمال حتىٰ بلغ ما بلغ الآن، والآن يريد أن ينزل عما آل إليه إلىٰ

ما كان فيه من مرتبة الآنحطاط والتأخر. أفلا نستطيع بعد ذلك أن نحكم بأن تعري الفتيات والسيدات على الشواطئ وفي المدن الكبرىٰ على النحو الذي تراهن عليه، الآن بداية السير في طريق التوحش بسرعة، ودلالة من دلائله، وعلامة من علامات يوم القيامة! إنا لنستطيع ذلك، ولا يستطيع أحد أن ينكره علينا.

نساء القرن العشرين

تقول أ/ سعاد الطويل(١):

ترىٰ ألا يؤثر العلم والثقافة علىٰ عقول بعض هٰؤلاء المتأخرات؟! ألم تدري هٰذِه المحجبة أنها تعيش في القرن العشرين؟ ما هٰذِه النفسية؟ لم لا تنخرط بمجتمعها الذي تعيش فيه؟ أيكون الرجل بعبعًا يأكلها؟! ما هٰذا الحياء الزائد؟! بل ما هٰذا الجفاف؟! نحن اليوم في القرن العشرين ومجتمعنا لا يسمح لنا أن نظهر هكذا!

أسئلة كثيرة هٰذا نوعها تتردد علىٰ أفواه نساء القرن العشرين، فالدراسة التي تثقف العقل البشري وتزيل عنه بقايا الجهل والتأخر تظن هٰؤلاء الفراغات أن حجاب المرأة اليوم من تلك البقايا فكأنها إذن لم تستفد من دراستها! ولم تنظر إلىٰ أنواع الأزياء في المجلات المختلفة بل تبقىٰ هي هي كما كانت في الماضي تسدل المنديل علىٰ وجهها، وترتدي الكلسات السميكة والمعطف العريض حتىٰ إنهم لينظرون إليها نظرة آستخفاف، ويقال لها: (خالف تعرف).

هي مخالفة حتما؛ لتعرف أنها مسلمة، وليست من جملة الفاسقات الفاجرات، هي إحدىٰ جنود الرسول ﷺ وليست من جنود الشيطان. ألا

---

(١) مجلة «حضارة الإسلام» ص ١١٥٠

تعلمين أيتها المتبرجة، أيتها السافرة أن الثقافة تنير العقول، وتشرح الصدور، وتكشف ظلام الجهل وتزيد من قوة الإيمان؛ لأن الله تعالىٰ يقول ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾. كلما ٱزدادت علوم الإنسان كلما خشي ربه أكثر، ومن أراد الله به خيرًا فقهه في الدين، والعلم كلمة عامة لا تقتصر على العلوم الدينية التي هي وحدها تصل العبد بربه، بل كل علم يصله بربه والاتصال بالله والخشية منه لا تحتاج إلى الاختصاص، كما تتشدق الكثيرات بهٰذا، فاختصاص المسلم أو المسلمة بإحدى الكليات لا يكون مدعاة لترك الدين والانصراف إلى التماس أنواع التبرج والزينة الفاحشة، لأنها أبعدت نفسها عن الاتصال بالخالق ومراقبته لها في السر والعلن، والنظر للمسلمة أنها بعيدة عنها، متأخرة عن ركب الحضارة المزيفة حضارة القرن العشرين.

نعم تأخرت الأخت المسلمة عن هٰذِه الحضارة، حضارة الجاهلين، حضارة الشياطين، فالمسلمة اليوم رجعية بالنسبة لبنات جنسها، فإن كان يقصد بالرجعية الرجوع إلى العهد الإسلامي الأول فيا مرحبا بهٰذِه الرجعية. الإنسان يمرض وينفق أمولًا طائلة، ويلتمس أنواع الأدوية للعودة إلىٰ صحته، واليوم في هٰذا القرن العشرين ٱبتلىٰ شعبنا العربي الإسلامي بجرثومة الحضارة التي تسللت إلىٰ عقول البشر فسلبتهم العقل والدين فأصبحوا كالمجانين، وأنا أقول وكل مسلم يقول: إن خير دواء لمكافحة تلك الجرثومة هو العودة إلى الإسلام الصحيح.

ترىٰ هل تمرض المرأة بالحجاب وتنعزل لنفسها وتبقىٰ كالأرنب الذي يحب العزلة؟ مع أن الإنسان ٱجتماعي بالطبع؟ ألا تعلمن أيتها النساء أن الاختلاط يهذب المشاعر، ويصرف الطاقات المكبوتة، ويعلم الجنسين آداب الحديث وحسن المعاشرة؟!

الحجاب ليس سقما للمرأة أيتها المتبرجات إنما هو زينة لها يكسبها حشمة ووقارا، وليحجبها عن الجنس الآخر الذي يختلف عنها كل الاختلاف، وحكمة الله في الحجاب لم تكن إلا لصيانة المرأة وإبعادها عن العيون الجائعة والنظرات الخبيثة، كيف يسمح للمرأة بالزينة والتبرج والاختلاط وإظهار الفتنة والإغراء، وتبادل الحديث مع الجنس الآخر، ثم يحظر على الرجل النظر إليها؟ ألم تخرج هكذا لتجلب نظر الرجال إليها؟ أي نية حسنة تنويها؟ أي مشاعر يهذبها الاختلاط؟ بل أي طاقات يصرفها وأي حديث يعلم؟

نعم يهذب الاختلاط مشاعر المرأة العاطفية؛ لتخدع بمعسول الكلام وترتمي بأحضان الرجل، ويصرف طاقتها المكبوتة باقترابها منه وتبادل الحديث معه. ويعملها درسا لا تنساه بانسياقها بتيار العاطفة؛ لتصبح فريسة ثم يتركها شريدة طريدة من مجتمعها لا تعرف بيتا ولا ولدًا. هٰذِه نتائج الاختلاط، وهٰذا واقع الحضارة اليوم بل هٰذا هو منتهى الوحشية التي حاربها الإسلام منذ اليوم الأول، ولٰكن هٰذا كلام لا يقنع المتبرجات ولو أنه أسكتها فتعود لتسأل كيف تخطب المرأة المتحجبة اليوم إذا كانت لا تخرج إلى الشارع إلا وهي كالعجوز التي مرت عليها الدهور الطويلة؟! فالتبرج والاختلاط يفتح لها باب الزواج علىٰ مصراعيه.

إن هٰذا في رأيي منتهى الوقاحة التي وصلت إليها المرأة في القرن العشرين بعد أن فقدت الحياء المستمد من الإيمان سوق الزواج مفتوح دائما في الماضي والحاضر ولا يغلق أبدًا ، وثقي أيتها المتبرجة أن الرجل المسلم العاقل لا ينظر إلى المتبرجة إلا نظرة سخط ولعنة وسخرية. وصحيح أن الحجاب الشرعي يستر النصف أو أكثر من جمال المرأة

ويظهرها علىٰ غير حقيقتها مع أنه لا تخلو ٱمرأة من الفتنة والإغراء، ولكن يحق للخاطب المسلم أن يراها شرعًا مكشوفة أمامه فيما إذا رغب بخطبتها من أجل الزواج، ولكن هٰذا الشرع لا يقاس بما تشرعينه أيتها المتبرجة كي تنزلي إلىٰ سوق الزواج فتظهر أحداكن في الشارع بحيث إذا نظر الشاب إلىٰ رأسها ظن أنه يصعد قمة جبل إفرست، وإلىٰ وجهها حسب أنه يلقي نظرة علىٰ خارطة العالم. أنا لا أنكر زينة المرأة التي أباحها الإسلام ولكن أنكر عليها خروجها أمام غير محارمها. وإذا خرجت المرأة هكذا تبغي الزواج فماذا بقي عليها بعد ذلك؟ ما هو المانع من حجابها؟ هٰذا السؤال تختلق له التبريرات الكاذبة تملأ أفواه المتبرجات . ألم يكن خروج المرأة المتزوجة بتبرجها واختلاطها وتبادل الزيارات العائلية مع زوجها مدعاة لاختيار زوج آخر؟ إذا لم تكن هٰذِه نيتها فَلِمَ تتبارىٰ في اللباس مع مثيلاتها؟ ولماذا لا تحتشم وترضىٰ بزوجها وتكف عما سبق لها من أعمال وتردد أن الله غفور رحيم وتنسىٰ أو تتناسىٰ أن الله شديد العقاب.

لا شك أن ٱختلاط المرأة وزوجها بالزميلات والزملاء يكون مدعاة لانزلاق أحدهما لهٰذا الهوى الجديد فيقاوم هو أو هي ٱحتفاظًا بالواجب فيقع القلق والاضطراب ويصبح البيت جحيما لا تطفأ ناره، هٰذا ما يحدث اليوم بل وفي كل يوم من أيام القرن العشرين. أطفال مشردون وبيوت مهدمة بالطلاق، هٰذا هو الواقع، سواء قنعت نساء القرن العشرين أم لم تقنع بعد؟

أيتها الأخت المسلمة لابد أنك دخلت أو سوف تدخلين الدائرة الاًجتماعية وتقابلين أنواعًا شتىٰ من النساء اللائي حدثتك عنهن. فاحذري

التأثر بهن وكوني واثقة من عقيدتك قوية في إيمانك مُقَلِّدَة، ولست مُقَلِّدة؛ لأن التقليد شعار ضعف النفس. هاجمي كل من تتصدىٰ لك في دينك وكوني لها بالمرصاد، لا شك أنك تعليم قول الرسول ﷺ «من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطيع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1].

فقوة الإيمان هي التي تسلط لسانك ويدك لسد أفواه هٰؤلاء المتبرجات.

اجعلي كلامهن كالغبار الذي تذروه الرياح وانفضي عنك غبار التقليد، واثبتي علىٰ عقيدتك؛ لأن الدعوة الإسلامية كما تعلمين لم تنتشر إلا بصبر وثبات الرسول وأصحابه، فالقرآن شرعتنا والرسول وزوجاته قادتنا رضيت نساء القرن العشرين أم لم ترض ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

همسة في أذن «حواء»

بقلم: ابن الزمان:

سمعته يقول رحمه الله أيام (الشَّوال)! لقد كانت أيام (ستر وصون وعفاف)!!.

ومن يدري؟ فقد نترحم عما قريب علىٰ أيام (...) هٰذِه، بعبارات أكثر تحسرًا، وكلمات أبلغ تأثرًا فنقول: سقىٰ الله أيام (كذا) فقد كانت أيام (مروءة وطهر وحياء)؟!.

تردد ذلك في خاطري وأنا أقطع الطريق إلى الفندق في إحدىٰ مدننا

(١) أخرجه «مسلم» (٤٩) [٧٨، ٧٩].

التي لم تتطور كثيرا بعد!..

لقد كان يخيل إليَّ في كل مرة أجوز فيها طريقي أنني في معرض للحوم البشرية، إن لم أتوهم أنني في مسلخ كبير!.. أكوام من اللحوم، أعمدة من اللحوم.. تتحرك بكاملها على امتداد الشارع غدوا ورواحا..

لم تكن تلك اللحوم محمولة علىٰ عربات البلدية، ولا على أكتاف القصابين! إنها محمولة علىٰ سوق الغواني، وتتحرك علىٰ أقدامهن.. بل إنها لحومهن ذاتها هتكن الستر عنها: صدورا ونحورًا وظهورا وزنودا وآباطا وأفخاذًا وأثداء!..

إنها معروضة للجميع بلا استثناء، وبلا ثمن. فليس عليها «تسعيرة» فجميع الأعين تلتهمها مجانا وبلا حساب!..

ولم أتمالك لساني ذات مرة عندما أخذ يردد «يابلاش» ما هٰذا الرخص؟ ما هٰذا الهبوط في الأسعار؟ ما هٰذِه المضاربة المسعورة الهائلة في العرض (يجوز فتح العين وكسرها، والكسر أفصح).

من ذا يقول: إن أسعار اللحوم في ارتفاع؟ من ذا يدعي ذلك؟ إنه إذن لجهول، أو إنه يعني لحوم الحيوانات والبهائم من أمثال الأغنام والأبقار والخنازير، أما لحومهن الغضة، أما لحوم بنات حواء فأسعارها في هبوط منقطع النظير!..

ومن العجب! فبنت حواء المعاصرة ولاسيما المثقفة تغضب - لدى النقاش أو الحديث - أمام من يشعرها بأنها «جنس» وتشعر بالمهانة وتثور إذا ما خوطبت علىٰ أنها عنصر «متعة» في المجتمع!

نعم إنها تغضب، وأنها تثور لذلك، وقد تتهم الطرف الآخر بالجهل، والتأخر والتزمت وبالجنون أحيانًا! وربما بالعمالة لإسرائيل؟!..

وأنا بدوري لا أعجب من تلك الثورة وذلك الغضب بحد ذاتهما..

فالمرأة - وأنا ابن امرأة وزوج امرأة وأخو امرأة وابن عم امرأة، هي نصف المجتمع، وهي إحدىٰ دعامتيه الرئيسيتين وهي مربيته وراعيته، وهي أمه، وهي صنو الرجل -بشرًا وإنسانًا- بل وهي من نفس الرجل كما قال تعالىٰ:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾(١) وهي بالتالي معين الرحمة، ومنهل الحب، ومورد الحنان الخالد... وإنما أعجب، وأعجب حتى الذهول! من هٰذا التناقض المريع بين سلوكها من جهة وقولها من جهة أخرىٰ!

وإلا فما معنىٰ أنها لا تعرض نفسها - للمجتمع بشكل عام وللرجل خاصة - إلا جسدًا ولحما؟؟

وما معنىٰ أنها لا تفتأ سنة بعد سنة تتصدىٰ للجنس الآخر بثياب ما زالت تقصر وتقصر، وبإغواء ما زال يتدنىٰ في المستوىٰ ويتدنىٰ؟!.

ثم ما معنىٰ هٰذا «الطرح» المزري الذي تطرح به نفسها على الجنس الآخر وهي تمشي عارية إلا من ستارة الشيطان؟؟!

أليس هٰذا يعني أنها تثبت علىٰ نفسها التهمة، وتؤكد بعملها صحة الادعاء من أنها: (جنس) وحسب؟ ومن أنها (متعة) وكفىٰ؟ ومن أنها جسد ولحم وفتنة وإغواء؟؟

ماذا أبقت - حواء المعاصرة - لفتاها المنتظر؟ ماذا تركت لزوجها؟ بماذا احتفظت لليلة عرسها إذا ما قدر لها الزواج؟

لا أحسب أن منصفا يخالفني في أن الخطيب والزوج والعريس وبائع الفول والحمال وماسح الأحذية جميعًا.. أصبحوا شركاء في أية

---

(١) الروم: ٢١ .

ٱمرأة تطرح مفاتنها - هٰذا الطرح الرخيص - وتعرض جسدها هٰذا العرض الصارخ لكل قائم أو قاعد، أو سابل أو عابر، أو بر أو فاجر، يتمشىٰ في شارع، أو يتنقل في حيٍّ، أو يبيع في حانوت، أو يجلس علىٰ قارعة طريق!!.

قد تتفاوت الأسهم - أسهم الشركة - بين أولئك كثرة وقلة. إلا أن الشركة قائمة لا ريب!!.

وإذا تركنا الخطيب والعريس والزوج جانبا.. فإننا نسأل:

ماذا أبقت - المرأة المعاصرة - لوطنها من وقتها ومن ٱهتمامها؟ ثم ماذا أبقت لبيتها وولدها - إن كان لها ولد - إذا كانت جميع ٱهتماماتها وأوقاتها منصرفة إلى الزينة والإغواء والاستعراضات وملاحقة دور الأزياء في «التسريحة» واللباس والحذاء؟

أما نحن، ومعنا كل ذي عينين. فلا نحسب أن فتاة من هٰذا الطراز من فتيات (المني أو الميكرو جيب) مهما رقت ثقافتها وفارت (تنانير) نيران وطنيتها.. لا نحسبها أهلا لتحرير وطن أو تربية طفل أو إدارة بيت. فضلا عن رفع رأس وطن أصيب بكارثة وابتلىٰ بعدو لا أمكر ولا أخبث، ولا أيقظ ولا أشرس، ولا أكثر جدية منه.

وبكل بساطة نقول: إن «امرأة» لا هَمَّ لها إلا التلقي عن دور الأزياء - دور الأزياء جميعًا إلا ما ندر - هي دور وراءها الصهيونية تغذيها وتبنيها وتنشطها، داعية لها في الصحف والسينما والمجلات والتلفزيونات و(الكاتلوكات) بقصد الإلهاء وبقصد الإفساد، إفساد أخلاق الجنس البشري كافة ولاسيما نحن العرب والمسلمين الأعداء المباشرين.. إن «امرأة» من هٰذا النوع هي أتفه من أن تكون زوجة أو أما أو مجاهدة تتحسس مشكلات أمتها، وتنهض بأعباء مجتمعها وبني قومها، وتسعىٰ

لغسل العار.

همسة أخيرة أريد أن أضعها في أُذن - حواء -:

إلىٰ أين «يا حواء» أما لهٰذا الآنحدار من آخر؟! أما لهٰذا التبذل من نهاية، أعبثا والأمر جد؟! ألهوًا والعدو متربص؟! أمزيدا من العري والتهتك والآنسفاح برخص، والتدني في مستوى العرض في سوق اللحوم وأنت التي تدفعين الثمن باهظا غاليا؟؟..

في تصوري.. أن أرقىٰ مستوىٰ تحلمين به أو تتوقين إليه.. وأن المجتمع المتحرر الأمثل الذي تدغدغك الآمال في بلوغه هو مجتمع باريس مثلا أو لندن أليس كذلك؟!

اسمعي إذن، آسمعي ما كتبته واحدة من بنات جنسك - وهي محررة في مجلة عربية بيروتية واسعة الآنتشار - لقد كتبت من فرنسا إلىٰ مجلتها ذات مرة تقول فيما تقول: (إن ثمن حبة الدراق في لندن أو عنقود العنب في باريس يفوق ثمن آمرأة!!.. يا للرخاء).

افتقدوا المنطق العقلي أيضا

قبل عام تقريبًا، أعلن مستشفى الضيافة التخصصي في الزيتون بالقاهرة، عن ٱفتتاح قسم للمحجبات خاص بأمراض النساء والولادة، لا يدخله إلا الطبيبات والممرضات فقط، مع وجود أمكنة أخرىٰ للراغبات في العلاج علىٰ يد الأطباء الذكور.

وقد ٱنبرىٰ عدد من الأطباء معلنًا بأن هٰذا تطرف واتجار بالدين يجب أن يحارب ويقاوم.

وأعلن غيرهم أن هٰذا غير مقبول؛ لأنه عملية تجارية بحتة تتستر بالدين الذي يبرأ منها علىٰ حد تعبيرهم.

أما الدكتورة نوال السعداوي فقد تعدت مجرد الٱعتراض على ٱفتتاح هٰذا القسم الخاص بالنساء، الذي تشرف عليه طبيبات متخصصات، إلى الحديث عن حجاب المرأة الذي قالت عنه بالحرف الواحد: «وفي رأيي أن الحجاب يضعف أخلاق المرأة، وهو إهانة لها ونوع من الخوف، فالمرأة المحجبة تخاف مخالطة الرجال والنظر إليهم؛ لأنها لا يشغلها إلا الجنس بنوعه غير الراقي!! «جريدة الوفد ٥/ ٢/ ١٤٠٧هـ - ٩/ ١٠/ ١٩٨٦م نعرض هٰذا الكلام؛ لنشير إلىٰ أن الحملة على المرأة المسلمة الحريصة علىٰ عدم كشف نفسها للرجال، المحافظة علىٰ حجابها، كانت ومازالت هدفًا للحملات الشرسة التي يثيرها أشخاص لم يفتقدوا الحس الإسلامي فقط، إنما ٱفتقدوا ٱلمنطق العقلي أيضًا، وردنا علىٰ هٰؤلاء نوجزه فيما يلي:

١- هل زار هٰؤلاء أوروبا وأمريكا؟. ألم تنل المرأة فيها حريتها المطلقة بمقاييسهم؟

ألم ينتبهوا حين زاروا المحلات والمجمعات التجارية التي تباع فيها الثياب أن غرف القياس المخصصة للمرأة غير غرف القياس المخصصة للرجل؟! وأن الحمامات «دورات المياه» في جميع تلك البلدان غير مختلطة. أي أن بعضها مخصص للنساء وبعضها مخصص للرجال؟! فلماذا يقبلون عدم الاختلاط في غرف قياس الثياب، وفي دورات المياه، ويرفضونه في المستشفيات وغيرها؟ لماذا تضع المحلات التجارية في أوروبا وأمريكا ستائر على غرف قياس الثياب للرجال والنساء ولا يطالبون بأن يقيس الناس ثيابهم أمام جميع الزبائن؟! لماذا لا يقدرون رغبة امرأة، ورغبة أهلها وزوجها، بأن يشرف على ولادتها طبيبات متخصصات بعيدًا عن الرجال؛ مادام هذا متوفرًا وممكنًا.

٢- إذا كانوا يطالبون بمنح المرأة حريتها، فلماذا يريدون سلب المتدينة المسلمة حريتها في لبس الحجاب وعدم الاختلاط؟ لم نسمع أن حاكمًا معاصرًا أصدر قرارًا بإلزام النساء في بلدة بارتداء الحجاب؟! فلماذا هذه الثورة على الحجاب؟

إذا لم يرغبوا في النظر إلى الحجاب وعدم الاختلاط على أنهما طاعتان لله فلينظروا إليهما على أنهما سلوكان تملكهما النساء في مجتمع الحرية!!

٣- هل سمعتم أن عدم الاختلاط في أي مؤسسة أو مدرسة أو هيئة كان سببًا في فساد أو اغتصاب، أو أولاد زنا؟ ستقولون: لا!

لكننا حين نسأل إذا كان الاختلاط سببًا في فساد أو اغتصاب أو أولاد زنا؟ فستجيبنا الإحصائيات من الشرق والغرب: نعم لقد كان الاختلاط سببا في فساد اجتماعي عظيم. وسببا في آلاف جرائم الاغتصاب وعشرات آلاف أولاد الزنا، فليعقل أولئك الذين ما زالوا يقفون أمام عودة

المرأة المسلمة إلىٰ ربها، وتوجهها للتمسك بأوامر دينها؛ وليكونوا عونًا لها علىٰ ذلك بدلًا من أن يكونوا عوائق في طريقها[١].

ألوان القردة

المرأة السافرة مقلِّدة. المرأة المتكشفة أسيرة «الموضة» تتبعها وتحاكيها مصممو الأزياء يرسمون موضة العام، والمرأة تلبس ما يصممون، قصَّات الشعر يصورونها في باريس ولندن؛ لتنتشر في أنحاء العالم عبر مئات المجلات النسائية؛ لتقص النساء شعورهن مثلها.

أليست هٰذِه المرأة المتبعة للموضة، المقلدة لما تفعله المرأة الغربية هي المرأة التي لم تناقش، ولم تفكر، قبل أن تلبس ما تلبس؟

اسمعي يا أختنا هٰذِه الحقيقة.

في عام ١٩٦٩م بينما كان أحد ملوك الماكياج يتنزه مع صديق له في حديقة الحيوانات، رأى الصديق قردًا حول عنقه ألوان دائرية: أخضر ورمادي وبني، فأشار إلى القرد وظل يضحك، فنظر إليه ملك الماكياج وقال له: ما رأيك لو جعلنا المرأة سنة ١٩٧٠م بهٰذِه الصورة، فقال الصديق: هٰذا شيء غير ممكن فمن من النساء تقبل بهٰذا المنظر المضحك؟

ردَّ ملك الماكياج: أنا أملك أن أجعلها تلهث وراء هٰذا الشكل.

وكان رهانًا بينهما.

ثم كانت حملات إعلامية في جميع صفحات المرأة والإذاعة والتلفزيون.

ولم ينقض عام ١٩٧٠م حتىٰ كانت المرأة «المقلِّدة» تضع حول

---

(١) «رسالة إلىٰ حواء» ص ٢٣٤-٢٣٦

عنقها ألوان قوس قزح.

وكسب «ملك الماكياج» الرهان ونشر الخبر في إحدى الصحف[(١)]

رسالة الى متبرجة

أختنا الغالية:

كما أحببناك في الله وأحببنا لك الخير، وأحببنا لك النجاة، وأحببنا لك الطمأنينة في النفس والقلب والوجدان.

أليس مصداق الحب أن يريد المحب الخير لحبيبه، أن يظفر بما ظفر به. وينال ما ناله، ويكسب ما كسبه؟!

لماذا نريدك أن تتحجبي مثلنا؟ أمن أجل مال سنأخذه منك؟ أم من أجل شكر نريده أن يصدر عنك؟

والجواب طبعًا لا. لا نريد جزاء ولا شكورًا. إنما نريد لك الخير الذي أتانا من الحجاب في الدنيا. وفي الخير الأكبر الذي سيأتينا من الله تعالىٰ في الآخرة.

نريد لك خير الدنيا المتمثل في أشياء كثيرة: راحة نفسية عظيمة بدل القلق الذي يشيع في نفس السافرة، واحترام الناس لنا، بدل معاكسات الشباب المستهتر، وتميز إيماني يشعرنا بالعزة، بدل تقليد يمحو كل عزة وكرامة.

ونريد لك خير الآخرة الكبير، جنة عرضها السموات والأرض، فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر.

ورضا من الله أكبر. ونظرًا إلىٰ وجهه الكريم. ونجاة من النار، نجاة

---

(١) رسالة إلىٰ حواء ص ٢٣٧-٢٣٨

هي أعظم من كل نجاة.

إي والله يا أختاه، لا نريد إلا الخير، والخير وحده، ولو كنا نريد لك الشر لتركناك تجرين وراء الهوىٰ.

ونريد أن نسألك - أختنا الحبيبة: - لو ترك عزيز عليك طفلًا عندك أمانة.. أما كنت تحفظينه وترعينه وتصونينه؟

وهل أعز من الله، وقد ترك لك أمانة حفظ نفسك، وستر جسدك، وحجاب رأسك؟

فهيا يا أختاه، هيا لتنعمي بما ننعم به، هيا لتشاركينا في أجر طاعة الله ورسوله، هيا لتكوني في ركب الصالحات المحجبات، هيا لنكسب رضا الله، رضا الله الذي نحفظ به أنفسنا في الدنيا، وننجو ونفوز في الآخرة[(١)].

---

(١) «رسالة إلىٰ حواء» ص ٤٦٤-٤٦٥

الباب السادس

اشتراط الولي

اشتراط الولي

يرى البعض أن ٱشتراط الإسلام الولي لصحة عقد زواج المرأة يُعدُّ هٰذا حجرًا عليها.

والجواب عن هٰذِه الشبهة فيما يلي:

اشتراط الإسلام لصحة عقد زواج المرأة إذن وليها لا يعدُّ هٰذا حَجْرًا على المرأة؛ وذلك لأن الإسلام ٱشترط لصحة عقد الزواج ٱجتماع إرادتين، وهما إرادة الولي، وإرادة المرأة.

وأيضًا ٱشتراط الولي في صحة النكاح يُعدُّ ذلك في مصلحة المرأة، وهٰذا يتبين لنا فيما يأتي:

١- النكاح يقصد به السكن والاستقرار؛ لتحصيل النسل، وتربيته، ولا يتحقق ذلك مع كل زوج، والتفويض إليهن مُخِلٌّ بهٰذِه المقاصد؛ لأنهن سريعات الٱغترار، سيئات الٱختيار، فيخترن من لا يصلح، خصوصًا عند غلبة الشهوة وهو غالب أحوالهن، فالأنوثة مظنة قصور الرأي لما غلب علىٰ طبعهن من العاطفة[١].

فالمرأة لقلة تجربتها في المجتمع، وعدم معرفتها شئون الرجال وخفايا أمورهم غير مأمونة حين تستبد بالأمر؛ لسرعة ٱنخداعها، وسهولة ٱغترارها بالمظاهر البراقة دون تروٍّ وتفكير في العواقب، وقد ٱشترط إذن الولي مراعاة لمصالحها؛ لأنه أبعد نظرًا، وأوسع خبرةً، وأسلم تقديرًا، وحكمه موضوعي لا دخل فيه للعاطفة أو الهوىٰ، بل يَبنيه على ٱختيار مَنْ يكون أدوم نكاحًا وأحسن عشرةً[٢].

---

(١) «أحكام إذن الإنسان» (٢/ ٤١٧).

(٢) «عودة الحجاب» (٢/ ٣٥٦).

فمهمة الولي هنا أن يقوم بدور الفاحص المتحقق من حقيقة حال وظروف الرجل[(١)].

٢- إن من مقاصد هٰذا التشريع الحكيم صيانة المرأة عن أن تباشر بنفسها ما يشعر بوقاحتها، ورعونتها، وميلها إلى الرجال، مما ينافي حال أرباب الصيانة والمروءة.

فالمرأة إذا باشرت بنفسها عقد النكاح أمام جمع الناس، فإنها تظهر بمظهر التائقة إلى النكاح، الطالبة له علىٰ نحو صريح، لٰكن القول باشتراط الولي يحقق للمرأة كرامتها، فقيام الولي بذلك عنها مظهر من مظاهر إكرام الشريعة لها وإعزازها وتقديرها لما ينبغي نحوها من واجب حمايتها من أي موقف يمس حياءها وعزتها[(٢)].

٣- كيف لا يكون لولي المرأة سلطان في زواجها وهو الذي سيكون شاءت أم أبت، بل شاء هو أو أبى المرجع في حالة الاختلاف، وفي حالة فشل الزواج يبوء هو بآثار هٰذا الفشل، ويجني ثمرات خطأ فتاته التي تمردت عليه، وانفردت بتزويج نفسها؟![(٣)]

فمما يبرر أن يكون لأولياء المرأة شأن معتبر في تزويجها، أنه تلحقهم معرة سوء الاختيار أو تبعاته - ماديًا ونفسيًا- ؛ لأن زواج ابنتهم، أو أختهم يضاف إلىٰ أسرتهم ضرورة بمجرد العقد، فهب أن فتاة ما عاقلة بالغة - علىٰ قدر ما من الرشد- اغترت بكلام رجل وتظاهره، فسارعت إلى الزواج منه دون ولي، ثم ظهر أنه قواد، أو فاسق، أو ملحد، أو خائن لوطنه أحيانًا - كما هو معروف مسجل - وسواء رضيت هي بذلك حتىٰ

---

(١) «دراسات في أحكام الأسرة» ص (١٨٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «عودة الحجاب» ٢/ ٣٥٦ .

تبين الأمر، أو لم ترض ألا تلحق أسرتها وأولياءها معرة هٰذا الزواج؟! بل إن الأمر لا يقتصر علىٰ مجرد المعرة، والذلة النفسية بين الناس، بل يتجاوز ذلك إلىٰ أضرار واقعية تلحق بهم، مثل ٱمتناع الناس عن خطبة أخواتها وقريباتها، وغيره من الأضرار الفادحة[١].

٤- إن الهدف من رقابة الولي على ٱختيار الزوج ليس فقط تسهيل الزواج، وإنما أيضًا تأمينه وتوفير عوامل الٱستقرار له، ورعاية مصالح الفتاة التي ٱئتمنه الله عليها، وإن قصر نظرها عن إدراكها، ومن هنا كان مبنى الولاية علىٰ حسن النظر، والشفقة، وذلك معتبر بمظنته، وهي القرابة، فأقربهم منها أشفقهم عليها، وهٰذا أغلب ما يكون في العصبة[٢].

٥- أيضًا القول باشتراط الولي لا يعد حجرًا على المرأة، وذلك لأن للمرأة أيضًا في زواجها رأيًا لا يغفل، فالمرأة إذا كانت عاقلة لا يستطيع الولي إجبارها على الزواج بدون إذنها[٣].

وذلك لأن الإسلام ٱشترط لصحة عقد الزواج ٱجتماع إرادتين، وهما إرادة الولي، وإرادة المرأة، وهٰذا لا يخلو من الصور الآتية:

الصورة الأولىٰ: أن تجتمع الإرادتان معًا، إرادة الولي، وإرادة موليته، وفي هٰذِه الحالة يصح العقد، بشرط أن يباشر الولي عقد التزويج.

الصورة الثانية: أن الولي وحده راضٍ عن الخاطب، بيد أن المرأة غير راضية به.

وفي هٰذِه الحالة لا يستطيع الولي أن يجبرها علىٰ تزويجها بمن لا تريده.

---

(١) «دراسات في أحكام الأسرة» ص (١٨٧).

(٢) «عودة الحجاب» (٢/ ٣٥٦).

(٣) «دراسات في أحكام الأسرة» ص (١٨٧).

الصورة الثالثة: أن ترضىٰ المرأة - بكرًا كانت أم ثيبًا- رجلًا - كفؤًا بمقياس الشريعة - تريد أن تتزوج منه، ولٰكن وليها يعضلها فيرفض أن يجلس معه في مجلس العقد؛ ليزوجه إياها، فما الحكم؟

في هٰذِه الصورة يسقط إذن الولي في هٰذِه الحالة إذا أصرَّ على الامتناع وتنتقل الولاية لغيره وتُزَوَّجُ بمن تريد إذا كان كفؤًا.

قال ابن بطال[1]:

وأجمعوا أن السلطان يُزَوِّجُ المرأة إذا أرادت النكاح أودعت إلىٰ كفء، وامتنع الولي من أن يزوجها. اهـ.

قال النووي[2]:

ولو أرادت أن تتزوج كفؤًا فامتنع الولي، أُجبر، فإنْ أصرَّ زَوَّجها القاضي. اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[3]:

وإذا رضيت رجلًا، وكان كفؤًا لها، وجب علىٰ وليها - كالأخ ثم العم- أن يزوجها به، فإن عضلها أو امتنع عن تزويجها زوجها الولي الأبعد منه أو الحاكم بغير إذنه باتفاق العلماء، فليس للولي أن يجبرها علىٰ نكاح مَنْ لا ترضاه ؛ ولا يعضلها عن نكاح مَنْ ترضاه إذا كان كفؤًا باتفاق الأئمة، وإنما يجبرها ويعضلها أهل الجاهلية والظلمة الذين يزوجون نساءهم لمن يختارونه لغرض، لا لمصلحة المرأة، ويكرهونها علىٰ ذلك، أو يخجلونها حتىٰ تفعل، ويعضلونها عن نكاح من يكون كفؤًا لها لعداوة أو غرض، وهٰذا كله من عمل الجاهلية، والظلم والعدوان،

---

(١) «شرح البخاري» (٧/ ٢٤٩).
(٢) «شرح مسلم» (٩/ ٢٠٤).
(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٣٢/ ٣٥).

وهو مما حرمه الله ورسوله ﷺ، واتفق المسلمون علىٰ تحريمه، وأوجب الله علىٰ أولياء النساء أن ينظروا في مصلحة المرأة، لا في أهوائهم كسائر الأولياء والوكلاء عن تصرف لغيره، فإنه يقصد مصلحة من تصرف له، لا يقصد هواه، فإن هٰذا من الأمانة التي أمر الله أن تؤدىٰ إلىٰ أهلها فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾(١)، وهٰذا من النصيحة الواجبة، وقد قال النبي ﷺ: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»** قلنا: لمن؟ قال: **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامتهم»**(٢) والله أعلم.

ومن هٰذا يتضح أن المرأة إذا رضيت رجلًا كفؤًا، فليس لوليها أن يمنعها من التزويج به، ولو أصر على ٱلامتناع يسقط ٱعتبار إذنه، ويزوجها وليٌّ آخر غيره.

وهنا أود أن أنبه أن الفتاة في حالة إصرار رفض الأب علىٰ تزويجها من كفء تريده أنها لا تتسرع وتزوِّج نفسها، بل عليها في هٰذِه الحالة أن تطلب لمن يكون وليًا عليها بعد أبيها أن يزوجها بمن تريده.

الصورة الرابعة: أن يكون الذي رضيته المرأة وطلبت من وليها تزويجه منها غير كفءٍ بمقياس الشريعة في الكفاءة، فما الحكم؟

وهنا يكون للولي أن يمتنع من تزويجها، ولا يجوز لها أن تتزوج في هٰذِه الصورة بدون إذن وليِّها، ولا يقال: إن الولي يعدُّ في هٰذِه الصورة حجرًا على المرأة في ٱختيار من تريد الزواج به؛ لأن مصلحة المرأة في هٰذِه الصورة تقتضي منع هٰذا التزويج، فأي مصلحة تعود على المرأة لو زوجت من غير كفءٍ كأن يكون مثلًا غير متدين، أوليس عنده مال، ولا

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) أخرجه مسلم: (٥٥) [٩٥].

يستطيع أن يتحمل أعباء الحياة؟ والمرأة كما هو معروف عنها ترجح جانب العاطفة علىٰ جانب العقل وسريعة الاغترار كما بينًا من قبل.

«ولعله قد تبين من مجموع ما سبق كله أن موضوع الولي في الإسلام لم يُشرع ليكون حجرًا على المرأة في اختيار شريك حياتها، أو عضلها عن ذلك، أو امتهانًا لكرامتها وعقلها، وانتقاصًا منها، وزراية عليها - كما يغلط بذلك معارضون - إنما قد شرع لنقيض ذلك كله من حفظ حياء المرأة، وإعزازها، ومساندتها في أهم العقود والتصرفات المتصلة بها، وإرشادها في ذلك كله ومعاونتها لمزيد الاهتمام بها، مع أنه- بجوار هٰذه المكاسب لهما - لا ضرر عليها مطلقًا منه، ولا تعطيل لمصالحها، ولا إهدار. وإذا وازن المنصفون بين هٰذه المكاسب التي تتبدىٰ من الفهم المتكامل الذي قدمناه في مجموع النصوص، وبين ما قد تتعرض له المرأة من تأخير زواجها وقتًا ما حتىٰ يستفسر الولي عنه، ونحو ذلك، لرجح جانب مصلحتها في هٰذا الفهم رجحانًا عظيمًا، ولمثل هٰذا وجه هام من وجوه تكريم الإسلام للمرأة، وعنايته العظمىٰ بمصالحها»(١).

يقول د/ صابر أحمد طه(٢):

لقد زعم بعض المستشرقين أن الإسلام لم يكن منصفًا حينما قيد حرية المرأة في جميع أطوار حياتها ولم يعطها الحق في أن تتصرف فيما تريد كيفما تشاء.

وللرد علىٰ هٰذا الزعم أقول:

لقد ذكرتُ سابقًا أن الإسلام أعطىٰ للمرأة الحق في قبول أو رفض

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» ص (٤٨٧).

(٢) «نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام» ص ٢١٥-٢١٨.

منْ جاء يطلب يدها، ولا حق لوليها أن يُجبرها علىٰ قبول من لا تريد، وأن يمنعها أن تتزوج من رضيته من أهل الخُلق والدين، فذلك شأنها وحدها، بل إنه أخص خصائصها، تتصرف فيه بالمعروف علىٰ ما ترىٰ فيه ٱستقرارها وأُلفتها، وفي هٰذا يروىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تُنكَحُ الأَيِّمُ حتىٰ تُستَأْمَر، ولا تُنكَحُ البِكْرُ حتىٰ تُستَأْذَنَ**». قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال: «**أن تسكت**»[١]، والأحاديث في إعطاء المرأة حرية الاختيار كثيرة منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر: ما رُوِي عن عائشة أنها سألت النبي ﷺ عن ٱستئذان البكر، فقالت: يا رسول الله، يُستَأمَرُ النِّساء في أَبْضَاعِهِنَّ؟ قال: «**نعم**». قلت: فإن البكر تُستأمر فتستحي، فتسكت. قال: «**سُكَاتُها إذنها**»[٢]. أي سكوتها يُكتفىٰ به، فلا تُكلّف التصريح لحيائها، وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة، والتي يفهم منها أن الإسلام قد أعطى المرأة حرية الاختيار، وأنه لا مكان لدعوى المستشرقين الزائفة حول حرية المرأة، لٰكن المستشرقين لا يعنون هٰذِه الحرية، وإنما يعنون بالحرية هي أن تنطلق المرأة بلا قيد، وأن تتحرر من كل ضابط، وأن تتخلص من كل رقابة، فلا دين يكبح جماحها، ولا أخلاق تهذب طباعها، ولا زوج ولا والد يغار عليها ويتدخل في حياتها.

هٰذِه الحرية يرفضها الإسلام ولا يقرها؛ لأنها تُحوّل المرأة عن طبيعة فطرتها ورسالتها، ولأنها تدفع المرأة إلىٰ طريق مُظلم مضلل، تكون فيه أداة للأهواء والرغبات، وهٰذا يؤدي بدوره إلىٰ تحطيم القيم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية، والتي تؤدي بدورها حتمًا إلىٰ تدمير المجتمع وهدم

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٣٦، ٦٩٦٨، ٦٩٧٠)، ومسلم (١٤١٩) [٦٤].

(٢) أخرجه البخاري (٥١٣٧، ٦٩٤٦، ٦٩٧١)، ومسلم (١٤٢٠) [٦٥].

الأسرة، كما أن هٰذِه الحرية تجعل المرأة تدوس علىٰ أقدس واجباتها كزوجة وأم وربة منزل، فتهدم تلك الأصول الثلاثة، أضف إلىٰ هٰذا أن إعطاء الحرية للمرأة، كما يطالب بها الزاعمون تؤدي إلىٰ تفشي الفساد في البلاد، وإلى ٱنتشار الخلاعة والفجور، وإلىٰ فتك الأمراض التناسلية بالعباد، وزهد أكثرهم في الزواج، واتخاذهم الخليلات والأخدان.

ولا أدلَّ علىٰ ذلك مما يحدث في البلاد التي أعطت المرأة الحرية، تقول صحف أمريكا أرحب بلاد العالم صدرًا بالحرية الجنسية: إن هناك مشكلة ٱجتماعية خطيرة يتزايد خطرها كل يوم حتىٰ أصبحت تقلق بال المسئولين، فيفزعون إلى المختصين من علماء الاٌجتماع يسألونهم العون في هٰذِه المشكلة التي تُنذر بالويل والثبور، تلك هي مشكلة الاٌختطاف، فكل يوم تأتى الأخبار المزعجة بأن بعض الفتيان قد ٱختطفوا فتيات في سياراتهم، فقضوا منهن وطرهم، وتركوهن بعيدًا عن منازلهن بمسافات شاسعة، لا يتيسر لهنّ الرجوع منها إلا بعد أمد طويل...

ويتبادر إلى الذهن هٰذا السؤال: فيم الاٌختطاف والحرية مُباحة للجميع إباحة كاملة لا قيد فيها ولا حدود؟ والسؤال علىٰ عجبه مردود ببساطة: إنه لا مناص حين تُطلق الحرية يصنعون ما يشاءون أن تتعارض الأهواء وتصطدم الرغبات فيحدث أن يعشق فتىٰ فتاة لا تحبه، وإنما تميل بمشاعرها إلىٰ غيره، وما دامت النوازع والشهوات قد أُطلقت من عقالها ولم يضبطها ضابط خوفًا من تقييد الحرية، فإن هٰذا العاشق المتهوس لن يضبط عواطفه -أستغفرُ الله- بل شهوته إلىٰ تلك الفتاة بعينها، فلا يجد سبيلًا إلا ٱستدراجها واختطافها، وهكذا يحدث هٰذا الأمر الشنيع في البلد الذي أباح كل شيء للجميع، بل يحدث نتيجة لهٰذِه الإباحة التي لا تقف عند حد. هٰذا خطر تعترف به أمريكا وتُنذر به الصحف وتطلب تدخل

المسئولين، وإن تزايده يومًا بعد يوم لينذر بأنه مقدمة لما هو أخطر منه في الحياة الاجتماعية الأمريكية.

كما أن بريطانيا أعلنت أن عصابات النساء المراهقات قد ازدادت، فقد أُلقي القبض علىٰ (٧٤٢) ألف فتاة وسيدة بتهمة السطو والسرقة، وعشرة آلاف فتاة بتهمة الدعارة، و(٢٦٨٠) فتاة دخلت السجن بتهمة السرقة بالإكراه وغير ذلك كثير.

وفي إيطاليا يصل حجم الأعمال اليومي في سوق الدعارة إلىٰ (٥٠٠) مليون جنيه إسترليني في اليوم الواحد، وليس ذلك في شهر أو حتىٰ أسبوع، وهٰذِه الملايين اليومية تذهب جميعها إلى العصابات التي تُدير تجارة الرقيق الأبيض، وتقوم باستغلال حوالي مليون امرأة من مختلف الأعمار.

وفي فرنسا أصدرت منظمة (فرق مقاومة تجارة الرقيق الأبيض) بيانًا ذكرت فيه المكاسب التي يحققها زعماء شبكات الدعارة خلال عام واحد في فرنسا نحو (٣٠٠٠ مليون فرنك) أي حوالي ٢٣٠ مليون جنيه استرليني، كما أوضح البيان أنه لا توجد فتاة في السويد والدانمارك لا تعرف العلاقة الجنسية قبل الزاوج.

وقد كتبت مجلة تايم الأمريكية أن العذرية قد فقدت أهميتها وأصبحت مسألة غير ذات أهمية بالنسبة للفتيات؛ ولذلك فقد دلت الإحصائيات أن سدس الفتيات الأمريكيات يتزوجن وهنّ حاملات من علاقات جنسية سابقة، وارتفعت نسبة الفتيات اللاتي وضعن أولادًا من علاقات جنسية غير مشروعة ممن تقل أعمارهن عن العشرين، من (٤,٨ في الألف) سنة ١٩٤٠م إلىٰ (١٦ في الألف) سنة ١٩٦١م، فكم تكون بلغت الآن؟

وأما من هن فوق العشرين إلىٰ (٢٥) سنة فنسبتهن من (١١ في

الألف) إلىٰ (٤١ في الألف)، ولا شك أن هٰذِه النسبة زادت؛ نظرًا لازدياد الإباحية والفجور.

كما نشرت مجلة «مستشفى اليوم اللندنية» في مقالها الأفتتاحي لعدد إبريل سنة ١٩٧٥ موجزًا عن التقرير السنوي للمسئول الطبي في وزارة الصحة والشئون الأجتماعية قال فيه: وبالرغم من التوافر الواسع في حبوب منع الحمل والإجهاض القانوني فإن (٨,٦٪) من الأطفال يولدون لأمهات غير متزوجات، وتبين وجود (٢٨) حالة حمل لفتيات في الثالثة عشر، (٢٥٥) لفتيات في الرابعة عشر، (٦٦٠٠) حالة إجهاض قانونية في نفس العام، كما أن (٥٠٪) من هٰذا العدد أي (٨٣٠٠٠) حالة إجهاض لنساء غير متزوجات.

هٰذِه هي الحرية عند الغرب، وهٰذِه هي عاقبتها، الأمر الذي جعل العقلاء منهم ينصحوننا بأن نمنع الأختلاط، وأن نقيد حرية الفتاة، وأن نتمسك بتقاليدنا وأخلاقنا وديننا وتعاليمنا فهي تعاليم صالحة ونافعة.

إذا فلا غرو في أن يقيد الإسلام حرية المرأة من أجل الحفاظ عليها، ولأداء رسالتها الأجتماعية الكبرىٰ.

فحرية المرأة الحقيقية هي أن تتمسك بتعاليم دينها فتخرج من بيتها محتشمة، طالبة رضا الله ﷻ، مبتعدة عن الشرِّ، فاعلة للخير، مجتنبة ما حرَّم الله، محافظة علىٰ بيتها وزوجها وأولادها.

الباب السابع

تعدد الزوجات

الفصل الأول: شبهات التعدد والرد عليها

تعدد الزوجات

وإباحة تعدد الزوجات في الإسلام من الموضوعات التي ٱتخذت مجالًا لغمز التشريع الإسلامي، واتهامه بظلم المرأة، والانحياز المطلق إلىٰ جانب الرجل، حيث يشن الغربيون المتعصبون من رجال الدين والاستشراق والاستعمار حملة قاسية على الإسلام والمسلمين بسبب تعدد الزوجات، ويتخذون منه دليلًا على ٱضطهاد الإسلام للمرأة، واستغلال المسلمين لها في إرضاء شهواتهم ونزواتهم.

والغربيون في ذلك مكشوفو الهدف، مفضوحو النية، متهافتو المنطق.

وهٰذِه هي الأجوبة عن دحض هٰذِه الشبهة.

الجواب الأول عن شبهة التعدد: لم يكن الإسلام أول من شرع نظام تعدد الزوجات، بل كان موجودًا في الأمم القديمة كلها تقريبًا، وبيان ذلك يتضح فيما يلي:.

أ- التعدد عند اليهود:

والديانة اليهودية كانت تبيح التعدد بدون حد، وأنبياء التوراة جميعًا بلا ٱستثناء كانت لهم زوجات كثيرات.

لقد أباحت التوراة لليهودي الزواج بأكثر من واحدة ولم تحدد له عددًا ما إلا أن التلمود حدد العدد بأربعة علىٰ شرط أن يكون الزوج قادرًا علىٰ إعالتهن.

وهناك فقرات كثيرة في التوراة تبيح التعدد منها: التثنية [٢١: ١٥] «إذا كان لرجل ٱمرأتان إحداهما محبوبة والأخرىٰ مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة، فإذا كان الآبن البكر للمكروهة يقوم يقسم لبنيه ما

كان له، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرًا على ابن المكروهة البكر، بل يعرف ابن المكروهة بكرًا ليعطيه نصيب ٱثنين من كل ما يوجد عنده؛ لأنه هو أول قدرته له حق البكورية».

وجاء بشأن العدالة بين الزوجات: «... وإن تزوج بأخرىٰ فلا ينقصها من طعامها وكسوتها وأوقاتها» [خروج: ٢١: ١٠].

وفي صموئيل الثاني: «فقال ناثان لداود أنت هو الرجل، هكذا قال الرب إلٰه إسرائيل -أنا سميتك ملكًا علىٰ إسرائيل وأنقذتك من يد شاول وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك.

هٰذا والثابت زواج الأنبياء وغيرهم بأكثر من واحدة.

زوجات رحبعام:

«[٢١] وأحب رحبعام معكة ابنة أبشالوم أكثر من سائر نسائه ومحظياته، وكان قد تزوج ثماني عشرة ٱمرأة، وكانت له ستون محظية، أنجبن له ثمانية وعشرين ابنا وستين بنتًا» [أخبار الأيام الثاني: ١١: ٢١].

«[٣٠] وكان لجدعون سبعون ولدًا جميعهم من صلبه؛ لأنه كان مزواجًا [٣١] وولدت له أيضًا سريته التي في شكيم ابنا دعاه أبيمالك» [القضاة ٨: ٣٠- ٣١].

كما تزوج يعقوب: (٢٣) أبناء ليئة ... (٢٤) وأبناء راحيل ... (٢٥) وابنا بلهة جارية راحيل ... (٢٦) وابنا زلفة جارية ليئة ...» [تكوين ٣٥: ٢٣- ٢٦].

كما تزوج أبيا ملك يهود أربعة عشرة زوجة» [العدد ٣: ٣٠].

أما سليمان فقد حقق رقمًا قياسيًا في عدد الزوجات والمحظيات لم يسبقه أحد من قبل، ولن يتطاول إليه أحد من بعد «[١] وأولع سليمان بنساء غريبات كثيرات [٢] ... [٣] فكانت له سبعمائة زوجة، وثلاثمائة

محظية، فانحرفن بقلبه عن الرب» [ملوك ١١: ١-٣].

وعلىٰ ذلك لم تحدد التوراة أي عدد كحد أقصىٰ للتعدد.

أما التلمود: وهو الكتاب الثاني الذي يقول عنه اليهود: إنه يضم التعاليم الشفوية لموسىٰ والذي يجعلونه في مرتبة أعلىٰ من التوراة يحدد التعدد بأربع إذ يقول: إنه لا يجوز أن يزيد الرجل علىٰ أربع زوجات، كما فعل يعقوب إلا إذا كان قد أقسم بذلك عند زواجه الأول. وإن كان قد اشترط لمثل هٰذا العدد القدرة على الإنفاق.

ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» ما يلي: «ولا حجر علىٰ تعدد الزوجات في التوراة، أو في الإنجيل، بل هو مباح مأثور عن الأنبياء أنفسهم، من عهد إبراهيم الخليل عليه السلام إلىٰ عهد الميلاد».

ففي «سفر التكوين» الإصحاح السادس عشر أن ساراي زوجة إبراهيم عليه السلام دفعت له هاجر المصرية جاريتها فاتخذها زوجة ثانية، وكما يقول نص (العهد القديم): «أعطتها لإبرام رجلها زوجة له». اهـ.

وقد نسب العهد القديم إلىٰ نبي الله داود عليه السلام أنه تزوج من امرأة قائد جيشه «أوريا» بعد تعرضه للقتل، على الرغم من كثرة عدد زوجاته، ففي الإصحاح الثاني عشر من «سفر صمويل الثاني» جاء ما نصه، في قول النبي ناثان لداود: «أنا مسحتك ملكًا علىٰ إسرائيل، وأنقذتك من يد شاول، وأعطيتك بيت سيدك، ونساء سيدك، لما أخذت امرأة «أوريا» لك امرأة».

وجاء في الإصحاح الحادي عشر من «سفر الملوك الأول» عن سليمان: «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيد ونيات وحثيات من الأمم الذين قال

عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم؛ لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه».

ويقول نيوفلد E.neuflv مؤلف كتاب «الزواج» عند العبرانيين الأقدمين: «إن التلمود والتوراة معًا قد أباحا تعدد الزوجات علىٰ إطلاقه، وإن كان بعض الربانيين ينصحون بالقصد في عدد الزوجات، وإن قوانين البابليين وجيرانهم من الأمم التي ٱختلط بنو إسرائيل بها، كانوا جميعًا علىٰ مثل هٰذِه الشريعة في ٱتخاذ الزوجات والإماء»(١).

يقول اللواء أحمد عبد الوهاب(٢):

«إن تعدد الزوجات جائز شرعًا في اليهودية، ولم يرد في أسفار العهد القديم تحديد لعدد النساء اللاتي يسمح بالجمع بينهن، فهٰذِه الأسفار تذكر تعدد الزوجات كأمر مفروغ منه.

ولقد عدَّد الأنبياء زوجاتهم قبل التوراة، كما فعل إبراهيم ويعقوب، كما عدَّد الأنبياء بعد التوراة، كما فعل موسىٰ وجدعون وداود وسليمان، وكما فعل غيرهم، مثل ألقانة أبو صموئيل النبي، الذي كان له ٱمرأتان: ٱسم الواحدة حنة (أم صموئيل)، واسم الأخرىٰ فننة - صموئيل الأول ١ : ٢».

وبمقتضىٰ تعدد الزوجات نما الشعب الإسرائيلي وتكاثر، ولقد عرفنا فيما سبق بعضًا من أخبار قضاته الذين أقامهم الله لقيادته بعد يسوع، وقبل تأسيس المملكة، فقد كان لجدعون [٧٠] ولدًا ، ولأبصان [٣٠]

---

(١) «المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلىٰ الله» ص ٣٩٢-٣٩٣ .

(٢) «تعدد نساء الأنبياء» ص ١١٥-١١٦.

ابنا، و[٣٠] ابنة، ولعبدون [٤٠] ابنا و[٣٠] حفيدًا يركبون علىٰ سبعين جحشًا. قضاة ١٢: ١٤.

وكذلك يائير الجلعادي الذي قضىٰ لإسرائيل اثنتين وعشرين سنة، وكان له ثلاثون ولدًا يركبون علىٰ ثلاثين جحشًا. قضاة ١٠: ٣-٤.

إن «الكتاب المقدس» يبدأ في صفحاته الأولىٰ بالحديث عن خلق العالم، ثم خلق الإنسان الأول آدم وزوجه، ثم يحدد للبشر مهمتهم في الحياة بتحقيق واجبين:

الأول: التناسل بكثرة لملء الأرض.

الثاني: التسلط على الأرض وما فيها.

وفي هٰذا يقول: «خلق الله الإنسان..ذكرًا وأنثىٰ خلقهم. وباركهم الله وقال لهم: أثمروا، وأكثروا، وآملأوا الأرض، وأخضعوها، وتسلطوا علىٰ سمك البحر وعلىٰ طير السماء، وعلىٰ كل حيوان يدب على الأرض -تكوين ١: ٢٧-٢٨».

ومن هٰذا المنطلق، وعملًا علىٰ تكاثر الشعب الإسرائيلي صاغ علماء بني إسرائيل هٰذِه المهمة في قوانين ملزمة، مثلما جاء في كتاب: «الأحكام العبرية».

يقول الكتاب السابع - في النكاح - المادة (٣٩٣):

«النكاح بنية التناسل ودوام حفظ النوع الإنساني فرض علىٰ كل يهودي، ومن تأخر عن أداء هٰذا الفرض وعاش عزبًا بدون زواج كان سببًا في غضب الله علىٰ بني إسرائيل».

إن التناسل لا يتم إلا بالزواج، وليس بالخصي واعتزال النساء، كذلك التكاثر لا يتم إلا بالحض على الزواج وإباحة تعدد الزوجات.

والتناسل والتكاثر كانا منذ البدء مشيئة الله وأمره للناس جميعًا.

ب- التعدد عند النصرانية

يرىٰ بعض الباحثين أن التعدد في النصرانية جائز، ويبرهن علىٰ ذلك بما يلي:

١- يذكر إنجيل «متىٰ» أن المسيح ﷺ قال: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل» الإصحاح الخامس، [١٧] وقد ترجمت اللجنة التي شكلتها الكرازة المرقسية هٰذا النص إلىٰ: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأتمم» وجعلت مقابل هٰذا عنوانًا هو (يسوع المسيح والشريعة الموسوية)، ثم قالت هٰذِه اللجنة في شرح ذلك: «ثم أخذ سيدنا يطمئن الذين يغارون على الشريعة والأنبياء، فصرح لهم بأنه ما جاء لينقضها، وإنما جاء ليكمل الشريعة، ويتمم نبوءات الأنبياء، ثم أكد دوام الشريعة واستمرارها إلى الأبد. فلا ينبغي التغاضي عن وصاياها[(١)]..».

ولا يوجد نص واحد في الأناجيل المعترف بها عند جمهور النصارىٰ يحرم تعدد الزوجات. ومعروف أن السيد المسيح ولد وبشَّرَ بتعاليمه في بيئة يهودية، واليهود في ذلك الوقت كانوا يعرفون تعدد الزوجات ويمارسونه حيث كان ذلك مباحًا في شريعتهم كما سبق، لا سيما الأغنياء والرؤساء منهم، ويبدو غريبًا، والحال كذلك أن يقصد السيد المسيح ﷺ إلىٰ تحريم تعدد الزوجات ولا ينص علىٰ هٰذا التحريم صراحة. وفضلًا عن ذلك فإن الأغنياء بصورة خاصة هم الذين كانوا يمارسون تعدد الزوجات، وقد هاجم السيد المسيح أغنياء اليهود ورؤساءهم وندد برذائلهم، فلو قصد حقيقة إلىٰ تحريم تعدد الزوجات لما

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» للبلتاجي ص ١٥٨- ١٥٩.

سكت عليه، بل لهاجمه بوصفه أحد هٰذِه الرذائل[١].

قال جرجي زيدان: «فالنصرانية ليس فيها نص صريح يمنع أتباعها من التزوج بامرأتين فأكثر، ولو شاءوا لكان تعدد الزوجات جائزًا عندهم، ولكن رؤساءها القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة أقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها، وكان ذلك شائعًا في الدولة الرومانية، فلم يعجزهم تأويل آيات الزواج حتىٰ صار التزوج بغير امرأة حرامًا كما هو مشهور»[٢].

قال الدكتور / مصطفى السباعي[٣]:

ولم يرد في المسيحية نص صريح بمنع التعدد، وإنما ورد فيه علىٰ سبيل الموعظة أن الله خلق لكل رجل زوجته. وهٰذا لا يفيد علىٰ أبعد الاحتمالات إلا الترغيب بأن يقتصر الرجل في الأحوال العادية علىٰ زوجة واحدة، والإسلام يقول مثل هٰذا القول، ونحن لا ننكره، ولكن أين الدليل علىٰ أن زواج الرجل بزوجة ثانية مع بقاء زوجته الأولىٰ في عصمته يعتبر زنىٰ ويكون باطلًا؟

٢- في بعض رسائل بولس ما يفيد أن التعدد جائز، فقد قال: «يلزم أن يكون الأسقف زوجًا لزوجة واحدة»، ففي إلزام الأسقف وحده بذلك دليل علىٰ جوازه لغيره.

٣- وقد ثبت تاريخيًا أن بين المسيحيين الأقدمين من كانوا يتزوجون أكثر من واحدة، وفي آباء الكنيسة الأقدمين من كان لهم كثير من الزوجات[٤].

ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «المرأة في القرآن

(١) المرجع السابق.
(٢) «المرأة بين الفق والقانون» ص٥٠ .
(٣) المرجع السابق ص٤٨.
(٤) المرجع السابق ص ٤٨ .

الكريم» أن «وستر مارك» العالم الثقة في تاريخ الزواج يقول: «إن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي إلى القرن السابع عشر، وكان يتكرر كثيرًا في الحالات التي لا تحصيها الكنيسة والدولة» ويقول هٰذا العالم: «إن ملوك النصارىٰ كانوا يتزوجون أكثر من واحدة، فهٰذا «ديار ميت» ملك أيرلندة كان له زوجتان وسريتان، وكان «الشارلمان» زوجتان وكثير من السراري. وبعد ذلك بزمن كان «فيليب أوفاهيس» و «فريد يريك وليام» الثاني البروسي يبرمان عقد الزواج مع ٱثنتين بموافقة القساوسة اللوثريين».

حيث أن لوثر مؤسس أحد المذاهب الرئيسية في المسيحية (وهو المذهب البروتستنتي) كان ينظر إلىٰ تعدد الزوجات بشيء كثير من التسامح، فقد قال فيه: «إن الرب لم يحرمه، وإبراهيم نفسه الذي كان مسيحيًا كاملًا كانت له زوجتان. حقًا إن الرب لم يسمح بمثل هٰذِه الزيجات إلا لبعض الرجال في التوراة وفي ظل ظروف خاصة، وأن على المسيحي الذي يريد الاقتداء بهم أن يثبت أن ظروفه مشابهة لهٰذِه الظروف، إلا أن تعدد الزوجات أفضل يقينًا من الطلاق».

وواضح جلي من هٰذا القول أن مؤسس المذهب البروتستنتي يبيح تعدد الزوجات لمن تقضي ظروفه ذلك. وهو يصرح بأن الرب لم يحرمه[١].

وعلىٰ هٰذا فليس جميع النصارىٰ يدينون بعدم تعدد الزوجات، كما أن ٱختلاف الآراء والجدل في هٰذا الأمر لأكبر دليل علىٰ أن تحريمه لم يكن بتشريع سماوي، وإنما الموضوع مطروح للاجتهاد البشري[٢].

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» للبلتاجي ص ١٥٩.

(٢) «نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام» ص٦٥ .

٤- المسيحية المعاصرة تعترف بالتعدد في أفريقيا السوداء، فقد وجدت الإرسالية التبشيرية نفسها أمام واقع اجتماعي، وهو تعدد الزوجات لدى الإفريقيين الوثنيين، ورأوا أن الإصرار على منع التعدد يحول بينهم وبين الدخول في النصرانية، فنادوا بوجوب السماح للإفريقيين المسيحيين بالتعدد إلى غير حد محدود، وقد ذكر السيد نورجيه مؤلف «كتاب الإسلام والنصرانية في أواسط أفريقية» (ص٩٢-٩٨) هذه الحقيقة ثم قال: «فقد كان هؤلاء المرسلون يقولون: إنه ليس من السياسة أن نتدخل في شئون الوثنيين الاجتماعية التي وجدناهم عليها، وليس من الكياسة أن نحرم عليهم التمتع بأزواجهم ماداموا نصارى يدينون بدين المسيح، بل لا ضرر من ذلك ما دامت التوراة وهي الكتاب الذي يجب على المسيحيين أن يجعلوه أساس دينهم تبيح هذا التعدد، فضلًا عن أن المسيح قد أقر ذلك في قوله: «لا تظنوا أني جئت لأهدم بل لأتمم» اهـ.

وأخيرًا أعلنت الكنيسة رسميًا السماح للأفريقيين النصارى بتعدد الزوجات إلى غير حد![1]

وذكر العقاد كذلك في كتابه «المرأة في القرآن الكريم»[2]: أن مجلس الفرنكيين بنور مبرج أصدر قرارًا يجيز للرجل أن يجمع بين زوجتين، وذلك في سنة ١٥٦٠ ميلادية بعد صلح وستفاليا، وبعد أن تبين النقص في عدد السكان من جراء حروب الثلاثين، ويقول: بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية إلى إيجاب تعدد الزوجات، ففي سنة ١٥٣١م نادى «اللامعمدانيون» في مونستر صراحة: بأن المسيحي ينبغي أن تكون

---

(١) «المرأة بين الفقه والقانون» ص٥٠ .

(٢) ص ٧٦-٧٧ .

له عدة زوجات، ويعتبر «المورمون» كما هو معلوم أن تعدد الزوجات نظام إلهي مقدس.

ناضلت فرقة الأنابيبتست Anabaptistes بشدة من أجل تعدد الزوجات ومارسته.

وأيضًا فإن الأعراب المسيحيين من سكان موآب على الضفة الشرقية من البحر الميت يمارسون تعدد الزوجات أحيانًا، وأحيانًا تدفع الزوجة منهم زوجها إلىٰ ذلك في ظروف خاصة[١][٢].

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكرين والسنة الصحيحة ١٥٩-١٦٠ .

(٢) إذا كان الأمر كذلك فما مصدر تحريم التعدد عند جمهور النصارى الآن؟ يجيب علىٰ ذلك الدكتور/ عبد الناصر توفيق العطار في كتابه «تعدد الزوجات» فيقول: هناك من آباء الكنيسة وفقهائها من يرىٰ أن هناك نصوصًا في العهد الجديد تشير ضمنًا إلىٰ تحريم تعدد الزوجات، وأهم هٰذِه النصوص ما يلي:

النص الأول: ورد علىٰ لسان المسيح ﷺ أنه قال: «من طلق آمرأته، وتزوج بأخرىٰ يزني عليها، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني» وقد فهم بعض كهنة الكنيسة من ذلك أن المسيحية تحرم علىٰ من يطلق زوجته أن يتزوج إلا إذا ماتت مطلقته، كذلك يحرم على المطلقة أن تتزوج بآخر في حياة مطلقها، ومن يتزوج بعد طلاق آمرأته في حياتها، أو يتزوج مطلقة في حياة طليقها فإنه يزني، علىٰ أساس أن المطلق والمطلقة يعتبران - بحسب هٰذا النص - علىٰ ذمة الزواج الأول وما زالا زوجين، ويفهم من ذلك أيضًا، ومن باب أولىٰ أن من يجمع بين زوجتين أو من تجمع بين زوجين يقع الزنا، وبالتالي يحرم تعدد الزوجات كما يحرم تعدد الأزواج في المسيحية، وهٰذا التفسير يستقيم فقط مع نظر الطوائف الكاثوليكية التي لا تجيز آنحلال الزواج إلا بالموت فحسب، أما عند طوائف الأرثوذكس وكذلك البروتستانت (الإنجيليين) فيجوز للمسيحي أن يطلق زوجته في حالات معينة وبشروط خاصة، وإذا آفترق المسيحي عندهم عن زوجته لسبب من الأسباب التي تجيز التطليق، كان له أن يتزوج بأخرىٰ، ولو كانت هٰذِه الأخرىٰ مطلقة، دون أن يعتبر هٰذا الزواج الجديد زنا، وهو مما يهدم الدليل=

= المستمد من العبارة الواردة في الإنجيل السالف ذكرها؛ لأن العمل عند الطوائف الأرثوذكسية وعند طوائف البروتستانت يجري علىٰ خلاف التفسير السابق لمعنىٰ هٰذِه العبارة.

النص الثاني: أن المسيح ﷺ نهى اليهود عن الطلاق، وقال لهم: «إن موسىٰ من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم، ولكن من البدء لم يكن هكذا».

ويفهم ضمنًا من هٰذا النص أن السيد المسيح يهمه أن ترجع الأمور علىٰ ما كانت عليه منذ البدء؛ لأن النظام الذي وضعه الله للبشرية منذ البدء، كان هو النظام الصالح لها، وإذا حادت البشرية عنه كان يجب أن ترجع إليه، والذي كان من البدء هو زواج آدم بحواء واحدة، هو زواج الرجل الواحد بالمرأة الواحدة، فهٰذا هو الوضع الأصلي للنظام الإلهي الذي كان منذ البدء، وقد حادت البشرية عن ذلك الوضع ثم عادت إليه في شريعة نوح ﷺ، ثم أبيح لإبراهيم ﷺ تعدد الزوجات حتىٰ يكثر نسله، بحيث يكون هٰذا النسل هو «شعب الله» الذي يحفظ العقائد السليمة إلىٰ أن يحين انتشارها في الأرض كلها، فتصبح جميع الأمم هي شعب الله- ﷻ- ولم يكن مناسبًا كذلك أن يمنع تعدد الزوجات في شريعة موسىٰ ﷺ، إذ لم يكن مناسبًا لمستوى الشعب الإسرائيلي وإلا اقتيد إلى الزنا، ولأن إباحة تعدد الزوجات في ذلك الوقت أمر مناسب لمقاومة الجو الوثني الطاغي المحيط بالشعب، فكان تعدد الزوجات لغرض ديني هو إنجاب البنين لتكوين شعب الله، ولم يكن لإشباع شهوة جسدية.

وهٰذِه الحجة - علىٰ طولها وتشعبها- محل نظر؛ لأن القول بأن المسيح ﷺ يهمه أن ترجع الأمور إلىٰ ما كانت عليه منذ البدء، إنما هو قول خطير؛ فالمسيح ﷺ - في رأينا- يهمه أن توضع الأمور في نصابها الصحيح، فإذا كان نصابها الصحيح أن ترجع إلىٰ ما كانت عليه منذ البدء فهو يعود بها إلىٰ ذلك، وإذا كان نصابها الصحيح ألا تكون كذلك فهو لا يعود بها إلى البدء، والدليل علىٰ ذلك أن زواج الأخ بأخته كان جائزًا في البدء بين أبناء آدم وحواء، فهل يزعم أحد أن المسيح - في هٰذا المجال - يهمه أن ترجع الأمور إلىٰ ما كانت عليه منذ البدء، فيبيح علىٰ ذلك زواج الأخ بأخته؟! لا نعتقد أن أحدًا يزعم ذلك؛ لأن الأمر قد تغير بعد أن كثر الناس، فحرُمت الأخت علىٰ أخيها؛ ليتم التزاوج في دائرة أكبر، ويتعارف الناس بذلك بعد تفرق، وبالمثل إذا كانت هناك منذ البدء حواء واحدة لآدم، فما=

= ذلك إلا لحكمة سامية هي ألا يكون التفاضل بين البشر علىٰ أساس النسب، فهم جميعًا من نسب واحد، ولما كثر الناس وكثر عدد النساء غير المتزوجات، وظهر بين المتزوجات العقيم وذات العيب الجنسي..الخ، كان لابد من شرع تعدد الزوجات لاستيعاب الفائض من النساء غير المتزوجات... وإلا فإن الأمور لا توضع في نصابها الصحيح.

أما القول بأن تعدد الزوجات أبيح لإبراهيم ﷺ حتىٰ يكثر نسله، بحيث يكون هٰذا النسل هو «شعب الله» فهٰذا ما يزعمه اليهود، وهو غير صحيح؛ لأن الله - سبحانه - رزق إبراهيم من سارة كما رزقه من هاجر، وكان في إمكانه جل شأنه أن يرزقه من سارة فحسب نسلًا كثيرًا، ألا ترىٰ أن الله - ﷻ - خلق حواء واحدة لآدم وأراد لهما أن يثمرا وينميا، فكان هٰذا العدد العديد من بني آدم، وهٰذا يدل علىٰ أنه لا ارتباط بين تعدد الزوجات وتكثير النسل.

ولعل حكمة تعدد زوجات إبراهيم ﷺ هي أن الله - ﷻ - أراد أن يعمر البيت الحرام بمكة، ويعمر بيت المقدس بفلسطين؛ ولهٰذا أسكن إبراهيم زوجته هاجر بمكة، كما أسكن زوجته سارة فلسطين، وإذا كان تعدد الزوجات قد أبيح لإبراهيم حتىٰ يكثر نسل المؤمنين، فلماذا لا يباح لكل مؤمن حتىٰ يكثر نسل المؤمنين؟

كذلك تبرير إباحة تعدد الزوجات في شريعة موسىٰ بأنه كان مناسبًا حتىٰ لا يقع الشعب الإسرائيلي في الزنا، وحتىٰ يتم تكوين شعب الله المختار؛ ليقاوم الجو الوثني في ذلك الوقت؛ هٰذا التبرير محل نظر؛ لأن تعدد الزوجات لم يشرع لإشباع شهوة، ولا لتكوين شعب الله المختار، فهٰذا ما يزعمه اليهود وهو غير صحيح؛ لأنه أمر يمكن أن يتحقق في ظل نظام الزواج بواحدة، إنما أبيح تعدد الزوجات حتىٰ تجد كل امرأة زوجًا لها، فلا تعيش امرأة بزوج وأخرىٰ بغير زوج، هٰذا إلىٰ جانب الأسباب والمبررات الأخرىٰ لهٰذا التعدد والتي لا سبيل إلىٰ حصرهما، علىٰ ما عرفناه.

النص الثالث: استندوا في دعواهم علىٰ تحريم التعدد بما جاء علىٰ لسان بولس لأهل كورنثوس «ليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحدة رجلها..».

ويقول د/ صابر أحمد طه في كتابه «نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام ص٦١ وللرد علىٰ هٰذا الزعم أقول: إن رسالة بولس لأهل كورنثوس لا تدل علىٰ تحريم تعدد الزوجات إلا إذا صيغت علىٰ هٰذا الوجه «فليكن لكل رجل امرأة، ولكل امرأة=

= زوج» ولا يخفى الفارق بين التعبيرين.

النص الرابع: في رسالة بولس إلىٰ أفسس: «إن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح أيضًا رأس الكنيسة». وقد رأىٰ بعض شراح هٰذا النص أن المسيح له كنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، والكنيسة لا تعرف غير المسيح عريسًا، فكذلك الرجل ينبغي أن تكون له زوجة واحدة، والمرأة لا يكون لها غير عريس واحد.

وهٰذِه الحجة محل نظر كذلك، فهي تصدق عند المسيحيين من ناحية أن الكنيسة لا تعرف غير المسيح عريسًا، وبالتالي لا يجوز للمرأة أن تتخذ غير زوج واحد أما أن المسيح لا يعرف غير كنيسة واحدة جامعة، فهٰذا ما تدعيه كنيسة روما، إذ ترىٰ أنها الكنيسة الكاثوليكية -أي الكنيسة الجامعة- كنيسة بطرس الرسول المسيحي، الذي ورد علىٰ لسان المسيح ﷺ في «إنجيل متىٰ» ضرورة الألتفاف حوله فقال: «أنت بطرس - أي الصخرة - وعلىٰ هٰذِه الصخرة سأبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوىٰ عليها». غير أن ما تراه كنيسة روما نازعتها فيه كنيسة القسطنطينية وكذلك كنيسة الإسكندرية المصرية، وكلاهما يرىٰ أنه الكنيسة الأرثوذكسية، أي الكنيسة صاحبة الرأي المستقيم.

وطالما تعددت الكنائس علىٰ هٰذا النحو، فإنه إذا صح أن الكنائس لا تعرف غير المسيح عريسًا، فإنه لا يصح القول بأن المسيح له كنيسة واحدة، وبالتالي إذا شبهنا الرجل بالمسيح والمرأة بالكنيسة كما فعل بولس، فإن المرأة لا يصح أن يكون لها أكثر من رجل، بينما الرجل قد تكون له أكثر من زوجة.

يقول د/ صابر أحمد طه في كتابه «الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام» ص٦١:

أما ما جاء في رسالته إلىٰ أفسس وهي «أن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضًا رأس الكنيسة» أي: أن الرجل هو رأس المرأة فهو رأس واحد لجسد واحد، كما أن المسيح رأس واحدة لكنيسة واحدة.

فنحن لا نسلم لهم بهٰذا؛ لأن الكنيسة ليست واحدة، وإنما كنائس متعددة، فالمسيح رأس كنائس كثيرة متعددة -حسب زعمهم- وقياسًا علىٰ هٰذا يمكن أن يكون الرجل رأسًا لزوجات متعددات. فالكنيسة ليس لها أكثر من مسيح، وقياسًا علىٰ هٰذا فإن المرأة لا يمكن أن يكون لها أكثر من زوج، لكن للمسيح كنائس متعددة وقياسًا علىٰ ذلك يمكن أن يكون للرجل زوجات متعددات وبهذا سقط هٰذا=

= الدليل؛ لأنه لا يوجد مسيحي يستطيع أن يقول: إنه توجد كنيسة واحدة لا كنائس متعددة؛ لأن الحقيقة الواضحة تعلن نفسها، وتعدد الكنائس ظاهرة واضحة لعيني المسيحي وغيره، فهناك الكنيسة الكاثوليكية التي تعتقد أنها الكنيسة الجامعة «كنيسة بطرس» الحواري الذي قال له المسيح ﷺ- كما يزعمون- «أنت بطرس أي: الصخرة التي سأبني عليها كنيستىٰ وأبواب الجحيم لن تقوىٰ عليها».

أما كنيسة الإسكندرية فتسمىٰ نفسها الكنيسة الأرثوذكية، أي صاحبة الرأي المستقيم، وغير هاتين الكنيستين كنيسة القسطنطينية، ولها هي الأخرىٰ وجهتها ومبادئها.

كما أن أتباع هٰذِه الكنائس تفرقوا إلىٰ طوائف عدة، ولكل طائفة منهم كنيستها، حتىٰ أصبح في مصر وحدها ما يقارب من خمسة عشر طائفة، فكم يمكننا أن نتصور عدد الطوائف في شتىٰ بلاد العالم؟ الأمر الذي يؤكد أن الكنائس بالنصرانية كثيرة ومتباينة، وهٰذا يبطل الزعم القائل بأن المسيح رأس لكنيسة واحدة، وبهذا سقط هٰذا الدليل.

النص الخامس: ورد بـ «إنجيل متىٰ» أن المسيح ﷺ قال: «أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرًا وأنثىٰ». وقال: «من أجل هٰذا يترك الرجل أباه وأمه، ويلتصق بامرأته ويكون الآثنان جسدًا واحدًا، إذن ليسا بعد آثنين، بل جسد واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان». وقد آستدل بعض المسيحيين من هٰذا القول علىٰ أن تعدد الزوجات محرم في المسيحية علىٰ أساس أن الزواج جعل الزوجين جسدًا واحدًا، الزوج فيه هو الرأس والمرأة هي الجسد، وليس بالإمكان عقلًا أن يكون هناك رجل في جسد واحد مع أكثر من آمرأة؛ لأن لكل جسد رأسًا واحدة، ولكل رأس جسد واحد، ويستحيل أن تجتمع آثنتان، أو ثلاثة، أو أربعة في جسد واحد، كما أن الذي تتعدد زوجاته لا يستطيع أن يكون ملتصقًا بواحدة منهن؛ لأنه في كل مرة يكون منفصلًا عن واحدة ليلتصق بأخرىٰ، مع أن الرجل في الزواج يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته.

وقالوا أيضًا: لو أن التعدد جائز لخلق الله لآدم نساء كثيرات وبما أن آدم لم يتزوج إلا بحواء فالتعدد إذن غير جائز!

وهٰذِه الحجة محل نظر؛ لأن النص سالف الذكر لا يؤدي إلىٰ هٰذا الآستنتاج، فهو يعني أن هناك مودة يخلقها الله -ﷻ- بين الزوجين، بحيث يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، حتىٰ يبدو أن الآثنين جسد واحد؛ وهٰذا من باب التشبيه لا =

= من باب الواقع؛ لأن الرجل لم يكن ملتصقًا بأبيه أو بأمه حقيقة، ولو كان ملتصقًا بهما لكان لدينا ثلاثة في جسد واحد، ولأن لكل من الزوجين رأسًا غير رأس الأخر، وجسدًا غير جسد الآخر، فدل هٰذا علىٰ أن الآلتصاق المشار إليه ليس التصاقًا ماديًا، وإنما هو التصاق معنوي، هٰذا الآلتصاق المعنوي هو المودة بين الزوجين، وليس من المستحيل - علىٰ هٰذا النحو - أن يلتصق الرجل بأكثر من واحدة، بمعنىٰ أن تكون بينه وبين زوجاته مودة ورحمة، ألا ترىٰ أن هناك من الرجال من يحب عددًا من النساء في نفس الوقت!

يقول د/ صابر أحمد طه في كتابه «نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام» ص٥٩-٦٠: إن الله تعالىٰ خلق لآدم زوجة واحدة سيرًا علىٰ سنته الكونية في الخلق، فقد خلق الله من كل شيء زوجين، قال تعالىٰ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩].

فكان آدم هو الرجل الوحيد في الدنيا، وحواء هي المرأة الوحيدة، فلم يكن هناك زيادة في عدد النساء علىٰ عدد الرجال، ولم تكن هناك حروب تأكل الملايين من الرجال، وتدع الملايين من النساء أرامل وعوانس، مما يجعل تعدد الزوجات في مثل هٰذِه الحالة واجبًا لا مفر منه رعاية لحق الأمة.

كما أن حواء كانت خالية من كل عيب يحول بين زوجها وبين الآنتفاع بها كالعقم وغيره، الذي هو من إحدى الضروريات المبيحة للتعدد.

هٰذا بالإضافة إلىٰ أن الله ﷻ يذكر الناس في كثير من آيات كتابه الكريم بأصلهم وأنهم خلقوا من أب واحد، وأم واحدة، حتىٰ لا يفتخر أحد علىٰ غيره بعلو نسبه، وعراقة أصله، فلو كان آدم- ﵇- آقترن بأكثر من زوجة لاشتد الصراع واحتدم بين بني آدم؛ لأن كل فريق منهم كان يستدعي أنه أشرف من الآخر أو أعلىٰ منه منزلة وأرفع شأنًا، وهٰذا الصراع والمفاخرة كانا سينشآن عن آختلاف أمهات البشر، لهٰذا آقتضت مشيئة الله- ﷻ- أن تكون لآدم زوجة واحدة والله أعلم بقصده وتدبيره لشئون خلقه. أما قولهم بأن السيد المسيح- ﵇- لم يقل «ويلزم نساءه» بل قال: «امرأته» من أجل هٰذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، فهو مردود عليهم؛ لأن كلمة الآلتصاق هنا يقصد بها تبادل المحبة والمودة وليس المقصود منها المعنى الواقعي؛ لاستحالة التصاق الرجل بأبويه، لأننا هنا نكون أمام ثلاثة في واحد، وعلىٰ هٰذا فيقصد هنا بالالتصاق هو الآلتصاق المعنوي.=

= النص السادس: حثُّ بولس على البتولية بقوله: «وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي فحسن للرجل ألا يمس ٱمرأة، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد ٱمرأته، وليكن لكل واحدة رجلها». وجه الٱستدلال بهٰذِه العبارة علىٰ تحريم تعدد الزوجات عند المسيحيين أنه إذا كان جيدًا للرجل ألا يمس ٱمرأة فكيف تكون له نساء كثيرات؟! ثم إن إباحة الزواج للرجل إنما هي لسبب الزنا، أي لتجنب الزنا، وتجنب الزنا تكفي فيه المرأة الواحدة، أيضًا، عبر بولس هنا عن الزوجة بلفظ «امرأته» ولم يقل: بنسائه. وصيغة المفرد هنا تدل علىٰ وحدانية الزواج، وهٰذا واضح من نصوص أخرىٰ لا تتحدث عن الزوجة إلا بصيغة المفرد.

وهٰذِه الحجة كذلك محل نظر؛ لأن قول بولس: «ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد ٱمرأته، وليكن لكل واحدة رجلها». لا يفهم منه شيء بالنسبة لتعدد الزوجات، والأقرب إلى الفهم من هٰذِه العبارة هو أنها تقرر أن الزواج يباح خشية الزنا، وإذا فُهم شيء من هٰذِه العبارة يتعلق بتعدد الزوجات فهو أن تعدد الزوجات يكون مكروهًا لا محرمًا، والتعبير عن الزوجة هنا بصيغة المفرد كالتعبير عن الكنيسة بصيغة المفرد، مع أن لدينا عدة كنائس لا كنيسة واحدة، علىٰ أن إباحة الزواج ليست لسبب الزنا فحسب، وإنما أيضًا لسبب إنجاب النسل، وللتعاون بين الذكر والأنثىٰ، كما يصرح أحبار المسيحيين أنفسهم، وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يصح أن نستنتج من قول بولس بأن الزواج يباح لسبب الزنا، إن تجنب الزنا تكفي فيه الزوجة الواحدة، خصوصًا أن هٰذا الٱستنتاج يجعل الزواج وسيلة لإشباع الشهوة فحسب، وهو أمر غير مُسلَّم، وإذا صح أن الزواج يباح لسبب الزنا، فما قول مفسري هٰذا النص علىٰ هٰذا النحو فيمن لا تكفيه الزوجة الواحدة خصوصًا أيام حيضها ونفاسها ومرضها، هل من الخير أن يباح له تعدد الزوجات خشية الزنا أم يُحرم عليه؟!

وأخيرًا ذكر بعض الأحبار المسيحيين أن التشريعات المدنية في البلاد المسيحية كاليونان وإيطاليا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وأمريكا وغيرها مجمعة علىٰ تحريم تعدد الزوجات، كذلك أجمعت الكنائس المسيحية علىٰ هٰذا التحريم، فهل أخطأ هٰؤلاء جميعًا في فهم شريعتهم؟

والواقع أن كون الشريعة المسيحية تحرم تعدد الزوجات الآن شيء وكون الإنجيل يخلو من نص يحرم تعدد الزوجات شيء آخر؛ لأن الشريعة المسيحية من=

= مصادرها أقوال آباء الكنيسة وقرارات المجامع الكنسية، وهٰذِه ٱتجهت الآن إلىٰ تحريم تعدد الزوجات، وإن كان الإنجيل يخلو من نص يتضمن هٰذا التحريم.

ولا شك أن إجماع التشريعات المدنية في البلاد المسيحية علىٰ هٰذا التحريم شيء وتحريمه في شريعة المسيح ﷺ شيء آخر، فهٰذِه التشريعات المدنية من وضع البشر بخلاف الديانة.

أما إجماع الكنائس المسيحية علىٰ تحريم تعدد الزوجات فهو أمر ينازع فيه بعض فقهاء المسيحيين أنفسهم، فمنهم من يرىٰ أن تحريم تعدد الزوجات عند المسيحيين كان بالنسبة لآباء الكنيسة فحسب ولم يُحرم علىٰ غيرهم من المسيحيين إلا في وقت لاحق، والواقع أننا إذا رجعنا إلىٰ كتابات آباء الكنيسة الأولين نجد فيها ما يحرم على الكهنة التزوج بأكثر من ٱمرأة واحدة، وفسر البعض ذلك بأن المحرم على الكهنة هو تعدد الزوجات، بينما فسر البعض الآخر هٰذا المحرم بأنه الزواج بأكثر من ٱمرأة مطلقًا، بحيث لو توفيت زوجة الكاهن لم يكن له أن يتزوج بغيرها، فليست له إلا ٱمرأة واحدة في الحياة الدنيا، وعلىٰ هٰذا التفسير أيضًا يحرم على الكاهن تعدد الزوجات، ولم يرد تحريم تعدد الزوجات علىٰ سائر المسيحيين صراحة في النصوص الفقهية الأولىٰ، وإنما كانت هناك نصوص تمنع الرجل من تطليق زوجته ليتزوج بأخرىٰ، كما كانت هناك نصوص تحرم الزيجة الرابعة ولو كانت بامرأة واحدة علىٰ أن تحريم تعدد الزوجات أخذ في الظهور - بعد ذلك - في كتابات آباء الكنيسة الذين ٱعتبروا زواج الرجل على ٱمرأته زنا، ولكن كانت هناك آراء أخرىٰ تجيز تعدد الزوجات في المسيحية، ومنها رأي لوثر مؤسس المذهب الإنجيلي الذي كان يعتبر تعدد الزوجات نظامًا لا يتجافىٰ مع أحكام الشريعة المسيحية، وأخيرًا سادت في العصر الحديث الآراء التي تحرم تعدد الزوجات على المسيحيين، حتى ٱعتبر نظام الزوجة الواحدة من خصائص الشريعة المسيحية.

إذا كنا قد ٱنتهينا إلىٰ أن الإنجيل يخلو من نص صريح يحرم تعدد الزوجات، وناقشنا النصوص التي قيل: إنها تحرم ضمنًا تعدد الزوجات، ورأينا أنها جميعًا محل نظر، كما ٱنتهينا إلىٰ أن آباء الكنيسة هم الذين حرموا تعدد الزوجات، فإنه يحق التساؤل الآن عن الأسباب التي أدت بآباء الكنيسة إلىٰ تحريم تعدد الزوجات=

= على المسيحيين.

يبدو لنا أن هناك سببًا رئيسيًا جعل آباء الكنيسة يحرمون تعدد الزوجات، هو نظرتهم إلى البتولية - عدم الزواج- وتفضيلها على الزواج، وابتداع الرهبانية للإعلاء من شأنها والانتفاع بها في خدمة الدين، يشير إلىٰ ذلك الأنبا شنودة بقوله: أما البتولية في المسيحية فقد وطد دعائمها السيد المسيح ذاته الذي كان بتولًا، وولد من أم بتول، وعمده وبشر به مهيئًا الطريق أمامه نبي بتول هو يوحنا المعمدان - يحيىٰ ﷺ- وعهد بأمه إلىٰ رسول بتول هو يوحنا الحبيب. وهٰذِه البتولية شرحها وتكلم عنها بولس الرسول في رسالته الأولىٰ إلىٰ أهل كورنثوس «الإصحاح السابع» حيث قال: «حسن للرجل أن لا يمس آمرأة» و«أريد أن يكون جميع الناس كما أنا» أي: بتوليين، و«أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا» و«أنت منفصل عن آمرأة فلا تطلب آمرأة» و«أقول هٰذا أيها الإخوة الوقت منذ الآن مقصر لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم».

و«أريد أن تكونوا بلا هم، غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضي الرب، وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي آمرأته» و«من زُوِّج فحسنًا يفعل، ومن لا يُزوج يفعل أحسن» آنظر الآيات ١، ٧، ٨، ٢٩، ٣٢، ٣٨ وانظر أيضًا ٢٦، ٣٧.

فهل يعقل أن ديانة تقول: «حسن للرجل أن لا يمس آمرأة» ثم تسمح هٰذِه الديانة بتعدد الزوجات؟! هٰذا هو إذن -بوضوح - أساس التحريم، الدعوة إلى البتولية، والروح التي تصاحبها هي التي تدعو إلى الأبتعاد عن المرأة، فلا يسمح بالزواج من آمرأة واحدة إلا لضرورة، ويحرم تعدد الزوجات من باب أولىٰ !

ولقد أدت هٰذِه النظرة إلى البتولية علىٰ هٰذا النحو من التقديس إلىٰ أمرين هما:

أولًا: النظرة إلى المرأة علىٰ أنها شخص يصرف الإنسان عن العبادة، ومن ثم يجب الأبتعاد عنها «حسن للرجل أن لا يمس آمرأة» فما بالك إذا كان يمس آثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا، من هنا نظر معظم آباء الكنيسة إلىٰ تعدد الزوجات علىٰ أنه نظام لا مبرر له سوىٰ إشباع الشهوة والانغماس في اللذة؛ فحرموه. فتحريم تعدد الزوجات عند آباء الكنيسة لم يكن لرعاية المرأة، وإنما كان للإعراض عنها، والانشغال بالعبادة عن الآهتمام بها، لكن هل ترضى النساء عن هٰذِه النظرة؟ وما هو ذنبهن في أن يبتعد الرجال عنهن؟ وأين يذهبن إذا حدث ذلك؟ ثم لماذا=

= لا تعتبر رعاية النساء بالزواج منهن عبادة كرعاية الضعفاء والأطفال؟ من جهة أخرىٰ سبق أن عرفنا أن تعدد الزوجات لم يشرع لإشباع الشهوة؛ لأن الشهوة يمكن أن يقضيها الرجل بإشباع كامل من زوجة واحدة، وإنما شرع تعدد الزوجات لأسباب كثيرة ناقشنا بعضها وانتهينا إلىٰ أنه لا سبيل إلىٰ حصر لها.

ثانيًا: أدت النظرة إلى البتولية على النحو سالف الذكر إلىٰ كراهية الزواج الثاني حتىٰ بزوجة واحدة، ذلك أنه إذا تكرر الزواج حتىٰ ولو كان بامرأة واحدة فإنه لا ينظر إليه بعين الرضا عند معظم آباء الكنيسة، فمثلًا: من ماتت زوجته أو ٱفترق عنها بتطليق، ثم تزوج ٱمرأة واحدة بعدها، كان هٰذا الزواج الثاني مكروهًا، ولذلك لا تقيم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بركة إكليل لهٰذا الزواج الثاني كما تفعل بالنسبة للزواج الأول، وإنما رسمت له صلاة ٱستغفار، بل صرح ابن العسال- فقيه الأقباط الأرثوذكس - بأن «الزيجة الثانية مكروهة، وأنه ليس في المسيحية بعدها من زيجة شرعية، وأن الزيجة الثالثة: هي علامة الغواية لمن يقدر أن يضبط نفسه، فأما أكثر من الزيجة الثالثة فهي زنا ظاهر، ومن جسر علىٰ أن يصير إلى التزويج الرابع الذي ليس هو تزويجًا فلا يحسب مثل هٰذا زواجًا ولا المولودين منه بنينًا»! ويعني ذلك أن من ٱضطرته الظروف إلى الزواج للمرة الثالثة وبزوجة واحدة كان ذلك علامة الغواية، حتىٰ لو كان الزواج للمرة الثالثة بسبب وفاة زوجته الأولىٰ ثم زوجته الثانية، فإن ماتت ثالث زوجة للرجل، أو ٱفترق عنها بتطليق؛ حرم عليه أن يقرب النساء؛ لأن زواجه للمرة الرابعة - ولو بزوجة واحدة - لا يعتبر زواجًا، وإنما يعتبر زنًا عندهم، وأولاده من زوجته الوحيدة في زواجه الرابع لا يعتبرون بنينًا له، وإنما يعتبرون أولاد زنا ! وقد ٱستمر العمل بهٰذا الرأي عند الأقباط الأرثوذكس حتى القرن العشرين حيث عدل عنه، ولا تزال كنيسة الروم الأرثوذكس تحرم إلى اليوم الزيجة الرابعة بزوجة واحدة.

وإذا كانت الزيجة الثانية بالمرأة الواحدة مكروهة هكذا عند كهنة المسيحيين، والزيجة الثالثة علامة الغواية، والرابعة زنًا ولو كانت بزوجة واحدة، فأولىٰ بهٰذِه الكراهية تعدد الزوجات، ومن ثم ٱعتبروه زنًا.

غير أن من الحق علينا أن نذكر أن بعض كهنة المسيحيين رفضوا هٰذا التفكير، فمنهم من أباح للرجل أن يتزوج بزوجة واحدة، ولو كان ذلك للمرة الرابعة أو=

= الخامسة، وعلل ذلك بأنه لا يوجد في الإنجيل ما يمنع من الزيجة الرابعة وما فوق، إذ إن فيه أن من لا يطيق العزوبة فليتزوج، أولىٰ من التحرق بالشهوة، كما أن بعضهم أباح للرجل تعدد الزوجات ومنهم لوثر زعيم الإنجليين الذي أحتج علىٰ كراهية الكهنة للزواج، وكان راهبًا فتخلىٰ عن الرهبنة، وتزوج براهبة ليرسم طريقًا جديدًا في التفكير، ونظر إلىٰ تعدد الزوجات في تسامح واعتبره نظامًا لا يتجافىٰ مع أحكام الشريعة المسيحية مؤكدًا أن تعدد الزوجات أفضل يقينًا من الطلاق مستشهدًا علىٰ ذلك بممارسة بعض الأنبياء له.

ويذكر «وستر مارك» أنه إذا أخذنا في الأعتبار أن الزواج بواحدة كان النظام القانوني الوحيد الذي كان سائدًا في أثينا وروما، فلا يمكن أن يقال: إن المسيحية قد أدخلت إلى العالم الغربي نظام الزوجة الواحدة إجبارًا، وبالرغم من أن كتاب العهد الجديد - أي الإنجيل- قد أعتبر الزواج بواحدة هو الشكل الطبيعي أو المثالي للزواج، إلا أنه لم يحرم صراحة تعدد الزوجات إلا في حالة القس أو الأسقف، ولقد قيل: إنه لم يكن ضروريًا لرواد المعلمين للمسيحية أن يعلنوا تعدد الزوجات؛ لأن نظام الزوجة الواحدة كان نظامًا عامًا للشعوب التي نشروا بينها تعاليمهم و لم يعارض تعدد الزوجات أي مجلس كنسي في القرون الأولىٰ، ولم يقم أي حائل في طريق ممارسته وكان ملوك الميرونجيين يمارسون تعدد الزوجات، فقد كان لشارلمان زوجتان وعدة محظيات، وقد عقد فيليب ملك هيس وفريديريك ويليام الثاني ملك بروسيا باثنتين لكل منهما، وقد باركهما القس لوثربون، وقد وافق لوثر نفسه علىٰ زواج الأول من أثنتين، وهكذا فعل ميلانكتون، وقد تكلم لوثر في عدة مناسبات عن تعدد الزوجات في تسامح.

ولم يحرم الله هٰذا الزواج وقد دعت بعض المذاهب المسيحية إلىٰ تعدد الزوجات بحماس شديد، وفي عام ١٥٣١ دعا القسيس في مونستر صراحة بأن من يريد أن يكون مسيحيًا حقيقيًا فعليه أن يتزوج من عدة زوجات، غير أن هٰذِه الآراء وتلك الأتجاهات أحدثت ضجة كبرىٰ في الكنائس الأخرىٰ، وكان من ردود الفعل أن أجتمع الكهنة في المجمع التردنتين في القرن السادس عشر، وقرر المجتمعون في قانون المجمع العاشر عقوبة الحرمان لمن يدعي أن الزواج أحسن من التبتل، إن قال أحد: إن حالة الزوجية يجب أن تفضل عن حالة التبتل، أو أنه ليس أحسن وأسعد من البقاء في التبتل، فليكن محرومًا والحرمان عقوبة كنسية=

وفي لندن ظهرت رسالة باللغة الإنجليزية سنة ١٦٥٨م تحت هٰذا العنوان «لماذا لا نجيز تعدد الزوجات تفاديًا للزنا وقتل الأولاد»، وفي عام ١٨٧٠م ظهر في لندن كتاب ٱسمه حول الٱنهيار النسوي للقس المحامي «مرتن مادن»، وقد فاض في كتابه هٰذا بالدعوة الحماسية إلىٰ تعدد الزوجات، بل إن طائفة من رجال الدين ومن رجال البحث قررت الدفاع عن نظام تعدد الزوجات والمطالبة به، وإن أربعة من كبار القسس بزعامة أسقف «كانتربي» وهو من أكبر رجال الكنيسة البروتستانية قد ٱجتمعوا مع بعض الباحثين في لندن، وأصدروا قرارًا دافعوا فيه عن نظام تعدد الزوجات وطالبوا بإباحته للمسيحيين من أجل المصلحة العامة ومصلحة النساء أنفسهن.

وقالت كاتبة إنجليزية: لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك، وإذا كنت ٱمرأة تراني أنظر إلىٰ هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنًا، وماذا عسىٰ يفيدهن بأسي وحزني، وإن شاركني فيه النساء جميعًا، لا فائدة إلا في العمل بما يمنع هٰذِه الحالة الرجسة.

وإن العالم (تومس) رأى الداء ووصف له الدواء الكامل للشفاء، وهو الإباحة للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة، وبهذه الواسطة يزول البلاء لا محالة، وتصبح بناتنا ربات بيوت.

= خطيرة تجعل الشخص في حكم الميت في الدنيا والآخرة، ثم ما لبثت الدعوة إلىٰ مبدأ الوحدة الزوجية أن ذاعت وانتشرت وساعد علىٰ ذلك ٱزدياد نفوذ آباء الكنيسة المعارضين لتعدد الزوجات، واختصاص الكنيسة بالفصل بين رعاياها في مسائل الزواج، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ تحريم تعدد الزوجات على المسيحيين» اهـ.

وأيضًا دعا مؤتمر الشباب العالمي المنعقد في ألمانيا سنة ١٩٤٨ إلىٰ تعدد الزوجات، حلًا لمشكلة تكاثر النساء، وأعلن كبير أساقفة إنجلترا أنه لا يوجد علاج لمنع التحلل والانهيار العائلي إلا بإباحة تعدد الزوجات.

وغير ذلك من النداءات والاعترافات الكثيرة التي ملأت بطون كتب الغرب وعلىٰ صفحات جرائدها اليومية والأسبوعية تنادي وتعترف بأن تعدد الزوجات هو الأفضل والأصح.

وبهذا نصل إلى القول بأن الكنيسة لم تحرم تعدد الزوجات دائمًا، وإنما حرمته أحيانًا، وأحلته أحيانًا، وهٰذا يدل علىٰ عدم مشروعية التحريم في مصادرها، كما أنها لم تنجح بهٰذا القول فعادت ونادت بوجوب تعدد الزوجات، حينما رأت ٱنتشار الفساد والفجور وتعدد الصاحبات، وهي في هٰذا موافقة للطبيعة البشرية ولتعاليم الإسلام في هٰذا الشأن[1].

ج- تعدد الزوجات في الديانة الهندوسية

الهندوسية تبيح ٱختيار أكثر من زوجة، وكان أبطال الهندوس يبالغون في عدد الزوجات فالبطل «أرجنا» ٱتخذ عدة زوجات منها: «دروبتي» و «سوبهادرا» و «جتانغا» كما أن البطل الهندوسي الآخر وهو «كرشنا» يقولون: كان له سبعة عشر ألف زوجة، إلا أن تعاليم الفيدا تحث على الأكتفاء بزوجة واحدة[2]، ولذا نرىٰ أن الهندوس يختارون أنواعًا من

---

(١) «نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام ص٦٨-٦٩ .

(٢) ريج فيدا ٨/ ١٠٥/ ١، و ٢/ ٣٣/ ١٠.

وفي رواية آخرىٰ: يجوز للبرهمي أربع زوجات، وللكشتري ثلاث زوجات، وللويش زوجتان، وللشودر زوجة واحدة.

الحيل لأجل التعدد[١]

د- تعدد الزوجات في عهد الفراعنة

تعددت الآراء بين العلماء والمؤرخين القدماء والمعاصرين في تعدد الزوجات في عهد الفراعنة في مصر القديمة.

فمنهم من يرىٰ أن المصري كان مزواجًا بطبعه، وآخرون يرون أنه كان يفضل ألا يتخذ أكثر من زوجة، وبعضهم ٱستندوا إلىٰ أقوال المؤرخين القدامىٰ أمثال هيرودوت الذي قال: إن المصري كان يعيش في ظل نظام الزوجة الواحدة، وديودور الذي قال: إن رجال الدين فقط هم الذين ساروا علىٰ نظام الزوجة الواحدة أما بقية الشعب فكان يمارس تعدد الزوجات.

ومما وصلنا من وثائق يبدو أن المصري كان في أول الأمر لا يميل إلى التعدد، ولكنه مع مرور الزمن وخاصة في العصور المتأخرة أصبح يتخذ أكثر من زوجة واحدة، ففي الدولة القديمة لا نجد، فيما وصلنا من نصوص ومناظر من هٰذا العصر، حالات لتعدد الزوجات إلا نادرًا جدًّا. إذ لم يعثر حتى الآن علىٰ ما يثبت وجود التعدد في الأسرة الثالثة. ولكنا في الأسرة الرابعة نجد في ميدوم مقبرة الأمير نفر ماعت حفيد الملك سنفرو ومن بين مناظرها ٱمرأتان «إينت ونوب» أما الأولىٰ فهي زوجته وتصاحبه دائمًا في المناظر، وأما «نوب» فهي لا تظهر إلا في منظر واحد جالسة عند قدمي «نفر ماعت» وقد ٱتخذت لقب «رخت - نسوت» ولٰكن دون أية إشارة تدل علىٰ أنها زوجة. ومن هنا ٱختلفت الآراء حول وضع هٰذِه المرأة إذ يعتبرها «بترىٰ» أنها أخت «نفر ماعت» أو ابنته، أما بيرين فيرىٰ أنها زوجة ثانية. فإذا أخذنا بالرأي الثاني، فهي زوجة ثانية لا تتمتع بنفس

---

(١) «دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند» ص٥٩١-٥٩٢

المكانة التي تمتعت بها الزوجة الأولىٰ.

وفي مقبرة «شيري» رئيس الكهنة الجنائزيين الملكيين بسقارة مناظر لامرأتين إحداهما «خنت كاوس» تظهر مع «شيرىٰ» في أوضاع توحي بأنها زوجته مع أن النصوص لا تشير إلىٰ هٰذا. وأما الثانية «إينت» فقد لقبت mytrt وظهرت في المناظر مع ابنتها، ونلاحظ في هٰذِه المقبرة اللقب mytrt الذي ظهر في مقابر أخرىٰ من الجيزة ومن الدولة القديمة أيضا وكانوا يصفون به الرجال أحيانا والنساء أو الأطفال أحيانا أخرىٰ ويقول يونكر عنه: إنه لقب غامض لا يعرف عنه شيء أما «هلك» فيرىٰ فيه لقبا للرجال ٱستمر مستعملًا حتى الأسرة الخامسة ثم ٱختفىٰ. وقد ٱتخذته النساء، وبقي لقبا لهن حتى الأسرة السادسة، وكان أصلا لقبا مرتبطا بأعمال البناء في القصور الملكية، ولكنه أصبح لقب شرف فيما بعد.

ونحن نرىٰ أن في طوعنا إذا صح أن mytrt كان لقبا للسيدات ولم يكن لطبقة معينة تنتمي إليها بعض النساء كالمحظيات، والافتراض بأن «شيري» كان متزوجا من ٱمرأتين.

ومن الأسرة الخامسة كذلك عن مقبرة صخرية شرقي جبانة الملك «من كاورع» بالجيزة أن صاحبها «سثو» كانت له زوجتان صورت كل منهما في حجرة مستقلة مع نص يفيد أن كلا منهما زوجة له وهٰذا أول دليل صريح علىٰ زواج رجل من أكثر من واحدة.

ومن الأسرة السادسة مقبرة «مرىٰ عا» تدل مناظرها علىٰ أنه ٱتخذ ست زوجات، أما الزوجة الأولىٰ أو الأخيرة واسمها «إيس» فنراها مع زوجها تارة واقفة تتقبل الهدايا من أبناء زوجها وأخرىٰ تتقبل زهورًا من بناته وقد تبعهن الزوجات الخمس الأخريات أمهات أولاد مرىٰ عا، فلم يغب عن الفنان الذي رسم هٰذا المنظر أن ينسب كل ابن إلىٰ أمه وكل بنت

إلىٰ أمها، ومن الملاحظ أن إيس لم ترزق بأولاد إذ يظهر أحد منسوبا إليها.

أما في الدولة الوسطىٰ فنجد أكثر من دليل على التعدد، فمقبرة «أخي حتب» في مير يتضح من مناظرها أنه كان له حوالي خمس زوجات بالإضافة إلىٰ عدد كبير من المحظيات. ومن الملاحظ أنه لم يولد له إلا ابنه واحدة ظهرت معه في عدة مناظر. ولعل ذلك علة زواجه من أكثر من ٱمرأة وقد صورت الزوجات كلهن وكذلك بعض المحظيات وقد جلسن في خشوع أمام صاحب المقبرة.

ومن المناظر الأخرىٰ في هٰذِه المقبرة منظر يصور الزوجات وقد خرجن مع زوجهن في رحلة صيد يستمتعن كلهن بها معه.

وقد عثر في أبيدوس علىٰ لوحتين تدلان علىٰ أن كلا من صاحبيهما قد ٱتخذ أكثر من زوجة فاللوحة الأولىٰ: وهي في المتحف المصري لرجل وزوجته يجلسان أمام مائدة قرابين. وفي أسفل اللوحة نجد أبناء المتوفىٰ، مسجلة أسماؤهم منسوبين إلىٰ أمهم. ويتضح من ذلك أن المتوفىٰ كانت له زوجتان: إحداهما تلك الجالسة معه في المنظر «إينتف» وأخرىٰ «منىٰ» لم تظهر في اللوحة ولكنها ذكرت أما لولدين. أما اللوحة الثانية وهي من الأسرة الثانية عشرة فتمثل المتوفىٰ جالسا أمام مائدة قرابين وصورت في الجزء الأسفل من اللوحة أسرته بأسماء أفرادها. ويتضح من ذلك أن هٰذا الرجل كانت له زوجتان وأن الأثنتين ٱتخذتا لقب nbtpr أي ربة البيت كما يؤكد المنظر أنهما كانتا علىٰ ذمة الزوج في نفس الوقت إذ ٱجتمعت الأثنتان معا في المنظر ومن ثم فهو زواج من ٱثنتين bigamy.

وفي مقبرة «حعبي جفاي» من الأسرة الثانية عشرة نصوص تدل علىٰ زوجتين له ٱتخذتا لقب ربة البيت ويبدو كأن إحداهما ماتت في حياته، ولكنا لا نعرف هل تزوج الأخرىٰ بعد موت الأولىٰ أم كان متزوجا من الاثنتين معا.

فإذا ألقينا نظرة علىٰ مقابر أشراف الدولة الحديثة في طيبة ومقابر عمال دير المدينة، وجدنا أن من بين أربعمائة وثمان وخمسين مقبرة - ثلاث عشرة منها فقط تشير إلىٰ أكثر من زوجة واحدة للمتوفىٰ.

ففي الأسرة الثامنة عشرة، يرىٰ في المقبرة (رقم ٣٤٠) «لآمون أم حات» في دير المدينة، أنه تزوج من ٱمرأتين نراهما في منظرين مختلفين عن يمين الداخل إلى المقبرة ويساره ويمثل كل من المنظرين صاحب المقبرة أمام مائدة القرابين مع إحدىٰ زوجتيه اللتين ٱتخذتا نفس الألقاب والنعوت إلا أن واحدة فقط كانت ربة البيت.

وفي مقبرة «بوي م رع» (رقم ٣٩) بالخوخا مناظر تدل علىٰ زوجتين له ٱتخذتا الألقاب نفسها هما: «سنسنب» و «تانفرت» صورتا بصحبته، فتارة نجد «سنسنب» معه تتقبل القرابين أو الزهور، وتارة نجد «تانفرت» معه تتقبل الرسل الذين يقدمون التقارير.

وفي مقبرة «سنوفر» (رقم ٩٦) شيخ عبد القرنة نجد له ثلاث زوجات، ويبدو أنه كان يفضل زوجته «مريت» التي ظهرت معه في معظم المناظر، ولذلك يمكننا ٱعتبارها الزوجة الأولىٰ أو الأخيرة.

ومن مقبرة «خونسو» (رقم ٣١) شيخ عبد القرنة نتبين زوجتين إحداهما عاشت بعده إذ شهدت مراسم دفن زوجها.

ومن مقبرة «نب آمون» (رقم ٩٠) شيخ عبد القرنة نجد أنه تزوج من «تي» و «سنسنبتو» ويقول ناشر المقبرة: إن «تي» كانت الزوجة الأولىٰ،

وإن الزوجتين كانتا تعيشان كل منهما بعيدة عن الأخرىٰ في بيت مستقل أو جناح منفصل بحكم تصويرهما في مناظر مستقلة.

وفي دير المدينة مقبرتان من هٰذا العصر بهما أكثر من زوجة لنفس الشخص. الأولىٰ: مقبرة العامل «خع بخنت» (رقم ٢) وهي مقبرة عائلية لا يفهم من مناظرها ونصوصها هل كانت لشخصين بنفس الٱسم، لكل واحد منهما زوجة، أم هي لشخص واحد له زوجتان، غير أن الثابت أن السيدة «ساحتىٰ» هي زوجة «خع بخنت» هي التي نراها في صحبته في كل المناظر تتعبد أمام مختلف الآلهة وتماثل الملوك المؤلهين. وفي مقصورة المقبرة شخص يحمل نفس الٱسم (خع - بخنت) ومعه زوجة أخرىٰ ولكن دون دليل قاطع أنه هو نفس صاحب المقبرة.

أما المقبرة الثانية فهي للعامل «قن» (رقم ٤) وتدل مناظرها علىٰ زواجه من ٱمرأتين. واحتمال الجمع بينهما في آن واحد، إذ نرىٰ لوحة صغيرة عليها الزوجتان معا في وئام، ذراع إحداهما حول الأخرىٰ ويدها علىٰ كتفها كما أن كلا من الٱثنتين كانت «ربة بيت». ثم مقبرة «نخت- جحوتىٰ» (رقم ١٨٩) العساسيف حيث يبدو له زوجتان ظهرتا معه على ٱنفراد في مناظر عدة.

أما مقبرة «نفر- سخرو» (رقم ٢٩٦) ومقبرة «مننو أم حات» (رقم ٣٤) العساسيف فيبدو من مناظرهما أن كلا من صاحبيهما كان زوجا لثلاث.

ثم هناك مقبرة «ثاىٰ» (رقم ٢٣) شيخ عبد القرنة بما له من زوجتين.

وهناك نصوص صريحة في التعدد يمكن الاستناد عليها لتأكيد تعدد الزوجات.

ومنها مثلا:

نص المعاهدة بين (خاتوسيل ملك الحيثيين» و «رمسيس الثاني» ملك مصر في شأن معاملة اللاجئين من أي البلدين للبلد الآخر حيث جاء فيها عن المصري الذي يرجع إلىٰ بلده: «أما الرجل الذي سيحضر أمام الملك رمسيس الثاني... فلا يهدم بيته وزوجاته وأطفاله»..

وفي بردية من عصر الملك رمسيس العاشر، تتحدث عن قضية لصوص المقابر يفهم من أقوال السيدة «موت أم حاب» - التي ٱستدعيت في التحقيق لتشهد ضد زوجها المشترك في السرقة - أنه كان متزوجًا من أربع: أنا واحدة من أربع زوجات، ماتت ٱثنتان والثالثة لا تزال علىٰ قيد الحياة، ٱستدعوها ولتأت لتشهد ضدي».

وفي بردية من الأسرة الخامسة والعشرين خبر عن قضية الجندي «باديٰ خنوميس» وزوجته الأولىٰ ضد الكاهن «باديٰ باستيس» وقد ٱستشهد بزوجته الثانية.

وتؤكد عقود الزواج التي وصلتنا من الحقبة ما بين الأسرتين الثانية والعشرين والسادسة والعشرين أن المصري عرف التعدد وإن لم يمارسه دائما. ويعتبر الزوج نفسه فيها أنه تسبب في الإضرار بزوجته إذا تزوج عليها وهو ضرر يوازي الطلاق. لذلك فعليه أن يعوضها عن هٰذِه الخسارة الفادحة.

نخلص من ذلك علىٰ أن تعدد الزوجات كان معروفًا وأن العمال والعامة من الشعب كانوا يتخذون أكثر من زوجة أي أن التعدد لم يقتصر علىٰ طبقة الأشراف الثرية، وإن لم يكن مستحبا. فلقد جاء في بردية لتفسير الأحلام من الدولة الوسطىٰ أن من الأحلام المزعجة وغير المستحبة «أن يرى الرجل وجهه في مرآة، فذلك حظ تعس ويعني زوجة أخرىٰ».

وفي نصوص العصر البطلمي فقرة قانونية تحمي مصالح الزوجة

الأولىٰ. إذ جاء في قانون أسيوط لعام واحد وعشرين: «إذا تزوج رجل وكتب لزوجته وثيقة بأملاكه ورزق منها بولد ثم ٱنفصل عنها وتزوج من ٱمرأة أخرىٰ وكتب لها وثيقة بأملاكه ورزق منها بولد، إذا مات هٰذا الرجل فأملاكه تئول إلى ابنه من الزوجة الأولىٰ صاحبة الوثيقة الأولىٰ».

ولا نعرف إن كان القانون المصري أو العرف السائد في مصر القديمة قد وضع حدًّا أقصىٰ لعدد الزوجات. ولٰكن المصري بما تشهد به المناظر أو النصوص لم يتخذ عددا كبيرا منهن إلا مرتين. كان ذلك في الدولة القديمة وفي الأسرة السادسة خاصة وفي الدولة الوسطىٰ. أما في غير هاتين الحالتين فلم يجاوز زوجتين أو ثلاثا وأربع في حالة واحدة في الدولة الحديثة.

ويبدو من المناظر السالفة أن العلاقة بين الزوجات بعضهن ببعض كانت طيبة ولا يتبين أن المصري فضل الأولىٰ علىٰ سائر الزوجات إلا في حالة واحدة في الدولة القديمة وهي حالة «مرىٰ عا» وأزواجه الست وفي هٰذِه الحالة يمكن ٱعتبار «إيس» الزوجة الأولىٰ إذ أن الأخريات وأولادهن يقدمن لها فروض الطاعة. ويفهم من المناظر أنها لم تلد لزوجها ولعلها لذلك شجعته على الزواج بأخريات.

أما غير هٰذا المثل وفي مناظر المقابر الأخرىٰ فيبدو أن الزوج المصري كان يعدل بين زوجاته ولا يجعل من إحداهن أكبر مقاما من الأخرىٰ فكل منهن ربة بيت nbtpr وتتمتع بنفس المنزلة عنده. فلا يؤثر - في المناظر - إحداهن لتخرج معه في الرحلات والنزهات، بل يصحبهن جميعًا، ونشعر أن الوفاق كان يسود بينهن، ومن نصوص الدولة الحديثة يفهم أن كل زوجة كانت تعيش عادة في منزل مستقل وهٰذا ما يستخلص من قول «موت أم حاب» عن زوجها اللص: «إنه لم يحضر أبدًا ذهبًا عندما

كان في بيتي» وهذا ما يراه البعض أيضا من تصوير كل زوجة في منظر مستقل في بعض المقابر. إلا أن مناظر الدولة القديمة والدولة الوسطىٰ توحي بأن الأسرة من الزوج وزوجاته وأولاده كانوا كلهم يعيشون في دار مشتركة.

ولا شك أن اتخاذ أكثر من زوجة لم يكن بالأمر السهل. فالزواج في مصر كان يلقي على الزوج أعباء مالية نحو زوجته، وفي اتخاذ أكثر من زوجه معناه زيادتها ومن ناحية أخرىٰ لابد وأن الزوج كان عليه أن يضع في الاعتبار موقف زوجته الأولىٰ من زواجه الثاني. ويبدو ذلك مما جاء في عقود الزواج من شروط تهدف إلىٰ تقييد حرية الزوج في اتخاذ زوجة أخرىٰ كأن يتحمل الزوج بعض الالتزامات المالية في صالح الزوجة وأولادها[١].

هـ- تعدد الزوجات في الجاهلية

اقتصر بعض العرب علىٰ زوجة واحدة، واشترط بعض الآباء وبعض النساء على الرجل ألا يتزوج بآخرىٰ يقول عدي بن زيد:

بنات كرام لم يُرَبْنَ بضَرَّة دُمًّىٰ شرقات بالعبير روادعا

وجاء في حديث بين الجعفاء بنت علقمة وثلاث نسوة قول إحداهن: خير الرجال الذي يكرم الحرة ولا يجمع الضرة. ورفضت ماوية بنت عفزر أن تتزوج حاتما الطائي بعد أن اختارته وآثرته علىٰ خاطبيها إلا علىٰ شرط أن يسرح زوجته، فأبىٰ، فلما ماتت زوجته رضيته وتزوجته.

كذلك استوثقت حرقفة البلوية من خاطبها مرة بن عوف ألا يتزوج عليها - وكان زوجا لمليكة بنت خُصَيْلة المرية - فحلف لها وأغلظ الحلف

(١) «الزواج والطلاق في مصر القديمة» ص ٢٦-٣٦ .

ألا يتزوج غيرها، فرضيته، ثم خرج بها يسير حتىٰ نظرا نيران أهله، فقالت حرقفة: ما هٰذِه النيران؟ فقال: أما هاتيك فنار بني وامرأتي، فقالت: أغدرًا من أول ليلة؟ قال: ما غدرت بك، ولكني غدرت بسواك، ولكن ليس معنىٰ ذلك أنه لم يكن هناك تعدد عند العرب فالشعوب كانت تمارس التعدد وتبيحه، ولا عجب إذا في أن يعدد العرب في الجاهلية، وفي أن يشيع هٰذا النظام بينهم، فيمارسه من تواتيه ظروفه، أو تلجئه حاجة، أو يتوقع منه خيرًا.

التعدد نظام اجتماعي شائع في الأمم، لٰكن شيوعه لم يكن كفيلا، ولن يكون كفيلًا بالتخفيف من تباغض الضرائر وتحاسدهن، لهٰذا كانت الزوجة تفجع بالضرة، وكان بعض النساء يشترطن على الزوج ألا يضارهن بأخرىٰ كما سبق.

وكان عداء الضرائر معهودًا معلومًا، حتىٰ إن بنت مرة بن عاهان لما قتلته باهلة لم تجد ما تشبه به ما بينهم وبين باهلة من بغضة إلا داء الضرائر.:

إنا وباهلة بن أعصر بيننا ... داء الضرائر بغضة وتناف

وكانت المودة لا تصفو بين ضرتين، وكثيرا ما تشغب الأولىٰ، فمثلا كانت الوِرْثة بنت ثعلبة زوجة لذهل بن شيبان، وكان كلما تزوج امرأة شارتها الوِرْثة وضربتها وأجلتها، فلما تزوج رقاش بنت عمرو تحرشت بها الورثة، ثم وثبت عليها لتضربها، فأمسكتها رقاش وغلبتها، فقالت الورثة.

يا ويح نفسي اليوم أدركني الكبر ... أأبكي علىٰ نفسي العشية أو أذر؟

فو الله لو أدركت في بقية ... للاقيت ما لاقىٰ صواحبك الأخر

علىٰ أن الأزواج كانوا أحيانا يؤدبون زوجاتهم بالضرائر،

ويعاقبونهن بالتعدد، يدل علىٰ ذلك قول الطهوي:

لقد خشيت أن يقوم قابرى ولم تمارسك من الضرائر
ذاتُ شذاةٍ جَمَّة الصراصر حتىٰ إذا جرَّس كلُّ طائر
قامت تُعَنْظى بك سمع الحاضر تُصرُّ إصرار العُقاب الكاسر

علىٰ أن بعض الرجال في الإسلام كان يتحامىٰ هٰذِه الحياة المشوبة، من هٰؤلاء أعرابي شاعر يصور في أسلوب فكه بلواه من زواج آثنتين، ويوصي بالعزوبة:

تزوجت آثنتين لفرط جهلي بما يشقىٰ به زوج آثنتين
فقلت: أصير بينهما خروفا أنعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تُضْحِي وتمسي تداول بين أخبث ذئبتين
رضا هٰذِه يهيج سخط هذي فما أعرىٰ من إحدى السخطتين
وألقىٰ في المعيشة كل شر كذاك الضُّر بين الضرتين
لهذي ليلة ولتلك أخرىٰ عتاب دائم في الليلتين
فإن أحببتَ أن تبقىٰ كريمًا من الخيرات مملوء اليدين
فعش عزبًا فإن لم تستطعه فضربًا في عِراض الجَحْفلين[1]

يقول الدكتور البلتاجي[2]:

ولعلنا لا نعدو الصواب إذا قلنا: إنه لا يكاد يكون هناك مكان عاش فيه البشر حياة متحضرة إلا وقد شهد تعدد الزوجات وقتًا ما طال هٰذا الوقت أو قصر، بل إن بعض الباحثين يربط بين التعدد والحضارة حين

(١) «المرأة في الشعر الجاهلي ص٢٣٦-٢٤٢ باختصار.
(٢) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» ص ١٦٣-١٦٤.

يقول: «والحقيقة كذلك أن نظام تعدد الزوجات لم يبد في صورة واضحة إلا في الشعوب المتقدمة في الحضارة، علىٰ حين أنه قليل الأنتشار أو منعدم في الشعوب البدائية المتأخرة، كما قرر ذلك أئمة علماء الأجتماع ومؤرخي الحضارات وعلىٰ رأسهم (وستر مارك) و(هو بهور) و(هويلر) و(جنزبرج): Wester mark, Hobhore, Wheeler, Ginzberg

وليس من موضوعنا هنا أن نستقصي كل أسماء أو أخبار الشعوب التي مارست تعدد الزوجات، ذلك أنا عقدنا هٰذا المبحث لنبين في وضوح أن الإسلام حين أباح تعدد الزوجات لم يخترع في التاريخ البشري شيئًا جديدًا لم يعرفه البشر من قبل، إنما نظم وضعًا كان البشر يعرفونه ويمارسونه في حضاراتهم ودياناتهم من قبل، فحده بحدود العدل الإلهي. لٰكن من يقرأ تهويلات المبشرين وأتباعهم والملحدين وصنائعهم في هٰذا الأمر - حينما يتحدثون عن الإسلام وتعدد الزوجات - قد يقع في وهمه أن الإسلام أنفرد بين كل نظم العالم المتحضر ودياناته بمشروعية التعدد، فأردنا في البيان الموجز أن نقرر أن الديانتين اليهودية والمسيحية عرفتا تعدد الزوجات وشرعته كل منهما ومارسه أتباعهما قرونًا طويلة، وأن الحظر الذي جاء بعد ذلك إنما قام به الأحبار والرهبان الذين أعطوا أنفسهم حق الأستقلال بإصدار التشريعات الجديدة الملزمة، في وقت كان الوحي السماوي فيه أرتفع عن الأرض - بانتهاء النبوة- بعد أن قال كلمته في الكتب المقدسة التي لا تتضمن شيئًا ما عن التحريم المطلق للتعدد.

وأعتقد أنه من حقنا بعد هٰذا أن نطلب من هٰؤلاء المهولين أن يستخدموا في هجومهم علىٰ (تعدد الزوجات في الإسلام) كلمات أصغر، وأن ينطقوا بها في أصوات أكثر خفوتًا وأقل جلبة مما يفعلون، بخاصة وأن كثيرًا منهم يبشر - بطريق مباشرة وغير مباشرة- بواحد من الدينين

اللذين عرفنا حقيقة التعدد في الكتاب المقدس لكل منهما.

الجواب الثاني عن شبهة تعدد الزوجات

إن الإسلام حين شرع التعدد، كان ذلك لحكمة سامية، ومصلحة عامة، وضرورات اجتماعية وشخصية، وإليك أوجه الحكمة في ذلك:

١- كثرة النساء:

إن نسبة النساء في أي مجتمع من المجتمعات البشرية تفوق نسبة الرجال وتزيد عليها، وذلك مشاهد من عدة وجوه:

الوجه الأول: كثرة ولادة البنات دون الذكور، فنجد عدد النساء في البيت الواحد أكثر من عدد الرجال، وليتحقق كل واحد من هٰذِه الحقيقة بالنظر إلىٰ بيته وأقاربه وجيرانه، وليعمل إحصائية يعدد فيها الرجال، وإحصائية أخرىٰ يعدد فيها النساء في معارفه، فإنه ولا شك سيخرج بنتيجة زيادة عدد النساء على الرجال.

الوجه الثاني: يتعرض الرجال للموت والفناء أكثر من النساء، إذ لديهم قابلية للمرض أكثر من النساء، كما أن الرجال يتعرضون للحوادث من جراء تعرضهم للمخاطر أكثر من النساء، فالرجال في الغالب تقع عليهم حوادث الطائر ت والسيارات والقطارات والسفن، وشتىٰ حوادث الطرق؛ لأنهم يخرجون للكسب والمعاش، بينما النساء يقبعن في بيوتهن، والرجال قوامون عليهن، فالمرأة لا تتعرض للأخطار كثيرًا، وإن كنت شاكًّا في هٰذا فاجلس عند باب المقبرة، واعمل إحصائية بمن يموت خلال شهر، فستجد نسبة وفيات الرجال تزيد علىٰ نسبة وفيات النساء بنسبة ٣-١.

الوجه الثالث: كما أن الحروب تلتهم الرجال، وهم وقود المعارك، وبنظرة سريعة إلى البلاد التي تستعر فيها الحروب، فستجد

آلاف النساء بلا عائل، تخطفت الحروب والاغتيالات آباءهن وأزواجهن ومن يعولهن.

وقد دلت الإحصائيات بعد الحرب العالمية الثانية أن أكثر بلاد أوربا أصبحت النساء يشكلن نسبة (٧-١) من الرجال، فإذا تزوجت واحدة برجل فأين الأزواج للبواقي إذا لم يكن التعدد؟[١]

وضرورات الحرب ونقصان الرجال فيها لا تدع مجالًا للمكابرة في أن الطريق الوحيد لتلافي الخسارة البالغة بالرجال السماح بتعدد الزوجات.

والشعوب الغربية النصرانية وجدت نفسها تجاه زيادة عدد النساء على الرجال - وبخاصة بعد الحربين العالميتين- بازاء مشكلة أجتماعية خطيرة، لا تزال تتخبط في إيجاد الحل المناسب، وقد كان من بين الحلول التي برزت إباحة تعدد الزوجات.

ففي عام ١٩٤٨م عقد مؤتمر للشباب في «ميونيخ» بألمانيا، وبحث مشكلة زيادة عدد النساء في ألمانيا أضعافًا مضاعفة عن عدد الرجال بعد الحرب، وقد أستعرضت مختلف الحلول لهٰذِه المشكلة، وكانت النتيجة أن أقرت اللجنة توصية المؤتمر بالمطالبة بإباحة تعدد الزوجات لحل المشكلة.

وفي عام ١٩٤٩م، تقدم أهالي «بون» عاصمة ألمانيا الأتحادية بطلب إلى السلطات المختصة، يطلبون فيه أن ينص في الدستور الألماني علىٰ إباحة تعدد الزوجات، ونشرت الصحف منذ عشر سنوات تقريبًا أن الحكومة الألمانية أرسلت إلىٰ مشيخة الأزهر تطلب منها نظام التعدد في الإسلام، لأنها تفكر في الأستفادة منه كحد لمشكلة أزدياد النساء، ثم

---

(١) انظر مجلة «البحوث الإسلامية» العدد ٢٥ .

أتبع ذلك وصول وفد من العلماء الألمان اتصلوا بشيخ الأزهر لهٰذِه الغاية.

وقد جاء في جريدة «الأهرام» بتاريخ ١٣ديسمبر ١٩٦٠ أنه قد «اكتشفت وثيقة بخط يد (مارتن بورمان) نائب (هتلر)، كان قد كتبها في عام ١٩٤٤ يقول فيها: إن هتلر كان يفكر جديًا في أن يبيح للرجل الألماني الزواج من اثنتين شرعًا، لضمان مستقبل قوة الشعب الألماني»..

يقول د/ البلتاجي[١]:

يقول الدكتور / محمود سلام زناتي:

«وقد شعرت أمم تتبع قاعدة الزوجة الواحدة في لحظات معينة في تاريخها بالحاجة الماسة إلىٰ تعدد الزوجات».

فقديمًا أباحت أثينا للرجل أن يجمع بين زوجتين، وكان ذلك في سنة ٣١١ قبل الميلاد عقب الهزيمة الساحقة التي منيت بها الحملة التي بعثت بها للاستيلاء علىٰ سيسليا، والتي كان من نتيجتها القضاء علىٰ معظم شباب أثينا، وقد حدث مثل ذلك في الإمبراطورية الرومانية، وفي فرنسا عقب الحرب العالمية الأولىٰ، قام من يدعو إلىٰ إلغاء النص الذي يعاقب على الزواج بأكثر من واحدة، ويطالب بإباحة تعدد الزوجات تخليصًا للمجتمع الفرنسي من النتائج الوبيلة المترتبة علىٰ وجود فائض من الإناث بسبب الحرب، وتمكينًا لكل امرأة من الأمومة المشروعة.

وتطلع علينا الصحف من وقت إلىٰ آخر تخبرنا بمحاولات تبذل في ألمانيا؛ لبحث تعدد الزوجات، ودراسة إمكانية إباحته بها.

وإذا كانت هٰذِه البلاد (فرنسا وألمانيا ومثيلاتهما) لم تتمكن من إباحة تعدد الزوجات، فإن من أسباب ذلك الأثر العميق الذي تركه نظام

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ص١٩٣ .

الزوجة الواحدة في نفوس نسائها، حيث أصبحت الواحدة منهن تفضل أن يكون لها أولاد غير شرعيين من عشيق أو أكثر علىٰ أن تحصل علىٰ أولاد شرعيين في ظل نظام لتعدد الزوجات، ولا أظن أحدًا يغار علىٰ مجتمعنا العربي، يرجو له الوصول إلىٰ ما وصلت إليه المجتمعات الغربية في هٰذا السبيل». اهـ.

وهٰذا الفيلسوف الإنجليزي (سبنسر) برغم مخالفته لفكرة تعدد الزوجات، يراها ضرورة للأمة التي يفنىٰ رجالها في الحروب.

يقول «سبنسر» في كتابه «أصول علم الاجتماع»:

«إذا طرأت على الأمة حال اجتاحت رجالها بالحروب ولم يكن لكل رجل من الباقين إلا زوجة واحدة، وبقيت نساء عديدات بلا أزواج، ينتج عن ذلك نقص في عدد المواليد لا محالة، ولا يكون عددهم مساويًا لعدد الوفيات، فإذا تقاتلت أمتان مع فرض أنهما متساويتان في جميع الوسائل المعيشية، وكانت إحداهما لا تستفيد من جميع نسائها بالاستيلاد، فإنها لا تستطيع أن تقاوم خصيمتها التي يستولد رجالها جميع نسائها، وتكون النتيجة أن الأمة الموحدة للزوجات تفنىٰ أمام الأمة المعددة للزوجات»[1] أ.هـ.

وفي حالة زيادة عدد النساء، فليس أمام العدد الزائد إلا واحد من ثلاثة احتمالات:

١- أن تقضي الفتاة عمرها في بيت أهلها عانسًا، محرومة من حقها في إشباع عاطفة الزوجية، وعاطفة الأمومة، وهي عواطف فطرية غرسها الله في كيانها، لا تملك لها دفعًا.

---

(١) «المرأة بين الفقه والقانون» ص٥٦-٥٧ .

٢- أو البحث عن متنفس غير مشروع من وراء ظهر الأسرة والمجتمع والأخلاق.

٣- أو الزواج من رجل متزوج، قادر علىٰ إحصانها، واثق من العدل بينها وبين ضرتها.

أما الاَحتمال الأول: ففيه ظلم كبير لعدد من النساء بغير جرم اَقترفته، فإنهن لم يجئن إلى الحياة برضاهن، **والاحتمال الثاني**: جُرم في حق المرأة، وفي حق المجتمع، وفي حق الأخلاق، وهو - للأسف- ما سار عليه الغرب، فقد حرَّم تعدد الزوجات وأباح تعدد الصديقات والعشيقات، أي: أن الواقع فرض عليهم التعدد، ولكنه تعدد لا أخلاقي ولا إنساني؛ لأن الرجل يقضي من ورائه وطره وشهوته، دون أن يلتزم بأي واجب، أو يتحمل أية تبعة، تأتي نتيجة لهٰذا التعدد.

أما الاَحتمال الثالث: فهو وحده الحل العادل، والنظيف، والإنساني، والأخلاقي، وهو الذي جاء به الإسلام[1]. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2][3].

---

(١) الخصائص العامة للإسلام ص١٥٩ .

(٢) المائدة: ٥٠ .

(٣) يقول الأستاذ / محمد رشيد العويد، في كتابه «وبضدهن تتميز المسلمات ص١١-١٤، تحت عنوان: **نساء ينسن من الظفر بأزواج!**

في «مانهاتن» المدينة الأميركية التي اَخترعت بدعة «العزاب المتمايلين»، تعيش النساء أزمة حادة.

فقد تبين من آخر إحصاء أن هنالك اَمرأتين تعيشان دون زواج مقابل كل رجل أعزب، وهٰذا يعني أن جيلًا من النساء يتعرض لخطر العنوسة.

وتذكر الإحصائيات العلمية: أن المرأة التي يتراوح عمرها ما بين (٣٥-٣٩) عامًا لا تتوفر لها فرص الزواج إلا بنسبة (٣٨٪) فقط. =

= ففي نيويورك - مقصد الشاذين والمتسكعين- أصبح العجز في عدد الرجال الذين يمكن الزواج منهم حادًا جدًا إلىٰ درجة أن آلاف النساء الجميلات والذكيات والناجحات أصبحن يائسات من نجاح محاولاتهن الظفر بأزواج لهن ! ولقد جعل هٰذا الوضع النساء الأخريات - الأقل جمالاً ونجاحًا- يقتنصن كل فرصة سانحة للقاء رجال، وإقامة علاقات معهم حتىٰ دون زواج، إلىٰ حد قيام بعضهن بدفع «تحويشة» العمر للحصول علىٰ حصة في بيت على الشاطئ تمضي فيه الصيف مع رجل ! كما أن بعضهن يلجأن إلى الإعلان في الصحف والمجلات عن حاجتهن إلىٰ رجال!

غير أن «جولي مولاين» البالغة من العمر [٣٣] عامًا، وتعمل في مجلة للسياحة والسفر، تصر علىٰ أن الإحصائيات ليست كل شيء، وأن العجز في عدد الرجال، هو عجز في عدد من تود المرأة إقامة علاقة معهم أكثر منه في عدد من تستطيع إقامة علاقة معهم. فهنالك الكثير من الرجال الذين يبدون رائعين نظريًا فقط، فهم يشغلون مناصب مرموقة، ولم يسبق لهم الزواج، وهم في منتصف الثلاثينيات من أعمارهم لكنهم في الحقيقة لم يتجاوزوا مرحلة النضج العاطفي لطفل في الثامنة من عمره، ومعظمهم يتصرف بشكل يثير السخط، ولا يدل على احترامه للمرأة؛ لأنه يعلم أن هناك امرأة أخرىٰ أكثر قنوطًا تنتظر إيماءة من أحدهم لتخبره بأنه الرجل الرائع حقًّا!

فهٰذه طالبة في السابعة العشرين من عمرها، تدرس الحقوق في نيويورك، وكانت قد قطعت -قبل عام- علاقتها مع صديقها الذي كانت تعيش معه في شقة واحدة، هٰذه هي تتذمر مما تصفه بـ«جحيم التواعد مع الرجال» وتقول: «إنك تقضين أمسية مع رجل لا يمكن أن تحبيه، وأنت تحاولين تجنب التثاؤب من شدة الضجر».

وتقول سيدة أخرىٰ في منتصف الثلاثينيات: «هناك رغبات لدىٰ كثير من النساء في إقامة علاقات غرامية مع رجال متزوجين، فهٰؤلاء يعانين الوحدة، ويفضلن الحصول علىٰ شيء من الرومانسية بدلًا من الحرمان الكامل، حتىٰ ولو كان ذلك مع زوج امرأة أخرىٰ!

وهكذا تغيرت طبيعة أحاديث النساء

فبينما كانت أمهات نساء نيويورك يتبادلن المعلومات حول كيفية إعداد أطباق الطعام=

= المفضلة، تتبادل نساء اليوم المعلومات حول الرجال الذين يمكن التواعد معهم..وإقامة علاقات - ولو عابرة- بهم.

وهٰذِه سيدة، في نهاية الأربعينيات من عمرها، أصبحت تشعر باليأس من إمكانية إقامة علاقة غرامية مع رجل مناسب، فتقرر الخروج من الساحة كلية، والتخلي عن مسألة التواعد مع الرجال. وتقول: «لقد قررت مغادرة نيويورك والعيش في الأرياف، ويا له من شعور حقيقي بالتحرر والارتياح، فلم يعد يتوجب علي أن أصغي إلا ما لا نهاية إلىٰ هٰذا الرجل أو ذاك وهو يتحدث عن نفسه ومآثره..دون اكتراث بوجودي، وكأن دوري صار مجرد إرضاء غروره».

كانت هٰذِه ترجمة لما نشر في صحيفة The Sunday Express الأميركية في عددها الصادر في (١١/٨/١٩٩١، تحت عنوان: «المرأة مستقتلة علىٰ رجل حقيقي». وعنوان آخر: «حتى النساء الجميلات يكافحن من أجل الحصول علىٰ وليف». وكان العنوان الجانبي الذي سبق هذين العنوانين هو: «لعبة المزاوجة في الولايات المتحدة».

والمتأمل في هٰذا الكلام يخرج بما يلي:

- نساء جميلات وذكيات وناجحات في أميركا أصبحن يائسات من الظفر بأزواج لهن! أليس هٰذا نتيجة الفساد الذي جعل المرأة مبتغىٰ سهلًا الوصول إليه، ونيلُ ما يرغب الرجل في النيل منه، ومن ثم فالرجل يزهد بالزواج وارتباطاته ومسئولياته؟!
- وفي كلام السيدة التي هي في منتصف الثلاثينيات تأكيد آخر علىٰ كون التعدد حلًا لكثير من وحدة النساء. تقول تلك السيدة: «هناك رغبات لدىٰ كثير من النساء في إقامة علاقات غرامية مع رجال متزوجين، فهؤلاء يعانين الوحدة، ويفضلن الحصول علىٰ شيء من الرومانسية بدلًا من الحرمان الكامل، حتىٰ ولو كان ذلك مع زوج امرأة أخرىٰ».!

وهل يشك أحد في أن هؤلاء الأميركيات، لو قيل لهن: إن القانون يبيح لكنَّ «ليس تمضية وقت عابر، إنما زواج كامل، ألا يُرحبن ويتمنين ويوافقن»؟!

- ولنتأمل أخيرًا في كلام تلك السيدة التي قررت الخروج من المدينة إلى الريف، بعد أن يئست من إمكانية علاقة غرامية مع رجل مناسب: «يا له من شعور حقيقي بالتحرر والارتياح»!

أجل: «تحرر وارتياح»، فالبحث عن رجل قيد، وتسول ساعات تمضيها مع الرجل=

٢- تحصين النفس

فقد يوجد عند بعض الرجال - بحكم طبيعتهم النفسية والبدنية - رغبة جنسية جامحة ؛ إذ ربما لا تشبعه ٱمرأة واحدة.

قد يكون الزوج في حالة من إلحاح الغريزة عليه إلحاحًا شديدًا متكررًا؛ نظرًا لطبيعته الخاصة- مع كون زوجه -التي يحبها وتحبه- ذات ظروف صحية أو مزاجية خاصة تلجئها، وإن لم تكن مريضة بالمعنى السابق - إلى التعب الشديد إن هي ٱستجابت لتحقيق المطالب الغريزية

= قيد، ومداراة الرجل لإطالة وقته معها قيد، فطبيعي أن تشعر بالتحرر والارتياح، حين تتخلص من هٰذا كله.

- كيف لإنسان أن يصف تعدد الزوجات بأنه ظلم للمرأة، ولا يصف بالظلم دفع ٱمرأة ما وفرته من عملها؛ لاستئجار بيت على الشاطئ من أجل أن تمضي فيه أسابيع مع رجل، يتفضل عليها بالعيش معها! هٰذا الزمن القصير؟! أليس خيرًا للمرأة أن تتزوج هٰذا الرجل، وتعيش معه دائمًا، معززه مكرمة، وهو الذي ينفق عليها، ويوفر لها السكن. لا هي؟!.

- وهٰذا كلام الصحفية «جولي مولاين» يشير إلىٰ أن الندرة ليست في عدد الرجال المحسوبين رجالًا، إنما هي في عدد الرجال (الحقيقيين) الذين - كما تصفهم مولاين- «لم يتجاوزوا مرحلة النضج العاطفي لطفل في الثامنة من عمره، ويتصرفون بشكل يثير السخط لا ٱحترام فيه للمرأة» وهٰذا الوصف يقف في صف مقابل للقوامة في الإسلام، فقوامة الرجل تقتضي منه أن يدافع عن المرأة ويحميها، وأن ينفق عليها، فإذا لم يفعل هٰذا سقطت قوامته، كما يذكر ذلك الفقهاء في شرحهم وبيانهم لمعنى القوامة في الإسلام. وبعد

فهٰذِه هي المرأة غير المسلمة في الغرب، أسيرة البحث عن زوج، وأسيرة البحث عن ساعات تمضيها مع رجل، وأسيرة البحث عن الٱستقرار وأسرة، ثم أليس التعدد حلًا لهٰؤلاء النسوة؟ حلًا دائمًا حين يتزوجن ويضمن الٱستقرار الذي ينشدنه ويبحثن عنه؟!

ترىٰ لو عرضت حقيقة الإسلام، ومكانة المرأة فيه على النساء الغربيات، ألن يُسرعن إليه، يلتمسن الحياة في ظله، والأمان الذي في شرعه؟!.

الملحة المتكررة لزوجها، ومما لا يجادل فيه عاقل مطلع علىٰ حقائق الأمور أن مطالب الغريزة تختلف اختلافًا كبيرًا بين الناس من حيث إلحاحها أو قناعتها، ومن الرجال من تلح عليه غريزته إلحاحًا متكررًا، ومن النساء من هي على النقيض من ذلك تمامًا مع خلوها من المرض، لكن طبيعتها ومزاجها وتكوينها الجسدي والنفسي علىٰ نحو خاص يدفعها إلى الإقلال من النشاط الغريزي، وينتهي بها إلىٰ تعب نفسي وجسدي غير محتمل إذا هي استجابت بصفة دائمة لغريزة زوجها الملحة المتكررة، وهٰذا - إن يكن قليلًا أو نادرًا - فهو موجود يوقع الزوجة فيما عرضنا له، ولكي يتيقن المتشككون في وجود ذلك في واقع الحياة المعاصرة نسوق مثالًا واحدًا شكت فيه الزوجة نفسها من ذلك إلىٰ مجلة دينية تطلب منها الفتوىٰ، ففي عدد صفر (١٣٩٣هـ) مارس (١٩٧٣م) من مجلة «الاعتصام» المصرية، في الصفحة الثالثة والعشرين، أرسلت إحدى السيدات تقول بالحرف الواحد: زوجي يحب الجماع أكثر من مرة في الأسبوع، مما يسبب لي الضرر الجسماني وانحراف الصحة، وإزاء هٰذا الوضع فأنا أرفض أن أمكنه من رغبته التي تعرضني للضرر كما قلت، فماذا أصنع وعندي أولاد يحتاجون للعناية والرعاية؟

ولا شك أن هٰذِه الحالة، توقع الزوج في العنت الشديد إذا طلبنا منه كبح جماح غريزته، وقد يلجئه ذلك إلى الزنا، أو يجعله أقرب إلى الوقوع فيه إن عرضت له لحظات الضعف البشري وواتت الظروف. وأيضًا فإن مطالبة الزوجة بالاستجابة الدائمة لزوجها ينتهي بها حتمًا إلى التعب الجسدي والنفسي الذي يجعلها تكره هٰذِه العلاقة أصلًا، وقد تكره الزوجية كلها من أجله، مع أنه إذا خلا الأمر من هٰذا الإلحاح فكل منهما

محب للآخر حريص على أستبقاء العلاقة به[١].

والإسلام حين يضع نظامًا لتصريف الطاقة الجنسية ينظر إلى القضية من كافة جوانبها..يلحظ وجود فوارق في القوى الجنسية بين الناس، وهو لذلك يضع من التشريعات والمخارج ما يحقق الإشباعات الجنسية في نطاق الشرعية.

إن نظام تعدد الزوجات في الإسلام، ينطوي علىٰ حلول كثير من المشكلات، فهو خير سبيل لسد الجوعات الجنسية لدى المتفوقين جنسيًا الذين لا تكفيهم زوجة واحدة، وخير لهٰؤلاء وللمجتمع الذي يعيشون فيه أن تتعدد زوجاتهم من أن تتعدد خليلاتهم؟

يقول الأستاذ يوسف القرضاوي في كتابه «الحلال والحرام في الإسلام»:

«إن الإسلام هو كلمة الله الأخيرة التي ختم بها الرسالات؛ ولهٰذا جاء بشريعة عامة خالدة تتسع للأقطار كلها وللأعصار قاطبة وللناس جميعًا.

أنه لا يشرع للحضري ويغفل البدوي، ولا للأقاليم الباردة، وينسى الحارة، ولا لعصر خاص مهملًا بقية العصور.

أنه يقدر ضرورة الأفراد وضرورة المجتمعات، ويقدر حاجاتهم ومصالحهم جميعًا، فمن الناس من يكون قوي الرغبة في النسل، ولكنه رزق بزوجة لا تنجب لعقم أو مرض أو غيره. أفلا يكون أكرم لها وأفضل أن يتزوج عليها من تحقق له رغبته مع بقاء الأولىٰ وضمان حقوقها؟

ومن الرجال من يكون قوي الغريزة ثائر الشهوة، ولكنه رزق بزوجة

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» ص ١٨٩-١٩٠.

قليلة الرغبة في الرجال، أو ذات مرض، أو تطول عندها فترة الحيض، أو نحو ذلك. والرجل لا يطيق الصبر كثيرًا عن النساء، أفلا يباح له أن يتزوج بأخرىٰ حليلة بدل أن يبحث عنها خليلة؟

هٰذا هو تعدد الزوجات الذي أنكره الغرب المسيحي على المسلمين، وشنع عليهم، علىٰ حين أباح لرجاله تعدد العشيقات والخليلات بلا قيد ولا حساب، ولا اعتراف بأي التزام قانوني أو أدبي نحو المرأة أو الذرية، التي تأتي ثمرة لهٰذا التعدد اللاديني أو اللا أخلاقي، فأي الفريقين أقوم قيلا وأهدىٰ سبيلًا؟ وقد ثبت أن الخيانة الزوجية في الأمم القائلة بالاقتصار علىٰ زوجة واحدة تزيد باضطراد[1].

فقد نشرت صحيفة (الشرق الأوسط) اللندنية في عددها الصادر ١٥/ ٧/ ١٩٧٩ أن [٧٥٪] من الأزواج يخونون زوجاتهم في أوربا، وأن نسبة أقل من المتزوجات يفعلن الشيء ذاته، وفي كثير من الحالات يعلم الزوج بخيانة زوجته، وتعلم الزوجة بخيانة زوجها، ومع هٰذا قد تستمر العلاقات الزوجية الشكلية دون أن يطرأ عليها أي انفصام!!

أما العلاقات قبل الزواج فإن (٨٠-٨٥٪) من الرجال البالغين لهم خليلات، وأن لكل واحد منهم خليلة واحدة فقط، وأن ما بقي من أفراد المجتمع غير المتزوجين والذين ليس لهم خليلاتهم من الزناة، فهم ينتقلون من امرأة لأخرىٰ؛ إشباعًا لغرائزهم ووطرهم[2]!!.

فالرجل أكثر طلبًا للأنثىٰ في الغالب، ومستعد لأداء النسل طول حياته، إلا أن المرأة تكون مستعدة لذلك إلىٰ سن الخمسين فقط، وبعدها

---

(١) «الإسلام والجنس» ص ٣٥-٣٦.

(٢) «تربية الأولاد في الإسلام» لعبد الله ناصح علوان.

ينقطع دم حيضها، وتنعدم بويضات التناسل.

فإذا كانت الزوجة في هذه الحالة عاجزة عن أداء الوظيفة الزوجية، من الإنجاب أو إشباع الرجل، فماذا يصنع؟!

وهل الأفضل له أن يضم إليه حليلة تعف نفسه وتحصن فرجه، أم يتخذ خليلة في الحرام[١].

يقول الدكتور/ مصطفى السباعي[٢]:

حين سافرت إلىٰ أوربا في عام ١٩٥٦ موفدًا من جامعة دمشق في رحلة أستطلاعية للجامعات والمكتبات العامة، كان ممن أجتمعت بهم في لندن البروفيسور «أندرسون» رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية الشرقية في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن، وجرىٰ بيننا - فيما جرىٰ من الأحاديث - نقاش حول تعدد الزوجات في الإسلام.

سألني أندرسون: ما رأيك في تعدد الزوجات؟

قلت له: نظام صالح يفيد المجتمعات في كثير من الظروف إذا نفذ بشروطه !.

قال: أنت إذا علىٰ رأي محمد عبده بوجوب تقييده؟!

قلت: قريبًا من رأيه لا تمامًا، فإني أرىٰ أن يقيد بقدرة الزوج على الإنفاق على الزوجة الثانية؛ ليمكن تحقيق العدل بين الزوجات كما طلب الإسلام.

قال: وهل مثلك في هذا العصر يدافع عن تعدد الزوجات؟

قلت: إني أسألك فأجبني بصراحة ! من كانت عنده زوجة فمرضت

---

(١) مجلة «البحوث الإسلامية» العدد [٢٥].

(٢) «المرأة بين الفقه والقانون» ص [٥٩].

مرضًا معديًا أو منفرًا لا أمل بالشفاء منه، وهو في مقتبل العمر والشباب فماذا يفعل؟ هل أمامه إلا ثلاث حالات: أن يطلقها، أو يتزوج عليها، أو أن يخونها ويتصل بغيرها ٱتصالًا غير مشروع؟

قال: بل هناك رابعة: وهي: أن يصبر ويعف نفسه عن الحرام.

قلت: وهل كل إنسان يستطيع أن يفعل ذلك؟

قال: نحن المسيحيين نستطيع أن نفعل ذلك بتأثير الإيمان في نفوسنا.

فتبسمت وقلت: أتقول هٰذا وأنت غربي؟ أنا أفهم أن يقول هٰذا القول مسلم أو مسيحي شرقي، فقد يستطيع أن يكف نفسه عن الحرام؛ لأن محيطه لا يهيئ له وسائل الٱختلاط بالمرأة في كل ساعة يشاء وأنىٰ يشاء، ولأن تقاليده وأخلاقه لا تزالان تسيطران علىٰ تصرفاته، ولأن الدين لا يزال له تأثير في بلاده.

أما أنتم الغربيون الذين لم تتركوا وسيلة للاتصال بالمرأة والاختلاط بها والتأثير عليها وإغوائها إلا فعلتم، حتىٰ لم تعودوا تستطيعون أن تعيشوا ساعة من نهار أو ليل دون أن تروا المرأة، أو تخالطوها منذ تغادرون البيت حتىٰ تعودوا إليه، أنتم الذين يضج مجتمعكم بالأندية والبارات والمراقص، وتغص شوارعكم بالأولاد غير الشرعيين، تدعون أن دينكم يمنعكم من خيانة الزوجة المريضة! وكيف ذلك وخيانات الزوجات الجميلات الصحيحات الشابات تملأ أخبارها أعمدة الصحف والكتب، وتصك الآذان، وتشغل دوائر القضاء؟

قال: إنني أخبرك عن نفسي، فأنا أستطيع أن أضبط نفسي وأصبر.

قلت: حسنًا، فكم تبلغ نسبة الذين يضبطون أنفسهم من المسيحيين الغربيين أمثالك بالنسبة إلى الذين لا يصبرون؟

قال: لا أنكر أنهم قليلون جدًا.

قلت: وهل ترىٰ أن التشريع يوضع للقلة التي يمكن أن تعد بعدد الأصابع؟ أم للكثرة والجمهرة من الناس؟ وما فائدة التشريع الذي لا يستطيع تطبيقه إلا أفراد محدودون؟

فسكت وانتهت المناقشة فيما بيننا، أقول هٰذا؛ لأبين أن الذين يزعمون بأن الغريزة الجنسية ليست كل شيء في حياة الإنسان، وأن هنالك قيمًا أثمن وأغلىٰ كالوفاء والصبر يحرص عليها الحر الكريم، وأن تبرير التعدد بالحاجة الجنسية هو هبوط بالإنسان إلىٰ مستوى الحيوان، هٰذا الكلام وأمثاله، كلام جميل، وخيال خصب، قيل من ظل غير هٰذِه الحضارة، ومن غير هٰؤلاء الذين يتكلمون هٰذا الكلام، لو قيل من عباد زهاد تعف ألسنتهم وأقلامهم وأعينهم عما حرم الله من زينة المرأة ومفاتنها، وأهواء الحياة وشهواتها!

أما من أولئك فلا، وخير لهم أن يحترموا واقع الحياة التي تعيشها الإنسانية ويعالجوا مشاكلها بصراحة الحكيم المجرب، لا بمراوغة المجادل المكابر.

٣- عدم إنجاب الزوجة:

وهناك أيضًا حالة ما إذا تزوج رجل قادر على الإنجاب من ٱمرأة عقيم ٱنتهت كل محاولات علاجها إلىٰ عجز الأطباء المختصين عن علاج عقمها، والزوجان بعد هٰذا يحب كل منهما الآخر ويرغب في الاحتفاظ بعلاقة الزوجية بينهما، والزوجة أكثر رغبة فيه، لٰكن الزوج يدافع نفسه عن الرغبة في الولد فلا يستطيع لها دفعًا، وتزداد هٰذِه الرغبة عنده بتقدمه في السن يومًا بعد يوم، والزوج بعد هٰذا قادر علىٰ أن يمسك زوجتين، يغلب علىٰ ظنه أنه سيؤدي حق الله فيهما بالعدل بينهما، وحين يصل الزوج إلىٰ حالة من طلب الولد والرغبة فيه يصبح معها من العبث أن ينصح بالتخلي

عنها والرضا بنصيبه مع زوجه، فإنه حينئذٍ يكون بين طريقين: إما طلاق الزوجة العقيم والزواج من غيرها، وإما إمساكها والتزوج من ثانية[١].

فإذا كانت المرأة عقيمًا، فهل يصبح الرجل معها عقيمًا، ونفسه تشرئب للأطفال والأنس بهم.

فهل من الخير للزوج أن يرضىٰ بهٰذا الواقع الأليم، فيصطحب هٰذِه العقيم دون أن يولد له، وهٰذِه المريضة دون أن يكون له من يدبر أمر منزله، فيحتمل هٰذا الغرُم كله وحده؟!! أم الخير في أن يفارقها وهي راغبة في المعاشرة فيؤذيها بالفراق؟!

أم يُوفِّق بين رغبتها ورغبته، فيتزوج بأخرىٰ، ويبُقي عليها، فتلتقي مصلحته ومصلحتها معًا؟!

لا شك في أن الزواج عليها أكرم للمرأة، وأصلح لها، والمرأة العاقلة تفضل التعدد على الطلاق؛ لكون الطلاق ضياعًا وتشردًا.

٤- مرض الزوجة:

لو تزوج رجل من امرأة، وسعد كل منهما بالآخر وقتًا ما، وارتبطا معًا برباط العاطفة والمودة والرحمة، ثم مرضت الزوجة مرضًا شديدًا مستعصيًا يحول بين الرجل ولقائه الشرعي بها على النحو المعروف، والرجل ما زال في سن تلح فيه الغريزة عليه إلحاحًا شديدًا يدفعه دفعًا إلىٰ طلب المرأة، وهو مع هٰذا ما يزال مرتبطًا بزوجه بالمودة والمحبة والرعاية والرحمة، لا يريد أن يفارقها، وهي ما تزال تحبه وتحتاج حاجة شديدة إلىٰ قربه ورعايته - سواء كانت محتاجة إليه ماليًا بعد ذلك أم لم تكن - لٰكن الغريزة هي الغريزة علىٰ كل حال، ولها منطق جسدي لا تحول العاطفة دون ظهوره وإلحاحه. وهنا يكون الزوجان في مفترق طرق ثلاثة لا

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» ص١٩١-١٩٢ .

رابع لها في حقيقة الأمر:

أولاً: أن يطلقها على ما بينهما من المحبة والحاجة إلى الرعاية والود والإشراف ليتزوج من غيرها.

ثانيًا: أن يظل ممسكًا لها راعيًا لشئونها، ثم يقضي حاجاته الغريزية بعد هٰذا مع غيرها من النساء عن طريق الزنا.

ثالثًا: أن يتزوج من غيرها مع إمساكه لها ورعايته لشئونها على ما أوجبته الشريعة لها عليه من حقوق في المودة والقسم والنفقة وسائر الحقوق غير الجماع الذي لم تعد تطيقه أو تطلبه.

ولا يشك أحد في أن الحالة الثالثة أكرم وأنبل، وأضمن لسعادة الزوجة المريضة وزوجها على السواء[1].

---

(١) وهنا قد يثير الطاعنون سؤالًا أعتراضيًا يعتقدون أهميته هو: ألسنا نطالب الزوجة - في المقابل - إذا أصاب الزوج مرض أو عجز في هٰذِه الناحية بأن تصبر، وتكبح جماح غريزتها وإلحاحها، فأين التسوية؟

والإجابة عن هٰذا يسيرة، وهي أنه ربما أنتم الذين تطالبونها بذلك، أما التشريع الإسلامي فإن من أحكام الفقه فيه أن الزوجة لو تضررت من ذلك تضررًا شديدًا؛ خشيت منه الفتنة علىٰ نفسها وعرضها إن ظلت في عصمة الزوج المريض العاجز، فإن لها أن تطلب التفريق عملًا بقوله تعالىٰ عن علاقة الزوجية: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وإمساك الزوج لها عندئذٍ لا يكون من الإمساك بالمعروف المأمور به، لما يقع عليها عندئذٍ من العنت والضرر الشديدين، وخوف الأنزلاق في الزنا.

وهنا ملاحظة هامة ننبه عليها في وضوح، هي أن الشريعة الإسلامية لم توجب على الرجل عند مرض زوجته على النحو السابق أن يتزوج غيرها على الفور، إنما هي في نهاية الأمر قد أباحت ذلك له إذا أراد، وكذلك هي لم توجب على الزوجة عند عجز زوجها أن تطلب الفراق، إنما أباحت لها ذلك فحسب، لكن لو أراد أحدهما أن يظل وفيًا للآخر تمام الوفاء، فرفض الزوج أن يتزوج بأخرىٰ، ورفضت الزوجة طلب الفراق، وصبر كل منهما صبرًا جميلًا علىٰ=

٥- التعدد فيه إعفاف للأرامل والمطلقات:

الزواج المتعدد فيه نبل وتضحية من الرجل وتحمل للمشقات والتبعات، فأحيانًا يتزوج يتيمة أو أرملة، أو امرأة فاتها قطار الزواج وفرصه، ولو تركت لجلست بدون زوج العمر كله، وقد يفكرن في الاتصال المحرم، كما أن الزوج بتعداده لزوجاته إنما يخفف من أعباء المجتمع وأولياء النساء، حيث يتحمل رعاية وتبعات أناس آخرين، ويساهم في رفع المشقة والعنت عن أولياء أمور النساء، فيحفظ زوجته ويصونها، ويكون سببًا في حصول الأولاد لها، وينفق عليها وعلىٰ أولادها منه، ويشرف علىٰ تربيتهم(١).

ما من شك أننا بنظرة منصفة ومتجردة، نجد أن تعدد الزوجات هو الحل العملي المباشر لمشكلة الأرامل والمطلقات. فمن يريد أن يتزوج في أول حياته بأرملة أو مطلقة - ويترك البكر الشابة - إلا لسبب خاص.

لذا كان تعدد الزوجات هو سفينة النجاة التي شرعها الإسلام لحل مشكلة هٰؤلاء النساء(٢).

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ قَوۡلُهُمۡ﴾ إن من حق المرأة أن تتمتع بالرجل خالصًا كما له أن يتمتع بها خالصة يقولون هٰذا متظاهرين باسم الدفاع عن

= حاله، فإن نظرة الشريعة الإسلامية إليه أنه فعل طيب حقًّا وأن كلًّا منهما يستحق جزاء الصابرين، وهو في الإسلام أعظم الجزاء ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠] لٰكن ذلك كله مشروط بوثوق كل منهما من نفسه ثقة كاملة؛ بأن ما فعله لن يدفعه إلى الزنا أو الضرر النفسي أو الجسدي الجسيم؛ لأن إيذاء النفس أو الجسد علىٰ هٰذا النحو أمر منهي عنه شرعًا.

انظر: «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» ص١٨٣-١٨٤.

(١) مجلة «البحوث الإسلامية» العدد [٢٥].

(٢) «هٰذه هي زوجتي» ص ١٣٤ .

المرأة والله يعلم أنهم يوردونها موارد الشقاء باسم الدفاع عن سعادتها.

وإلا فلماذا امتلأت قلوبهم رحمة على المتزوجة من النساء وكانت كالحجارة أو أشد قسوة على العانس والعزباء؟! وهل المرأة في عرفهم لا تصدق إلا علىٰ من أسعدها الحظ بالزوج؟ وأيهما في شرعة الإنصاف أولىٰ بالرحمة: امرأة لها نصف رجل تعيش في كنفه، أم أخرىٰ تعاني من ألم العزوبة وضيق العيش ما قد يسوقها إلىٰ هاوية الفساد؟!

٦- في إباحة التعدد محافظة على الأولاد:

قد يبتلى الرجل بزوجة سيئة الخلق، تنكد عليه حياته، والرجل في هٰذِه الحالة إما أن يطلقها وتنهار الأسرة في وجود الأولاد، أو يتزوج عليها وربما انصلح حالها بذلك، فكثيرًا من النساء تخاف من ضُرة لها، فتعدل سلوكها وتغير أسلوبها مع زوجها.

٧- كثرة سفر الزوج:

أن يكون الرجل - بحكم عمله- كثير الأسفار، وتكون إقامته في غير بلدته تستغرق في بعض الأحيان شهورًا، وهو لا يستطيع أن ينقل زوجته وأولاده معه كلما سافر، ولا يستطيع أن يعيش وحيدًا في سفره تلك الأيام الطويلة، وهنا يجد نفسه كرجل بين حالين: إما أن يفتش عن امرأة يأنس بها من غير طريق مشروع، وليس لها حق الزوجة، ولا لأولادها - الذين قد يأتون نتيجة اتصال الرجل بها- حقوق الأولاد الشرعيين، وإما أن يتزوج أخرىٰ ويقيم معها إقامة مشروعة في نظر الدين والأخلاق والمجتمع، وأولادها منه أولاد شرعيون يعترف بهم المجتمع، وينشئون فيه كرامًا كبقية المواطنين، وأعتقد أن المنطق الهادئ والتفكير المتزن، والحل الواقعي، كل ذلك يفضل التعدد على الحالة الأولىٰ[1].

---

(١) مجلة «البحوث الإسلامية» العدد [٢٥].

الجواب الثالث عن شبهة التعدد:

إن بعض المفكرين الغربيين أنفسهم أثنوا علىٰ نظام التعدد، يقول الرحالة الفرنسي «جيرار دي نرفال» الذي زار الشرق في القرن الماضي وأقام به وكتب عنه كتابه (رحلة إلى الشرق)، وأضاف إليه ملحقًا عن أخلاق المصريين الحديثة كتب فيه عن الحالة الاَجتماعية للنساء المسلمات مقارنًا بينهن وبين النساء الأوروبيات. فقال: «ظل الناس لمدة طويلة يعتقدون أن الإسلام يضع المرأة في مكانة أقل بكثير من مكانة الرجل، ويجعل منها- علىٰ حد القول - جارية تزوجها، وتلك فكرة لا تلبث أن تنهار أمام الدراسة الدقيقة للأخلاق في الشرق، وكان الأحرىٰ أن يقال: إن محمدًا قد جعل المرأة تتبوأ مكانة أعلىٰ بكثير مما كانت عليه من قبل»، ثم يستدل علىٰ صحة ذلك بدراسة مقارنة، اَنتهىٰ فيها إلىٰ تعدد الزوجات حيث قال فيه: وتلاحظ «لادي مورجان» بحق أن تعدد الزوجات الذي لم يقره إلا محمد أقل اَنتشارًا في الشرق مما هو عليه في أوروبا، حيث يمارس تحت أسماء أخرىٰ» وتفصيلًا لهٰذا القول يتكلم «دي نرفال» عن تعدد الزوجات علىٰ أنه وسيلة لتجنب شر أكبر، في حين أن البغاء - وهو صورة أخرىٰ من صور العبودية- ينخر كالجذام عظام المجتمع الأوروبي بإهداره للكرامة البشرية، وبطرده لمخلوقات تعسة غالبًا ما تكون ضحايا جشع الآباء أو اليأس من صدر الدين الرحب، كما يقضي بذلك الترتيب الطبقي الذي جرىٰ عليه العرف. أتريد أن تسأل فيما عدا ذلك عن الوضع الذي يمنحه مجتمعنا للقطاء الذين يشكلون عشر السكان؟ إن القانون المدني يعاقبهم عن أخطاء آبائهم بطردهم من الأسرة ومن الميراث. أما أبناء المسلم جميعًا فهم على العكس من ذلك يولدون

شرعيين ويقسم الميراث بينهم بالعدل[١].

ومنذ أوائل هٰذا القرن تنبه المنصفون من الغربيين إلىٰ ما ينشأ من منع تعدد الزوجات من تشرد النساء، وانتشار الفحشاء، وكثرة الأولاد غير الشرعيين، وأعلنوا أنه لا علاج لذلك إلا السماح بتعدد الزوجات. فقد نشرت جريدة «لاغوص ويكلي ركورد» نقلًا عن جريدة «لندن تروث» بقلم إحدى السيدات الإنجليزيات ما يلي: «لقد كثرت الشاردات من بناتنا، وعم البلاء، وقل الباحثون عن أسباب ذلك، وإذ كنت ٱمرأة تراني أنظر إلىٰ هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنًا، وماذا عسي يفيدهن بثي وحزني، وإن شاركني فيه الناس جميعًا؟ لا فائدة إلا في العمل بما يمنع هٰذِه الحالة الرجسة، ولله در العالم الفاضل «تومس» فإنه رأى الداء ووصف له الدواء الكامل الشفاء، وهو الإباحة للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة، وبهذه الواسطة يزول البلاء لا محالة، وتصبح بناتنا ربات بيوت، فالبلاء كل البلاء في إجبار الرجل الأوروبي على الاكتفاء بامرأة واحدة».

«إن هٰذا التحديد بواحدة هو الذي جعل بناتنا شوارد، وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال، ولابد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة».

«أي ظن يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كَلًّا وعارًا وعالة على المجتمع؟! فلو كان تعدد الزوجات مباحًا لما حاق بأولئك الأولاد وأمهاتهم ما هم فيه من العذاب الهون، ولسلم عرضهن وعرض أولادهن، إن إباحة تعدد الزوجات تجعل كل ٱمرأة ربة بيت، وأم أولاد شرعيين».

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة» ص ١٩٥-١٩٦.

وقد عرض «جرو تيوس» العالم القانوني المشهور لموضوع تعدد الزوجات، فاستصوب شريعة الآباء العبرانيين والأنبياء في العهد القديم[١].

وقال الفيلسوف الألماني الشهير «شوبنهور» في رسالته «كلمة عن النساء»:

«إن قوانين الزواج في أوربا فاسدة المبنىٰ بمساواتها المرأة بالرجل، فقد جعلتنا نقتصر علىٰ زوجة واحدة فأفقدتنا نصف حقوقنا، وضاعفت علينا واجباتنا..إلىٰ أن يقول: «ولا تعدم ٱمرأة من الأمم التي تجيز تعدد الزوجات زوجًا يتكفل بشئونها، والمتزوجات عندنا نفر قليل، وغيرهنَّ لا يحصَيْنَ عددًا، تَرَاهُنَّ بغير كفيل: بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت، وهي هائمة متحسرة، ومخلوقات ضعيفة من الطبقات السفلىٰ، يتجشمن الصعاب ويتحملن مشاق الأعمال، وربما ٱبتذلن فيعشن تعيسات متلبسات بالخزي والعار، ففي مدينة (لندن) وحدها ثمانون ألف بنت عمومية[٢]. سفك دم شرفهن علىٰ مذبح الزواج، ضحية الأقتصار علىٰ زوجة واحدة، ونتيجة تعنت السيدة الأوربية، وما تدعيه لنفسها من الأباطيل، أما آن لنا أن نعد بعد ذلك تعدد الزوجات حقيقة لنوع النساء بأسره»[٣].

ويقول «غوستاف لوبون» في كتابه «حضارة الغرب»:

«إن مبدأ نظام تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به، ويزيد الأسرة ٱرتباطًا، ويمنح المرأة ٱحترامًا وسعادة لا تراهما في أوربا».

---

(١) «حقائق الإسلام» للعقاد ص ١٦٧.

(٢) هٰذا علىٰ عهد «شوبنهور»، وقد توفي سنة ١٨٦٠م.

(٣) «الإسلام روح المدنية» ص٣٢٤ .

وذكر العقاد في كتابه «المرأة في القرآن الكريم» طائفة من آراء الفلاسفة الأوربيين في التعدد، فنقل عن الدكتور «ليبون» قوله: «إن القوانين الأوربية سوف تجيز التعدد»، ونقل عن الأستاذ «أهرنفيل» قوله: «إن التعدد ضروري للمحافظة علىٰ بقاء السلالة الآرية».

وقالت «أني بيزانت» زعيمة التيصوفية العالمية في كتابها «الأديان المنتشرة في الهند»:

(ومتىٰ وَزَنَّا الأمور بقسطاس العدل المستقيم، ظهر لنا أن تعدد الزوجات الإسلامي - الذي يحفظ ويحمي ويغذي ويكسو النساء- أرجح وزنًا من البغاء الغربي، الذي يسمح بأن يتخذ الرجل ٱمرأة لمحض إشباع شهواته، ثم يقذف بها إلى الشارع متىٰ قضىٰ منها أوطاره».

وقال الدكتور «نظمي لوقا» في كتابه «محمد الرسالة والرسول» ما يلي:

«وما من شك في أن نظام الزوجة الواحدة الدائمة نظام مثالي، ونظرة إلىٰ واقع الحياة البشرية في تاريخ مجتمعاتها الغابرة والحاضرة، تطلعنا علىٰ تعدد النساء في حياة الرجل الواحد سواء جهرًا أو سرًّا، سواء برخصة من القانون أو الدين، أو رغم القانون والعقيدة. وما من عاقل يفضل التعدد بغير رخصة على التعدد برخصة، وعندئذٍ لا حيلة إلا في التعدد؛ لأنه الحل السليم الوحيد لأساس الجماعة، والضرورات تبيح المحظورات، وما القول في زوجة أقعدها المرض؟ وما القول في الزوجة العقيم؟ وما القول في الزوجة الفاترة؟ وما القول في الزوجة السقيمة الأعصاب؟ طلاقها أرحم بها أم إردافها بزوجة أخرىٰ؟ لا شك أن الأمر واضح، هي رخصة إذن تستخدم بحقها، ولكنها ليست إلزامًا».

ويقول الكاتب الإنجليزي «برتر أندر سل»: إن نظام الزواج بامرأة واحدة فقط، وتطبيقه تطبيقًا صارمًا قائم على ٱفتراض أن عدد أعضاء

الجنسين متساوٍ تقريبًا، وما دامت الحالة ليست كذلك فإن في بقائه قسوة بالغة لأولئك اللائىٰ تضطرهن الظروف إلى البقاء عانسات.

قال ولينز في محاضرة له عن الإسلام:

«إن نظام تعدد الزوجات صان الممالك الإسلامية من نساء نبذهن المجتمع، فصرن يتجولن في شوارع لندن وباريس وفيينا وكَلْكتا، ولا ريب في أن نظام تعدد الزوجات المحكم خير ألف مرة من ارتباط المرأة برجال لا يحصيهم العد، وشتان بين زوج وخليل».

ألقىٰ هوارد رووت محاضرة في كلية اللاهوت بكامبردج، عام ١٩٦٢، كان موضوعها: مشاكل الجنس الأخلاقية وكان مما جاء فيها: «يجادل الناس في مسائل الجنس على المكشوف، ويقتربون منها بوجهات نظر متضاربة. ونجد في الأمور الجنسية أن التأصيل الأخلاقي الجامد هو عدو للفهم الأخلاقي. إنها لحقيقة محزنة وغير قابلة للإنكار، إن الكنيسة غالبًا ما فشلت في إدراك ذلك، وقد خدعت بصيرتها الأخلاقية بغية التمتع باحترام مظهري. وأحيانًا ما كانت تعالج المشاكل الجنسية كما لو كان حسمها يتم بالقواعد المكتوبة.

إن هٰذِه عبارات جافة وصريحة، ولن نربح سوى القليل إذا فكرنا بعمق في الأسباب التي أوصلتنا إلىٰ حالتنا الحاضرة، على الرغم من أن فهم تلك الأسباب قد يعمق بصيرتنا بحق..

لقد ٱستمسكت المسيحية منذ نشأتها الأولىٰ، بأن التحقيق المثالي لمطالب طبيعتنا الجنسية، يكمن في نظام الزواج بامرأة واحدة. وكثيرًا ما ٱفترض أن المبدأ الرئيسي في المسيحية، هو بكل بساطة جعل كل ممارسة جنسية خارج الزواج بامرأة واحدة تعتبر خطأ، وكل ممارسة جنسية في نطاق ذلك الزواج تعتبر صحيحة. إن الأمور لا تسير هكذا.

فعندما نتحدث عن مثالية الزواج بامرأة واحدة، ونوحي بأن ذلك هو الوضع الذي يتم فيه إشباع مطالب طبيعتنا الجنسية بطريقة كاملة وصحيحة، فإننا نكون فقط قد بدأنا وصف مشاكل الجنس الأخلاقية..

وهناك اعتبار آخر، يجب أن يؤخذ في الحسبان على الرغم من أننا نستطيع الاقتراب منه فقط بالتأمل الحذر، أن الإنسان في العالم الذي نعرفه، حيث البلاد المسيحية بخلفيتها الإغريقية واليهودية، لا يستطيع تجاهل مثالية الزواج بامرأة واحدة لكنني لا أرىٰ سببًا يدعو المسيحيين، أو غيرهم، إلى التطرف في التأكيد علىٰ أن هٰذا النظام المثالي هو نوع من المطلق الأبدي، مثل طبيعة الله، ونجد في واقع الأمر شواهد في العهد الجديد تحذرنا من هٰذا الافتراض.

لقد جاء أعداء المسيح ليجربوه حول هٰذا الموضوع، فقال لهم: في الملكوت لا يزوجون ولا يتزوجون. إني لا أدعي فهم ما يتضمنه هٰذا القول، لكنه يوحي على الأقل بأن الزواج قد شرع للبشر -في هٰذِه الدنيا- وفقًا لاحتياجاتهم وقدراتهم في أزمنة وأماكن معينة.

وقد قال المسيح أيضًا في موضع آخر: إن شريعة موسىٰ فيما يتعلق بالطلاق قد أعطيت لهم بسبب قساوة قلوب الرجال. وهنا أرجو ألا يساء فهمي عندما أقول بوجه خاص: إن مثالية الزواج قد أعطيت لنا؛ بسبب قساوة قلوبنا، أي: بسبب حاجتنا إلى النظام والتوجيه اللذين يوفرهما لنا. وبصرف النظر عن كلمات المسيح هٰذِه، نجد أن القديس بولس اعتبر الزواج، لأسباب مختلفة خيرًا لا شك فيه؛ إذ التزوج أصلح من التحرق.

أما اعتباره البتولة أفضل من الزواج فهٰذا واضح لا جدال فيه.

إن هذين الإيحاءين اللذين نجدهما في العهد الجديد كافيان لجعلنا نتأنىٰ قبل أن نعلن أن التزوج بامرأة واحدة هو المثالي الوحيد الممكن،

وفيه الحل لمشاكل الجنس الأخلاقية.

لقد كان هناك كثير من البحوث المخلصة في السنوات الأخيرة عن المطالب الاجتماعية التي يجب أن تفرضها الديانة المسيحية، مثلًا علىٰ مجتمع يمارس تعدد الزوجات. هل هو مستحيل علىٰ رجل متعدد الزوجات أن يصير مسيحيًا؟ وهل الدين المسيحي يستلزم أن يطلق الرجال زوجاتهم المعولات، ومن ثم يحكمون عليهن عمليًا بالفقر والعوز؟ وهل نظام تعدد الزوجات يعتبر في كل الأحوال استخدامًا سيئًا للجنس؟

ليس من السهل الإجابة علىٰ هٰذِه الأسئلة، إلا أن إلحاحها علينا وأهميتها الواقعية تجعل أنه من الأمور الجوهرية بالنسبة لنا أن نبقىٰ مفتوحي الفكر، وأن نتذكر أن الزواج، مثل السبت، قد جعل للإنسان، ولم يجعل الإنسان للسبت.

ومن ناحية أخرىٰ، نجد أنه من الأهمية بمكان أن نلاحظ التغيرات التي حدثت في الجماعة الدينية العظيمة، حيث تعدد الزوجات أمر عادىٰ، أقصد بذلك الإسلام.

أعتقد أنه من الحق أن نقول: إن ممارسة التزوج بامرأة واحدة أخذ في الازدياد، وإن بعض المفكرين المسلمين يشجعون علىٰ ذلك بالإشارة إلىٰ ما جاء في تعاليم محمد، فبينما يسمح القرآن بتعدد الزوجات، مثلما يفعل العهد القديم، فإن النبي قال إن على الرجل ألا يتزوج بأكثر ممن يستطيع أن يسوىٰ بينهن في المعاملة والإعزاز.

وبما أن القليل من الرجال هم الذين يستطيعون معاملة أكثر من زوجة واحدة بنفس مشاعر الحب، فقد كان النبي في الحقيقة، لا يشجع علىٰ تعدد الزوجات. إن هٰذا هو السبيل الذي تحركت فيه البصيرة الأخلاقية لأحد الأديان من جيل لآخر..

إن كل شيء في ميراثنا الثقافي، والذي تتحمل المسيحية مسئوليته إلىٰ حد بعيد، يجعل من الصعب علينا أن نكون موضوعيين وصادقين في مناقشتنا لهٰذِه المشاكل. فالمسيحيون غالبًا ما يتسرعون في الأعتقاد بأن أي أقتراب من الجنس يشكك في التعاليم المسيحية التقليدية لابد وأن يكون خاطئًا، ومن ثم فلا حاجة للبحث فيه بمثل تلك العناية والاهتمام اللتين تحظىٰ بهما على الفور مسائل جدلية، مثلًا تتعلق بالعقيدة.

وقال «غوستاف لوبون» الذي عاش في بلاد الشرق والإسلام فترة من الزمان:

«لا نذكر نظامًا أجتماعيًا أنحى الأوروبيون عليه باللائمة كمبدأ تعدد الزوجات، كما أننا لا نذكر نظامًا أخطأ الأوروبيون في إدراكه كذلك المبدأ، فيرىٰ أكثر مؤرخي أوروبا أتزانًا أن مبدأ تعدد الزوجات حجر الزاوية في الإسلام، وأنه سبب أنتشار القرآن، وأنه علة في أنحطاط الشرقيين، ونشأ عن هٰذِه المزاعم الغربية على العموم أصوات سخط؛ رحمة بأولئك البائسات المكدسات في دوائر الحريم، فيراقبهن خصيان غلاظ، ويقتلن حينما يكرهن سادتهن!.

ذلك الوصف مخالف للحق، وأرجو أن يثبت عند القارئ الذي يقرأ هٰذا الفصل بعد أن يطرح عنه أوهامه الأوروبية جانبًا أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به، ويزيد الأسرة أرتباطًا، ويمنح المرأة أحترامًا وسعادة لا تراهما في أوروبا».

إن تعدد الزوجات علىٰ مثال ما شرعه الإسلام أفضل الأنظمة وأوفاها بأدب الأمة التي تذهب إليه وتعتصم به، أوثقها للأسرة وأشدها لآصرته أزرًا، وسبيله أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالًا وأوجه شأنًا

وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية.

وحقوق الزوجية التي نص عليها القرآن ومفسروه، أفضل كثيرًا من حقوق الزوجية الأوروبية. اهـ.

ونقل عن مسيو «دو أميسبس» أنه قال بعدما أنحىٰ باللائمة علىٰ تعدد الزوجات وفق وجهة نظره الأوروبية:

إن المرأة في الشرق تحترم بنبل وكرم على العموم، فلا أحد يستطيع أن يرفع يده عليها في الطريق، ولا يجرؤ جندي أن يسيء إلىٰ أوقح نساء الشعب حتىٰ في أثناء الشغب، وفي الشرق يشمل البعل زوجته بعين رعايته، وفي الشرق يبلغ الأعتناء بالأم درجة العبادة، وفي الشرق لا تجد رجلًا يقدم على الأستفادة من كسب زوجته، والزوج هو الذي يدفع المهر إلىٰ زوجته في الشرق.

إن تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين أحسن من تعدد الزوجات الريائي عند الأوروبيين، وما يتبعه من مواكب أولاد غير شرعيين. اهـ.

ويقول برناردشو: إن أوربا لو أخذت بهٰذا النظام- أي نظام التعدد- لوفرت علىٰ شعوبها كثيرًا من أسباب الأنحلال والسقوط الخلقي والتفكك العائلي. وقال أيضًا: إنه لحكمة عليا كان الرجل أكثر تعرضًا للمخاطر من النساء، فلو أصيب العالم بجائحة أفقدته ثلاثة أرباع الرجال كان لا بد له من العمل بشريعة محمد من زواج أربع نساء لرجل واحد، ليستعيض ما فقده بذلك بعد فترة وجيزة.

ويقول شبنهور الفيلسوف الألماني الشهير:

«لقد أصاب الشرقيون مرة أخرىٰ في تقريرهم لمبدأ تعدد الزوجات؛ لأنه مبدأ تحتمه وتبرره الإنسانية، والعجب أن الأوروبيين الذين يستنكرون هٰذا المبدأ يتبعونه عمليًا، فما أحسب أن بينهم من ينفذ مبدأ الزوجة

الواحدة علىٰ وجه صحيح.

ويتساءل البعض فيقول:

«أيهما أدل علىٰ ضعة المرأة في نظر زوجها، وضعته هو في نفسه أن يتزوج أخرىٰ أو أخريات زواجًا متعارفًا عليه معلومًا للناس، أم يتخون نفسه ورجولته وزوجته فيخادن غيرها من النساء؟».

قال «لوي» (Louis):

«إن التعدد ليس دليلًا على ٱنحطاط المرأة أو الشعور بضعتها ومهانتها، وليس الدافع إليه الأنغماس في الشهوة والتهالك عليها؛ إذ قد يحدث أن تدفع المرأة زوجها إلى الأقتران بأخرىٰ؛ لشدة رغبتها في طرح جزء من أعباء واجباتها المنزلية علىٰ عاتق ٱمرأة أخرىٰ، وقد يكون الدافع إليه الرغبة الطبيعة في النسل وكثرة الذرية».

ونقلت جريدة الأخبار عن ٱمرأة ألمانية قولها:

إن حل مشكلة المرأة الألمانية هو في إباحة تعدد الزوجات، إنني أفضل أن أكون زوجة مع عشر نساء لرجل ناجح علىٰ أن أكون الزوجة الوحيدة لرجل فاشل تافه، إن هٰذا ليس رأيي وحدي بل هو رأىٰ نساء كل ألمانيا.

وتقول فتاة بريطانية في الإذاعة البريطانية «برنامج سيدي العزيز»: إنها تطالب بتشريع يبيح تعدد الزوجات، وقالت: إنها تفضل العيش تشاركها زوجة أخرىٰ علىٰ حياة العانس الموحشة التي يبدو أنها كتبت عليها.

وقال فونس إتيين دييه: «وقد لاحظ جميع الرحالة الغربيين ونخص منهم بالذكر «جيرال دي نيرفال» و«ليدي موجان» أن تعدد الزوجات عند المسلمين- وهم يعترفون بهٰذا المبدأ- أقل ٱنتشارًا منه عند المسيحيين

الذين يزعمون أنهم يحرمون الزواج بأكثر من واحدة، وليس ذلك الأمر الغريب على الفطرة البشرية، فالمسيحيون يجدون الثمرة المحرمة عند خروجهم علىٰ مبدئهم!».

- هٰذا. وقد دافع «فونس» عن تعدد الزوجات في رسالته «أشعة خاصة بنور الإسلام» حيث قال: «لا يتمرّد الإسلام على الطبيعة التي لا تغلب، وإنما هو يساير قوانينها ويزاول أزمانها، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شئون الحياة، ومثل ذلك الغرض الذي تفرضه علىٰ أبنائها أن يتخذوا الرهبنة، فهم لا يتزوجون، وإنما يعيشون غرباء. علىٰ أن الإسلام لا يكفيه أن يساير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها، وإنما يدخل في قوانينها ما يجعلها أكثر قبولًا وأسهل تطبيقًا في إصلاح ونظام ورضا ميسور مشكور.

وختامًا قال فونس: «إن تعدد الزوجات قانون طبيعي، سيبقىٰ ما بقي العالم! مع أن نظرية التوحيد في الزوجة وهي النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهرًا، تنطوي تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء تلك هي: الدعارة، والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيين!».

ويقول مك فارلين (من كبار كتّاب أوروبا):

«إذا نظرنا إلىٰ تعدد الزوجات في الإسلام من الناحية الأجتماعية أو الأخلاقية أو المذهبية، فهو لا يعدّ مخالفًا (بحال من الأحوال) لأرقىٰ أسلوب من أساليب الحضارة والمدنية، بل هو علاج عملي لمشاكل النساء البائسات، والبغاء، واتخاذ الخطايا، ونمو عدد العوانس على الأستمرار في المدن الغربية: أوربا وأمريكا».

ويقول الدكتور جراهام:

«لم تتمكن المسيحية من حل مشكلة تعدد الزوجات -المحظيات والعوانس- فيما مضىٰ من الزمن، وإذا عجزت عن ذلك في هٰذا العصر أيضًا، فالخسارة خسارتها.

أما الإسلام فقد نظر إلىٰ بعض العلل الأجتماعية وسمح من جرائها بتعدد الزوجات كحل أجتماعي للطبيعة البشرية داخل حدود محكمة وضوابط شرعية، ولٰكن البلدان الغربية تبدي قوليًّا حماسًا شديدًا لموضوع فردية الزواج، وأما عمليًا فإنها تستعمل تعدد الزوجات، فإن أحدًا لا يجهل موضوع المحظيات وما يلعبنه من دور كبير في المجتمع الغربي».

- وفي الختام قال جراهام:

«فالإسلام من هٰذا الأعتبار يعد مذهبًا شريفًا يسمح للمسلم أن يتزوج زوجة ثانية علنًا، ويحرم عليه أتخاذ أي عشيقة سرًّا، وإنما ذلك لبقاء المجتمع الإنساني طاهرًا من الناحية الخلقية».

وتقول د/ أني بيزانت:

إن فردية الزواج- أي نظام الزوجة الواحدة المتبع في بلاد الغرب- ما هو إلا نظام أدعائي أو طريقة تصنيعية، فهناك تعدد عملي في الزوجات ولٰكن من غير مسئولية، ودون تحمل تبعية، ألا وهو أتخاذ المحظيات اللاتي يصبحن بعدما يهملهن الرجل منبوذات وتغرق الواحدة منهن إثر واحدة من حمأة الرذيلة، فتوصف بوصف أمرأة الشارع؛ لأن حبيبها الأول الذي أفسدها وحظىٰ بها لم يكن مسئولًا عن مستقبلها، وهي بهٰذِه الحالة تصبح أحط مائة مرة لا مرة واحدة من الزوجة المصونة أو الأم التي تعيش في منزل رجل له زوجات متعددة.

عندما نشاهد آلاف النساء المتسكعات في الشوارع بالمدن الغربية أثناء الليل ندرك من غير شك أن ما تردده ألسنة الغربيين من ذم الإسلام

لإباحته تعدد الزوجات ذم في غير محله، إن من المستحسن جدًا للمرأة واحترامها أن تعيش في نظام الإسلام المبيح لتعدد الزوجات حاملة فوق ذراعها طفلًا شرعيًا وهي محاطة بأنواع من الرعاية والعناية، أليس هٰذا خيرًا لها من أن تبتذل ثم تنبذ إلى الشوارع وحدها حاملة معها طفلًا غير شرعي لا يحميها إنسان ولا يهتم بحالها أحد، وتصبح كل ليلة ضحية عابر من عابري السبيل محرومة من كل ما تتمتع به الأمومة؟!

وكتبت أيضًا في كتابها «الأديان المنتشرة في الهند»:

إني أقرأ في العهد القديم أن صديق الله الذي يفيض قلبه طبقًا لإرادة الله كان معددًا للزوجات، وزيادة علىٰ هٰذا فإن العهد الجديد لا يحرم تعدد الزوجات إلا علىٰ من كان أسقفًا أو شماسًا، وإني لأجد كذلك تعدد الزوجات في الكتب الهندية القديمة، وما يتهمون الإسلام إلا لأنه من السهل على الإنسان أن يتتبع العيوب في عقائد الغير ويشهر بها.

وتقول مونتكومري وات:

«إن الفكرة الرائدة في القرآن، هي أنه إذا تبنى المسلمون تعدد الزوجات، فإن جميع الفتيات اللواتي هن في سن الزواج يمكنهن الزواج بصورة حسنة».

«كان [تعدد الزوجات] عادة غريبة علىٰ تفكير أهل المدينة، وقد عالج هٰذا التغيير المساوئ التي نتجت عن ازدياد النزعة الفردية. إذ إن تعدد الزوجات يسمح للنساء الكثيرات بالزواج الشريف، كما يضع حدًّا لاضطهاد الأرامل اللواتي تحت الوصاية، كما يخفف من إغراء الزواج المؤقت الذي يسمح به مجتمع عربي ذو عوائد أمية. ويجب اعتبار هٰذا الإصلاح بالنظر لبعض العادات السائدة آنذاك تقدمًا مهمًّا في تنظيم المجتمع».

«لقد قام محمد ﷺ في ميدان الزواج والعلاقات العائلية، بتنظيم عميق واسع للبناء الاجتماعي، وقد وجدت قبله نزعات جديدة فردية، ولكن أثرها كان هدَّامًا أكثر منه بناء. وكان عمل محمد ﷺ بهذا الصدد يقوم على استخدام هذه النزعات الفردية لتكون بناء جديد، فقد انهارت عادات المجتمعات القبلية وتقاليدها، فأنقذ محمد ﷺ منها ما يمكن إنقاذه وحوله إلى المجتمع الفردي الجديد. وهكذا استطاع توليد نظام عائلي ظهر مرضيًا ومغريًا في مجتمع ينتقل من مرحلة الجماعية إلى مرحلة الفردية».

وتقول لورافيشيا فاغليري:

«.. فيما يتصل بالزواج لا تطالب السّنة الإسلامية بأكثر من حياة أمينة إنشائية يسلك فيها المرء منتصف الطريق، متذكرًا الله من ناحية، ومحترمًا حقوق الجسد والأسرة والمجتمع وحاجاتها من ناحية ثانية».

«... إنه لم يقم الدليل حتى الآن بأي طريقة مطلقة على أن تعدد الزوجات هو بالضرورة شر اجتماعي وعقبة في طريق التقدم، ولكنا نؤثر ألا نناقش المسألة على هذا الصعيد. وفي استطاعتنا أيضًا أن نصر على أنه في بعض مراحل التطور الاجتماعي، عندما تنشأ أحوال خاصة بعينها، كأن يقتل عدد من الذكور ضخم إلى حد استثنائي في الحرب مثلًا، يصبح تعدد الزوجات ضرورة اجتماعية، والحق أن الشريعة الإسلامية التي تبدو اليوم وكأنها حافلة بضروب التساهل في هذا الموضوع إنما قيدت تعدد الزوجات بقيود معينة، وكان هذا التعدد حرًا قبل الإسلام، مطلقًا من كل قيد. لقد شجب الإسلام بعض أشكال الزواج المشروط والمؤقت التي كانت في الواقع أشكالًا مختلفة للتسرّي الشرعي -المعاشرة من غير زواج- وفوق هذا منح الإسلام المرأة حقوقًا لم تكن معروفة قط من قبل. وفي استطاعتنا في كثير من اليسر أن نحشر الشواهد المؤيدة لذلك».

يقول كولونيل كادي ترجمة جريدة «النجاح الجزائرية» سنة ١٩٢٧م:

إن تعدد الزوجات تجيزه الشريعة الإسلامية بشروط محددة وبالفعل نرى العالم كله يستعمله، وكم من بائع خمر في مدينة ترون إن كان ذا ثروة يكون له بيت مُخْفىٰ في كل المدن التي تدعوه إليها أموره.

إنه يستغرب من أبناء جلدته أن يستنكروا تعدد الزوجات لدى المسلمين مع أنه علني شرعي يضمن حقوق الزوجات وأولادهن، بينما يستسيغون أن يكون للزوج أكثر من خليلة يلتقي بهن لقاءات غير شرعية وينجب منهن أطفالًا غير شرعيين، مما يدل علىٰ عدم مصداقيتهم في النقد كما يدل علىٰ حقدهم على الإسلام والمسلمين.

نعم من الواضح أن الفرنسوي الثري الذي يمكنه أن يتزوج باثنتين فأكثر، هو أقل حالًا من المسلم الذي لا يحتاج إلىٰ الاختفاء إذا أراد أن يعيش مع اثنتين فأكثر، وينتج عن ذلك هٰذا الفرق: أن أولاد المسلم الذي تعددت زوجاته متساوون ومعترف بهم، ويعيشون مع آبائهم جهرة بخلاف أولاد الفرنسوي الذين يولدون في فراش مختفٍ فهم خارجون عن القانون.

جاء في مجلة «الفتح» القاهرية في العدد الصادر بتاريخ [١٥] من المحرم «١٣٤٦هـ، الموافق [١٤] يولية (تموز) (١٩٢٧) في ص٣ ما يلي:

لحظت بعض الصحف الفرنسية أن جريدة (دايلي ميل) الإنجليزية الشهيرة نشرت أخيرًا مقالة غريبة في الإشادة بتعدد الزوجات لو نشرت قبل اليوم لجلبت على الجريدة والكاتب أشد سخط وأروع عقاب، فقد كان المساس بالعادات والتقاليد في إنجلترا من أشد الخطورات.

لحظ كاتب المقال أن في إنجلترا وبلاد الغال زيادة في عدد النساء على الرجال تقدر بمليونين من السيدات، وقال: إن إباحة تعدد الزوجات هي الطريقة الوحيدة للعلاج الناجح.

قال الكاتب: وليست مسألة الزوجة الواحدة إلا مسألة اعتقاد واتفاق، وهي في الحق والواقع نتيجة نسبة عددية، ثم ذكر أن نظرية المرأة الواحدة للرجل الواحد هي نظرية الأنسب والأوفق، ولكن الاستمساك بها لا يستحسن إلا عند التعادل العددي في الجنس، أما إذا زاد عدد جنس على الآخر، ولم تتخذ التدابير لذلك فلا مفر من حرب طاحنة تنشب بين الجنسين.

ويقول الفيلسوف الإنجليزي «سبنسر» في كتابه «أصول علم الاجتماع»: إن التعدد ضرورة للأمة التي يفنىٰ رجالها في الحروب، ولم يكن لكل رجل من الباقين إلا زوجة واحدة؛ فإذا طرأت على الأمة حال اجتاحت رجالها الحروب، وبقي نساء عديدات بلا أزواج، فإنه ينتج عن ذلك نقص في المواليد لا محالة. فإذا تقاتلت أمتان، إحداهما لا تستفيد من جميع نسائها بالاستيلاد، فإنها لا تستطيع أن تقاوم خصيمتها التي يستولد رجالها جميع نسائها بمقتضى التعدد للزوجات، وتكون النتيجة أن الأمة الموحدة للزوجة تفنىٰ أمام الأمة المعددة للزوجات.

ويقول الدكتور «بون»: إن ممارسة تعدد الزوجات ضرورة للحفاظ على الجنس.

وتصرح أمريكية: بأن تعدد الزوجات في رابعة النهار في رعاية الله خير من الخليلات في سواد الليل في رعاية الشيطان.

فهٰذه صيحات عقلاء الغرب لما رأوا الحقيقة، وما وصلت إليه مجتمعاتهم من دمار وانحطاط أخلاقي وسلوكي، وتفكك شامل في الحياة الأسرية، كل ذلك بسبب القوانين البشرية التي تخالف - قلبًا وقالبًا- ما عليه فطرة الإنسان وجبلته، قال تعالىٰ ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣].

فهل ينتبه الغافلون من مثقفي الأمة الإسلامية المبهورون بالحضارة الغربية بكل ما فيها من مساوئ وأخطاء، ويرجعون إلىٰ ما عندهم من أحكام الإسلام ومبادئه الإلهية، التي هي مصدر فخرهم واعتزازهم إلىٰ يوم القيامة !وصدق الله حيث يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾(١)(٢).

الجواب الرابع عن شبهة التعدد:

الذين ينتقدون الإسلام في إباحته للتعدد هم يعددون النساء، ولكن بطرق غير مشروعة، فلهم الخليلات والصديقات والسكرتيرات، وغير ذلك من طرق الاتصال المشبوه الذي يهدد البيوت ويفسد العلاقات الأسرية، كما أن القسوة والوحشية تتمثل في هٰذا الاتصال المحرم، فالمرأة يعبث بها الرجل، ثم تنوء بأعباء هٰذا العبث من إفساد سمعتها وتدنيس شرفها وعفتها، وتركها للخزي والعار، وربما تحمل من هٰذا الاتصال، والرجل ليس عليه تبعات هٰذا الحمل، ولا نفقة للمرأة ولا مهر يدفعه لها، والأولاد يتركون للحرمان والتشرد والفقر، فالصلات المحرمة آلام على المرأة وعلىٰ أولادها، لذا عاقب عليها الإسلام بالجلد والرجم بالحجارة حتى الموت، وقد أغمضت القوانين الوضعية عينيها وكأنها لا ترى الفساد والإفساد الذي ينخر كالسوس في جسم المجتمع، حتىٰ ليكاد يبليه، فهٰؤلاء الأولاد الذين يُرمؤن في الشوارع، أو يُسَلَّمونَ لدور

---

(١) الحج: ٤٦ .

(٢) انظر فيما سبق: «تعدد الزوجات في الإسلام» لعبد الله ناصح علوان ص١٧-٢١، و«تعدد نساء الأنبياء» لأحمد عبد الوهاب ص١٦٢-١٦٥، و«قالوا عن الإسلام» ص٤١٩، ٤٣٨، و«المرأة بين الفقه والقانون» ص١٥٢-١٥٣، و«هٰذه هي زوجتي» ص١٣٦-١٣٩ .

الملاجئ، وهٰذِه الأمراض الجنسية التي تهدد من كل صوب وناحية سببها - والله أعلم- هو الاتصال الجنسي غير الشرعي وبسبب البعد عن التمسك بأوامر الإسلام.

وبهذا ندرك أهداف الذين ينتقدون الإسلام في عدم إعطائه الحرية الشخصية للناس يعملون كما يشاءون، ندرك أنهم يريدون العبث بالمرأة وإرواء رغباتهم ونزواتهم، بينما الإسلام يريد مجتمعًا نظيفًا تقوم العلاقة فيه بين الرجل والمرأة عن طريق واحد هو الزواج، وهٰذا يكفل للمرأة سعادتها وكرامتها وعفتها، وللأولاد الحنان والنفقة والتربية، ويكفل للرجل قضاء الوطر والعيش الهنيء، الذي تسوده المحبة والراحة والاطمئنان والأنس والرحمة.

يقول الأستاذ/ محمد رشيد العويد[1]:

٧٠٪ من الأميركيين يخونون زوجاتهم.

تقول الكاتبة (كارول بوتوين) في كتاب وضعته تحت عنوان «رجال ليس بوسعهم أن يكونوا مخلصين»: إن الخيانة الزوجية وعدم الوفاء يقودان إلى البؤس الذي ازداد جلاء ووضوحًا علىٰ مر السنين. وكنت أرىٰ في وجوه النساء اللواتي يعانين من هٰذِه المشكلة البؤس والشقاء.

أجل إن البؤس والشقاء يلفَّان حياة من يخونها زوجها، ويصبغان حياتها بالحزن، ويحيلانها - في كثير من الحالات - إلىٰ جحيم لا يطاق.

والزوجات اللواتي يعانين من خيانة أزواجهن في أوروبا وأميركا، لسن قليلات حتىٰ يقال بأن قيد الخيانة قليل الانتشار، بل إنهن كثيرات كثيرات، فقد دلت الدراسات علىٰ أن في الولايات المتحدة وحدها أكثر

---

(١) «من أجل تحرير حقيقي للمرأة» ص ٤٧-٤٩.

من ٣٥ مليون رجل متزوج يقيم علاقات غير شرعية خارج عش الزوجية.

أي بنسبة تصل إلىٰ سبعين في المائة من الرجال المتزوجين. وبعبارة أخرىٰ فإن سبعين في المائة من الزوجات الأميركيات مأسورات بقيد الخيانة: خيانة أزواجهن لهن!

ويتساءل الآختصاصيون الغربيون: هل يستوعب أحد خسارة الزوجة: من جراء هجر زوجها للمنزل، إلى آمرأة أخرىٰ؟ فهي أولًا تخسر إنسانًا تحبه، وتفقد ثانيًا شعورها بالجو الأسري؛ لأن خيانة زوجها تهدد بنية الأسرة بكاملها، كما تفقدها ثقتها بنفسها، وأمانها المادي؛ لأنها في فترة زواجها كانت تمارس دور الزوجة والأم ولا تعمل خارج المنزل.

وقد دفعت المعاناة الزوجات اللواتي يخونهن أزواجهن إلىٰ تشكيل تجمع نسائي جديد في أميركا يضمهن، أطلق عليه «واتش» وهي آختصار للعبارة الإنكليزية: Women and Their Cheating husbands

أي: «النساء وأزواجهن الخائنون» تجتمع هٰؤلاء الزوجات مرتين في الشهر حيث يعرضن مشاكلهن مع أزواجهن غير المخلصين، فتحكي كل واحدة تجربتها للأخرىٰ، وتبحث عبر الحوار مع الأخريات عن الحل الملائم.

وقد آنتشرت هٰذه اللقاءات في أكثر من ولاية أميركية، ويقطع بعض النساء مئات الأميال ليصلن إلىٰ مكان الآجتماع.

وحين تقرأ الزوجة الأميركية أن نسبة الأزواج الخائنين تصل إلىٰ سبعين في المائة، تتعرض لصدمة كبيرة إذا علمت أن زوجها هو أحد أولئك، ولا توجد في هٰذه الحالة، أي حماية للزوجة الأميركية، فإذا أخبرت أهلها بالأمر، فهم -في الأغلب- لا يستطيعون القيام بشيء، سوى النظر بكراهية متزايدة إلىٰ صهرهم. وإذا أخبرت أهل زوجها فأهل الزوج

كثيرًا ما يقفون معه، أما إذا أخبرت صديقاتها فإنهن ينصحنها - بدافع الشفقة- بطلب الطلاق العاجل، ولكن هل يحل الطلاق مشاكلها؟. اهـ

يقول د/ مصطفى السباعي[1]:

إن نظام التعدد في الشريعة الإسلامية أخلاقي إنساني:

أما إنه أخلاقي؛ فلأنه لا يسمح للرجل أن يتصل بأية أمرأة إلا إذا كانت زوجته بشرط ألا يتجاوز عدد الزوجات الأربع.

وأما إنه إنساني؛ فلأنه يخفف من مشكلات المجتمع بإيواء أمرأة لا زوج لها، ونقلها إلىٰ مصاف الزوجات المصونات المحصنات؛ ولأنه يعترف بالأولاد الذين أنجبتهم، ويقوم بحقهم ورعايتهم كما يجب؛ ولأنه يدفع مقابل هٰذا الزواج مهرًا وأثاثًا ونفقات باعتبارها زوجة لها حقوق.

وأين هٰذا من التعدد الواقع في حياة الغربيين؟ فإنه واقع من غير شرع ولا قانون، بل واقع تحت سمع القانون وبصره. إنه لا يقع باسم الزوجات، ولكن يقع باسم الصديقات والخليلات.

إنه ليس مقتصرًا علىٰ أربع فحسب، بل هو إلىٰ ما لا نهاية له من العدد، إنه لا يقع علنًا تفرح به الأسرة، ولكن سرًّا لا يعرف به أحد.

إنه لا يلزم صاحبه بأية مسئولية مالية نحو النساء اللاتي يتصل بهن، بل حسبه أن يلوث شرفهن، ثم يتركهن للخزي والعار والفاقة، وتحمُّل آلام الحمل والإجهاض والولادة غير المشروعة.

إنه لا يلزم صاحبه بالاعتراف بما نتج عن هٰذا الأتصال من أولاد، بل يعتبرون غير شرعيين، يحملون علىٰ جباههم خزي السفاح والعار ما عاشوا.

إنه تعدد خال من كل تصرف أخلاقي أو يقظة وجدانية أو شعور إنساني.

---

(١) «المرأة بين الفقه والقانون» ص ٦٤-٦٦ باختصار.

إنه تعدد تبعث عليه الشهوة والأنانية، ويفر من تحمل كل مسئولية.

فأي النظامين ألصق بالأخلاق، وأكبح للشهوة، وأكرم للمرأة، وأدل على الرقي، وأبر بالإنسانية؟.

بعد هٰذا يحق لك أن تتعجب من إثارة الغربيين للضجة على الإسلام والمسلمين حول تعدد الزوجات، وتتساءل: ألا يشعرون في قرارة أنفسهم بأنهم ليسوا علىٰ حق في إثارة هٰذِه الضجة على الإسلام؟ ألا يشعرون بأنهم حين يضجون من تفكك الأسرة، وتكاثر الأولاد عامًا بعد عام، يعترفون ضمنًا بأنهم لا يستطيعون أن يقتصروا على ٱمرأة واحدة؟ ألا يشعرون بأن من يقتصر علىٰ أربعة خير ممن يجدد كل ليلة زوجة؟ وأن من يلتزم نحو من يتصل بها بمسئوليات أدبية ومالية أنبل ممن يتخلىٰ أمامها عن كل مسئولية؟ ألا يشعرون أن إنجاب نصف مليون ولد بصورة مشروعة أكرم وأحسن للنظام الٱجتماعي من إنجابهم بصورة غير مشروعة؟!

في ٱعتقادي أنهم يشعرون بذلك لو تخلو عن غرورهم من جهة وتعصبهم من جهة أخرىٰ.

أما الغرور: فهو ٱعتقادهم أن كل ما هم عليه حسن وجميل، وأن ما عليه غيرهم من الأمم والشعوب - وبخاصة المستضعفة منها- سيئ وقبيح.

وأما التعصب: فهو هٰذا الذي ما يزالون يتوارثونه جيلًا بعد جيل ضد الإسلام ونبيه وقرآنه. اهـ

الجواب الخامس علىٰ شبهة التعدد:

ويمكننا أن نمثل لهٰؤلاء الطاعنين على التشريع الإسلامي في إباحته للتعدد بأحدث تشريعات الأحوال الشخصية التي وصلت إليها دولة من أعظم الدول الأوروبية المعاصرة حضارة وتقدمًا ماديًا وتكنولوجيًا، حيث

روت جريدة «الأهرام» القاهرية عن وكالات الأنباء العالمية أن برلمان ألمانيا الغربية وافق في ٨يونيو سنة ١٩٧٣ بأغلبية (٢٥٤) صوتًا ضد (٢٠٣) صوتًا علىٰ مشروع قانون قدمته الحكومة بإجراء تعديلات خطيرة في القوانين المتعلقة بالجنس، في مقدمتها: رفع الحظر عن تبادل الزوجات، وإباحة ممارسة الشذوذ الجنسي بموافقة الطرفين بين الرجال ابتداء من سن [١٨] بدلًا من [٢١] سنة، والسماح ببيع مطبوعات الجنس الفاضحة لأي مواطن جاوز عمره [١٨] سنة.

واستندت الأغلبية المؤيدة للتعديلات إلىٰ أن تلك القوانين لم تعد توافق التطورات العصرية الحديثة إذ يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر[١].

وجاء في جريدة «الشرق الأوسط» العدد ٦٥١٣ بتاريخ ١٥/ ٥/ ١٤١٧هـ:

أعلن أمس رسميا في إيطاليا عن أول سابقة دولية يسمع بها لتشكيل نقابة لتبادل الزوجات، تفي بالمعايير السارية علىٰ «الروابط الاجتماعية» التي تتمتع بحماية القانون، وما إن ذاع النبأ عبر صندوق تسجيل صوتي هاتفي مخصص للاتصال العام حتىٰ بلغ عدد المشتركين في النقابة ثلاثة آلاف من الأزواج أو ستة آلاف شخص.

ورغبة في إضفاء طابع مثير علىٰ هٰذا الحدث الغريب رفعت النقابة الجديدة شعارًا يقول «يا مبادلي الزوجات في العالم اتحدوا» تيمنًا ببداية مد تيار آخر هو الشيوعية في مطلع القرن الحالي الذي كان شعاره «يا عمال العالم اتحدوا» ويأمل مشكلو النقابة الذين يتخذون من مدينة

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» ص ١٩٣.

«فيرارا» الشمالية مقرا لهم (وهي منشأ سيارة فيراري)، بكل جدية أن يصبحوا بمثابة «الطليعة الثورية» علىٰ مستوىٰ أوروبا وربما بقية أنحاء العالم لإعارة الزوجات بين الأسر علىٰ نحو يضمن «صيانة حقوقهم» وحسب ما أكده صاحب الفكرة والمشروع جيوفاني موزا فإن عدد مبادلي الزوجات في إيطاليا لا يقل عن ٢٠ ألف شخص، ولا بد من «حماية هٰذِه الفئة من مختلف أشكال الاستغلال» شأنهم في ذلك شأن أي نشاط اجتماعي أو مهني آخر حسب قول موزا وفي رأيه أن النقابة التي تمثل مظلة لحماية هٰذِه الفئة عن طريق النقاش وتبادل الآراء حول «كيفيات التبادل بلا فضائح» من المتوقع أن تتوسع لتشمل «جميع المبادلين على الصعيد الوطني، لما سيجدونه من كفالة كافية بعيدًا عن المضايقات.

ويشكو مبادلو الزوجات في إيطاليا من أنهم يقعون أحيانا وبلا دراية منهم «كفريسة سهلة» لتصوير كاميرات دقيقة «تشنع عليهم»أو حتىٰ تبتزهم لاحقا بإرسال الأفلام المسجلة إلىٰ محل العمل مثلا أو أية جهة أخرىٰ لا تقبل بهٰذِه الممارسات، وفي هٰذا الصدد تعتزم نقابة مبادلة الزوجات إصدار جملة «توصيات» تلافيا للتحرشات مثل استئجار سيارات ذات أرقام لا يمكن تتبع أسماء مالكيها لدى الذهاب إلىٰ هٰذِه المواعيد، وتجنب بعض النوادي الليلية المتخصصة في هٰذِه اللقاءات لما درجت عليه من تصوير أفلام كاملة تقوم ببيعها في السوق المفتوحة في اليوم التالي ووفقا للخبراء النفسيين الإيطاليين فإن شريحة مبادلي الزوجات والأزواج في أوروبا تنمو بمعدلات لا يستهان بها وتضم علىٰ نحو يثير استغراب الأطباء النفسيين فئة عمرية على الأخص بين ٣٠ و ٤٠ عامًا من حملة الشهادات الجامعية على الأكثر وممن يطلق عليهم بلغة النقابة الجديدة اسم «محبي التجاوزات المثيرة».

يقول د/ بلتاجي[1]:

وعندما تشرع الدول -المتحضرة- التي يحتذيها هٰؤلاء الطاعنون تبادل الأزواج للزوجات - وهو وضع قائم عندهم فعلًا من قبل، لكنهم جعلوه مشروعًا بحكم القانون، فإننا لا نسمع اعتراضًا أو طعنًا من هٰؤلاء، لكن المسلم حينما يتكلم عن شريعة الله التي أباحت التعدد إباحة حكمية عادلة معللة بما سبق، فإن هٰؤلاء يسارعون على الفور بالقول بأن جمع الرجل بين أكثر من زوجة واحدة أمر شهواني رجعي متخلف تجاوزته التشريعات الحضارية المتمدينة، هٰذِه التشريعات التي تطالعنا كل يوم بإباحات لا حكمة لها إلا متابعة أحط درك يمكن أن تصل إليه الشهوات البهيمية، إباحة تبادل الأزواج لزوجاتهم: هل له سبب ما غير الانسياق وراء الشهوة الحرام في الاستمتاع بزوجة الغير من أخ وصديق وقريب، وهل هم يبيحون أيضًا أن تتبادل الزوجات أزواجهم عملًا بالمساواة بين الجنسين أم يقصرون هٰذا الحق على الأزواج؛ لأنه يؤدي بالضرورة أيضًا إلىٰ تبادل الأزواج بين الزوجات؟

ولا شك أن هٰذا التشريع الألماني فيه ما فيه من إهدار إنسانية الزوجات، وتدنيس قدسية العلاقة الزوجية، والنظر إلى المرأة علىٰ أنها جسد يتبادله الرجال فيما بينهم للاستمتاع به، بصرف النظر عما فيه من انعدام الغيرة الفطرية في الرجال، وتدنيس الأعراض واختلاط الأنساب، وانتهاك حرمات الله بالزنا الذي تواطأ المجتمع ممثلًا في سلطاته التشريعية علىٰ حله ومشروعيته، وهو لم يبح في دين قط -وبالإضافة إلىٰ هٰذا- فإننا في مجال التعرض للقول بأن في إباحة تعدد الزوجات إهدارًا لكرامة

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» ص ١٩٣.

النساء، ووضعهن موضع المهانة.

الجواب السادس عن شبهة التعدد:

وجوابي هٰذا عبارة عن أسئلة موجهة للذين يتكلمون عن حرية المرأة، ويضعونها بزعمهم مكانًا عاليًا.

أليس في لجوء الزوج إلىٰ طريق المخادنة سرًّا كان أو جهرًا خيانة للزوجة وعدم وفاء لها؟ وهل سيخفىٰ عنها هٰذا الأمر بالكلية؟ وماذا سيكون شعورها حين تعرفه؟ وأيهما هو الذي يوقع بها إيذاء أكبر: الزواج من زوجة شرعية ثانية مع حفظ كافة حقوقها السابقة، أم لجوء الزوج إلى المخادنة السرية أو العلنية مع ما فيه من احتمال أن تستغرق العشيقة ماله وجهده كله وتصرفه صرفًا عن الزوجة؟

وإذا كانت أقراص منع الحمل -وما يماثلها- قد حلت مشكلة الأولاد غير الشرعيين عندئذٍ، فأيهما أكرم للعشيقة: المخادنة أم الزواج الشرعي أمام الله والناس؟ واشتراكها في الحقوق الزوجية مع الأولىٰ كما شرع الله، وإرضاءها لغريزة الأمومة - إن وجدت عندها- بصورة شرعية تحفظ حقوقها وحقوق أبنائها؟

وهل العشيقة تكون سعيدة بهٰذِه الحياة؟ لعل قصة (الطريق الخلفي) Back sttett للكاتبة الأمريكية (فاني هيرست)، خير دليل علىٰ أن العشيقة لا تهنأ بحياتها، فالقصة: تصور امرأة جميلة مرغوبة ترفض الزواج من رجل ناجح محب لها، لتقبل أن تعيش علىٰ هامش حياة رجل متزوج ذي أولاد عشيقة له، يسكنها دائمًا في مسكن في طريق فرعي خلف مسكن أسرته، حتىٰ يموت بعد أن ولىٰ شبابها، فتعاني الضياع في شيخوختها، والناس في أوربا وأمريكا يعجبون بالقصة الرومانسية وبطلتها، وربما كان لهم عذر، فليس عندهم إمكان لتعدد الزوجات

الشرعي، لكن ما عذر البلاد الإسلامية التي تعرف الطريق إلىٰ رفع المعاناة والمهانة عن هٰذِه المرأة المسكينة ومثيلاتها؟!

العجيب أن الذين يلغطون كثيرًا بالكلام عن كرامة المرأة وحقوقها يتجاهلون عامدين حق هٰذِه المرأة ومثيلاتها في زواج شرعي معترف به، ينتج أولادًا شرعيين في حياة مطمئنة آمنة ! أو ليست هٰذِه المرأة ومثيلاتها جزءًا من جنس النساء ينظر أيضًا إلىٰ كرامتهن ومصلحتهن؟ أم أن الأمر مقتصر في هٰذِه النظرة على الزوجة السابقة وحدها[1]؟.

الجواب السابع عن شبهه التعدد:

لا يزول ما بين الرجل العاقل وبين أمرأته من المودة والرحمة التي جعلها الله بينهما بسبب التعدد كما يتوهم البعض، لأن قلب الرجل يسع أكثر من واحدة، كما أن قلب الأم يسع جميع أولادها، وقلب الأستاذ يسع جميع تلاميذه النبهاء. فالتعدد لا يمنع من حب الجميع ألبتة ولا ينافيه. ولكنه ينافي العشق والغرام الذي هو أحد أمراض الحب، ومثل هٰذا لا يليق بعاقل وهو لا يدوم بل سريع الزوال فالحب المقصود وجوده هو المعبر عنه بقوله تعالىٰ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[2] أي حب شفقة وحنان، وحب أخلاق لا حب ذات، وهٰذا لا ينافيه التعدد فقد توجد المودة والرحمة والشفقة والحنان وحب الأخلاق من شخص لكثيرين، ومتىٰ علمت المرأة ذلك من الرجل وعلمت أنه هو عائلها وكافلها أحبه قلبها رغم أنفها، وإن كرهت شريكاتها فيه، وهٰذا الكره ناشئ من شهوة الاستئثار بالنفع، وهي شهوة لا يجوز للرجل أن يطيعها

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكرين والسنة الصحيحة» ص١٩٣-١٩٥ .

(٢) الروم: ٢١ .

فيها إذا اقتضت الضرورة خلافها. ولو عقلت المرأة أن غيرها يود من يقوم بشئونها مثلها، وأن قلة الرجال بالنسبة لهن يستلزم قيام رجل واحد بشئون أكثر من واحدة لوجدت نفسها مخطئة في إيثار النفع الخاص على النفع العام. الأمر الذي تحاشاه ديننا القويم

والخلاصة أن الشريعة الإسلامية حلت مسألة المرأة أحسن حل وأصلحت حالها إصلاحًا لم تأتِ به شريعة أخرىٰ، وقد أخذت الأفكار في أوروبا تتقرب إلىٰ ما أتي به الإسلام بعد أن عادته عداء شديدًا مدة مديدة. الحديث شجون - إيثار النفع العام على النفع الخاص هو مما يعبر عنه المسيحيون بإنكار الذات فهل الدين الذي يدعو المرأة لأن ترىٰ غيرها شريكة لها في زوجها كالذي يدعوها لأن تستأثر بشخص وحدها وترىٰ غيرها من النساء يرحن ويغدون في الطرقات كل يوم إلىٰ ما بعد نصف الليل ليحصلن علىٰ ما به يقتتن ويكتسبن؟؟ هل الدين الذي كان أهله في الصدر الأول يطلقون نساءهم؛ ليزوجوهن إخوانهم من المسلمين ويطعموهن طعامًا هم أنفسهم محتاجون إليه يقال عنه أنه لم يعلمهم إنكار ذاتهم: ألم يرد في كتابهم قوله تعالىٰ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] هل الدين الذي كان صاحبه يدعو ربه لينجيه من القتل والصلب بقوله علىٰ زعمهم: «إن أمكن فلتعبر عني هٰذِه الكأس» وزعمهم أنه لما حصل بالفعل ضجر وخارت قواه وصرخ قائلًا: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟» كالدين الذي كان صاحبه لا يبالي بالأذىٰ والقتل في سبيل نصرة الله ودينه، وقد احتمل من الاضطهادات مدة ثلاث وعشرين سنة ما لم يحتمله سواه وهو يتلو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ

---

(١) الحشر: ٩ .

وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾[1] أيهما برهن للعالم علىٰ إنكاره لذاته في سبيل هداية الناس وإرشادهم إلى الحق مهما أصابه وكان يقابل سهام العدو بصدره وحده ويقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» الله أكبر أين هٰذا من ذاك، فما كان أغنانا عن هٰذا الجدال كله لولا اعتداؤهم علينا، هل أوجب إنجليهم المحرف الزكاة والصوم والحج علىٰ متبعية مثل ما أوجب القرآن؟

أليس في هٰذِه الثلاث أكبر معنىً لإنكار الذات، ونفع الناس، والاستيلاء على الشهوات ووطئها بالأقدام، وتحمل المصاعب والمشاق للحصول علىٰ رضوان الله، أبعد ذلك يقولون: إن المسلمين لا يعرفون معنىٰ لإنكار الذات الذي يطنطون به ويدعونه بألسنتهم وهم أبعد الناس عنه وأكثرهم انغماسًا في الملاذ والشهوات؟[2]

الجواب الثامن:

هٰذا الجواب موجه للنساء المعترضات على التعدد بأنه: إذا كنتن لا تردن تعدد الزوجات فما عليكن إلا أن تتفقن فيما بينكن علىٰ ألا تتزوج واحدة منكن أي زوج متزوج، فإن ذلك الاتفاق وتنفيذه بدقة يجعل الرجل لا يجد سبيلا لمباشرة تعدد الزوجات، أما إذا قبلت المرأة أن تتزوج من متزوج فاللوم عليها لا علىٰ الرجل، أو علىٰ الأقل عليها وعلىٰ الرجل.

وهل المرأة التي تتزوج متزوجًا أو كما يقولون: تتزوج علىٰ ضرة كانت تقبل الزواج من ذلك الرجل لو وجدت سواه في مكانته.

---

(١) التوبة: ١١١ .

(٢) جريدة «المنار» المجلد الثامن ص ٧٠٤-٧٠٥

الإجابة الواضحة أنها قبلت التزوج منه؛ لأنها لا تجد غيره، أولا تجد من يماثله عَزَبًا.

والنتيجة التي انتهت إليها أن صراخ النساء ضد تعدد الزوجات سيضر النساء أكثر مما يضر الرجال، ويضيع الفرصة علىٰ كثيرات منهن يقبلن علىٰ هٰذا الزواج وتسعدن في رحابه[1].

الجواب التاسع:

ما هو البديل عن تعدد الزوجات؟ سؤال موجه إلى القائلين بمنع التعدد نريد منهم الإجابة عليه.

الجواب العاشر:

نشرت إحدى الصحف المحلية «القبس» في عددها رقم ٥٥٠٥ الصادر في ١٧/ ١/ ١٤٠٨هـ الموافق ١٠/ ٩/ ١٩٨٧م:

«يواجه الشباب البريطاني في القريب المنظور حالة صعبة ستفرض عليهم البقاء على العزوبية .. بسبب النقص في عدد الفتيات».

وذكر تقرير نشره مركز الدراسات الأسرية أن عدد الذكور سيفوق عدد الإناث في عام ١٩٩٣م، وسيكون هناك ٢٨٤ ألف شاب (تتراوح أعمارهم ما بين ١٥، ٢٩ سنة) أكثر من الفتيات.

وقال مالكوم ويكن رئيس المركز: «في العهد الفكتوري بقي ثلث الفتيات دون زواج بسبب النقص في الرجال.. أما الآن فقد انقلب الوضع تمامًا».

ويقول رئيس تحرير نشرة «سياسة الأسرة»: «من الممكن أن تكون المرأة ذات سلطة في علاقتها مع الرجل؛ لأنها تعي قيمتها النادرة» .انتهي

---

(١) «الإسلام والمرأة» للدكتور أحمد شلبي ص ٣٩-٤٠

الخبر.

وأريد أن أقف عند عدة دلالات لهٰذا الخبر من زاوية تتحسن منها، وتكادين لا تتقبلينها، وهي زاوية: تعدد الزوجات.

يشير هٰذا الخبر إلىٰ حالتين اجتماعيتين، شهدت إنجلترا إحداهما في العصر الفكتوري، وستشهد الأخرىٰ في القريب العاجل.. إذا شاء الله.

ففي العهد الفكتوري بقيت نساء إنجلترا دون زواج؛ بسبب زيادة أعدادهن ونقص أعداد الرجال، ألم تكن هٰذِه الحالة الاجتماعية سببا في مشكلات كثيرة نجد تفاصيلها بقراءة أوسع للعهد الفكتوري؟ لقد كان أمام ثلث الفتيات في ذلك العهد خياران: إما أن تبقىٰ إحداهن دون زواج وتصبح عانسًا، وإما أن تكون عشيقة لرجل متزوج. وهما خياران أحلاهما مر. بينما كان تعدد الزوجات هو الحل الأمثل لثلث نساء إنجلترا في ذلك العهد.

فبقاء الفتاة دون زواج لتصبح عانسًا سيحرمها من فطرتها الأزلية أن تستقر في بيت تحت رعاية زوج. ويكون لها أطفال.

وأن تصبح عشيقة لرجل متزوج، لا يختلف كثيرا عن أن تصبح عانسًا فهٰذِه العلاقة ستبقىٰ سرية، ولن تلبي لها فطرتها في تأسيس بيت وأن ترزق بأطفال. بينما زواجها من رجل متزوج.. يمكنها من أن يكون لها بيت.. وأن ترزق بأطفال.. وأن لا تشعر باقتراف الإثم والذنب فلا تخفي زواجها.

نعود إلى الخبر؛ لننتقل إلى الحالة الثانية التي يتوقع الخبراء أن يئول إليها المجتمع البريطاني بعد ست سنوات تقريبًا (١٩٩٣م) حيث سيكون هناك أكثر من ربع مليون شاب (٢٨٤ ألفًا) دون زواج .. لأن هٰؤلاء زيادة علىٰ عدد الإناث في بريطانيا.

والسؤال الذي نطرحه: هل يمكن أن يكون هناك تعدد للزوجات؟ حتىٰ وإن كان مباحًا في المجتمع البريطاني؟ ولا شك في أن الإجابة

ستكون: لا ؛ لأن الفتاة يومها لن تقبل أن تتزوج من شاب متزوج والعزاب الذين يطلبون يدها كثيرون.

تعدد الزوجات إذن، كان حلا لمشكلة اجتماعية في الحالة الأولىٰ، وكان صعب التحقيق في الحالة الثانية.

وإذا كانت حال أي مجتمع وسطًا بين الحالتين السابقتين، أي أن عدد النساء قريب من عدد الرجال، فإن التعدد لن ينتشر كثيرًا، وسيكون قاصرًا علىٰ حالات المرض.. وعدم الإنجاب.. الخ؛ لأن فرص التعدد قليلة.. فلو تزوج كل شاب.. لقل عدد الفتيات من غير زواج.. وقلَّت - من ثم- فرص التعدد[1]

يقول الشيخ الشعراوي[2]:

إن شريعة التعدد تعني أنه لا يمكن أن يتعدد شيء إلا إذا كان المتعدد فائضًا فطبيعي أن يتعدد وهب أن جماعة دخلوا حجرة فيها عشرة كراسي وهم عشرة فكل واحد سوف يجلس على كرسي، فإذا دخل العشرة فوجدوا اثني عشر كرسيًا فإن واحدًا يمكن أن يجلس على كرسي ويتكئ على كرسي آخر، ولا يمكن أن يعدد لنفسه كرسيين إلا إذا كان هناك فائض، فالتعدد لا يتأتى إلا عن فائض وهٰذه القضية خدمتها الإحصاءات.

وأخيرًا، فإن الإسلام وهو يبيح تعدد الزوجات، إنما يتجاوب مع الواقع الذي يعيشه الناس في الحياة، ويواجهه بالحلول الواقعية كذلك.

وإن الذين يرفضون التعدد علىٰ إطلاقه عندما تقوم أمامهم إحدى المشكلات أو الأسباب التي ذكرنا، إنما يقعون في أخطاء كبيرة تبدأ

---

(١) «رسالة إلىٰ حواء» ص ٢٦٨-٢٧٠

(٢) «شبهات وأباطيل» ص٧٧ .

بالتخلي عن موقف مروءة وشهامة ومواساة، وغالبًا ما تنتهي - والعياذ بالله- بالزنا أو المسافحة والمخادنة، وتبني أبناء الغير، وكل ذلك فوق أنه مخالف للفطرة، فإنه مناقض للقيم الأخلاقية والاجتماعية في كل مجتمع بشري كائنًا ما يكون دينه أو نظمه[١].

(١) «المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلىٰ الله» ص ٣٩٦.

قالوا عن التعدد

الأصل في التعدد الإباحة

قال الشيخ الشعراوي[١] رحمه الله:

والآن ماذا تقول الآية الكريمة التي تبيح للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة؟.. الله ﷻ يقول: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[٢].

وهنا نجد سؤالًا يقفز إلى الذهن.. هل الأصل في التعدد الوجوب أم الإباحة؟

بمعنىٰ: هل الإسلام يوجب أن يتزوج الرجل بأكثر من زوجة؟ أم أنه يبيح له ذلك فقط؟

طبعًا الأصل في التشريع هو الإباحة، وليس الوجوب أي أن الإسلام لا يوجب على الرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة، ولكنه يبيح له ذلك إذا رأىٰ أن حياته محتاجة إلىٰ ذلك. وفرق كبير بين الوجوب والإباحة.

إن الإسلام لا يفرض تعدد الزوجات، أي لا يفرض على الرجل أن يتزوج أكثر من امرأة، ولكنه يسمح له بذلك.

وإذا رجعنا إلى المنطق نجده يقول: لا تعدد لشيء علىٰ شيء إلا بفائض، فإذا دخلنا حجرة مثلًا ونحن خمسة أشخاص ووجدنا فيها خمسة مقاعد كل منا سيجلس علىٰ مقعد، فإذا وجدنا فيها عشرة مقاعد جلس كل

---

(١) «المرأة في القرآن» ص ٣٠-٣٦.
(٢) النساء: ٣ .

منا علىٰ مقعد وأخذ مقعدًا يستند عليه أو يريح قدميه فوقه، أو يضع يديه عليه.

إذن لا تعدد إلا إذا كان هناك زيادة في العدد. والمقصود بتعدد الزوجات ألا تبقى امرأة في المجتمع بلا زوج؛ حتىٰ لا تحدث انحرافات وينتشر الحرام.

هٰذِه الزوجة- أي الزوجة الثانية- لا يمكن أن تقبل مثل هٰذا الزوج إلا لأنها لم تجد فرصة إلا أن تكون زوجة ثانية، فإذا كان هناك من في المجتمع يقول لها: لا تقبلي هٰذا الزواج.

نقول له: يسر لها أن تكون زوجة أولىٰ، ولكنها اختارت أحسن الفرص بالنسبة لها، وقبلت أن تكون زوجة ثانية، إنها امرأة رأت من الخير أن تكون زوجة ثانية أفضل من أن تبقىٰ بلا زواج، فما تدخل المجتمع في هٰذا؟!

نقطة ثانية بالنسبة للزوجة الأولىٰ: لقد رأت أنه من الأفضل لها أن تبقىٰ مع زوجها عن أن يطلقها، فهل من الخير أن تبقىٰ في بيتها مصونة مكرمة؟ أو أن تفقد زوجها وتعيش بلا زوج؟

إن التعدد في كثير من الأحيان يكون حافظا للزوجة الأولىٰ وحافظا للزوجة الثانية، فلماذا لم تشترط ساعة زواجها ألا يتزوج زوجها بامرأة أخرىٰ، إن من حقها أن تشترط في عقد الزواج ما تشاء، ومع ذلك فمن النادر أن نسمع عن امرأة تشترط ذلك.

إننا إذا أخذنا إحصائيات الحياة ثم فرضنا أن عدد الإناث وعدد الذكور متساويان، فإن أحداث الحياة تأخذ من الرجال أكثر مما تأخذ من النساء، فالمعارك والحروب يتحملها الرجال، وحياة الرجل وسعيه للرزق يجعله يتعرض لمخاطر أكثر من المرأة.

ولو تساوىٰ عدد الرجال والنساء، ثم تعرض الرجال لمخاطر

الحروب للعجز أو للموت فأين تذهب الباقيات؟ ماذا يفعلن؟ إلا إذا أردنا أن يكون المجتمع مجتمع انحلال.

وإذا أخذنا كل الأجناس التي فيها تكاثر نجد عادة أن الذكور أقل من الإناث، إذا قمنا بتفريخ مائة بيضة نجد أن عدد الديوك أقل بكثير من عدد الفراخ، لماذا؟ لأن الفراخ هي التي تعطينا البيض الذي نحتاجه للإنتاج الجديد وللطعام.

وإذا غرسنا مائة نخلة، كم نخلة ذكر، وكم نخلة أنثىٰ؟ طبعا عدد النخل الأنثىٰ أكثر، لماذا؟ لأنه هو الذي يعطينا الثمر، يعطينا البلح، ويعطينا البذور لإنتاج نخل جديد.

وهكذا الأنثىٰ في كل الأنواع هي التي تعطي والذكر مهمته التخصيب، وذكر واحد في أي نوع يمكن أن يقوم بعملية التخصيب هٰذِه بالنسبة لعدد من الإناث.

ثم يأتي سؤال هام للذين يشكون من تعدد الزوجات في الإسلام: هل ألزمنا الله ﷻ أن نعدد زوجاتنا؟ وأن نتزوج أكثر من امرأة؟ الله سبحانه لم يلزمنا بذلك لقد أباح ﷻ لنا التعدد فقط، ولنا أن نأخذ بالمباح أو لا نأخذ، فلا إثم علينا إذا لم نأخذ.

والخطأ في الضجة الحادثة حول إباحة التعدد ليس على النساء، ولكن على الرجال، إنهم هم الذين قاموا بهٰذِه الضجة، ولم يأخذوا مع إباحة الله للتعدد حتميته في العدالة، ولو أخذوا حتمية العدالة، ولم تتأثر الزوجة الأولىٰ في معيشتها وحياتها وأولادها ما كانت هناك مشكلة.

إن الذي يسمع هٰذِه الضجة يعتقد أن مسألة تعدد الزوجات في المجتمع الإسلامي مسألة وبائية وأن ٨٠٪ أو ٩٠٪ من الرجال المسلمين متزوجون بأكثر من زوجة.

ولكن الإحصائيات تقول: إن المتزوجين من ٱثنتين.. لا تزيد نسبتهم علىٰ ٣٪.. أتعتبر هٰذِه مشكلة أن يكون بين كل مائة رجل ثلاثة فقط متزوجون بزوجة ثانية؟

هٰؤلاء الثلاثة- من كل مائة- ألا يمكن أن تكون عندهم مشاكل أدت إلى الزوجة الثانية، مثلًا رجل زوجته مريضة، هل من الأفضل له أن يتزوج ٱمرأة ثانية أو أن يزني مع أي ٱمرأة.

والزوجة المريضة.. هل من الأفضل لها أن يتركها زوجها تمامًا وقد لا يكون لها أحد يرعاها.. أم يبقىٰ ليرعاها ويقوم علىٰ شئونها؟!

الإحصاءات تقول: إن الذين يتزوجون ثلاث زوجات هم رجل واحد بين كل ألف رجل، وأن الذي يتزوج أربع زوجات هو رجل واحد بين كل خمسة آلاف رجل، فهل تعتبر هٰذِه مشكلة- مع هٰذا العدد بالغ القلة- تواجهها المجتمعات الإسلامية؟!

وهل تستحق هٰذِه الضجة بما يصاحبها من تهويل، وتصوير أن كل رجل مسلم متزوج من أربع زوجات، وهو تصوير خاطئ وكاذب عن عمد وافتراء هدفه تصوير المجتمع الإسلامي علىٰ غير حقيقته.

لقد دخلت البشرية تجربتها مع الزواج الأبدي أو الكاثوليكي الذي لا طلاق فيه، تجربة خاضها البشر ووضعوا فيها مقاييسهم وأحكامهم، فهل نجحت أم أن الكنيسة الكاثوليكية التي كان يملؤها التعصب لمبدئها وتفاخر به بين الناس هي التي ٱضطرت لا عن إيمان ولا عن دين ولكن عن واقع دنيوي ومشاكل ملأت المجتمع بلا حلول؟

لقد ٱضطرت أن تبيح الطلاق؛ لأنها وجدت بواقع تجربة الحياة المريرة التي نشأت في ظل هٰذا النظام أن المجتمع لا يمكن أن يستقيم، وأن المشاكل قد ملأته وفاض بها، وأنه لا يوجد طريق أمامها باستمرار

هٰذِه الأبدية، وهي وإن أباحت الطلاق فإنها لم تبحه ٱعترافًا بالإسلام ولا أخذا بتعاليمه وأحكامه ومبادئه، ولٰكن من واقع قانون التجربة والخطأ.

وهكذا أباحت الكنيسة الكاثوليكية للرجل أن يطلق زوجته، وأن يتزوج بأخرىٰ، ولو كانت الكنيسة أخذت رأي المرأة لفضلت الكثيرات أن يبقين مع أزوجهن.. مع السماح للزوج بأن يتزوج بأخرىٰ، ولٰكن التعصب هنا لمبدأ باطل هو الذي جعل الكنيسة لا تجري مثل هٰذا الاستفتاء بين النساء.

إن المسألة ليست مظهرية ولكنها قوانين لصيانة المجتمع، قوانين وضعها الله ﷻ، وهو الخالق العليم بخلقه؛ لتستقيم الأمور بلا مجاملة وبلا مباهاة، ولٰكن بالحق والعدل؛ وليصون كرامة المرأة ويكفل لها كرامتها؛ ولتصبح كل ٱمرأة لها رجل يرعاها.

إنها حل لكل مشكلة، وهو كما نرىٰ لم يقدم عليه إلا أقل القليل، رجل أو رجلان هم الذين ٱتخذوا زوجة ثانية، والله أعلم بالظروف التي دفعتهم إلىٰ ذلك، وماذا كان يمكن أن يحدث لو لم يتخذوا هٰذا الطريق.

يقول الأستاذ / العقاد[1]:

الزواج صلة شرعية بين الرجل والمرأة، تسن لحفظ النوع وما يتبعه من النظم الاجتماعية، وشريعة الإسلام في نظام الزواج بهٰذِه المثابة شريعة تامة تحيط بجميع حالاته، وهي علىٰ أتمِّها في الجانب الذي يتناوله أشد النقد من قبل المخالفين للإسلام عامة، أو المخالفين فيه لنظام الزواج على التخصيص، ونريد به الجانب الذي ينص علىٰ إباحة تعدد الزوجات.

---

(١) «المرأة في القرآن» ص ٧١-٨٢.

فالإسلام لم ينشئ تعدد الزوجات، ولم يوجبه، ولم يستحسنه، ولكنه أباحه في حالات يشترط فيها العدل والكفاية، ولا تحسب الشريعة الأجتماعية تامة وافية ببيان المباح والمحرم في جميع الحالات، إن لم تعرض لهٰذا الجانب من جانب الزواج، ولم تعتبره أحتمالًا من الأحتمالات التي تحتاج إلى النص عليها بالإباحة أو بالتحريم.

فليس البحث هنا عن تعدد الزوجات، هل هو واجب أو غير واجب، وهل هو من العلاقات المثالية أو من العلاقات التي تتخلف عن مقام المثل الأعلىٰ في الأخلاق. فإن الشرائع لا تفرض للمثل الأعلى الذي يتحقق به الكمال، ولكنها تفرض لأحوال الضرورة كما تفرض لأحوال الأختيار، ويحسب فيها حساب ما يقبل على الرضىٰ، وما يقبل على الكره، ولابد فيه من حكم للشريعة تقتضيه عند الحاجة إليه.

فليس النص علىٰ إباحة تعدد الزوجات لأنه واجب على الرجل أو مستحسن مطلوب، وإنما النص فيه؛ لاحتمال ضرورته في حالة من الحالات. ويكفي أن تدعو إليه الضرورة في حالة؛ بين ألف حالة، لتقضي الشريعة بما يتبع في هٰذِه الحالة ولا تتركها غفلًا من النص الصريح.

ومن مخالفة الواقع أن يقال: إن هٰذِه الحالة لا تعرض للناس في وقت من الأوقات، فإن مثلا واحدًا من أمثلة كثيرة قد يجعل السماح بتعدد الزوجات أفضل الحلول، ويجعل كل حل سواه قسوة بالغة أو تعطيلًا لأشرف الأغراض التي يشرع من أجلها الزواج.

فقد يحدث أن تصاب الزوجة بمرض عضال، يقعدها عن واجباتها الزوجية، ويفقدها وظيفة الأمومة، فإذا أمتنع تعدد الزوجات في جميع الحالات فلا محيص للزوج الذي عقمت زوجته، وعجزت عن تدبير بيتها، من تطليق تلك الزوجة، أو من الإبقاء علىٰ زواج فقد معناه، وبطل

الغرض الأكبر منه للأسرة وللنوع، ولم يبق منه للرجل إلا تكاليف الخدمة البيتية التي تعوله وتعول زوجته بلا عقب ولا سكن يطمئن إليه.

فالسماح بتعدد الزوجات في هٰذِه المشكلة البيتية حل مقبول أسلم وأكرم من نبذ المرأة المريضة، ومن إكراه الرجل على العقم والمشقة. وليس من موانع التشريع في أمثال هٰذِه المشكلات، أن تكون فيه غضاضة على المرأة التي يبني الرجل بزوجة أخرىٰ، مع بقائها في عصمته. فإن الغضاضة لاحقة بها في الطلاق، وليست الغضاضة التي تصيب الرجل المقسور على العقم واحتمال تكاليف الخدمة البيتية بالأمر الذي يسهو عنه التشريع، بل هي أولىٰ بنظر الشريعة التي تقدس الزواج وتحفظ قوامه، إذ كان إهمالها إهمالًا لحكمة الزواج، وإلغاء لمقصد الشارع من إبرام الصلة بين الزوجين، وتحريم الزنىٰ والفسوق.

وقد يكون للرجل المتزوج قريبة لا يؤويها غيره، ويكون لها نسل لا يرعاه الزوج الغريب عنها، فمن الحذلقة المرذولة أن يقال: إن الإحسان إليها بالصدقة أكرم لها من كفالتها في عصمته، ورضاها في هٰذِه الحالة أولىٰ بالتقديم من رضىٰ زوجته التي تعميها الأثرة عن كل شعور غير شعورها، فكلتاهما امرأة، وكلتاهما إنسان يحق له العطف والحماية من الكدر والشقاء.

وليس بالنادر أن تمر بالأمم أزمات، يزيد فيها عدد النساء علىٰ عدد الرجال، كما يحدث في أعقاب الحروب والثورات، وقد يحدث في أعقاب الأوبئة التي تنتقل عدواها في المجامع العامة، فلا تتعرض لها المرأة كما يتعرض الرجل، وقد يحدث أن تكون زيادة عدد الإناث ظاهرة مطردة في كثير من الأنواع كما يقول بعض المشتغلين بعلم الأحياء، فإذا حدث هٰذا الاختلال في نسبة التساوي بين الجنسين، فليس لهٰذِه المشكلة

حل أسلم وأكرم من السماح بتعدد الزوجات؛ لأن المرأة التي لا تتزوج تعيش عيشة البطالة والفتنة، أو تكدح في طلب الرزق بعمل من الأعمال لا يتيسر لجميع النساء، وتبتلىٰ بالعقم في الحالتين.

وما من أعتراض علىٰ هٰذا الحل يبنيه المعترض على المبدأ الجد في علاج أدواء المجتمع، والإخلاص في تقدير مصائبه وآفاته، فإنهم يحسبون أن الحرص علىٰ كرامة المبدأ- الخيالي- كفيل لها بالصيانة، وكفيل للمجتمع بحل مشكلة الزواج، وما من أحد يعجز عن المغالاة بكرامة المرأة، وما ينبغي لها في عالم الخيال، ولكن كرامة المرأة في الحق وفي الواقع لا تساوي شيئًا عند من يرتضي لها العقم، والابتذال، والإغضاء عن خلائل الزوج، وسراريه، ولا يأذن لها أن تؤثر الرضىٰ بتعدد الزوجات على الرضىٰ بكل هٰذِه المساوئ والمحظورات، وهي صاحبة الحق في الأختيار بين الأمرين، فإنها لا تساق كرهًا إلى الزواج، إذا سمح الشارع بتعدد الزوجات، ولكنها تساق كرهًا إلى العقم والغواية إذا حرمه عليها الشارع، ولم يغلق دونها طريق الإسفاف والابتذال. فمن تعلل بحق المرأة، فليترك لها على الأقل أن تكون صاحبة الأختيار بين العلاقة المشروعة علىٰ علاتها، وبين العلاقة التي تحرم عليها في كل شريعة وكل دين. والواقع أن التشريع الذي يحرم تعدد الزوجات لا يحد من حرية الرجل بمقدار ما يحد من حرية المرأة؛ لأن الرجل لا يعدد زوجاته بغير مشيئة المرأة، فهٰذِه المشيئة هي التي يقع عليها الحجر، ويفرض عليها القصور، أو تضرب عليها الوصاية من قبل الشارع، فلا ترجع إليها الحرية فيما ترتضيه.

وقد سكتت الشرائع الأجتماعية، قبل الإسلام، عن كل حكم من أحكام الزواج غير الحكم المفهوم من إباحته علىٰ إطلاقه بغير عدد محدود

من الزوجات، أيًّا كانت نسبة العدد بين الجنسين، وقدرة الزوج علىٰ مؤنة البيت، وحالة المجتمع من توفير أسباب المعيشة البيتية، فلم تفرض شريعة منها أي فارق بين زواج وزواج، ولا بين حالة ممكنة وحالة متعذرة، أو بين حالة يحسن فيها الاكتفاء بالزوجة الواحدة، وحالة يبطل فيها مقصد الزواج بهٰذا الاكتفاء، وذلك هو النقص الذي تداركه الإسلام حين لمح الفوارق الكثيرة بين ظروف الزواج من وجهته الاجتماعية أو وجهته البيتية، فعرف الحالة المثلىٰ للعلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة، كما عرف الحالة القاسرة التي يضطر إليها الزوج، وتضطر إليها الزوجة، ويضطر إليها المجتمع والشارع. لأنها أصلح من تعطيل الزواج، وأوفق من العزوبة والابتذال.

فالشرائع المدنية عامة قبل الإسلام، كانت تبيح تعدد الزوجات واقتناء السراري بغير تحديد للعدد ولا التزام بشرط من الشروط غير ما يلتزمه الزوج من المؤنة والمأوىٰ.

جاء الإسلام فلم ينشئ تعدد الزوجات، ولم يوجبه، ولم يستحسنه، ولكنه أباحه وفضل عليه الاكتفاء بالزوجة الواحدة، وفضله علىٰ تعطيل الزواج في مقصده الطبيعي والشرعي، بقبول العقم، والتعرض للغواية، وفرض العزوبة - وهي تجمع بين العقم والعزوبة معًا - علىٰ كثير من النساء عند اختلال النسبة العددية بين الجنسين.

ويزيد علىٰ ذلك أنه حفظ للمرأة حريتها التي يتشدق بها نقاد الشريعة الإسلامية في أمر الزواج؛ لأن إباحة تعدد الزوجات لا يحرم المرأة حريتها ولا يكرهها علىٰ قبول من لا ترتضيه زوجًا لها، ولكن تحريم التعدد يكرهها علىٰ حالة واحدة، لا تملك غيرها، حين تلجئها الضرورة إلى الاختيار بين الزواج بصاحب زوجة، وبين عزوبة لا يعولها فيها أحد،

وقد يعجزها أن تعول نفسها.

واشترط القرآن الكريم العدل بين الزوجات في حالة التعدد علىٰ أن لا يزيد عددهن عن أربع: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾(١).

ثم ذكر الرجال بصعوبة العدل عسىٰ أن يتريثوا قبل الإقدام على الحرج:

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾(٢).

ولا تحسب أن الأمر في تحديد عدد الزوجات بأربع يدعو إلىٰ سؤال من أحد يمارس حدود التنصيص في الشريعة، فإن التحديد يقتضي الوقوف عند حد متعارف عليه، وما من سبب يقتضي أن يكون عدد الكتيبة في الجيش مائة، ولا يكون تسعة وتسعين، أو مائة وواحدًا، إلا جاز لهٰذا السبب نفسه أن يكون العدد أكثر من ذلك، أو أقل من ذلك، بغير فارق في التنفيذ، وما من سبب يقتضي أن تكون درجة النجاح في الأمتحان خمسين، ولا يقتضي كذلك أن يجعلها ستين أو أربعين. وإنما يجب الوقوف عند حد معلوم، ويقتضي ذلك الحد أن يكون العدد أقرب إلى الغرض المطلوب، وعند حسبان الزيادة الراجحة في عدد النساء بالنسبة للرجال، لا يجدي أن يكون الحد أثنتين وحسب، إذ أن الرجال لا يتساوون في القدرة علىٰ أعباء الزواج كيفما كان عدد الزوجات، فمنهم من يعييه أن يعول زوجة واحدة، ومنهم من لا يُعييه أن يعول الكثيرات، وليست أقسام الرجال علىٰ حسب هٰذِه القدرة معلومة لولاة الأمر المشرفين علىٰ صيانة الحدود، فلا مناص من حسبان من يستطيع تكاليف

---

(١) النساء: ٣. (٢) النساء: ١٢٩.

الزوجات الثلاث والأربع إلىٰ جانب الذي يعييه تكاليف الزوجة والزوجتين، وهٰذِه موازنة ينتهي عندها الحد المعقول، متىٰ كان من الواجب أن تنتهي إلىٰ حد معقول.

وحسب الشريعة أن تقيم الحدود وتوضح الخطة المثلىٰ بين الاختيار والاضطرار، وأما ما عدا ذلك من التصرف بين الناس، فشأنه شأن جميع المباحات التي يحسن الناس وضعها في مواضعها، أو يسيئون العمل والفهم فيها علىٰ حسب أحوال الأمم والمجتمعات من الارتقاء والهبوط، ومن المعرفة والجهل، ومن الصلاح والفساد، ومن الرخاء والشدة، ومن وسائل المعيشة على التعميم.

فالمباحات الاجتماعية والفردية كثيرة تأذن بها الشريعة، ولكنها لا تأخذ بأيدي الناس ليحسنوا تناولها والتصرف فيها، فليس أكثر من الطعام المباح، وليس أكثر من أضرار الطعام بمن يستبيحونه علىٰ غير وجهه، وبالزيادة أو النقص في مقداره، وبالخلط بين ما يصلح منه للسليم وما يصلح للمريض، وما يطيب منه في موعد ولا يطيب في موعد سواه، وإنه لمن الشطط على الشرائع - وعلى الناس- أن ننتظر من الشارع حكمًا قاطعًا في كل حالة من هٰذِه الحالات؛ لأن الضرر من فرضها علىٰ من يتولاها بغير بصيرة أوخم وأعظم من تركها للتجربة والاختبار.

إن الممنوع من تعدد الزوجات لا حيلة فيه للمجتمع إلا بنقض بناء الزواج، وإهدار حرماته، جهرة أو في الخفاء.

أما المباح من تعدد الزوجات فالمجتمعات موفورة الحيلة في إصلاح عيوبه علىٰ حسب أحوالها الكثيرة من أدبية ومادية، ومن اعتدال أو اختلال في تكوين أسرها وعائلاتها وسائر طبقاتها.

فالتربية المهذبة كفيلة بالعلاقة الصالحة بين الزوج والزوجة، فلا

يحمد الزوج نفسه علاقة بينه وبين أمرأته لا تقوم على العطف المتبادل، والمودة الصريحة، والمعاونة الثابتة في تدبير الأسرة، ولا يتهيأ له جو البيت على المثال الذي يرتضيه مع زوجتين تدعوه إلى الجمع بينهما داعية من دواعي الأثرة والانقياد للنزوات.

وقد ينشأ المانع لتعدد الزوجات في حالتي الغني والفقر على السواء فالغني يستطيع أن ينفق علىٰ بيوت كثيرة، ولكنه لا يستطيع أن يجد غنيًا مثله يعطيه بنته، ليجمع بينها وبين ضرة تنازعها، ولو أعتزلها في معيشة أخرىٰ، وقد يشق عليه أن ينفق على الزوجات الغنيات بما تتطلبه هٰذِه النفقة من السعة والإسراف، وإذا وجد النساء الفقيرات فلعلها حالة لا تحسب؛ إذ ذاك من أحوال الأضطرار بالنسبة لمن يقبلن عليها من الزوجات.

والفقير قد يحتاج إلىٰ كثرة النساء والأبناء لمعاونته على العمل - ولا سيما العمل الزراعي - ولكنه يهاب العالة ويحجم عما يجده من تحصيل النفقة والمأوىٰ.

والمجتمع يحق له أن يشترط الكفاية في الزوج؛ لتربية أبنائه، ويتوخىٰ لذلك دستورًا يحافظ علىٰ حرية الرجال والنساء، ولا يخل بحقوقهم في التراضي على الزواج متى أتفقت رغبتهم عليه، وليس من العسير تسويغ ذلك الدستور من جانب المجتمع؛ لأن الأزواج المقصرين يجنون عليه، ويحملونه تبعات كل كفالة للأبناء، يعجز عنها الآباء والأمهات.

ومن حسنات السماح بتعدد الزوجات عند الضرورة، أن يكون ذريعة من ذرائع المجتمع لدفع غوائل العيلة والفاقة عند أختلال النسبة العددية بين الجنسين، فإذا كان هٰذا العارض من العوارض التي يخطر لرجل في

علم «ليبون» أنه يستلزم سن القوانين لتداركه، فليس اَفتراضه في الشريعة باطلًا يقضىٰ عليه بالعبث في جميع الظروف، ويحق للمجتمع أن يرجع إليه في تقدير تلك الظروف، فلا تصطدم عقائد الدين ودواعي المصلحة بين جيل وجيل.

إن قضية الزواج إحدى القضايا الإنسانية الكبرى التي يتم اَعتدالها بين الدين والدنيا، فلا غنىٰ عن وازع الدين في أمر يتعلق بالفضائل الجنسية، ولا غنىٰ عن شروط المجتمع في أمر يتعلق بالمعائش والمعاملات، وقد كان لأحكام القرآن شرعتها الحميدة - علىٰ ما تقدم - في التوفيق بين مهمة المجتمع ومهمة الدين.

تعدد الزوجات قيد للرجل وتحرير للمرأة

يقول الأستاذ / محمد رشيد العويد[1]:

تعدد الزوجات قيد للرجل !! وتحرير للمرأة!

ولتُفغر أفواهكم دهشة، ولتُرفع حواجبكم عجبًا، ولتعقد الحيرة ألسنتكم ! لكن هٰذا لا يغير من حقيقة أن التعدد قيد للرجل وتحرير للمرأة.

هل هٰذا قلب للحقيقة، وعكس لها؟ هل هو تحميل مالا يحتمل؟

لا، بل هي الحقيقة نفسها، التي يشهد لها العقل كما يشهد لها الواقع.

ولنبدأ ببيان الجزء الأول من الحقيقة، وهو أن التعدد تحرير للمرأة، ومنعه قيد لها. كيف يكون منع التعدد قيدًا للمرأة، وإباحة التعدد تحريرًا لها؟

---

(١) «من أجل تحرير حقيقي للمرأة» ص ٦٧-٧٩.

حين يزيد عدد النساء عن عدد الرجال في المجتمع، فهٰذا يعني أن هناك نساء سيبقين دون زواج؛ لأنه لا يحق للرجل أن يتزوج بأكثر من آمرأة واحدة في المجتمع الذي يحرم التعدد.

وهٰؤلاء النسوة أمامهن خياران: إما أن يبقين دون رجال، وهٰذا يعني أنهن سيصبحن عانسات، معزولات، وحيدات، وهٰذا بلا شك قيد للمرأة؛ لأن العنوسة قيد، والعزلة قيد، والوحدة قيد.

أما الخيار الثاني أمامهن فهو إقامة علاقة غير شرعية مع رجل متزوج، وهٰذا أيضًا قيد؛ لأن هٰذِه العلاقة غير الشرعية سرية في الأغلب، وما ترزقه المرأة من أولاد، نتيجة هٰذِه العلاقة قيد لها. كما أن آستمرار هٰذِه العلاقة رهن بمزاج الرجل وهواه، فليس ثمة عقد يلزمه بشيء تجاهها، وهٰذا يجعلها أسيرة له. وهٰذا الأسر قيد. وما تحس به من خوف في إقامة هٰذِه العلاقة غير الشرعية، هو نفسه قيد لها أيضًا.

تعالوا نقرأ رسالة فتاة أميركية، تدعىٰ «ليندا»، وجهتها إلىٰ مجلس الكنائس العالمي، تتحدث فيها عن معاناة المرأة التي لا تجد رجلًا تتزوجه؛ بسبب زيادة عدد النساء على الرجال بثمانية ملايين آمرأة، في أميريكا وحدها.

تقول «ليندا»: «نشرتم في مجلتكم «الحقيقة الناصعة» -يصدرها مجلس الكنائس- أن الله خلق المرأة لتشارك الرجل الحياة والحب، ولتكون مطيعة له، ومشجعة، وبدون ذلك يفقد النساء الهدف من وجودهن.

ثم ذكرتم أن المرأة إن لم تقدم هٰذا العون للرجل، فإنها تصاب بالإحباط، وتعيش علىٰ هامش الحياة».

وتضيف القارئة «ليندا» فتقول في رسالتها: «وإني في الحقيقة أقر بهٰذا؛ لأنني شخصيًا أعيش هٰذِه المآسي».

فكما تلاحظون أن الإحصاءات قد أوضحت أن هناك فجوة هائلة بين عدد الرجال والنساء، فهناك (٧,٨٠٠,٠٠٠) (سبعة ملايين وثمانمائة ألف امرأة) زيادة في عدد النساء عن عدد الرجال في أميريكا، وهٰذِه الحقيقة منشورة في كثير من المصادر، ففي شيكاغو هناك [٦٢] رجلًا لكل (١٠٠) امرأة، وفي مدينة كانساس [٥٨] رجلًا لكل (١٠٠) امرأة، وفي لونغ أيلا ند بولاية نيويورك تشكل النساء ضعف عدد الرجال.

وتعرف «ليندا» نفسها فتقول: «أنا امرأة غير متزوجة، في أوائل العقد الثالث من العمر، جذابة وخريجة جامعية، لم أجد رجلًا أتصل به منذ فترة، وعندما أقرأ هٰذِه الإحصائيات يصيبني شعور، أقل وصف له هو «الإحباط».

وتضيف: «إلىٰ جانب هٰذِه الإحصائيات القائمة، شذوذ جنسي بين الرجال أكثر مما بين النساء، كما أن ٩٨٪ من نزلاء السجون هم من الرجال، وهٰذا مما يزيد الصورة قتامة».

«وإذا كان الله قد خلق المرأة؛ لتكون شريكة الحياة للرجل، فلماذا يسمح بهٰذا الوضع الشاذ؟ هناك، على الأقل ثمانية ملايين امرأة لن تتاح لها الفرصة لأن تجد رجلًا، إلا إذا كان الرجل زوجًا لامرأة ثانية».

وتختم رسالتها قائلة: «أرجوكم أن تنشروا رسالتي هٰذِه، وتناقشوها؛ لأنها تمس كل النساء، حتىٰ أولئك المتزوجات، فطالما أن النسبة بين الرجال والنساء غير متكافئة: فالنتيجة الأكيدة هي أن الرجال سيخونون زوجاتهم، حتىٰ، ولو كانت علاقاتهم الزوجية قائمة علىٰ أساس معقول».

ليندا - شيكاغو

مديرة شركة

أليست «ليندا» واحدة من ثمانية ملايين آمرأة أميركية، على الأقل، حُرمت العيش مع رجل، في علاقة شرعية، وتكوين أسرة، بسبب القوانين التي تحرم التعدد؟!

ألم يلحظ القارئ، وتلحظ القارئة مشاعر الإحباط في رسالة الأميركية «ليندا»؟ بل هي صرحت بأن أقل وصف لحالها هو «الإحباط»!

أليس الإحباط قيدًا نفسيًا مُورثًا للكآبة، والقلق، والضيق؟! أليس قيدًا علىٰ فطرة المرأة، الفطرة التي يرويها زوج وأطفال وأسرة؟!

أي شيء يحرر مئات ملايين النساء في العالم، من هٰذا القيد غير تشريع التعدد؟

اقرءوا هٰذا التقرير القصير عن أثر الوحدة على المرأة الغربية:

«مع حركة تحرر المرأة في أوربا وأميركا، ومع آنتشار فكرة المساواة، والفرص المتكافئة، ثم مع خروج المرأة للعمل في ظل قوانين مدنية غير صارمة، صار أمرًا عاديًا أن ترتحل الفتاة عن بيت أهلها إلىٰ مدينة أخرىٰ؛ لتعيش وحدها، وتعمل وتكسب؛ لتعيل نفسها، وتتصرف بعيدًا عن سلطة أحد آخر.

في الظاهر يمكن أن يعتبر هٰذا النمط من الحياة شكلًا من أشكال الحرية، ولٰكن الواقع ونتائج الدراسات التي أجريت حول هٰذا الموضوع، كشفت بشكل واضح، لا لبس فيه، أن المرأة صارت تعاني من وحدة قاتلة، ومن الإحساس بأنها وحيدة لا أحد يشاركها المشاعر والأحاسيس مهما كانت.

وامتلأت عيادات أطباء العلاج النفسي، ومستشفيات الأعصاب، بالذين يشكون من الوحدة، خاصة من النساء، وتصرخ آمرأة، تعمل مديرة في إحدى الشركات، وتحصل علىٰ راتب مرتفع، وتمتلك بيتًا، ولديها

سيارة فخمة، تصرخ قائلة: أكاد أختنق، إني أشعر في أحيان كثيرة أن الآنتحار يمكن أن يشكل مخرجًا من قفص الوحدة القاتلة.

الحاجة الفطرية الى رجل

وجاء في تقرير آخر: «بالرغم من كل الضجة التي تثار حول حرية المرأة: فإن ٩٥٪ من النساء يعتقدن أن الواحدة منهن تكون دون قيمة، في غياب الرجل. هٰذا ما تؤكده أستاذة علم النفس الدكتورة بنيلوب روسيانوف وتقول: إنها تعني بذلك المرأة من كل الأعمار، وكل مستويات الثقافة.

وتقول: إن إحساس المرأة بأنها لا تساوي شيئًا دون رجل، مشكلة تشترك فيها كل النساء، من مختلف الأعمار والمستويات، في التعليم والدخل والديانة والتنشئة والوظيفة والجمال والشخصية. أي أن هٰذا الإحساس أصيل في المرأة وقوي.

وتشير إلىٰ أنها ٱجتمعت بنساء متزوجات ليست لهن حياة خاصة بهن، وكل أحلامهن تدور حول الرجال الذين يعشن معهم، ومن خلال هٰؤلاء النساء ألفت كتابها الشهير: «لماذا أشعر أنني لا شيء دون رجل؟»».

وتقول د.بنيلوب: إن النساء الوحيدات أخبرنني أنهن حين يحصلن علىٰ رجل، فإنهن سيتخلصن من الإحساس بالفراغ وعدم الٱكتفاء.

والدكتورة بنيلوب طبيبة نفسية ممارسة، وتدرس علم النفس، وتشارك في الأبحاث النفسية والاجتماعية حول العلاقات الإنسانية، وهي تقول: «ليس هناك أي خطأ في أن ترغب المرأة في وجود رجل إلىٰ جانبها، وأن تبحث عنه؛ لأن الإنسان يبحث عن الصحبة».

وتؤكد دراسة أجراها فريق علمي في إحدى الجامعات الأميركية،

أن البشر الذين يعيشون في مجموعات يكونون في العادة أفضل صحة ممن يعيشون في عزلة.

ويقول الفريق العلمي - وهو برئاسة البروفيسور جيمس هاوس من معهد الشيخوخة والأوبئة في جامعة ميتشيغان الأميركية - إنه اكتشف أن عيش الأفراد منعزلين في الغرب، مددًا أطول من المألوف، أو إنجابهم عددًا أقل من الأطفال، يعرضهم للإصابة بأمراض قاتلة أشد فتكًا من مضار التدخين، والسمنة، وضغط الدم.

وتؤيد استنتاجات الفريق العلمي، التي نشرتها مجلة «ساينس» العلمية، وجهة النظر القائلة: إن الزواج يبدو مفيدًا لصحة الزوج والزوجة، وأن النساء يستمتعن برفقة أفراد أسرهن أكثر مما يستمتعن برفقة الصديقات والأصدقاء.

ويختم الفريق العلمي بالقول: إن فكرة وجود صلة بين العلاقات الاجتماعية والصحة، هي فكرة يسلم بها الأطباء منذ مدة طويلة، ولكن أول دليل واضح عليها جاء من دراسات أجريت على الناس المرجح إقدامهم على الانتحار أكثر من غيرهم.

وأشارت محصلة دراسة على رغبات النساء الكنديات، قامت بها مجلة نسائية بإشراف ماريان برينان نائبة رئيس تحرير مجلة «شاتلين» أشارت إلى أن ما تتمناه المرأة، أكثر من أي شيء آخر، هو أن تعيش في أسرة سعيدة متماسكة، وأن تتزوج، وأن تنجب الأطفال.

١٠ ملايين امرأة فرنسية وحيدة

هكذا يؤكد علماء النفس أن سعادة المرأة في زوج وبيت وأطفال، وأن شقاءها في فقدان الزوج والأسرة والأطفال، في العيش في وحدة

رهيبة مفزعة، رأينا صورة لها في رسالة الفتاة الأميركية «ليندا» التي عبرت عن أحاسيس ثمانية ملايين امرأة أميركية، على الأقل، تعيش دون رجل، ومن ثم دون أسرة وأطفال.

والحال ليس قاصرًا علىٰ أميركا وحدها، بل هو كذلك في جميع بلدان أوربا الغربية والشرقية، ففي فرنسا مثلًا عشرة ملايين ومائة ألف امرأة تفترسها الوحدة، والوحشة، والمعاناة، منهن خمسة ملايين و(٨٠٠) ألف امرأة بدون زواج، وثلاثة ملايين و(٢٠٠) ألف أرملة، ومليون و (١٠٠) ألف مطلقة!

هٰذِه الملايين العشرة من النساء الفرنسيات، أي شيء ينقذهن من وحدتهن، وينجيهن من وحشتهن، ويخرجهن من معاناتهن، غير تشريع التعدد؟ التعدد الذي يكفل لها زوجًا يرعاها، وينفق عليها، وتنجب منه الأطفال، في علاقة شرعية قانونية، لا خوف معها ولا قلق، ولا إخفاء ولا تستر!

أليس لنا بعد هٰذا أن نقول: إن تشريع التعدد تحرير للمرأة، تحرير لها من الوحدة والعزلة والوحشة؟ وهي قيود ظهر لنا واضحًا كيف تكبل المرأة، وتكبت فطرتها، حتىٰ تدفعها إلى التفكير في الانتحار؟

قيد الحاجة حين يغيب الرجل

وعدا قيد الوحدة، هناك قيد الحاجة، فهٰذِه الملايين من النساء اللواتي يعشن دون رجال، عليهن أن يعملن؛ ليوفرن لأنفسهن ما يُنفقنه علىٰ حاجاتهن من طعام وكساء وسكن.

وعمل المرأة لتوفير لقمة عيشها، ولسد حاجاتها، يحمل أكثر من قيد لها. والتقارير والدراسات والإحصاءات، التي تتحدث عن عمل

المرأة، تشير إلىٰ كثير من هٰذِه القيود التي أحاول المرور عليها هنا سريعًا:

عدم تكافؤ الفرص مع الرجال: أشار آستفتاء أجراه مكتب الإحصاء في الولايات المتحدة، إلىٰ أن (٦٦٪) من النساء العاملات في واشنطن يعاملن بصورة أسوأ من الرجال، في حالة التنافس للحصول علىٰ وظائف قيادية وإدارية. (٥٦٪) منهن يعاملن بصورة أسوأ في الحصول على الترقية.

تقاضي أجور أقل: قالت (٥٨٪) من النساء العاملات: إنهن يتقاضين أجورًا أقل، مع أنهن يؤدين الأعمال نفسها التي يؤديها الرجل. وقالت (٦٤٪) من النساء بأنهن غير قادرات على آمتلاك بيت دون مساعدة الرجل.

مضايقات الرجال أثناء العمل: عدد غير قليل من النساء يتعرض لمضايقات ومعاكسات من زملائهن في العمل، حتىٰ أن (٦٪) من النساء اللواتي تم آستفتاؤهن في واشنطن ذكرن بأنهن تركن العمل بسبب مضايقات جنسية. وهٰذا يعني أن اللواتي يتعرضن لمضايقات جنسية، ويصبرن عليها، ولا يتركن العمل، أكثر من ذلك بكثير.

هٰذِه بعض القيود التي يكبل بها العمل حرية المرأة، وهناك قيود أخرىٰ مثل آبتعاد المرأة الأم عن أطفالها طوال ساعات العمل، وقلقها عليهم، ومشكلات المواصلات والانتقال من البيت إلى العمل، ومن العمل إلى البيت، وغيرها.

قيود العمل هٰذِه جميعها تتحرر المرأة منها، حين يكون هناك زوج ملزم بالإنفاق عليها، وتلبية مختلف حاجاتها المادية، ولن يحرر كثيرًا من النساء الأرامل والعازبات والمطلقات من قيود العمل هٰذِه، إلا تشريع التعدد.

التعدد يقيد الرجل، ولا يحرره

وأصل إلى الجزء الثاني من الحقيقة، وهو أن تشريع التعدد قيد للرجل وليس تحريرًا له، كما هو تحرير للمرأة وليس قيدًا لها.

ولكن كيف يكون التعدد قيدًا للرجل؟! كيف تكون إباحة الزواج بأكثر من آمرأة قيدًا، وهي تتيح للرجل أن يجمع بين زوجتين أو ثلاث أو أربع؟!

الإجابة بعون الله، سهلة، ومقنعة.

علماء النفس يجمعون علىٰ أن الرغبة في التعدد مكينة في نفس الرجل، بينما هي غائبة عن نفس المرأة،

أي أن الرجل، بصورة عامة، يحب أن يكون له أكثر من آمرأة، بينما المرأة عامة، لا تحب أن يكون لها سوىٰ رجل واحد.

وإذا كانت الرغبة في التعدد مكينة في نفس الرجل، قوية فيه، فإنها ستدفعه، أو تدفع بعض الرجال، إلى الآستجابة لهٰذِه الرغبة.

ولنأخذ صورة هٰذِه الآستجابة في مجتمعين: المجتمع غير المسلم، والمجتمع المسلم. في المجتمع غير المسلم، ونضرب مثلًا به المجتمع الغربي، التعدد محرم، تعدد الزوجات محرم في قوانينهم، لكن تعدد الخليلات، العشيقات، لا تحرمه قوانينهم.

أي أن تحقيق التعدد، وتلبية الرجل لرغبة التعدد القوية في نفسه، سهلة، ميسورة، لا قيود تمنعها، فطالما المرأة راضية بالعيش معه دون عقد زواج، فإن القانون لا يحاسب الرجل، ولا يحاسب المرأة.

إذن، فتعدد العشيقات أسهل على الرجال من تعدد الزوجات، وأخف حملًا عليه: حملًا ماديًا من حيث التزام الإنفاق، وحملًا معنويًا

من حيث تحمل المسئوليات.

بينما الرجل في المجتمع المسلم، إذا أراد التعدد السهل، أي تعدد الخليلات والعشيقات، فإنه مقيد؛ لأنه محاسب علىٰ هٰذا التعدد، فهو - في حكم الشرع- زان، وزان محصن، وحده الرجم.

ليس أمام الزوج المسلم -إذن- إذا أراد التعدد، إلا الزواج، الزواج الذي يحمله مسئوليات مادية ومعنوية، ويلزمه بالتزامات عظيمة في عقد الزواج الذي وصفه سبحانه بأنه «ميثاق عظيم».

التزامات تجاه المرأة التي تزوجها، من إنفاق، وحماية، ورعاية.

والعدل قيد على الرجل

وأهم واجب يفرضه عليه هو واجب العدل، العدل بين جميع زوجاته، العدل في النفقة، والعدل في المبيت، وهو عدل ليس سهلًا كما قد يحسب المرء لأول وهلة، بل هو شديد وصعب إلىٰ حد يصبح معه قيدًا حقيقيًا على الرجل الذي أختار التعدد. قال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾[1].

واضح من هٰذا أن التعدد قيد للرجل، فهو وإن أحب إحدىٰ زوجاته، فإنه لا يملك أن يبيت عندها أكثر من غيرها.

فأين مِنْ هٰذا القيد مَنْ ينفلت مِنْ واجباته تجاه زوجته، ليعاشر خليلته ليالي متواليات، وينفق عليها ثروته أو مرتبه، غير مكترث بحق من حقوق أولاده وزوجته عليه؟

(١) النساء: ١٢٩ .

مَنْ مِنْ أولئك الذين يعددون الخليلات العشيقات في الشرق أو الغرب، يعدل بينهن في المعاشرة والنفقة؟!!!

ألا يمارسون حرية مطلقة دون مراعاةٍ لعدل، ودون تأدية لحق، ودون التزام بقيمة؟!

ألا يتبعون شهواتهم وأهواءهم دون ضابط؟

أفليس التعدد الشرعي في الإسلام قيدًا على الرجل، تحريرًا للمرأة، وأليس التخلل، أي التعدد غير الشرعي، حرية للرجل، قيدًا للمرأة؟

والواقع يؤيد هٰذا أيضًا، فالإحصاءات الدولية تقول: إن الأزواج الخائنين في أميركا وأوروبا تصل نسبتهم إلىٰ (٧٠٪) بينما لا تتجاوز نسبة الأزواج المعددين -المتزوجين بأكثر من واحدة- في المجتمعات المسلمة اثنين في المائة؟!!!

هل رأيتم كم هو شاسع الفرق بين النسبتين؟

وهل تأملتم كيف يحمي الإسلام المرأة بالتعدد، ويحفظها، ويصونها؟

وكيف يشقيها غيره بتحريم التعدد، وإباحة التخلل؟

لماذا لا يباح للمرأة تعدد الأزواج؟

ولعل البعض يعترض، ويقول: لماذا لا يباح للمرأة تعدد الأزواج، أليست المرأة كالرجل في احتمال تعرضها لضرورات تجعلها لا تكتفي جنسيًا بالركون إلىٰ زوج واحد؟

يجيب علىٰ ذلك الدكتور/ مصطفى السباعي[١]:

إن المساواة بين الرجل والمرأة في أمر التعدد مستحيلة طبيعة وخلقة؛ ذلك لأن المرأة في طبيعتها لا تحمل إلا في وقت واحد، مرة واحدة في السنة كلها، أما الرجل فغير ذلك، فمن الممكن أن يكون له أولاد متعددون من نساء متعددات، ولكن المرأة لا يمكن إلا أن يكون لها مولود واحد من رجل واحد.

فتعدد الأزواج بالنسبة إلى المرأة يضيع نسبة ولدها إلىٰ شخص معين، وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى الرجل في تعدد زوجاته.

وشيء آخر وهو أن للرجل رئاسة الأسرة في جميع شرائع العالم، فإذا أبحنا للزوجة تعدد الأزواج فلمن تكون رئاسة الأسرة؟ أتكون بالتناوب، أم للأكبر سنًا؟ ثم إن الزوجة لمن تخضع، أتخضع لهم جميعًا، وهٰذا غير ممكن لتفاوت رغباتهم؟ أم تخص واحدًا دون الآخرين، وهٰذا ما يسخطهم جميعًا؟ إن السؤال فيه من الطرافة أكثر مما فيه من الجدية!

ويجيب علىٰ ذلك أيضًا الدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطي[٢]:

ونقول في الجواب: هل المتعة في نظام الشريعة الإسلامية خادم للمصلحة، أم المصلحة خادم للمتعة؟

---

(١) «المرأة بين الفقه والقانون» ص٦١ .

(٢) «المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني» ص ١٣٣-١٣٥.

ليس فينا من لا يعلم أن الله ﷻ أقام من المتعة الإنسانية خادمًا لمصلحة الإنسان وليس العكس. فمتعة الحياة الزوجية خادم لبناء الأسرة، ومتعة الطعام والشراب خادم لاستمرار العافية والصحة، ومتعة الرقاد خادم لضرورة ٱستعادة الإنسان نشاطه، ولولا اللذة التي وضعها الله في هٰذِه الممارسات، لتحولت إلىٰ وظائف ثقيلة مرهقة، ولتبرم الإنسان بها وضاق ذرعًا بأعبائها، ولفر أخيرًا منها، وعندئذٍ تتقطع السبل بينه وبين مصالحه، فتنمحق الأسرة، وتغيض الصحة والعافية، وتذوب الأعصاب رهقًا، ويعرض الإنسان عن ضرورات العيش وأسبابه.

وهٰذا يعني أن المتعة تدور في شرع الله مع مقتضيات المصلحة، وليست المصلحة هي التي تدور مع مقتضيات المتعة.

ومن هنا فإنا نقول: إن ما قد يحتاج إليه الرجل من تعدد الزوجات، بالشروط والضوابط التي ذكرناها، لا يخدش شيئًا من مصلحة الأسرة ولا يُدخل أي ٱضطراب في عمود النسب. أما ما قد تحتاج إليه المرأة من تعدد الأزواج، فإن الشأن فيه، لو نفذ، أن يعصف بالأسرة ويمحق عمود النسب، وأن يترك ألوانًا من الأمراض والعقد النفسية، تجتاح الناشئة وتفسد علاقة ما بينهم أيما إفساد.

تصور أنك أمام ثلَّة من الأطفال، تسأل بعضًا منهم عن آبائهم، فيعرفك كل منهم علىٰ أبيه بكل طمأنينة واعتزاز، وتسأل زملاءهم الآخرين فيتلجلجون، وتطفو علىٰ وجوههم كآبة نفوسهم؛ إذ إنهم لا يعرفون سوى الأمهات اللائیٰ ولدنهم، ثم تصور ٱنتشار هٰذِه الظاهرة في المجتمع، وأثر هٰذِه الكآبة النفسية في المجتمع وفي علاقة ما بين أفراد الناشئة بعضهم مع بعض، ولا تنس بعد ذلك أن هٰذا الفساد الٱجتماعي الخطير إنما جاء ثمرة المتعة الإضافية التي ٱحتاجت إليها الزوجة،

ومارستها عن طريق تعدد الأزواج.

إن الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تقبل بهٰذا المنهج المقلوب، ولا يمكن للمنطق الذي تقوم عليه أن يقرَّ بجعل مصالح المجتمع الإنساني ضحية لمتعة أفراده، بل لابدَّ أن يسلك بكل اعتزاز الطريقة الأخرىٰ، فيجعل من المتعة ضحية وقربانًا ابتغاء رعاية المصالح الإنسانية.

وإن فلسفة الشريعة الإسلامية لتقول بحق: إن رعاية المصالح الإنسانية من شأنها أن تثمر المتعة للإنسان الفرد والمجتمع، وإن اقتضت التضحية بها في بادئ الأمر، غير أن رعاية المتعة الإنسانية دون اهتمام بالمصالح من شأنها أن تقضي أخيرًا على المتعة ذاتها وأن تفسد على الإنسان متعته ومصالحه معًا.

ومع ذلك فإن الشريعة تعالج ضرورة الزوجة في هٰذِه الحال بطريقة أخرىٰ لا تعود بأي ضرر على المجتمع ومصالحه. فللزوجة إن وجدت نفسها أمام ضرورة الاقتران بزوج آخر - ولن يكون ذلك إلا عندما تكون محرومة من حقها الطبيعي في متعتها الجنسية- أن تطلب الفراق من زوجها الذي لم تنل منه حقها الطبيعي الذي شرع الزواج سبيلًا إليه لتتزوج من رجل غيره، وستجد من القضاء الشرعي كل تأييد وعون. وبذلك ترعىٰ حقها المشروع في المتعة دون أن تُهدر بذلك مصلحة ضرورية من مصالح المجتمع، وبوسعك أن تجد هٰذا الحكم مبسوطًا في أماكنه من مصادر الفقه الإسلامي وأمهاته.

يقول الشيخ الشعراوي[1] رحمه الله:

لقد فوجئت مرة وأنا أتحدث في سان فرانسسكو أن إحدى

---

(١) «المرأة في القرآن» ص ٢٨-٢٩.

الحاضرات وقفت وقالت لي: الإسلام يبيح تعدد الزوجات؟ قلت: نعم. يبيح للرجل أكثر من زوجة. قالت: لماذا لا يبيح تعدد الأزواج للمرأة؛ أليس عدلًا كما أباح للرجل أن تتعدد زوجاته أن يبيح للمرأة أن يتعدد أزواجها؟

قلت: أنتم- وفي دول عديدة- هناك أماكن تعدونها لمن أراد من الشباب غير المتزوج أن يستريح جنسيًا، فيها نساء يتقاضين أجرًا من أجل هٰذِه العملية، لماذا لا تعدون أماكن فيها شباب وتذهب إليها النساء إذا أردن الراحة الجنسية؟!

فسكتت المرأة ولم ترد؟

قلت: لأن المرأة بطبيعتها تكره تعدد الرجال، وهي ترىٰ أن كرامتها وعزتها أن تكون زوجة لرجل واحد، وأحيانًا يموت زوجها، فترفض أن تتزوج مرة أخرىٰ؛ لأنها ترفض أن تعاشر رجلًا آخر؛ ولذلك محافظة علىٰ كرامة المرأة لا تتزوج المرأة أكثر من رجل، ومحافظة أيضًا على الأنساب التي تلعب دورًا هامًا في حياة الناس، والرجل هو الذي يعول ابنه حتىٰ يصل إلىٰ سن الرجولة، ويصبح قادرًا علىٰ أن يعول نفسه يحرم نفسه من القرش؛ ليعطيه لهٰذا الابن، ويحرم نفسه من اللقمة؛ ليضعها في فم ابنه، ويحرم نفسه من ثوب جديد يحتاجه؛ ليشتري لابنه ثوبًا جديدًا. هٰذا الرجل لو شك لحظة أن هٰذا الطفل ليس ابنه انقلب عليه وربما طرده من بيته. ومن هنا لكي يقوم المجتمع ويستمر يجب أن تكون لدى الرجل كل الضمانات لصحة نسب ابنه، وهكذا أنت تطالبين بحق ترفضه المرأة الحرة. وتطالبين بحق يفسد المجتمع من أساسه.

محاولات لمنع التعدد

ومن المؤسف أنَّ بعض دعاة التغريب في أوطاننا العربية والإسلامية، ٱستغلوا ما وقع من بعض المسلمين من ٱنحراف، فقاموا يرفعون أصواتهم بإغلاق باب التعدد بالكلية، وأمسوا وأصبحوا وهم يبدءون ويعيدون في الحديث عن مساوئ التعدد، في حين يصمتون صمت القبور عن مساوئ الزنى، الذي تبيحه - للأسف- القوانين الوضعية التي تحكم ديار المسلمين اليوم!

ولعبت أجهزة الإعلام - وبخاصة الأفلام والمسلسلات - دورًا خطيرًا في التنفير من التعدد، لا سيما بين النساء، حتىٰ أنَّ بعضهن لترضىٰ أن يسقط زوجها في كبيرة الزنىٰ ولا يتزوج عليها!

من المؤسف حقًا أن نسمع من بعض المسئولين في الدول التي تنتمي إلى الإسلام، ومن بعض من ينتمين إلىٰ جمعيات نسائية من النساء الدعوة إلىٰ إلغاء تعدد الزوجات، أو تقييده بقيود شديدة، تجعل الزواج بأكثر من واحدة ضربًا من المستحيل، لقد كان لهٰذه الدعوة صدىٰ سيئ بالغ الأثر في الأوساط الإسلامية، أما في الأوساط التبشيرية والاستعمارية فكان لها صدىٰ مستحب، وتأييد مطلق، حيث نُعتت هٰذه المحاولات بأنها خطوة تقدمية في سبيل تحرير المرأة.

هٰذا الذي يريد المسئولون أن يفعلوه في بعض الدول، وتحاول أن تنتهج نهجه بعض البلدان العربية، وتسعىٰ لتحقيقه بعض الجمعيات النسائية في بلادنا، ليس إلا مجرد ٱسترضاء للغربيين، أو للدول التي تنادي بدعوة التقدمية، إثباتًا لانسلاخهم من الإسلام، وتحررهم من ربقة الدين والأخلاق، وهو في الوقت ذاته دليل تهافت الشخصية، واحتقار الذات، والترامي علىٰ أقدام المتعصبين الغربيين، والماديين الشرقيين،

لاستجلاب عطفهم، واسترضاء مبشريهم وملاحدتهم علىٰ حساب كرامتنا ودينا ومبادئ شريعتنا.

يا ليت عند هٰؤلاء المفترين المتأثرين بالدعايات الغربية، والأفكار الإلحادية، العقل الناضج، والتفكير الصحيح؛ ليناقشوا القضايا علىٰ ضوء الواقع والمصلحة، والظروف الاجتماعية !! ويا ليتهم حين يتكلمون يتجردون عن الهوىٰ والعاطفة والتعصب ! لو فعلوا هٰذا لما قلبوا الحقائق، ولما وقفوا من نظام التعدد هٰذا الموقف الملتوي، ولما أعلنوا تطاولهم علىٰ شريعة الله، ونظام الإسلام.

ألم يسمعوا أن كثيرًا من المفكرين الغربيين، والمصلحين الاجتماعيين في أوربا وفي كثير من بلاد العالم، ينادون بنظام التعدد، وأنه العلاج الناجع لحل مشكلة الأخلاق، وحل أزمة ازدياد عدد النساء؟

ألم يعلموا أن الله سبحانه حين يشرع لعباده الأنظمة، ويقر لهم المبادئ؛ هو الأعلم بما يصلحهم، والأدرىٰ بما يحقق سعادتهم واستقرارهم؟

ألم يقرءوا في الصحف والمجلات عن ازدياد نسبة الأولاد غير الشرعيين؛ للعلاقات الجنسية المحرمة بين الرجال والنساء؟

ألم يدركوا أن نظام التعدد يخلص الكثير من النساء من ذل الحاجة، وغائلة الفقر، ويحفظ لهن كرامتهن وعفافهن؟ فبأي حديث بعد هٰذا يؤمنون[1]؟!.

وإليك تفنيد الشبهات التي للأسف تعلق بها بعض المسلمين حول التعدد.

(١) «تعدد الزوجات في الإسلام» ص٤٧ وما بعدها.

الشبهات التي يستند إليها دعاة منع تعدد الزوجات

للأسف من المسلمين من يستدلون، لا أقول بأدلة، ولكن بشبهات لمنع التعدد في الإسلام، وهاهي شبهاتهم، والجواب عنها:

الشبهة الأولىٰ:

وقد فهم البعض ممن ينتسبون إلى الإسلام من قوله تعالىٰ: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾(١).

وقوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾(٢).

ففهم البعض أن مقتضى الجمع بين الآيتين معًا أن يكون حكم التعدد ممنوعًا منه في كل حال؛ لأن الآية الأولى ٱشترطت العدل؛ لإباحة التعدد، ثم بينت الآية الأخيرة أن العدل غير مستطاع حتىٰ لمن حرص علىٰ تحقيقه بين النساء؟

والجواب علىٰ هٰذِه الشبهة من وجهين:

الوجه الأول:

إن العدل المطلوب بين الزوجات، إنما هو العدل في النفقة والمعاملة والمعاشرة وسائر الأعمال الظاهرة، بحيث لا تؤثر إحداهن على الأخرىٰ بشيء ظاهر، أما العدل الذي جاءت الآية بشأنه، وأنه لا يمكن حدوثه، فهو المشاعر القلبية.

الوجه الثاني:

أنه يكفي في رده أنه لو كان الله قد حَرَّم تعدد الزوجات حقًا بمجموع الآيتين علىٰ هٰذا النحو الذي يقال، فكيف أقر رسول الله ﷺ أن يعدد جمع من الصحابة أزواجهم بعد نزول الآيتين؟ وكيف غاب هٰذا المعنىٰ عن

---

(١) النساء: ٣. (٢) النساء ١٢٩.

الصحابة جميعًا، ثم عن جمهور المسلمين من بعدهم جيلًا بعد جيل حتىٰ أتىٰ قائل هٰذا الرأي به؟ أليس من مقتضىٰ هٰذا القول أن المسلمين ظلوا يعيشون في ظل حرمة التعدد منذ عصر رسول الله ﷺحتىٰ عصرنا الحاضر ويمارسونه جيلًا بعد جيل؟

ما أظن مسلمًا يعرف دينه ورسوله حقًا يقول بمثل هٰذا.

وجماع الأمر في ذلك كله أن الله أباح الجمع بين أكثر من زوجة عند أمن الجور، وفرض الاكتفاء بواحدة عند خوف الظلم أو تيقنه، ثم قرر أنه لا يطلب من المسلم العدل في الميل القلبي؛ لأن أمور القلوب لا سلطان عليها لغير الله، لكنه فرض العدل المادي المستطاع، ونبه المسلمين إلىٰ أنه يجب عليهم ألا ينساقوا وراء ميل القلوب إلىٰ ما يجعلهم مقصرين فيما افترضه عليهم من عدل مستطاع، وخلاصة هٰذا أن تعدد الزوجات أمر مشروع لمن عدل بين زوجتيه أو زوجاته، عدلًا ماديًا مُستطاعًا لا يكلف غيره. ولم تشترط الآية كما رأينا شرطًا آخر غير هٰذا العدل المستطاع[1].

يقول الدكتور / القرضاوي[2]:

وأما الاستدلال بالقرآن الكريم -أي في منع تعدد الزوجات- فهو استدلال مرفوض، وتحريف للكلم عن موضعه، وهو يحمل في طيه اتهامًا للنبي ﷺ ولأصحابه ﷺ بأنهم لم يفهموا القرآن، أو فهموه وخالفوه متعمدين.

والآية التي استدلوا بها هي نفسها ترد عليهم، لو تدَّبروها. فالله تعالىٰ أذن في تعدد الزوجات بشرط الثقة بالعدل، ثم بيَّن العدل المطلوب في نفس السورة حين قال: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ

(١) انظر: «مكانة المرأة في القرآن والسنة الصحيحة» للدكتور البلتاجي.
(٢) «مركز المرأة في الحياة الإسلامية» ص١٣٨ .

حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾ (١).

فهٰذِه الآية تبيِّن أنَّ العدل المطلق الكامل بين النساء غير مستطاع بمقتضىٰ طبيعة البشر؛ لأن العدل الكامل يقتضي المساواة بينهن في كل شيء حتىٰ في ميْل القلب، وشَهْوة الجنس، وهٰذا ليس في يد الإنسان، فهو يحب واحدة أكثر من أخرىٰ، ويميل إلىٰ هٰذِه أكثر من تلك، والقلوب بيد الله يُقلِّبها كيف يشاء.

فأمر القلب هٰذا هو الذي لا يُستطاع العدل فيه، وهو في موضع العفو من الله، فإنَّ الله جَلَّ شأنه لا يؤاخذ الإنسان فيما لا قُدرة له عليه، ولا طاقة له به.

ولهٰذا قالت الآية الكريمة، بعد قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾(٢). ومفهوم الآية أنَّ بعض الميل مُغتفَر، وهو الميل العاطفي.

والعجب العُجاب أن تأخذ بعض البلاد العربية الإسلامية بتحريم تعدد الزوجات في حين أن تشريعاتها لا تُحرِّم الزنى، الذي قال الله فيه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾(٣)، إلا في حالات معيَّنة مثل الإكراه، أو الخيانة الزوجية إذا لم يتنازل الزوج.

وقد سمعتُ من شيخنا الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله أنَّ رجلًا مسلمًا في بلد عربي إفريقي يمنع التعدد، تزوَّج سرًّا بامرأة ثانية علىٰ زوجته الأُولىٰ وعقد عليها عقدًا عُرفيًا شرعيًا مستوفي الشروط، ولكنه غير مُوثَّق؛ لأن قانون البلد الوضعي يرفض توثيقه ولا يعترف به، بل يعتبره جريمة يعاقب عليها، وكان الرجل يتردد على المرأة

---

(١) النساء: ١٢٩ . (٢) النساء: ١٢٩ .

(٣) الإسراء: ٣٢ .

من حين لآخر، فراقبته شرطة المباحث، وعرفت أنها زوجته، وأنه بذلك أرتكب مخالفة القانون.

وفي ليلة ما، ترصدَّت له، وقبضت عليه عند المرأة، وساقته إلى التحقيق بتهمة الزواج مرة ثانية!

وكان الرجل ذكيًا، فقال للذين يحققون معه: مَن قال لكم: إنها زوجتي؟ إنها ليست زوجة، ولكنها عشيقة، أتخذتها خِدْنًا لي، وأتردد عليها ما بين فترة وأُخرىٰ! وهنا دهش المحققون، وقالوا للرجل بكل أدب: نأسف غاية الأسف؛ لسوء الفهم الذي حدث، كنا نحسبها زوجة، ولم نكن نعلم أنها رفيقة!

وخَلَّوْا سبيل الرجل؛ لأن مرافقة أمرأة في الحرام، واتخاذها خِدْنًا يزانيها، يدخل في إطار الحرية الشخصية التي يحميها القانون!

الشبهة الثانية:

يستدلون بقصة الإمام علي ﷺ كما في «الصحيحين»(١)، حين خطب بنت أبي جهل في حياة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأن رسول الله ﷺ حين أستؤذن في ذلك قال: «**فلا آذن، ثم لا، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعة مني، يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها**» علىٰ أن رسول الله ﷺ يمنع تعدد الزوجات!

الرد علىٰ هٰذِه الشبهة:

أصحاب هٰذِه الشبهة، وهم أصحاب هوىٰ ولا شك، ولهم مآرب منحرفة، ونوايا خبيثة، لخصوا القصة تلخيصًا مخلًا يوافق أهواءهم وأغراضهم الفاسدة.

---

(١) البخاري (٣٧١٤، ٣٧٦٧، ٥٢٣٠، ٥٢٧٨)، ومسلم (٢٤٤٩) [٩٣، ٩٤] كلاهما من حديث المسور بن مخرمة.

فهم لم يذكروا بقية حديث رسول الله ﷺ وهو: «وإني لست أحرم حلالاً ولا أحل حرامًا، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكانًا واحدًا أبدًا»[١] فالنبي ﷺ لم يمنع تعدد الزوجات، وإنما استنكر أن تجتمع بنت رسول الله ﷺوبنت عدو الله في عصمة رجل واحد، وهو مَنْ، رسول الله المبلغ عن الله، والذي كلمته الفصل في بيان الحلال والحرام.

الشبهة الثالثة:

يقولون: إن الزواج من امرأتين يجعل العداوة بينهما قائمة علىٰ قدم وساق، وكذلك تنتشر بين أولاده.

الرد علىٰ هٰذِه الشبهة.

الوجه الأول:

إن هٰذا كلام ساقط يظهر سقوطه لكل عاقل؛ لأن الخصام والمشاغبة بين أفراد أهل البيت لا انفكاك عنه ألبتة، فيقع بين الرجل وأمه، وبينه وبين أبيه، وبينه وبين أولاده، وبينه وبين زوجته الواحدة، فهو أمر عادي ليس له كبير شأن[٢].

وهل صاحب الزوجة الواحدة يخلو من المشكلات والمنغصات؟! وهل الأولاد إذا كانوا من زوجة واحدة وأب واحد، لا يوجد بينهم منافسات ومشكلات؟! وهل من عنده أولاد سعيد كل السعادة؟! وهل من حُرِمَ الأولاد سعيد كذلك؟! فالحياة الدنيا حياة ملؤها المشكلات والمنغصات والهموم والكبد[٣].

وأيضًا البغض الذي قد يحصل بين الضرائر شيء طبيعي، ناشيء من

---

(١) البخاري (٩٢٦، ٣١١٠، ٣٧٢٩)، ومسلم (٢٤٤٩) [٩٥، ٩٦].

(٢) أضواء البيان (٣/ ٣٧٧).

(٣) «مجلة البحوث الإسلامية، العدد [٢٥] د. ناصر بن عقيل الطريفي.

الغيرة الطبيعية لدى المرأة، وعلاج ذلك يتوقف علىٰ مدىٰ حزم الزوج وقدرته علىٰ إدارة شئون أسرته، وعدالته بين زوجاته، ومراقبته الله ﷻ، لا علىٰ منع ما أباحه الله تعالىٰ للرجل.

وكم رأينا من الإخوة الأشقاء وهم يقتتلون، وقد صارت حياتهم جحيمًا لا يطاق، وإخوة الأب عاشوا بصفاء وهناء، يحب أحدهم الآخر حبًّا شديدًا.

إذن ليس من الضروري نشأة عداوة بين هٰؤلاء الأولاد بسبب أن هٰؤلاء من أم، وهٰؤلاء من أم أخرىٰ، ولٰكن بسبب جهل الناس بدين الله تعالىٰ، وبعدم معرفتهم لحقوق الآخرين، وغفلتهم عن الآداب السامية للإسلام بين الكبير والصغير، والأخ وأخيه، والأخت وأختها وهكذا.

وأما من يقول لا داعي للمشاكل بسبب هٰذا التعدد، كمن يقول بإلغاء التعامل بين البشر تجنبًا للمشاكل التي يقوم بها بعضهم !

إذا كانت إساءة قسم من جهلة الناس قد تحققت في أمر تعدد الزوجات، فليس معنىٰ هٰذا أن كل من يتزوج علىٰ زوجته يعيش في مشاكل خطيرة، ويترتب علىٰ زواجه أخطار لا نهاية لها، بل إن الواقع الذي نعيش فيه يدل علىٰ أن الرجل إن كان ملتزمًا بدين الله مستقيمًا علىٰ شرعته، وكذلك المرأة، فإن مثل هٰذِه المشاكل التي يذكرها أصحاب الهوىٰ غير موجودة، وإن وجدت فهي ضعيفة وسرعان ما تتلاشىٰ بتقوىٰ الله تعالىٰ(١).

الوجه الثاني:

إن قضية تعدد الزوجات كسائر مواقف الحياة قائمة على الموازنة

(١) «هٰذِه هي زوجتي» ص ١٣٠

بين مختلف الأبعاد والحلول لاختيار أقلها ضررًا وأقربها إلى النفع والعدل، وإذا كانت الزوجة الأولىٰ ينالها ضرر من الزواج بالثانية، فإن الثانية ينالها ضرر أشد وأعظم بالحرمان، إذ تموت أنوثتها أو تنجرف فتكون ضياعًا بين الرجال، والضرر الكبير يدفع بالضرر اليسير، فتعدد الزوجات الذي نحن بصدد الحديث عنه رغم ما فيه من أعباء وتكاليف كثيرة على الزوج، وما فيه من إثارة لغيرة المرأة من ضراتها - الزوجات الأخر- فهو يعالج شرًا بأخف ضرر ممكن، فعلى المرأة أن تضحي من أجل بنات جنسها، وعلى الرجل أن يتحمل ليشارك في بناء المجتمع.

الوجه الثالث:

إنه إذا كان من مصلحة الزوجة الأولىٰ أن تبقىٰ وحدها متربعة علىٰ عرش الزوجية لا ينازعها أحد، ورأت أنها ستتضرر بمزاحمة زوجة أُخرىٰ لها، فإنَّ من مصلحة الزوج أن يتزوج بأُخرىٰ تحصنه من الحرام، أو تنجب له ذُرِّية يتطلع إليها، أو غير ذلك، وإن من مصلحة الزوجة الثانية كذلك أن يكون لها نصف زوج تحيا في ظله، وتعيش في كنفه وكفالته، بدل أن تعيش عانسًا أو أرملة أو مُطلقة محرومة طوال الحياة.

وإن من مصلحة المجتمع أن يصون رجاله، ويستر علىٰ بناته، بزواج حلال يتحمل فيه كل من الرجل والمرأة مسئوليته فيه، عن نفسه وصاحبه وما قد يرزقهما الله من ذُرِّية، بدل ذلك التعدد الذي عرفه الغرب الذي أنكر على المسلمين تعدد الحليلات، وأباح هو تعدد الخليلات، وهو تعدد غير أخلاقي وغير إنساني، يستمتع فيه كلاهما بصاحبه دون أن يتحمل أية تبعة، ولو جاء من هٰذِه الصلة الخبيثة ولد، فهو نبات شيطاني لا أب له يضمه إليه، ولا أسرة تحنو عليه، ولا نسب يعتز به.

فأي المضار أولىٰ أن تُجتنب؟

علىٰ أنَّ الزوجة الأُولىٰ قد حفظت لها الشريعة حقها في المساواة بينها وبين ضرتها، في النفقة والسكنىٰ والكسوة والمبيت، وهٰذا هو العدل الذي شُرِط للتعدد.

صحيح أن بعض الأزواج لا يراعون العدل الذي فرضه الله عليهم، ولكن سوء التطبيق لا يعني إلغاء المبدأ من أساسه، وإلا لأُلغيت الشريعة - بل الشرائع- كلها، ولكن توضع الضوابط اللازمة[١].

الشبهة الرابعة:

يقولون: إن التعدد لابد أن يكون بسبب، كعيب في الأولىٰ، أو كراهية لها، أو نحو ذلك.

الرد علىٰ هٰذِه الشبهة:

هٰذِه الشبهة مردودة؛ لأن النبي ﷺتزوج عائشة وسودة بعد خديجة رضي الله عنها، وكان يحب عائشة حبًا جمًا، ومع ذلك فقد تزوج النبي ﷺبعد عائشة رضي الله عنها سبع نسوة.

ثم إنه ليس هناك دليل صريح علىٰ أن تعدد الزوجات لا يجوز إلا بسبب[٢].

الشبهة الخامسة:

إن القول بتعدد الزوجات يؤدي حتمًا إلىٰ تشرد الأولاد وانحرافهم.

الرد علىٰ هٰذِه الشبهة:

إنه منذ خمسة وأربعين عامًا، وعندما كان حجم تعدد الزوجات وأثره في مصر أكبر نسبيًا مما هو عليه الآن ٱستشهد فضيلة الأستاذ الشيخ/ محمود

---

(١) «مركز المرأة في الحياة الإسلامية» ص١٣٥-١٣٦ .

(٢) «هٰذه هي زوجتي» ص١٣١ .

شلتوت (شيخ الأزهر الأسبق) بإحصائية لمكتب الخدمة الأجتماعية جاءت نتيجة لبحث حالات التشرد وبيان الأسباب التي تحدثه مع النسبة المئوية لكل سبب، وقد جاء فيها أنه ليس لتعدد الزوجات من حالات التشرد أكثر من (٣٪) وهي تساوي تمامًا - في تلك الإحصائية- نسبة قسوة المنزل على الطفل، وقسوة المخدوم على الخادم ولا ريب أنها نسبة ضئيلة جدًا لا يصح أن يذكر بإزائها أن للتشرد علاقة بتعدد الزوجات، وأن تتخذ تلك العلاقة أساسًا للتفكير في وضع حد للتعدد، مع ما للتعدد من فوائد أجتماعية وخلقية تربو بكثير وكثير جدًا عن هٰذه النسبة[١].

الشبهة السادسة:

إن تعدد الزوجات مباح، والمباح يجوز لولي الأمر أن يقيده بما يرىٰ من القيود للمصلحة.

والجواب عن هٰذه الشبهة:

فما كان تعدد الزوجات مما يطلق عليه لفظ (المباح) بالمعنى العلمي الدقيق، أي: المسكوت عنه الذي لم يرد نص بتحليله أو تحريمه، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: **«ما أحل الله فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو»** بل إن القرآن نصَّ صراحةً علىٰ تحليله، بل جاء إحلاله بصيغة الأمر التي أصلها للوجوب ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[٢] وإنما انصرف فيها الأمر من الوجوب إلى التحليل بقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾ ثم هم يعلمون -علم اليقين- أنه حلال بكل معنىٰ كلمة «حلال» بنص القرآن وبالعمل المتواتر الواضح الذي لا شك فيه منذ عهد النبي ﷺ وأصحابه إلى اليوم، ولكنهم قوم يفترون[٣].

---

(١) انظر: «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» للدكتور البلتاجي.

(٢) النساء: ٣.

(٣) «عمدة التفسير» (٣/ ١٠٣).

يقول الدكتور: القرضاوي[١].

وأما ما ادَّعاه هٰؤلاء من أنَّ حق ولي الأمر منع بعض المباحات فنقول لهم: إنَّ الذي أعطاه الشرع لولي الأمر هو حق تقييد بعض المباحات لمصلحة راجحة في بعض الأوقات أو بعض الأحوال، أو لبعض الناس، لا أن يمنعها منعًا عامًا مطلقًا مؤبدًا؛ لأن المنع المطلق المؤبد أشبه بالتحريم الذي هو من حق الله، وهو الذي أنكره القرآن علىٰ أهل الكتاب الذين ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٢]

إن تقييد المباح مثل منع ذبح اللَّحم في بعض الأيام تقليلًا للاستهلاك منه، كما حدث في عصر عمر رضىٰ الله عنه، ومثل منع زراعة محصول معيَّن بأكثر من مقدار محدَّد كالقطن في مصر، حتىٰ لا يجوز التوسع في زراعته على الحبوب والمحاصيل الغذائية التي يقوم عليها قوت الناس.

ومثل منع كبار ضباط الجيش أو رجال السلك الدبلوماسي من الزواج بأجنبيات، خشية تسرب أسرار الدولة، عن طريق النساء إلىٰ جهات معادية. ومثل ذلك منع زواج الكتابيات إذا خيف أن يحيف ذلك على البنات المسلمات، وذلك في مجتمعات الأقليات الإسلامية الصغيرة والجاليات الإسلامية المحدودة العدد.

أما أن نجيء إلىٰ شيء أحلَّه الله وأذن فيه بصريح كتابه وسُنَّة نبيه ﷺ، واستقر عليه عمل الأُمة مثل الطلاق أو تعدد الزوجات، فنمنعه منعًا عامًا مطلقًا مؤبَّدًا. فهٰذا شيء غير مجرد تقييد المباح الذي ضربنا أمثلته.

الشبهة السابعة:

أنه لا يفعل التعدد إلا رجل شهواني.

---

(١) «مركز المرأة في الحياة الإسلامية» ص ١٣٦-١٣٨.

(٢) التوبة: ٣١ .

والجواب: إن هٰذا قول سخيف حكايته تغني عن رده، فرسول الله ﷺ أكمل الناس خُلقًا، ومع ذلك كان يجمع بين تسع نسوة ﷺ، وكذلك كان جمٌّ غفير من أصحابه يجمعون بين أكثر من أمرأة[1].

قال الشيخ / أحمد شاكر[2] -رحمه الله-:

نبتت في عصرنا هٰذا الذي نحيا فيه نابتة إفرنجية العقل، نصرانية العاطفة، رباهم الإفرنج في ديارنا وديارهم، وأرضعوهم عقائدهم، صريحة تارة وممزوجة تارات، حتىٰ لبَّسوا عليهم تفكيرهم، وغلبوهم علىٰ فطرتهم الإسلامية، فصار هجيرانهم وديدنهم أن ينكروا تعدد الزوجات، وأن يروه عملًا بشعًا غير مستساغ في نظرهم، فمنهم من يصرح ومنهم من يجمجم، وجاراهم في ذلك بعض من ينتسب إلى العلم من أهل الأزهر- المتسببين للدين- والذين كان من واجبهم أن يدافعوا عنه، وأن يُعرِّفوا الجاهلين حقائق الشريعة، فقام من علماء الأزهر من يمهد لهٰؤلاء الإفرنجي العقيدة والتربية للحدِّ من تعدد الزوجات زعموا !!ولم يدرك هٰؤلاء العلماء أن الذين يحاولون أسترضاءهم لا يريدون إلا أن يزيلوا كل أثر لتعدد الزوجات في بلاد الإسلام، وأنهم لا يرضَون عنهم إلا إن جاروهم في تحريمه ومنعه جملة وتفصيلاَ، وأنهم يأبون أن يوجد علىٰ أيّ وجه من الوجوه؛ لأنه منكر بشع في نظر سادتهم الخواجات.

وضعت في بلادها قانونًا منعت فيه تعدد الزوجات جملة، بل صرحت تلك الحكومة باللفظ المنكر: إن تعدد الزوجات - عندهم- صار حرامًا، ولم يعرف رجال تلك الحكومة أنهم بهٰذا اللفظ الجريء المجرم

(١) «جامع أحكام النساء» (٣/ ٥٣٩).

(٢) «عمدة التفسير» (٣/ ١٠٢).

صاروا مرتدين خارجين من دين الإسلام، تجري عليهم وعلىٰ من يرضىٰ عن عملهم كل أحكام الردة المعروفة التي يعرفها كل مسلم، بل لعلهم يعرفون ويدخلون في الكفر والردة عامدين عالمين.

بل إن أحد الرجال الذين ٱبتلي الأزهر بانتسابهم إلىٰ علمائه تجرأ مرة وكتب بالقول الصريح: إن الإسلام يحرم تعدد الزوجات. جرأة علىٰ الله وافتراء علىٰ دينه الذي فُرض أن يكون هو من حفظته القائمين علىٰ نصره !!

واجترأ بعض من يعرف القراءة والكتابة - من الرجال والنساء- فجعلوا أنفسهم مجتهدين في الدين يستنبطون الأحكام، ويفتون في الحلال والحرام، ويَسُبُّون علماء الإسلام إذا أرادوا أن يعلموهم ويقفوهم عند حدِّهم، وأكثر هٰؤلاء الأجرياء من الرجال والنساء لا يعرفون كيف يتوضئون، ولا كيف يصلون، بل لا يعرفون كيف يتطهرون، ولكنهم في مسألة تعدد الزوجات مجتهدون !!

بل لقد رأينا من يخوض منهم فيما لا يعلم يستدل بآيات القرآن بالمعنىٰ؛ لأنه لا يعرف اللفظ القرآني!!

وعن صنيعهم هٰذا الإجرامي، وعن جرأتهم هٰذِه المنكرة، وعن كفرهم البواح دخل في الأمر غير المسلمين وكتبوا آراءهم مجتهدين !! كسابقيهم يستنبطون من القرآن - وهم لا يؤمنون به- ليخدعوا المسلمين ويضلوهم عن دينهم، حتىٰ إن أحد الكتاب غير المسلمين كتب في إحدى الصحف اليومية التي ظاهر أمرها أن أصحابها مسلمون كتب مقالًا بعنوان: «تعدد الزوجات وصمة» فشتم بهٰذِه الجرأة الشريعة الإسلامية، وشتم جميع المسلمين من بدء الإسلام إلى الآن، ولم نجد أحدًا حرك في ذلك ساكنًا مع أن اليقين أن لو كان العكس، وأن لو تجرأ كاتب مسلم

علىٰ شتم شريعة ذلك الكاتب لقامت الدنيا وقعدت، ولكن المسلمين مؤدبون.

ثم يقول الشيخ / أحمد شاكر -رحمه الله-:

وليس بالقوم ٱستدلال أو تحر لما يدل عليه الكتاب والسنة، ولا هم من أهل ذلك ولا يستطيعونه، إنما هوىٰ بهم الهوىٰ إلىٰ شيء معين يتلمسون له العلل التي قد تدخل على الجاهل والغافل.

بل إن في فلتات أقلامهم ما يكشف عن خبيئتهم ويفضح ما يكنُّون في ضمائرهم، ومن أمثلة ذلك أن موظفًا كبيرًا في إحدىٰ وزاراتنا كتب مذكرة أضفىٰ عليها الصفة الرسمية ونشرت في الصحف منذ بضع سنين، وضع نفسه فيها موضع المجتهدين لا في التشريع الإسلامي وحده، بل في جميع الشرائع والقوانين، فاجترأ علىٰ أن يعقد موازنة بين الدين الإسلامي في إحلاله تعدد الزوجات وبين الأديان الأخرىٰ -زعم- وبين قوانين الأمم الوثنية منها، ولم يجد في وجهه من الحياء ما يمنعه من الإيحاء بتفضيل النصرانية التي تحرم تعدد الزوجات، ومن ورائها التشريعات الأخرى التي تسايرها، بل يكاد قوله الصريح ينبئ عن هٰذا التفضيل !!!

ونسي أنه بذلك خرج من الإسلام بالكفر البواح على الرغم من أن ٱسمه يدل علىٰ أنه ولد علىٰ فراش رجل مسلم، إلىٰ ما يدل عليه كلامه من جهله بدين النصارىٰ حتىٰ عقد هٰذِه المفاضلة، فإن اليقين الذي لا شك فيه أن سيدنا عيسىٰ - عليه السلام- لم يحرم تعدد الزوجات الحلال في التوراة التي جاء هو مصدقًا لها بنص القرآن، وإنما حرمه بعض البابوات بعد سيدنا عيسىٰ - عليه السلام - بأكثر من ثمانمائة سنة على اليقين بما جعل هٰؤلاء لأنفسهم حق التحليل والتحريم الذي نعاه الله عليهم في الكتاب الكريم

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1].

فيا أيها المسلمون لا يستجرينكم الشيطان ولا يخدعنكم أتباعه وأتباع عابديه فتستخفوا بهٰذِه الفاحشة التي يريدون أن يذيعوها فيكم، وبهذا الكفر الصريح الذي يريدون أن يوقعوكم فيه، فليست المسألة مسألة تقييد مباح أو منعه كما يريدون أن يوهموكم، وإنما هي مسألة في صميم العقيدة . أتُصرُّون علىٰ إسلامكم وعلى التشريع الذي أنزل الله إليكم وأمركم بطاعته في شأنكم كله؟ أم تعرضون عنهما -والعياذ بالله- فتردَّوا في حماة الكفر وتتعرضوا لسخط الله ورسوله؟ هٰذا هو الأمر علىٰ حقيقته.

إن هٰؤلاء القوم الذين يدعونكم إلىٰ منع تعدد الزوجات لا يتورع أحدهم عن ٱتخاذ العدد الجم من العشيقات والأخدان، وأمرهم معروف مشهور بل إن بعضهم لا يستحي من إذاعة مباذله وقاذوراته في الصحف والكتب، ثم يرفع علم الاجتهاد في الشريعة والدين، ويزري بالإسلام والمسلمين.

إن الله حين أحل تعدد الزوجات - بالنص الصريح في القرآن- أحله في شريعته الباقية على الدهر في كل زمان وكل عصر، وهو سبحانه يعلم ما كان وما سيكون، فلم يعزب عن علمه - ﷻ- ما وقع من الأحداث في هٰذا العصر ولا ما سيقع فيما يكون في العصور القادمة، ولو كان هٰذا الحكم مما يتغير بتغير الزمان - كما يزعم الملحدون الهدامون- لنصَّ علىٰ ذلك في كتابه أو في سنة رسوله ﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦﴾[2]. والإسلام بريء من

---

(١) التوبة: ٣١ .　　(٢) الحجرات: ١٦ .

الرهبانية، وبريء من الكهنوت، فلا يملك أحد أن ينسخ حكمًا أحكمه الله في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ، ولا يملك أحدٌ أن يحرم شيئًا أحله الله ولا أن يحل شيئًا حرمه الله، لا يملك ذلك خليفة، ولا ملك، ولا أمير، ولا وزير، بل لا يملك ذلك جمهور الأمة سواء بإجماع أم بأكثرية، الواجب عليهم جميعًا الخضوع لحكم الله، والسمع والطاعة. اسمعوا قول الله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[١].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾[٢].

ألا فلتعلمُنَّ أن كل من حاول تحريم تعدد الزوجات أو منعه أو تقييده بقيود لم ترد في الكتاب ولا في السنة فإنما يفتري على الله الكذب.

ألا فلتعلمُنَّ أن كل امرئ حسيب نفسه، فلينظر امرؤ لنفسه أنىٰ يصدر، وأنّىٰ يرد، وقد أبلغت، والحمد لله.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة[٣]:

ولقد قيد التعدد في الآية الكريمة بقيدين آخرين مع عدم مجاوزته أربعًا: (أحدهما) العدالة بين الزوجين، فقد قال تعالىٰ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[٤]. وقد تضافرت أقوال المفسرين للآية علىٰ أن إباحة التعدد مقيدة بالعدالة، وقد قال في ذلك أبو بكر الرازي المشهور بالجصاص في كتابه «أحكام القرآن»: أمر الله تعالىٰ بالاقتصار علىٰ واحدة إذا خاف

---

(١) النحل: ١١٧.
(٢) يونس: ٥٩.
(٣) «الأحوال الشخصية» ص٩٠-٩٦.
(٤) النساء: ٣.

الجور ومجانبة العدل، إنها إباحة للثنتين إذا شاء، وللثلاث، فإن خاف ألا يعدل اقتصر على اثنتين فإن خاف ألا يعدل بينهما اقتصر علىٰ واحدة» والعدل المطلوب هو العدل الظاهر، وهو القسم بين الزوجين، والمساواة في الإنفاق، والمساواة في المعاملة الظاهرة، وليس هو العدل في المحبة الباطنة فإن ذلك لا يستطيعه أحد ولا يكلف الله إلا ما يكون في الوسع ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١).

وبهذا وفق العلماء بين العدل المطلوب في هٰذه الآية، والعدل المنفي في قوله تعالىٰ ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾(٢) فإن العدل المنفي هناك هو العدل القلبي، ولذلك لم يطلبه ﷻ، ودل علىٰ أنه لم يطلبه بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ فهو أجاز ألا يكون، ولكن طلب أن يحرص ولا يفرط، وبذلك تتلاقى الآيتان؛ لأن العدل في الآية التي طلبته، غيره في الآية التي نفته، وأكدت نفيه.

الشرط الثاني- من الشروط التي قيد الله ﷻ بها إباحة التعدد هو القدرة على الإنفاق على العدد من أزواجه مع القيام بالواجبات عليه في أسرته، كالإنفاق علىٰ من تجب عليه نفقته من ذوي رحمه، وهٰذا الشرط فهم من تذييل الآية بقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾(٣) وقد فسر الشافعي رضىٰ الله عنه كلمة «ألا تعولوا» بألا تكثر عيالكم، وحكي عن الكسائي أنه قال: «العرب تقول عال يعول، وأعال يعيل أي: كثر عياله» ويؤيد هٰذا المعنىٰ قراءة طلحة «ألا تعيلوا»، وإذا كان ذلك هو المعنىٰ، فقد تبين أن إباحة

---

(١) البقرة: ٢٨٦ . (٢) النساء: ١٢٩

(٣) النساء: ٣ .

التعدد مقيدة بألا يكون في التعدد مظنة الإكثار من العيال من غير أن يكون عنده من أسباب الرزق ما يستطيع به الإنفاق عليهم والقيام بواجبهم.

ولقد اتفق الفقهاء والمفسرون على أن هذين الشرطين لابد من توافرهما لكل من يبغي أن يتزوج وعنده زوجة، بل لقد اتفق الفقهاء على أن كل زواج يعتقد المتزوج عند إنشائه، ولو كان الزواج الأول، أنه لا يعدل مع أهله -أو لا يستطيع الإنفاق فيه- يكون حرامًا كما قررنا، ولكن هل إذا تم الزواج مع عدم تحقيق هذين الشرطين يكون الزواج غير صحيح؟ لقد اتفق الفقهاء على أن هذين الشرطين ليسا من شروط الصحة؛ ولذلك يصح الزواج مع عدم توافر الشرطين ويكون الشخص آثمًا يحاسبه الله ﷻ على الجور، وعدم القيام بتكاليف الزواج.

وإنما لم يحكموا بفساد العقد مع توافر وقوع العاقد في الإثم:

١- لأن فساد العقود وصحتها ينا طان بأمور واقعة لا بأمور متوقعة، ولو حكمنا بفساد العقد لخشية الظلم أو لخوف الإعيال لحكمنا بفساد العقد لأمر متوقع قد يقع وربما لا يقع.

٢- ولأن خوف الظلم أمر نفسي، وأحكام العقود بالصحة والفساد لا يصح أن ترتبط بأمور نفسية خفية لا تجري عليها أحكام القضاء، والقدرة على الإنفاق أمر يتصل بالرزق، والرزق عند علام الغيوب، فليس لأحد أن يجيء إلى عاقدين، علم كل منهما بأمر صاحبه، وقدرته، وقد رضيا بالزواج، فيقول لهما: لا تتزوجا، أو الزواج بينكما غير صحيح؛ لأنه في المستقبل لا يستطيع الإنفاق عليها، مع أن المال غاد ورائح، ويطرح تقدير الزوجين ورضاهما رضًا صحيحًا.

٣- هذا هو مسلك الشريعة بالنسبة للتعدد، وهي وسط بالنسبة للشرائع، فمنها ما أباح التعدد من غير قيد في العدد، ولا قيد في الزواج،

ومنها ما منع التعدد منعًا مطلقًا، وكانت الشريعة الإسلامية بين ذلك قوامًا.

(أ) ولا شك أن ذلك المسلك هو مسلك الشريعة التي تخاطب كل الأجناس وكل الأجيال، فهي تخاطب أهل أوروبا، وأهل المناطق الحارة، وتخاطب المعتدل المزاج، والمعتدل في شهواته، وتخاطب الحاد المفرط في شهواته؛ ولذلك وجب أن يكون فيها من السعة والمرونة ما يرضي المعتدل، وما يهذب المفرط، من غير أن يضيق القيد، فينخلع من الربقة، إنه -بلا ريب- الاقتصار علىٰ واحدة هو الزواج الأمثل في الجماعة، وهو البعيد عن نطاق الظلم، ولٰكن لا يرضىٰ به إلا أمثل الرجال، فهل الناس جميعًا علىٰ هٰذا الطراز؟ وإننا لو أغلقنا علىٰ ذوي الشهوات الحادة باب الزواج، لفتحوا لأنفسهم باب الفساد فتهتك الستور، ويكون الأولاد الذين لا آباء لهم، ولو خيرنا بين زواج معيب وبين الزنىٰ، لاخترنا الأول، إن كنا نسير علىٰ هدى العقل ونوره.

(ب) وقد يكون التعدد علاجًا اجتماعيًا لنقص يعرض للأمة في رجالها، فقد يقل عدد الرجال الصالحين للإنسال في بعض الأمم بسبب الحروب، ولقد ذكر بعض الثقات العالمين بالإحصاء أنه بعد الحرب العالمية الأولىٰ وجد في بعض الأمم الأوربية أن الرجال الصالحين للزواج قل عددهم، حتىٰ صار كل رجل قادر يعادل في التعداد ثلاث نساء صالحات للزواج. ففي هٰذِه الحال يكون التعدد مطلوبًا؛ ليصون المرأة من الدنس، وليكثر النسل، وتنمو الأمة، وتعوض ما فقدت، وقد زادت نسبة النساء الصالحات للزواج بالنسبة للقادرين من الرجال في ألمانيا بعد الحرب الأخيرة زيادة فاحشة حتىٰ تنادىٰ بعض المصلحين فيها بإباحة التعدد.

(ج) وليس التعدد شرًا على المرأة دائمًا، فقد تكون المرأة في حال تستوجب أن يتزوج بأخرىٰ لمرضها، أو عقمها، فيكون الزوج بين أمرين

الفراق أو الزواج، والثاني بلا شك فيه مصلحتها، فوق ما فيه من عدالة في ذاته.

لقد سار المسلمون من أقدم عصورهم علىٰ نظام يستبيحون فيه التعدد، كما أباحته ظواهر الشريعة، ولم يجدوا في ذلك حرجًا، ولم يكن منهم في الجماعة ظلم. ولما غزت مصر والشرق الأفكار الأوربية وهي لا تفهم التعدد في الزواج- وإن فتحت الباب علىٰ مصراعيه لغير الزواج- وجد من الشرقيين من اعتقد أن في إطلاق التعدد ظلمًا للمرأة، وهضمًا لحقوقها، ثم التفتوا إلى الآية الكريمة التي تبيح التعدد، فوجدوها تفيد الإباحة بقيدين -كما بينا- فدعوا إلى التقيد الذي يشبه المنع، ونادىٰ بالتفكير في ذلك الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في دروسه وبعض تقريراته، واستفاض بالحديث فيه في مجالسه، حتىٰ أثمرت كلماته في بعض تلاميذه وآتت الدعوة أكلها، فوجدت بعد نحو عشرين سنة من وفاته مقترحات تتضمن تقييد تعدد الزواج قضائيًا بالقيدين السابقين، وهو العدل، والقدرة على الإنفاق، وكان ذلك في اللجنة التي ألفت في أكتوبر سنة ١٩٢٦، إذ كان المشروع الذي قدمته مشتملًا علىٰ ذلك، كما بينا في مقدمة هٰذا الكتاب، ولكن بعد الفحص والتمحيص، والمجاوبات المختلفة بين رجال الفقه ورجال الشورىٰ، رأىٰ أولياء الأمر العدول عن ذلك، وجاء المرسوم بقانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٢٩م خاليًا منه، وقد ذكرنا خلاصته في مقدمة كلامنا.

وفي سنة ١٩٤٣م همت وزارة الشئون الاجتماعية أن تنشر المقبور؛ لأن وزيرها إذ ذاك ظن أنه يصلح الحياة، ولكن عدل وشيكا عما هم به، فكان له بذلك فضل.

ولقد جاء من بعد ذلك وزير آخر، وجعل من أعظم ما يُعنىٰ به هٰذِه

المسألة، فأعاد نشر الدفين، وهم بأن يقدمه لدار النيابة؛ ليأخذ سيره، ولكنه بعد أن خطا بعض الخطوات ونبه إلىٰ ما فيه من خطر ٱجتماعي أعاده مشكورًا إلىٰ حيث كان، ولكن هٰذِه المشروعات التي لم تتم في مصر أخذت طريقها القانوني في سوريا، فقيد التعدد وصعب الطلاق، وتونس ٱستهلت ٱستقلالها بتلك البدع، فقيدت الطلاق والتعدد.

إن هٰذا التفكير الذي ساقه الأستاذ الشيخ محمد عبده في دروسه وتقريراته ومجالسه، والذي صار مشروعًا من بعد، وتناولته الأقلام والوزارات، أساسه جعل القيدين المذكورين في الآية الكريمة يخرجان عن التكليفات الدينية التي تكون بين العبد وربه إلى التطبيق القضائي، فيمنع القاضي توثيق عقد زواج من له زوجة إلا إذا تأكدت عدالته، وقدرته على الإنفاق علىٰ زوجته وأولاده، وسائر من تجب عليه نفقته، وهنا نقرر أن الآية ليس في ظاهرها ما يمنع ولي الأمر أن يجعل هذين القيدين في موضع التطبيق، وليس في الكتاب ما يحرم بصفة قطعية علىٰ ولي الأمر في مصر أن يسلك هٰذا المسلك، ولكن أمامه إجماع المسلمين من لدن عصر النبي ﷺ وعصر الصحابة إلىٰ عصر الأستاذ الشيخ محمد عبده، وما علمنا أن النبي ﷺ منع زواج أحد لعدم قدرته على الإنفاق، أو لعدم إثباته العدالة، ولم نعرف أحدًا من الصحابة أمر أن يتحرىٰ هٰذا التحري عند التعدد، ولا يمكن أن نفرض العدالة المطلقة والقدرة في عهدهم، فإن الناس في كل عصر، فيهم البر والفاجر، والعاجز والقادر.

وإن ٱجتزنا هٰذا الحاجز الحصين، واتجهنا إلى المشروع في ذاته من حيث صلاحيته، فهل نجد فيه صلاحية، وهل نجد الطريق معبدًا لتطبيقه؟

إن الطريق ليس بمعبد، إذ كيف يعرف القاضي أنه سيعدل ولا يظلم، وهٰذِه حال لا تعرف لأشد الناس صلة بالزوج فضلًا عن القضاء

الذي يوجب عمله ألا يتصل بالخصوم اتصالًا شخصيًا أيسأل الشهود، وأكثرهم يصطنع الكذب، أم يعتمد على الشهادات الرسمية؟ ثم القدرة على الإنفاق، ما مناطها؟ أحال الزوجة الجديدة أم حاله هو، إذا اعتبرت حاله، ورضي بأن يضيق قليلًا بعد سعة في سبيل ذلك الزواج؟ وهي في جملتها تكفل العيش الضروري، أيسوغ للقاضي أن يمنعه، بحجة أنه يجب أن يعيش في رفاهية، ويحرم من حلال؟

ثم إن هٰذا يكون تدخلًا في حرية التعاقد لا يتفق مع المقرر الآن في القوانين الحديثة. فهل يوجد ما يسوغه؟ لقد ذكروا بواعث له فذكروا أن التشرد ينتج من تعدد الزوجات مع الفقر. وقد بين الإحصاء أن تعدد الزوجات ليس هو السبب في كثرة المتشردين، فكذب الدعاة تكذيبًا قاطعًا، لا مجال للريب فيه، وإن شهادة الأرقام أصدق شهادة.

وقد أثبتت الدراسات الاجتماعية العميقة أن سبب التشرد هو عدم مراقبة الأولياء على النفس.

ولٰكن الباعث الذي يجري على الألسنة من قديم الزمان هو المساواة بين الرجل والمرأة، وقد قلنا في رد ذلك: «إن الحقوق والواجبات في المسائل الاجتماعية ليس أساسها التساوي المطلق، كالمعادلات الهندسية والجبر، بل أساسها الميزان الاجتماعي، فهو الذي يعطي الحقوق والواجبات، ويوزعها على الرجل والمرأة بالشكل الذي ينتظم به الاجتماع. وقد يكون التعدد واجبًا اجتماعيًا إذا نقص العدد في الرجال بالحروب» وهب الباعث كان محققًا، فهل النتائج حسنة؟ الأمور الاجتماعية لا تقاس ببواعثها، بل تقاس بنتائجها، فقد يكون الباعث نفعًا، والنتيجة ضررًا فيوازن بينهما، وإن منع التعدد مع إحجام الناس عن الزواج الآن يضر النسل والأخلاق في الأمة ونحن في زمن تكاثر الأمم

غيرها بعددها؛ لأنه قوام عتادها.

ولو أخذ بالمشروع فمنع القاضي ٱثنين ٱستهوىٰ كلاهما صاحبه من الزواج، فهل تنقطع العلاقة؟ إن كلمة الشيطان تحل محل كلمة الله التي منعها القاضي بأمر المشروع، فيكون الفساد، ويكون الأولاد الذين لا آباء لهم، وما عاد الرجل إلىٰ زوجته الأولىٰ. وعادت المرأة إلىٰ أسرتها.

يقول الشيخ الشعراوي(١) - رحمه الله-

بقيت بعد ذلك مشكلة أولئك الذين قالوا: إن الله جل جلاله لم يبح التعدد في الزوجات، مستندين إلى الآيات الكريمة في كتاب الله العزيز: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾(٢).

وقوله جل جلاله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾(٣).

بعض المفسرين، خصوصًا المفسرين من الشيعة قالوا إن معنىٰ هاتين الآيتين أن الإسلام لا يقر التعدد.. لماذا؟ لأنه ٱشترط في التعدد العدل بين الزوجتين، ثم قال الله جل جلاله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ فهٰذا نفىٰ أن الزوج يستطيع العدل وبذلك أمتنع التعدد نقول لهٰؤلاء: إنكم لم تفهموا النص لأن الآية الكريمة تقول: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ الحكم هنا بالتعدد باق ولم يبطل، ولكن هناك عدم فهم ممن فسروه.

لو أن المقصود كان إبطال الحكم، لكانت الآية الكريمة قد وقفت عند

---

(١) «المرأة في القرآن» ص ٣٦-٤٠.

(٢) النساء: ٣ .

(٣) النساء: ١٢٩ .

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ﴾ وتكون المسألة حكمًا مطلقًا من الله جل جلاله ولكن قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ يلفتنا إلىٰ أن حكم التعدد ما زال باقيًا، ولو كان حكم التعدد قد أبطل لما قال الحق تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ لأنه علىٰ ماذا سنحرص والعدل مستحيل، وكيف نحرص علىٰ تنفيذ حكم أبطله الله ﷻ؟!

إذن فمسألة الحرص في العدل دلت علىٰ أن الحكم باق، وأن الله جل جلاله يوصينا بالحرص في التنفيذ، وبمراعاة العدل بقدر إمكان البشر، وقول الحق تبارك وتعالىٰ: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ يلفتنا إلىٰ أن الله يوصينا ألا نميل نحن نحو واحدة ونترك الأخرىٰ؟ كالمعلقة التي ليس لها زوج. وكيف نميل نحو واحدة.. ونترك الأخرىٰ كالمعلقة، إلا إذا كان مباحًا لنا أن نتزوج أكثر من امرأة؟

إن كل من أفتىٰ بأن معنىٰ قول الله ﷻ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ هو منع التعدد في الإسلام، أو منع الزواج بأكثر من واحدة، نقول له: إن هٰذا الفهم خاطئ، ويجب علينا أن نعيش في ظلال القرآن الكريم.. تحت راية من نزل عليه القرآن، وعمل به وأبلغه وبينه.. وهو رسول الله ﷺ فلا يوجد بيننا إنسان- مهما علا قدره- يستطيع أن يدعي أنه يفهم القرآن أكثر ولا أعمق من رسول الله ﷺ؛ لأنه عليه نزل، وهو أكثرنا فهمًا للقرآن وكان منهجه محروسًا برعاية السماء، والله جل جلاله يقول في رسوله الكريم: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ (١).

إن رسول الله ﷺ لا ينطق عن هوىٰ في نفسه، إذا جاءه الحق من الله

---

(١) النجم: ١-٥ .

ﷺ، بل له ﷺ أمانة البلاغ وأمانة التنفيذ، مصداقًا لقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

ولو أنه كان معنىٰ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ هو تحريم الزواج بأكثر من واحدة لكان رسول الله ﷺ هو أول من طلق زوجاته وأبقىٰ واحدة، ولكن؛ لأن معنى الآية الكريمة ليس تحريم الزواج بأكثر من واحدة، بل الحرص على العدل، فقد أبقىٰ رسول الله ﷺ زوجاته.

ولا يوجد من يستطيع أن يدعي- كما أسلفت- أنه أفهم بنصوص القرآن الكريم ومعانيه من رسول الله ﷺ، ولا نقبل مثل هٰذا الأدعاء.

والله ﷻ حين لفتنا إلىٰ مسألة العدل بين النساء، يجب ألا نفهم أنه جل جلاله يريد العدالة المطلقة، فإن العدل المطلق هو لله سبحانه وحده، ولكن الله يريد العدالة الإمكانية.

ما هي العدالة الإمكانية؟ عدالة في الزمن الذي يقضيه الزوج عند كل واحدة، عدالة في المعيشة فلا يسرف هنا ويقتر هناك، لا، ولكن العدالة في الحب لا يكلف بها الإنسان، لماذا؟ لأنها فوق طاقته، ولكن كل أمرأة وما تستطيع أن ترغب فيها زوجها، المهم أن يعطيها ليلتها، ويعطيها العدل في الوقت والإنفاق.

إن تعدد الزوجات أمر لم يلزمنا الله ﷻ به، ولكنه أباحه لنا، وفرق كبير بين الإباحة والإلزام، وأنه ضرورة أجتماعية حتىٰ لا ينتشر الأنحلال، وأنه إن تم يشترط فيه العدل في النفقة والمعيشة والوقت، وأن كل النظم التي قاومت حرية الرجل في أن يتزوج أمرأة أخرىٰ، سواء طلق زوجته أو أبقاها قد فشلت، وأن الله ﷻ حينما أباح التعدد، إنما أعطانا

---

(١) يونس: ١٥ .

النظام الذي لا ضرر منه، وأنه رغم هٰذِه الإباحة فإن عدد الذين يتزوجون بزوجة ثانية لا يزيد علىٰ ثلاثة رجال في كل مائة رجل، وأن المتزوجين من أربع نساء، لا يزيدون علىٰ رجل واحد في كل خمسة آلاف رجل.

إن هٰذِه المشكلة- من حيث الواقع- تكاد تكون معدومة، ولكن الذين في قلوبهم مرض يضخمونها للنيل من الإسلام، وإظهاره علىٰ غير حقيقته.

ويقول الدكتور البلتاجي[1]:

والأكثر مدعاة للعجب من هٰذا أن بعض البلدان الإسلامية التي حرمت التعدد بقانون كانت تقبل من الرجل والمرأة -عند ضبطهما يعيشان سويًا- أنهما عشيقان يزنيان، فتبرئهما! ولو قال الرجل: إنها زوجة ثانية له - علىٰ سنة الله ورسوله ﷺ- لعوقب بالسجن سنة أو سنوات!

وهنا لابد أن نتذكر: من أين أستقدمت هٰذِه التقنيات الحضارية؟ قد أستقدمت من بلد الرئيس الفرنسي (فرانسوا ميتران) الذي تبين كافة الناس في السنوات الأخيرة أن له عشيقة تعيش معه في مكان ما من قصر الرئاسة - إلىٰ جانب زوجته وأولاده- وأنه أنجب من هٰذِه العشيقة فتاة جاوزت العشرين تعيش أيضًا مع أمها، وأنها الأثيرة عند أبيها بحيث يصطحبها معه في سفراته الخارجية، وقد علقت زوجته الرسمية علىٰ هٰذا بأنها كانت تعرفه، وتتقبله؛ لأن هٰذا الوضع لم يؤثر علىٰ حب زوجها لها -وهٰذا هو الأهم عندها- لكنه كما صرحت للصحف- رجل فرنسي لا يمكن أن يعيش طول عمره مع أمرأة واحدة، وأنها كانت تغض الطرف عن حبه للفتيات الصغيرات ومغازلته لهن، إلىٰ آخر ما أصبح معلومًا للكافة، منشورًا في

(١) «مكانة المرأة في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة» ص ٤٠١-٤٠٢.

الصحف السيارة، مذاعًا بالراديو والتلفزيون والأقمار الصناعية، وكافة طرق الإعلام الحديثة، لكنه يأتي من بلاد النور والحرية و مصدر التقنينات الحديثة، ومن ثم فهو عنوان الحضارة والتقدم والمدنية والتنوير!

وما زلت أذكر ذلك الفيلسوف العربي الذي كان يسخر من التعبير القرآني ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ ويطلق علىٰ باريس كعبة الحرية والنور والمدنية، ولست أدري: ما رأيه في ثنائية الرئيس الفرنسي بين الزوجة والعشيقة، وفي ثالوثة الفرنسي الشهير إذا أضيفت بنت صغيرة واحدة مما تكلمت عنهن الزوجة؟

ولم تكن المدنية والحضارة متحققة في مثنىٰ وثلاث الفرنسية: زوجة وعشيقة أو عشيقتين، ويكون ضدهما من الجاهلية والتأخر هما نصيب مثنىٰ وثلاث الإسلامية عند هؤلاء. وصدق الله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾[1]، وقد جاءت الآية التالية لها على النحو التالي: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾[2].

---

(١) الزمر: ٤٥ . (٢) الزمر: ٤٦ .

الفصل الثاني

تعدد أزواج النبي ﷺ

تعدد أزواج النبي ﷺ

يتخذ أعداء الإسلام من جمع الرسول ﷺ بين تسع نسوة في وقت واحد، منفذًا للطعن، ووسيلة للاتهام، وحين يبحثون عن الأسباب فلا يجدون تعليلًا لهٰذا الجمع سوى الشهوة الجنسية والثورة الغريزية، دون أن يحيطوا بالظروف التي صحبت هٰذا الزواج، ودون أن يبحثوا عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلىٰ هٰذا الجمع.

وأراهم حين يسددون هٰذِه المطاعن، ويثيرون تلك الشبهات منساقين كل الأنسياق وراء التعصب الأعمىٰ، والحقد الأسود على الإسلام ورسول الإسلام، بل عداوتهم لهٰذا الدين قديمة متأصلة توارثوها عن الحروب الصليبية جيلًا بعد جيل، فترسخت حتىٰ خالطت اللحم والعظم، وتأصلت حتى أنطبعت في سويداء القلوب، وماذا تنتظر من اللئيم غير الخبث واللؤم، ومن الحقود غير الحقد والظلم؟[1]

والجواب علىٰ هٰؤلاء من وجوه:

الوجه الأول:

لم خصَّ هٰؤلاء النبي ﷺ بالذكر في مسألة التعدد، ولم ينظروا إلى التعدد الذي رافق أنبياء التوراة عبر التاريخ؟

ومن يستقرئ كتب التوراة يعلم ذلك بوضوح .

يقول اللواء/ أحمد عبد الوهاب[2]:

من المعلوم أن إبراهيم كان متزوجًا بسارة، أخته من أبيه (تكوين ٢٠: ١٢)، ثم تزوج هاجر المصرية التي أنجب منها بكره إسماعيل، وبعد

(١) «تعدد الزوجات في الإسلام» ص٥١ .

(٢) «تعدد نساء الأنبياء» ص ١٠-٣٨ باختصار.

أربع عشرة سنة ولدت سارة إسحاق الآبن الثاني لإبراهيم، فجمع إبراهيم بين الزوجتين: سارة وهاجر، ثم ما لبث أن اتخذ إبراهيم سراري أنجب منهن ذراري، سكت الكتبة الإسرائيليون عن أخبارهن، واكتفوا بإشارة مقتضبة تحرص علىٰ جعل جدهم إسحق هو الوريث الوحيد لإبراهيم، وذلك في قولهم «أما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقًا إلىٰ أرض المشرق وهو بعد حي» «تكوين» [٢٥: ٦].

وإذا أخذنا بتتابع الأحداث وفق روايات التوراة، نجد أنه بعد موت سارة: «عاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة. فولدت له: زمران، ويقشان، ومدان، ومديان، ويشباق، وشوحا.

وولد يقشان: شبا، وددان.

وكان بنو ددان: أشوريم، ولطوشيم، ولأميم.

وبنو مديان: عيفة، وغفر ، وحنوك، وأبيداع، والدعة. جميع هؤلاء: بنو قطورة»- «تكوين ٢٥: ١-٤».

وتذكر المصادر التاريخية أن إبراهيم تزوج «امرأتين من العرب: إحداهما قنطورًا بنت يقطان (ذكرتها المصادر الإسرائيلية باسم قطورة) فولدت له ست بنين. والأخرىٰ منهما حجور بنت أرهير، فولدت له خمسة بنين. كيسان، وشورخ، وأميم، ولوطان، ونافس».

هٰذا ونريد الآن استقصاء عدد سراري إبراهيم اللاتي ذكرن سلفا، فنقول: تتحدث الفقرة الخاصة بهن عن جماعة من النساء أي أن عددهن يبدأ من ثلاثة فأكثر، وإلىٰ هنا نقطع بأن إبراهيم قد جمع بين سبع نساء علىٰ أقل تقدير، هن: سارة، وهاجر، وقطورة، وحجور وثلاث سراري. وإذا اعتبرنا أن زواج إبراهيم بقطورة وحجور حدث بعد موت سارة التي

عاشت ٣٧ سنة بعد مولد ابنها إسحاق (تكوين ٢٣: ١، ١٧: ١٧) فإن الوضع يبقىٰ كما هو، أي: ست نساء زوجات لإبراهيم على الأقل.

وفي دراسة إحصائية مثل هٰذِه، تبتغىٰ تحديد عدد سراري إبراهيم، فإننا نستطيع آستخدام طريقة «الاستقراء»، وهي طريقة مستخدمة في شتى الدراسات الإحصائية، وخاصة تلك المتعلقة بالأنشطة السكانية، مع مراعاة العرف السائد في تلك المنطقة في العصور القديمة.

تقول مونيكا بيتر في كتابها: «الوضع النسوي عبر العصور» عن تعدد الزوجات في العصر القديم:

«إن تعدد الزوجات في شكله المطلق بدأ يترسخ شيئًا فشيئًا، فأولاد يعقوب الأثنا عشر، الذين هم من أمهات مختلفات، كانوا متساوين في الحقوق، وقد كان لجدعون سبعون ولدًا، ولعبدون أربعون، ولرحبعام ثماني عشرة زوجة وستون خليلة، ولداود تسع زوجات عدا الخليلات، وقد بلغ الشطط أوجه مع سليمان الذي كانت له ٧٠٠ زوجة و٣٠٠ خليلة».

من ذلك يتبين أن التسري بعشر نساء يعتبر عددًا مقبولًا جدًا ومتواضعًا، ونستطيع الأخذ به في الحالات التي يحدثنا فيها «الكتاب المقدس» عن سراري لأي رجل، دون أن يحدد لنا عددهن. وتتدعم صحة هٰذِه الفرضية حين نعلم أن داود حين أراد الهرب من أورشليم إبان الثورة التي قادها ضده ابنه أبشالوم، فإنه: «ترك عشر نساء سراري لحفظ البيت- صموئيل الثاني ١٥: ١٦» وهٰؤلاء كن جزءًا من سراري داود.

مما سبق نخلص إلىٰ أن إبراهيم قد جمع في وقت واحد بين ١٣ آمرأة على الأقل.

وأما يعقوب ﷺ فتذكر كتبهم أنه تزوج ابنتي خاله: ليئة، وراحيل، كما تزوج جاريتيهما: زلفة، وبلهة. «وكان بنو يعقوب أثني عشر: بنو ليئة:

رأوبين بكر يعقوب، وشمعون، ولاوىٰ، ويهوذا، ويساكر، وزبولون.

وابنا راحيل: يوسف، وبنيامين.

وابنا بلهة جارية راحيل: دان، ونفتالىٰ.

وابنا زلفة جارية ليئة: جاد، وأشير- تكوين ٣٥: ٢٣-٢٦».

كما أن ليئة: «ولدت ابنة ودعت اسمها: دينة- تكوين ٣٠: ٢٠».

وهكذا جمع يعقوب في وقت واحد بين ٤ زوجات، ومنهن جاء بنو إسرائيل أصحاب التاريخ المعروف

وأما موسىٰ عليه السلام فلقد كان المتوقع أن تكون أخباره العائلية أكثر وضوحًا من أخبار جده الأكبر يعقوب، لكن الواقع أن الغموض الذي يحيط بسيرته كثيف من جميع الجوانب، مما دفع علماء «الكتاب المقدس» إلى الاعتراف صراحة بعدم إمكانية فهم كثير من النصوص.

فبعد أن تلقىٰ موسى الرسالة في سيناء «أخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع إلىٰ أرض مصر. وأخذ موسىٰ عصا الله في يده.. وحدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله. فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها، ومست رجليه. فقالت: إنك عريس دم لي. فانفك عنه. حينئذ قالت: عريس دم من أجل الختان- خروج ٤: ٢٤-٢٦».

وفي هٰذا يقول المفسرون تعليقًا علىٰ هٰذِه الرواية: «إنها رواية غامضة بسبب اقتضابها، وعدم وجود أي سياق في الكلام.

لا يسمىٰ موسىٰ: ولا نعلم إلىٰ من تعود الضمائر. يجوز التكهن والقول بأن: قلف موسىٰ -باعتباره لم يكن قد ختن- يجلب عليه غضب الله، وأن هٰذا الغضب سكن حين ختنت صفورة ابنها وتظاهرت بختن موسىٰ فلمست عورته بقلفة الولد».

فكأن ٱمرأة موسىٰ خدعت رب موسىٰ بتلك الحيلة!

وإذا كان الحديث في الرواية السابقة قد ذكر ابنا واحدًا لموسىٰ يدعىٰ جرشوم، فقد جاء ذكر ابن آخر له يدعى اليعازر (خروج ١٨: ٤) وذلك عند الحديث عن مجيء «يثرون حمىٰ موسىٰ وابناه وامرأته إلى البرية حيث كان نازلًا عند جبل الله (بعد الخروج ببني إسرائيل من مصر)- خروج ١٨: ٥».

وفي برية سيناء- بعد الخروج من مصر- تزوج موسىٰ من ٱمرأة كوشية وعمره آنذاك نحو ٩٠ عامًا، فانتقده بسببها أقرب الناس إليه وهما: هارون أخوه، ومريم أخته. وهنا تدخل الله؛ ليدافع عن موسىٰ ويعاقبهما لولا شفاعة موسىٰ.

وفي هٰذا تقول التوراة: «تكلمت مريم وهارون علىٰ موسىٰ بسبب المرأة الكوشية (الحبشية) التي ٱتخذها؛ لأنه كان قد ٱتخذ ٱمرأة كوشية. فقالا: هل كلم الرب موسىٰ وحده؟! ألم يكلمنا أيضًا؟! فسمع الرب. وأما الرجل موسىٰ فكان حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس الذين علىٰ وجه الأرض.

فقال الرب حالًا لموسىٰ وهارون ومريم: ٱخرجوا أنتم الثلاثة إلىٰ خيمة الٱجتماع.

فخرجوا هم الثلاثة. فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما.

فقال: ٱسمعا كلامي. وإن كان منكم نبي فبالرؤيا أستعلن له، في الحلم أكلمه. وأما عبدي موسىٰ فليس هكذا، بل هو أمين في كل بيتي.

فما إلىٰ فم، وعيانا أتكلم معه، لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين. فلماذا لا تخشيان أن تتكلما علىٰ عبدي موسىٰ.

فحمىٰ غضب الرب عليهما، ومضىٰ.

فلما ٱرتفعت السحابة عن الخيمة، إذا مريم برصاء كالثلج.

فالتفت هارون إلىٰ مريم وإذا هي برصاء.

فقال هارون لموسىٰ: أسألك يا سيدي لا تجعل علينا الخطية التي حمقنا وأخطأنا بها. فلا تكن كالميت الذي يكون عند خروجه من رحم أمه قد أكل نصف لحمه. فصرخ موسىٰ إلى الرب قائلًا: اللهم ٱشفها.

فقال الرب لموسىٰ: ولو بصق أبوها بصقًا في وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام خارج المحلة وبعد ذلك ترجع.

فحجزت مريم خارج المحلة سبعة أيام» «سفر العدد ١٢: ١-١٥».

ذلك بعض ما كان من أمر موسىٰ ذي الزوجتين: المدينية والحبشية.

وأما عن أخبار نساء جدعون فتقول الأسفار: «كان لجدعون سبعون ولدًا خارجون من صلبه؛ لأنه كانت له نساء كثيرات. وسريته التي في شكيم ولدت له هي أيضًا ابنا فسماه أبيمالك» «قضاة ٨: ٣٠-٣١».

وفي ٱستقراء لعدد نساء جدعون بمعلومية أولاده، نقول: أنجب إبراهيم ١٣ ولدًا من ٤ نساء، هن: هاجر، وسارة، وقطورة، وحجور. فيكون المتوسط التقريبي= ٣ أولاد لكل ٱمرأة.

كذلك: أنجب يعقوب ١٢ ولدًا من ٤ نساء.

فيكون المتوسط= ٣ أولاد لكل ٱمرأة.

ولما كان جدعون قد أنجب ٧٠ ولدًا: إذن، يكون عدد نساء جدعون لا يقل عن ٢٣ ٱمرأة، وهو ما يتفق والنص الذي يقول: «كانت له نساء كثيرات».

وأما نساء داود عليه السلام فهي ميكال ابنة شاول: ٱرتفع نجم داود بعد أن قتل جالوت (جليات الفلسطيني) «فجعله شاول علىٰ رجال الحرب،

وحسن في أعين جميع الشعب، وفي أعين عبيد شاول أيضًا. فلما رأىٰ شاول أنه مفلح جدًا ففزع منه» لقد خاف شاول أن ينتزع داود المملكة منه، فتربص به، وأخيرًا ٱهتدىٰ إلىٰ حيلة ماكرة وهي أن يزوجه ابنته بمهر هو ١٠٠ غلفة من الفلسطينيين. فيكون علىٰ داود أن يحارب الفلسطينيين ويقتل منهم ١٠٠ رجل على الأقل ثم يقطع غلفة كل منهم- أي: غلاف مقدمة عضو الذكورة- ويأتي بها مهرًا.

وهناك يتعرض داود لخطر محقق، فقد يقضي عليه الفلسطينيون.

وبذلك يتخلص منه شاول بسهولة: «وميكال ابنة شاول أحبت داود، فأخبروا شاول، فحسن الأمر في عينيه. وقال شاول: أعطيه إياها، فتكون له شركًا وتكون يد الفلسطينيين عليه..

فقال شاول: هكذا تقولون لداود. ليست مسرة الملك بالمهر، بل بمائة غلفة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك.

قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مائتي رجل وأتىٰ داود بغلفهم (٢٠٠ غلفة) فأكملوها للملك لمصاهرة الملك. فأعطاه شاول ميكال ابنته ٱمرأة- صموئيل الأول ١٨ : ٢٠-٢٧».

ولما ساءت الأمور بين شاول وداود، لم يلبث شاول أن فسخ زواج ابنته من داود وزوجها لشخص آخر: «أعطىٰ شاول ميكال ابنته، ٱمرأة داود، لفلطىٰ بن لابش الذي من جليم- صموئيل الأول ٢٥: ٤٤».

وكان بعد مقتل شاول أن ٱستعاد داود زوجته ميكال ثانية. فحين ٱنقلب أبنير رئيس جيش شاول على ابنه إيشبوشث الذي نصبه ملكًا خلفًا لأبيه بسبب إحدىٰ سراري شاول «أرسل أبنير من فوره رسلًا إلىٰ داود قائلًا: لمن هي الأرض؟ يقولون: ٱقطع عهدك معي. وهو ذا يدي معك لرد جميع إسرائيل إليك.

فقال (داود): حسنًا. أنا أقطع معك عهدًا، إلا أني أطلب منك أمرًا واحدًا وهو ألا ترىٰ وجهي ما لم تأت أولًا بميكال بنت شاول حين تأتي لترىٰ وجهي. وأرسل داود رسلًا إلىٰ إيشبوشث بن شاول يقول: أعطني ٱمرأتي ميكال التي خطبتها لنفسي بمائة غلفة من الفلسطينيين فأخذها إيشبوشث وأخذها من عند رجلها، من فلطيئيل بن لايش. وكان رجلها يسير معها ويبكي وراءها- [صموئيل الثاني ٣: ١٢-١٦].

أبيجايل ٱمرأة نابال الكرملي: عمل داود فترة قاطع طريق يفرض إتاوة على الناس حوله ويرعبهم بعصابته ذات الست مائة مقاتل. وحين كان نابال الكرملي يجز غنمه أرسل داود يطلب منه دفع الإتاوة، لكن الرجل رفض فما كان من داود إلا أن خرج إليه في عصابته يريد قتله وكل بيته. ولم يوقف هٰذِه المجزرة إلا تدخل ٱمرأته أبيجايل. وبعد عشرة أيام مات نابال فلم يلبث داود أن أخذها زوجة له. وفي هٰذا تقول الأسفار: «كان رجل في معون وأملاكه في الكرمل وكان الرجل عظيمًا جدًا، واسم الرجل نابال واسم ٱمرأته أبيجايل. وكانت المرأة جيدة الفهم وجميلة الصورة، سمع داود في البرية أن نابال يجز غنمه فأرسل داود عشرة غلمان وقال: قولوا لنابال: حين كان رعاتك معنا لم نؤذهم ولم يفقد لهم شيء كل الأيام التي كانوا فيها في الكرمل، فأعط ما وجدته يدك لعبيدك ولابنك داود، فأجاب نابال عبيد داود وقال: من هو داود؟ آآخذ خبزي ومائي وذبيحي الذي ذبحت لجازي وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم؟!

فقال داود لرجاله: ليتقلد كل واحد منكم سيفه، وتقلد داود أيضًا سيفه. وصعد وراء داود نحو أربع مئة رجل ومكث مئتان مع الأمتعة.

فبادرت أبيجايل وأخذت مائتي رغيف خبز وزقي خمر وخمسة

خرفان، ووضعتها على الحمير، وإذا بداود ورجاله منحدرون لاستقبالها فصادفتهم.

وقال داود: إنما باطلًا حفظت كل ما لهٰذا في البرية فلم يفقد من كل ماله شيء، فكافأني شرًا بدل خير. هكذا يصنع الله لأعداء داود، وهكذا يزيد أن أبقيت من كل ما له إلىٰ ضوء الصباح بائلًا بحائط.

ولما رأت أبيجايل داود أسرعت ونزلت عن الحمار وسقطت أمام داود علىٰ وجهها وسجدت إلى الأرض وسقطت علىٰ رجليه وقالت: علي أنا يا سيدي هٰذا الذنب، والآن هٰذِه البركة التي أتت بها جاريتك إلىٰ سيدي فلتعط للغلمان السائرين وراء سيدي.

فقال داود لأبيجايل: مبارك الرب إلٰه إسرائيل الذي أرسلك هٰذا اليوم؛ لأنك منعتني من إتيان الدماء وانتقام يدي لنفسي.

وبعد نحو عشرة أيام ضرب الرب نابال فمات. فلما سمع داود أن نابال مات، أرسل داود وتكلم مع أبيجايل؛ ليتخذها له ٱمرأة.

فقامت أبيجايل، وسارت وراء رسل داود وصارت له ٱمرأة- [صموئيل الأول ٢٥: ٢-٤٢].

أخينوعم اليزرعيلية: «ثم أخذ داود أخينوعم من يزرعيل، فكانتا - هي وأبيجايل ٱمرأة نابال الكرملي- له كلتاهما ٱمرأتين- [صموئيل الأول ٢٥: ٤٣].

وكان ذلك قبل أن يستعيد داود ٱمرأته السابقة ميكال بنت شاول بعد مقتل أبيها.

هٰذا، وقد «سبيت ٱمرأتا داود: أخينوعم اليزرعيلية، وأبيجايل ٱمرأة نابال الكرمليٰ» في غارة للعماليق، لكن داود ضربهم «واستخلص كل ما أخذه عماليق وأنقذ داود ٱمرأتيه- [صموئيل الأول ٣٠: ٥، ١٨].

ولم يكن لميكال بنت شاول ولد إلىٰ يوم موتها «صموئيل الثاني ٦ : ٢٣».

بعد ذلك بويع داود ملكًا علىٰ كل إسرائيل فانتقل من حبرون إلىٰ أورشليم وبدأ ملكه في الأستقرار، وهناك كانت له مع النساء صولات وجولات. وقد أستمر يضيف إلىٰ قائمة نسائه الكثير حتىٰ آخر أيام حياته.

«جاء جميع أسباط إسرائيل إلىٰ داود إلىٰ حبرون، ومسحوا داود ملكًا علىٰ إسرائيل.

كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك، وملك أربعين سنة. في حبرون ملك علىٰ يهوذا سبع سنين وستة أشهر، وفي أورشليم ملك ثلاثًا وثلاثين سنة علىٰ جميع إسرائيل ويهوذا، وذهب الملك ورجاله إلىٰ أورشليم، وكان داود يتزايد متعظمًا، والرب إلٰه الجنود معه- [صموئيل الثاني ٥ : ١-١٠].

بثشبع أمرأة أوريا الحثىٰ: «كان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشىٰ علىٰ سطح بيت الملك فرأىٰ من على السطح أمرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جدًا. فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد: أليست هٰذِه بثشبع أمرأة أوريا الحثىٰ أحد جنوده.

فأرسل داود رسلا وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها، وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلىٰ بيتها، وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حبلي.

فأرسل داود إلىٰ يوآب -قائد الجيش- يقول: أرسل إلي أوريا، فأتىٰ أوريا إليه، وقال داود لأوريا: أنزل إلىٰ بيتك واغسل رجليك لعله يضطجع مع أمرأته فتضيع معالم جريمة الزنا ويعتبر الحمل أوريا نفسه فخرج أوريا من بيت الملك، ولم ينزل إلىٰ بيته فأخبروا داود، فقال

لأوريا: أما جئت من السفر، فلماذا لم تنزل إلىٰ بيتك؟ فقال أوريا لداود -بشهامة الرجال-: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون علىٰ وجه الصحراء، وأنا آتي إلىٰ بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هٰذا الأمر.

ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء، وإلىٰ بيته لم ينزل.

وهنا لم يجد داود بدا من التآمر عليه بقتله في الحرب، وفي الصباح كتب داود مكتوبًا إلىٰ يوآب وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت.

وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه، ومات أوريا الحثي.

فأرسل يوآب وأخبر داود، فقال داود للرسول: هكذا تقول ليوآب: لا يسوء في عينيك هٰذا الأمر؛ لأن السيف يأكل هٰذا وذاك.

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها، ندبت بعلها ولما مضت المناحة، أرسل داود وضمها إلىٰ بيته وصارت له امرأة، وولدت له ابنا. وأما الأمر الذي فعله داود، فقبح في عيني الرب [صموئيل الثاني ١١: ١-٢٧].

وكانت هٰذِه الزوجة هي التي أنجب منها داود- فيما بعد سليمان الحكيم!

ولا شك في أن هٰذا الرواية تتنافىٰ مع عظمة الأنبياء التي يحرص الإسلام علىٰ إثباتها لهم.

وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ داود ﷺ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[1].

سراري داود ونسائه في أورشليم: «علم داود أن الرب قد أثبته ملكًا علىٰ إسرائيل، وأنه قد رفع ملكه من أجل شعبه إسرائيل.

وأخذ داود أيضًا سراري ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون فولد أيضًا لداود بنون وبنات- [صموئيل الثاني ٥: ١٢-١٣].

ويمكن ٱستقراء عدد نساء داود في أورشليم كالآتي:

ملك داود في حبرون علىٰ سبط يهوذا مدة نحو سبع سنين كانت معه ست زوجات، أي بمعدل متوسط نحو زوجة جديدة كل سنة.

ولما ٱنتقل داود إلىٰ أورشليم ملكًا علىٰ كل إسرائيل، كان عمره نحو سبعة وثلاثين سنة، وقد بدأت المملكة تستقر «وأراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه»- [صموئيل الثاني ٧: ١] فمن المتوقع أن يستمر معدل إضافة الزوجات الجدد كما كان سلفًا، أي زوجة جديدة كل سنة. وإذا أخذنا عامل السن في الاعتبار، فإننا نستطيع تقسيم مدة حياته في أورشليم- التي بلغت ثلاثًا وثلاثين سنة- إلىٰ ثلاث فترات تبلغ كل منها إحدىٰ عشرة سنة، ويكون المعدل المقبول لكل من هٰذِه الفترات هو إضافة زوجة جديدة كل سنة للفترة الأولىٰ، وإضافة زوجة جديدة كل سنتين للفترة الثانية، وإضافة زوجة جديدة كل ثلاث سنوات للفترة الثالثة والأخيرة.

وبذلك يكون عدد زوجات داود الجدد اللائي أخذهن في أورشليم ٢٠ زوجة على الأقل.

كذلك يمكن ٱستقراء عدد السراري اللائي كن في حضن داود في

---

(١) ص: ٢٠ .

أورشليم كالآتي:

في الثورة التي قادها أبشالوم من حبرون ضد أبيه داود: «كان الشعب لا يزال يتزايد مع أبشالوم، فقال داود لجميع عبيده الذين معه في أورشليم: قوموا بنا نهرب؛ لأنه ليس لنا نجاة من وجه أبشالوم أسرعوا للذهاب؛ لئلا يبادر ويدركنا وينزل بنا الشر ويضرب المدينة -أورشليم- بحد السيف، فقال عبيد الملك للملك: حسب كل ما يختاره سيدنا الملك نحن عبيده.

فخرج الملك وجميع بيته وراءه. وترك الملك عشر نساء سراري لحفظ البيت [صموئيل الثاني ١٥: ١٢-١٦].

لقد كانت أورشليم عاصمة مملكة داود علىٰ وشك الأجتياح بقوات أبشالوم الضخمة التي قيل فيها: «إن قلوب رجال إسرائيل صارت وراء أبشالوم»، ومن ثم كان علىٰ داود ألا يبقي لحفظ بيته إلا أقل القليل من النساء، باعتبار أن أسرهن بيد الثوار صار مؤكدًا، وإذا قدرنا أن ذلك العدد من نساء حفظ البيت لا يتجاوز ربع سراري داود، كان معنىٰ ذلك أن مجموع سراري داود لا يقل عن ٤٠ سرية.

وجدير بالذكر أن السراري العشر اللائي تركهن داود في أورشليم لحفظ بيته، قد وقعن في أسر أبشالوم والثائرين معه، كما كان متوقعًا.

وهناك أشار حكيم إسرائيل علىٰ أبشالوم أن يزني بسراري أبيه إغاظة فيه، وقطعًا لكل صلة طيبة معه.

«قال أبشالوم لأخيتوفل: أعطوا مشورة ماذا نفعل؟ فقال أخيتوفل لأبشالوم: ٱدخل إلىٰ سراري أبيك اللواتي تركهن لحفظ البيت، فيسمع كل إسرائيل أنك قد صرت مكروهًا من أبيك، فتتشدد أيدي جميع الذين معك.

فنصبوا لأبشالوم الخيمة علىٰ السطح ودخل أبشالوم إلىٰ سراري أبيه

أمام جميع إسرائيل.

وكانت مشورة أخيتوفل التي كان يشير بها في تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله. هكذا كل مشورة أخيتوفل علىٰ داود وعلىٰ أبشالوم جميعًا- [صموئيل الثاني ١٦: ٢٠-٢٣].

هٰذا وبعد مقتل أبشالوم وانتهاء ثورته ضد أبيه، «جاء داود إلىٰ بيته في أورشليم وأخذ الملك النساء السراري العشر اللواتي تركهن لحفظ البيت وجعلهن تحت حجز، وكان يعولهن، ولٰكن لم يدخل إليهن، بل كن محبوسات إلىٰ يوم موتهن في عيشة العزوبة [صموئيل الثاني ٢٠: ٣].

إبيشج الشونمية: «شاخ الملك داود. تقدم في الأيام. وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ.

فقال له عبيده: ليفتشوا لسيدنا الملك علىٰ فتاة عذراء فلتقف أمام الملك، ولتكن له حاضنة، ولتضطجع في حضنك فيدفأ سيدنا الملك.

فتشوا علىٰ فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل، فوجدوا أبيشج الشونمية، فجاءوا بها إلىٰ الملك.

وكانت الفتاة جميلة جدًا، فكانت حاضنة الملك، وكانت تخدمه، ولٰكن الملك لم يعرفها [الملوك الأول ١: ١-٤].

مما سبق جميعه نخلص إلى الآتي:

- كان لداود ٩ زوجات ينمن في حضنه، وأنجب من أغلبهن ذرية، وقد ذكرت أسماؤهن في الأسفار وهن:

ميكال ابنة شاول، وأبيجايل ٱمرأة نابال الكرملي، وأخينوعم اليزرعيلية، ومعكة بنت تلماىٰ ملك جشور، وحجيث، وأبيطال، وعجلة، وبثشبع ٱمرأة أوريا الحثي، وأبيشج الشونمية.

وإذا كانت الأسفار قد قالت عن أبيشج أن داود لم يعرفها، أي: لم يعاشرها معاشرة الأزواج، فما ذلك إلا لأنه قد: «شاخ داود وشع أيامًا [أخبار الأيام الأول ٢٣: ١]، أما هي فقد كانت حاضنته، يداعبها وتداعبه.

- كان لداود زوجات أخريات من أورشليم صمتت الأسفار عن ذكرهن وقدر عددهن بنحو ٢٠ زوجة.

- كان لداود سراري لا يقل عددهن عن ٤٠ سرية.

وبذلك يكون لداود ٢٩ زوجة، و٤٠ سرية، أي: ٦٩ امرأة.

وهذا تقدير معقول يعضده قول الرب لناثان النبي الذي أرسله لداود؛ لكي يضرب له مثلًا يبين حجم جريمته، إذا قال له: «كان رجلان في مدينة واحدة، واحد منهما غني والآخر فقير، وكان للغني غنم وبقر كثيرة جدًا، وأما الفقير فلم تكن له شيء إلا نعجة واحدة صغيرة- [صموئيل الثاني ١٢: ١-٢].

لقد كان لداود- إذن- نساء كثيرة جدًا

بل إن حساب ٦٩ امرأة لداود يعتبر رقمًا متواضعًا إذا قورن بما كان عليه الحال في زمنه وأسرته.

فقد كان لابنه سليمان زوجات وسراري بالمئات، كما كان لحفيده - رحبعام بن سليمان- زوجات وسراري بالعشرات، وفي هذا الأخير تقول الأسفار: «أحب رحبعام معكة بنت أبشالوم أكثر من جميع نسائه وسراريه؛ لأنه اتخذ ثماني عشرة امرأة، وستين سرية، وولد ثمانية وعشرين ابنًا، وستين ابنة- [أخبار الأيام الثاني ١١: ٢١].

وأما عن نساء سليمان:

فيقول كتبة الأسفار: «أحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت

فرعون: موآبيات، وعمونيات، وأودميات، وصيدونيات، وحثيات. ومن الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم؛ لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهٰؤلاء بالمحبة.

وكانت له سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه.

وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرىٰ ولم يكن قلبه كاملًا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه.

فذهب سليمان وراء عشتورث إلاهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تمامًا كداود أبيه. حينئذ بني سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين، ولمولك رجس بني عمون وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن.

فغضب الرب علىٰ سليمان؛ لأن قلبه مال عن الرب إلٰه إسرائيل الذي تراءىٰ له مرتين وأوصاه في هٰذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرىٰ.

فلم يحفظ ما أوصىٰ به الرب- [الملوك الأول ١١: ١-١٠].

لقد جعل كتبة الأسفار سليمان كافرًا في «زمان شيخوخته»- والعياذ بالله- ولم يكن العيب في تعدد نسائه اللاتي بلغن ١٠٠٠ ٱمرأة، إنما كان العيب ومكمن الخطر هو في ٱختياره إياهن من الوثنيات اللاتي لا تعرفن الإله الواحد الحق رب إسرائيل.

وجدير بالذكر أن القرآن قد برأ سليمان من تلك التهمة الظالمة الخطيرة التي ألحقها كتبة الأسفار به، واعتبرها حديث شياطين، فقال:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾[١].

وأما نساء هوشع فتذكر كتبهم ما يلي:

«أول ما كلم الرب هوشع، قال الرب لهوشع: اذهب خذ لنفسك امرأة زنىٰ وأولاد زنىٰ، لأن الأرض قد زنت تاركة الرب.

فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم، فحبلت وولدت ابنا. فقال له الرب: ادع اسمه يزرعيل..

ثم حبلت أيضًا وولدت بنتًا، فقال له: ادع اسمها لورحامة، لأني لا أعود أرحم بيت إسرائيل أيضًا، بل أنزعهم نزعًا..

ثم فطمت لورحامة وحبلت فولدت ابنا، فقال: ادع اسمه لوعمىٰ؛ لأنكم لستم شعبي وأنا لا أكون لكم- [هوشع ١: ٢-٩].

بعد ذلك يقول هوشع وحيًا من الله: «قال الرب لي: اذهب أيضًا أحبب امرأة حبيبة صاحب وزانية، كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلىٰ آلهة أخرىٰ ومحبون لأقراص الزبيب.

فاشتريتها لنفسي بخمسة عشرة شاقل فضة وبحومر ولثك شعير. وقلت لها: تقعدين أيامًا كثيرة لا تزني ولا تكوني لرجل، وأنا كذلك لك- [هوشع ٣: ١-٣].

لقد نقض هوشع- أو بالأحرىٰ كتبة الأسفار الذين نسبوا هٰذه الفواحش إليه- تعاليم التوراة التي تحرم على الكاهن الزواج من الزانية، بل ومن الأرملة والمطلقة، فمن باب أولىٰ أن يحرم ذلك علىٰ كل نبي يدعىٰ أنه يتلقىٰ وحي الله.

---

(١) البقرة: ١٠٢ .

فقد «قال الرب لموسىٰ: كلم الكهنة بني هارون وقل له: أمرأة زانية أو مدنسة لا يأخذوا ولا يأخذوا أمرأة مطلقة من زوجها، والكاهن الأعظم هٰذا يأخذ أمرأة عذراء، أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية فمن هٰؤلاء لا يأخذ- [لاويين ٢١: ١-١٤].

وحقًا يقول القرآن لهٰؤلاء المفترين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

لقد كان هٰذا هو خبر هوشع النبي صاحب الزوجتين الزانيتين! اهـ.

يقول الدكتور/ مصطفى السباعي[2] رحمه الله:

«حين كنت في دبلن (أيرلندا) عام (١٩٥٦) زرت مؤسسة الآباء اليسوعيين فيها، وجرىٰ حديث طويل بيني وبين الأب المدير لها، وكان مما قلته له: لماذا تحملون على الإسلام ونبيه وبخاصة في كتبكم المدرسية بما لا يصلح أن يقال في مثل هٰذا العصر، الذي تعارفت فيه الشعوب والتقت الثقافات؟!

فأجابني: نحن الغربيين لا نستطيع أن نحترم رجلًا تزوج تسع نساء!

قلت له: هل تحترمون نبي الله داود، ونبيه سليمان؟.

قال: نعم! وهما عندنا من أنبياء التوراة!

قلت: إن النبي داود كان له تسع وتسعون زوجة أكملن بمائة بالزواج من زوجة قائده أوريا. كما هو معلوم، ونبي الله سليمان كانت له - كما جاء في التوراة - سبعمائة زوجة من الحرائر، وثلاثمائة من الجواري، وكن أجمل أهل زمانهن، فلِمَ يستحق أحترامكم من تزوج ألف أمرأة، ولا يستحق من يتزوج تسعًا؟ ثمان منهن ثيبات وبعضهن عجائز، والتاسعة:

---

(١) الأعراف: ٢٨ .

(٢) «المرأة بين الفقه والقانون» ص٦٦ .

هي الفتاة البكر الوحيدة التي تزوجها طيلة عمره.

فسكت قليلًا وقال: لقد أخطأت التعبير، أنا أقصد أننا نحن الغربيين لا نستسيغ الزواج بأكثر من امرأة، ويبدو لنا أن من يعدد الزوجات غريب الأطوار، أو عارم الشهوة! .

قلت: فما تقولون في داود وسليمان -عليهما السلام- وبقية أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا جميعًا معددين للزوجات بدءًا من جدهم إبراهيم ﷺ.

فسكت ولم يُحرْ جوابًا..».

الوجه الثاني:

زواج الرسول ﷺ بأكثر من واحدة كان في المدينة وفي سن الكهولة، فمن المعلوم تاريخيًا أن الرسول ﷺلم يتزوج بعد وفاة السيدة خديجة -رضي الله عنها- إلا سودة بنت زمعة إلىٰ أن هاجر إلى المدينة، ولم يعدد إلا بعد أن ولدت الدولة الإسلامية، وقامت علىٰ أرجلها قوية متينة، وكان لهٰذا التعدد أغراض إصلاحية وتشريعية سنذكرها في حينها.

ومن الثابت تاريخيًا كذلك أن الرسول ﷺ تزوج بالسيدة خديجة وهو شاب ابن خمس وعشرين سنة، وكانت هي ثيبًا بنت أربعين سنة، فعاشت معه خمس عشرة سنة قبل البعثة، وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان عمرها يومئذ خمسًا وستين سنة.

فهل من المعقول أن نحكم علىٰ إنسان أنه شهواني وقد قضىٰ زهرة شبابه، وعنفوان رجولته بزواجه من امرأة تزيد علىٰ عمره خمسة عشر عامًا؟ إذن لماذا يسدد أعداء الإسلام سهام طعنهم لرسول الإسلام وهم يعلمون الحقيقة بأجلىٰ معانيها .

إنهم يحرفون الكلم عن مواضعه؛ ليشفوا حقدهم القديم، وعداوتهم اللئيمة!! فإذا عدَّد بعد أن جاوز الخمسين، ودرج في سن الكهولة لحِكم

آجتماعية، وأغراض تشريعية، أيكون قد أتىٰ بشيء عظيم؟

ثمَّ مَن اللواتي تزوجهن، ألسْنَ أيامىٰ وثيبات؟ ألسْنَ عجائز وفقيرات؟ إذا كان الأمر كذلك، فلم هٰذِه الإثارة والضجة؟ وَلِمَ هٰذا الطعن والاتهام؟ أما يدل هٰذا على التعصب الأعمىٰ، والحقد الدفين؟

فيا ليتهم يتكلمون حين يتهمون بلسان الحق والمنطق ! .

ويا ليتهم حين يتقولون يزنون الأمور بميزان العقل السليم والمنهج العلمي الصحيح ! .

ومع كل هٰذا لابد أن يوجد من غير المسلمين عقلاء منصفون تجردوا من مؤثرات العصبية والهوىٰ، فتكلموا بلسان المنطق والحق، وكشفوا عن وجه الحقيقة في تعداد أزواجه عليه الصلاة والسلام . ومن هٰؤلاء «توماس كار ليل» الذي يقول في هٰذا المقام: «ما كان محمد أخا شهوات ، برغم ما أتهم به ظلمًا وعدوانًا ، وأشدَّ ما نجور ونخطئ إذا حسبناه رجلًا شهوانيًا ، لا هم له إلا قضاء مآربه من الملاذ . كلا، فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أيًا كانت[1]...».

الوجه الثالث:

أننا لو ألقينا نظرة علىٰ من تزوج بهن ﷺ لوجدنا أن لكل زواج ظروفه. إما ليئوي أرملة، أو ليجبر قلبًا تحطم بقتل ذويه، وإما ليتألف قلوب أهلهن، وقد تزوج بزينب رضىٰ الله عنها؛ لإبطال عادة التبني، ثم إن النساء اللاتي تزوج بهن كلهن ثيبات عدا عائشة، رضي الله عنهن.

---

(١) «تعدد الزوجات في الإسلام» ص ٥٦-٥٨.

الوجه الرابع:

يكفي أن نعلم أنَّ نصف المجتمع نساء وأنهن بحاجة إلى الثقافة والتعليم كالرجال سواء بسواء، وأن واحدة أو اثنتين أو ثلاثة لا يمكن أن يقمن بدورهن في إرشاد النساء، وتعليم البنات في المجتمع الإسلامي الجديد؛ إذن فالأمر يتطلب أن يقوم بعض نسوة في أداء رسالتهن كمرشدات ومعلمات، حتىٰ يتعلم النساء كل ما ينفعهن في أمر دينهن ودنياهن، ولاسيما في الأمور التي يستحيين أن يسألن عنها رسول الله ﷺكأحكام الزوجية، ومسائل الحيض والنفاس، وقضايا الجنابة والطهارة وغيرها.

ومن الشواهد علىٰ هٰذا: ما روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: أن امرأة من الأنصار سألت النبي ﷺعن غسلها من المحيض، فأمرها أن تغتسل؟ ثم قال: «خذي فرصة من مسك، فتطهري بها» قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: «تطهري بها» قالت: كيف؟ قال: «سبحان الله تطهري» قالت عائشة: فاجتذبتُها إلي، : فقلت: «تتبعي بها أثر الدم»[1].

فالرسول ﷺ استحيىٰ بأن يصرح لها بوضع القطنة المطيبة بالمسك في المكان الذي كان يخرج منه الدم إتمامًا للطهارة، فأخذتها عائشة وأفهمتها المراد.

والشواهد علىٰ ذلك كثيرة، وليس أمر التعليم منوطًا في أمور الحيض والطهارة فقط كما يفهم البعض، وإنما كان يشمل كل ما يرفع من مستوى المرأة من ناحية العبادة والمعاملة والأخلاق، فكان نساء النبي ﷺخير مبلغ عن رسول الله في حياته، وخير مرجع في الاستفتاء ورواية الحديث بعد وفاته.

---

(١) صحيح تقدم تخريجه.

ومن ذا الذي يقول: إن زوجًا واحدة كانت تقوم بهٰذا العبء والواجب وحدها؟ ومَنْ ذا الذي ينكر هٰذِه الحقيقة بعد أن ظهر الحق، وبان الدليل[(١)]!

الوجه الخامس:

لقد أدرك بعض المنصفين من أهل الغرب حقيقة تعدد زواج النبي ﷺ، وأهدافه السامية، فاعترفوا بطهارته ودافعوا عنه فيما اُتهم به في هٰذا الصدد ظلمًا وعدوانًا، وأشادوا بنظام تعدد الزوجات في الإسلام.

قال السير «ميور» (Sir William Muir) في كتابه «حياة محمد»:

«إن جميع المراجع التي بين أيدينا متفقة في وصف «محمد» في شبابه بأنه كان محتشمًا في سلوكه، طاهرًا في آدابه النادرة بين أهل عصره».

تقول لورافيشيا فاغليرى[(٢)]:

إن محمدًا طوال سنين الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوىٰ ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كمجتمع العرب، حيث كان الزواج كمؤسسة اجتماعية، مفقودًا أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلًا إلىٰ أبعد الحدود، لم يتزوج إلا من اُمرأة واحدة ليس غير، وهي خديجة التي كانت سنها أعلىٰ من سنه بكثير، وأنه ظل طوال خمس وعشرين سنة زوجها المخلص المحب، ولم يتزوج مرة ثانية، وأكثر من مرة إلا بعد أن توفيت خديجة، وإلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره. لقد كان لكل زواج من زوجاته هٰذِه

---

(١) «تعدد الزوجات في الإسلام» ص٥٨-٦٠.

(٢) «دفاع عن الإسلام» ص٩٩-١٠٠ نقلًا من كتاب: «قالوا عن الإسلام» ص١٢٠.

سبب ٱجتماعي أو سياسي، ذلك بأنه قصد من خلال النسوة اللاتي تزوجهن إلىٰ تكريم النسوة المتصفات بالتقوىٰ، أو إلىٰ إنشاء علاقات زوجية مع بعض العشائر والقبائل الأخرى ٱبتغاء شق طريق جديد لانتشار الإسلام، وباستثناء عائشة ليس غير، تزوج محمد من نسوة لم يكن إلا عذارىٰ، لا شابات، ولا جميلات، فهل كان ذلك شهوانية؟! لقد كان رجلًا لا إلهًا. وقد تكون الرغبة في الولد هي التي دفعته أيضًا إلى الزواج من جديد؛ لأن الأولاد الذين أنجبتهم خديجة له كانوا قد ماتوا. ومن غير أن تكون له موارد كثيرة أخذ علىٰ عاتقة النهوض بأعباء أسرة ضخمة، ولكنه التزم دائمًا سبيل المساواة الكاملة نحوهن جميعًا ولم يلجأ قط إلى ٱصطناع حق التفارق مع أي منهن لقد تصرف متأسيًا بسنة الأنبياء القدامىٰ، مثل موسىٰ وغيره الذين لا يبدو أن أحدًا من الناس يعترض علىٰ زواجهم المتعدد فهل يكون مرد ذلك إلىٰ أننا نجهل تفاصيل حياتهم اليومية علىٰ حين تعرف كل شيء عن حياة محمد العائلية؟

يقول كلود كاهن[1]:

يبدو للمؤرخ المنصف أن محمدًا كان في عداد الشخصيات النبيلة السامية التي سعت في كثير من الحماس والإخلاص إلى النهوض بالبيئة التي عاش فيها أخلاقيًا وفكريًا، كما ٱستطاع في الوقت نفسه أن يكيف

---

(١) ولد عام ١٩٠٩، وتخرج باللغات الشرقية من السوربون ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة المعلمين العليا، وعين محاضرًا في مدرسة اللغات الشرقية في باريس ١٩٣٨، وأستاذًا لتاريخ الإسلام في كلية الآداب بجامعة سترا سبورغ ١٩٤٥، وفي جامعة باريس. ومن آثاره عدد كبير من الدراسات والأبحاث في المجلات الشهيرة، وحقق العديد من النصوص التاريخية المهمة، كما أنجز عددًا من المؤلفات عن الحروب الصليبية.

رسالته حسب طباع الناس وتقاليدهم بمزيد من الفهم والتنظيم بحيث كفل البقاء والخلود للرسالة التي بشر بها وحتم علينا أن نلقىٰ محمدًا بعواطف الإجلال والاحترام؛ لما تحلىٰ به من سمو الإلهام ومن قدرة علىٰ تذليل العقبات الإنسانية عامة والتغلب علىٰ مصاعبه الشخصية خاصة.

وربما أثارت فينا بعض جوانب حياته شيئا من الأرتباك تبعًا لعقليتنا المعاصرة، فقد أكدت المهاترات علىٰ شهوات الرسول الدنيوية وألمحت إلىٰ زوجاته التسع اللائي أتخذهن بعد وفاة خديجة. لٰكن الثابت أن معظم هٰذِه الصلات الزوجية قد طبعت بطابع سياسي، وأنها أستهدفت الحصول علىٰ ولاء بعض الأشراف[١].

ويقول لايتنر[٢]:

لما بلغ النبي السنة الخامسة والعشرين من العمر تزوج أمرأة عمرها أربعين عامًا، وهٰذِه تشابه أمرأة عمرها خمسين عامًا في أوروبا وهي أول من آمن برسالته المقدسة. وبقيت خديجة معه عشرين عامًا لم يتزوج عليها قط حتىٰ ماتت ولما بلغ من العمر خمسًا وخمسين سنة صار يتزوج الواحدة بعد الأخرىٰ. لٰكن ليس من الأستقامة والصدق أن ننسب ما لا يليق لرجل عظيم صرف كل ذاك العمر بالطهارة والعفاف فلا ريب أن لزواجه بسن الكبر أسباب حقيقية غير التي يتشدق بها كتاب النصارىٰ بهٰذا الخصوص، وما هي تلك الأسباب يا ترىٰ؟ ولا ريب هي شفقته علىٰ نساء

(١) «تاريخ العرب والشعوب الإسلامية» (١٨/١) نقلًا من كتاب: «قالوا عن الإسلام» ص١٢٦ .

(٢) باحث إنكليزىٰ، حصل علىٰ أكثر من شهادة دكتوراه في الشريعة والفلسفة واللاهوت، وزار الأستانة عام ١٨٥٤، كما طوف بعدد من البلاد الإسلامية والتقىٰ برجالاتها وعلمائها.

أصحابة الذين قتلوا[١].

يقول ول ديورانت:

لقد كان بعض زيجاته من أعمال البر والرحمة بالأرامل الفقيرات اللاتي توفي عنهن أتباعه أو أصدقاؤه، وكان بعضها زيجات سياسية كزواجه بحفصة بنت عمر الذي أراد به أن يوثق صلته بأبيها، وكزواجه من ابنة أبي سفيان؛ ليكسب بذلك صداقة عدوه القديم، وربما كان الدافع إلىٰ بعضها أمله في أن يكون له ولد.

وفي ظل الجهالة كتب فولتير مسرحية بعنوان: محمد، سب فيها النبي سبًا قبيحًا، وأهداها للبابا بندكت الرابع عشر -تولى البابوية من ١٧٤٠ إلىٰ ١٧٥٨- قائلًا:

«فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من أشد الناس إعجابًا بالفضيلة، إذا تجرأ فقدم إلىٰ رئيس الديانة ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية، وإلىٰ من غير وكيل رب السلام. والحقيقة أستطيع أن أتوجه بنقدي قسوة نبي كاذب وأغلاطه. فلتأذن لي قداستك في أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه. أجثو وأقبل قدميك القديسين» (فولتير: ١٧ أغسطس ١٧٤٥).

ثم دار الزمان دورته وفتش فولتير الكتب- كما قال المسيح- وتعلم، فغير موقفه بزاوية مدارها ١٨٠ درجة، وأعلن ذلك في كتابه «يقين أسانيد الإسلام» الذي صدر غلافه بآية من القرآن العظيم تقول: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

يقول فولتير لقرائه المسيحيين: «كيف تحقرون كتابًا يدعو إلى

(١) «دين الإسلام» ص١٢-١٣ نقلًا من كتاب: «قالوا عن الإسلام» ص١٣٤.
(٢) المرسلات: ٥٠.

الفضيلة والزكاة والرحمة؟! كتابًا يجعل الرضوان الأعلىٰ جزاء لمن يعملون الصالحات، وتتوفر فيهم الكمالات الذاتية؟! إن الذين يهاجمون القرآن لم يقرءوه قطعًا!

ويقول «القاموس الفلسفي» لفولتير- طبعة ١٨٢٢، جزء ٦، ص ٤ - مخاطبًا متعصبي الغرب ضد الإسلام:

«أكرر لكم القول: أيها الجهلة الأغبياء، الذين غرر بهم جهلة أغبياء، وأفهموكم أن عقيدة محمد عقيدة لذات وجنس، قوامها الشهوات المادية، في حين أنها أبعد ما تكون عن هٰذا الوصف، لقد خدعتم في هٰذِه الناحية كما خدعتم في نواح أخرىٰ عديدة..

أيها الأساقفة والرهبان والقسس: إذا فرض عليكم قانون يحرم تناول الطعام من الرابعة صباحًا حتى العاشرة مساء في شهر يوليو- أي في وقدة الصيف- عندما يحل الصيام في هٰذا الشهر، وإذا حرم عليكم لعب الميسر وإلا آستهدفتم للعنة الله، وإذا حرم عليكم شرب الخمور والأنبذة تحت التهديد بالجزاء نفسه، إذا فرض عليكم الحج في صحراء محرقة، إذا فرض عليكم إعطاء ٢,٥٪ من مالكم للفقراء، إذا كنتم تتمتعون بزوجات تبلغ ثماني عشرة زوجة أحيانًا، فجاء من يحذف أربعة عشر من هٰذا العدد، هل يمكنكم الإدعاء مخلصين بأن هٰذِه الشريعة شريعة لذات وجنس؟!(١)

ويقول هنري دي كاستري:

«إن الناس بالغوا كثيرًا في مضار تعدد الزوجات عند المسلمين إن

---

(١) مجلة «الهلال» عدد شعبان ١٣٩٨هـ - أغسطس ١٩٧١م، نقلًا من كتاب: «تعدد نساء الأنبياء» ص٥٢٣-٥٢٤ .

لم نقل إن ما نسبوه إليه من ذلك غير صحيح. فما تعدد الزوجات هو الذي ولد في الشرق تلك الرذائل الفاضحة، بل المعقول أنه من شأنه تلطيفها، علىٰ أنني لست أدري إن كانت تلك الرذائل أكثر منها في الغرب، بل تلك وصمة ألصقت بالإسلام بواسطة السوّاح الذين يرون أمرًا في فرد فيجعلونه عامًّا من غير تثبت فيه، ولولا هٰذا التعميم السطحي لما وجدوا شيئًا يملأون به مؤلفاتهم، والواقع أن الرذائل الفاضحة موجودة في كل أمة، ولقد يقع منها في باريس ولندن وبرلين أكثر مما يحدث في الشرق بأجمعه؛ لأن النبي [ﷺ] بالغ في تحريمها ولم يعدها من الذنوب الخفيفة».

«من الخطأ الفاضح والغلو الفادح قولهم أن عقد الزواج عند المسلمين عبارة عن عقد تباع فيه المرأة فتصير شيئًا مملوكًا لزوجها؛ لأن ذلك العقد يخول للمرأة حقوقًا أدبية وحقوقًا مادية من شأنها إعلاء منزلتها في الهيئة الاجتماعية».

«لم يقتصر القرآن في التضييق علىٰ تعدد الزوجات علىٰ عددهن، بل حرم ما كان معروفًا عند العرب قبله من الزواج لزمن محدود، وفي ذلك شبه تحريم للطلاق؛ لكونه لا يتأتىٰ إلا بشروط مخصوصة».

«إننا لو رجعنا إلىٰ زمن النبي ﷺ ومكان ظهوره لما وجدنا عملًا يفيد النساء أكثر مما أتاه -ﷺ- فهن مدينات لنبيّهن بأمور كثيرة، وفي القرآن آيات ساميات في حقوقهن وما يجب لهن على الرجال، ويرى القارئ من جميع تلك الآيات مقدار اهتمام الإسلام بمنع عوامل الفساد الناشئة عن التعشق بين المسلمين؛ لكي يجعل الأزواج والأباء في راحة ونعيم، ولقد أصبحت للمسلمين أخلاق مخصوصة، عملًا بما جاء في القرآن أو في الحديث، وتولدت في نفوسهم ملكات الحشمة والوقار، وجاء هٰذا مغايرًا لآداب الأمم المتمدنة اليوم علىٰ خط مستقيم، ومزيلًا

لما عساه كان يحدث عن ميل الشرقيين إلى الشهوات لولا هٰذِه التعاليم والفروض. والفرق بين الحشمة عند المسلم وبينها عند المسيحي كما بين السماء والأرض»(١).

ويقول لايتنر: «إن الزواج عند المسلمين يجلّ عما رماهم به كتّاب النصارىٰ، والقول بأنه لا يوجد حد للزواج والطلاق عند المسلمين فغير صحيح، والطلاق عندهم ليس هو بالأمر الهين، فعدا عن وجود المحكمين فعلى الرجل أن يدفع صداقها المسمىٰ عند إجراء العقد وهٰذا غالبًا يكون فوق ما يقدر زوجها علىٰ إيفائه بسهولة، فمركز المرأة بالإسلام قوي مؤمَّن من الطلاق. إن النصارىٰ والبوذيين يرون الزواج أمرًا روحيًا، ومع ذلك نرىٰ عقدة النكاح محترمة عند المسلمين أكثر مما هي محترمة في البلاد المسيحية، ويسوءني أن أذكر ما ليس لي مناص من ذكره، وهو أنني سكنت بين المسلمين أربعًا وخمسين عامًا ٱبتداؤها سنة ١٨٤٨م فمع وجود التساهل في أمر الطلاق عندهم وعسره عند النصارىٰ، فقد وقع حوادث طلاق عند النصارىٰ أكثر مما وقع عند المسلمين بكثير، وإني أقول: الحق بأن الشفقة والإحسان عند المسلمين نحو عيالهم والغرباء والمسنّين والعلماء لمثال مجدٍ يجب على النصارىٰ أن يقتدوا به».

«أما تعدد الزوجات.. فإنَّا بقطع النظر عن منافعه الحقيقة؛ لأنه يقلّل النساء في الأماكن التي هن فيه أكثر من الرجال، وبقطع النظر عن أنه يقلل وجود المومسات وإضرارهن، ويمنع مواليد الزنا، فلا يمكننا أن ننكر بأن أكثر المسلمين ذو زوجة واحدة، والسبب في ذلك هو تعليم دين الإسلام، لقد أتىٰ محمد ﷺ بين أمة تعد ولادة الأنثىٰ شرًا عظيمًا عليهم، وهكذا

(١) «الإسلام خواطر وسوانح» ص٥٦-٥٩ .

كانوا يئدونها، ولم يكن للرجال حد يقفون عنده من جهة الزواج، وكانوا يعدون النساء من جملة المتاع ويرثونها من بعد موت بعلها، فجعل ﷺ لهٰذِه الحالة حدًّا فلا يقدر الرجل أن يتزوج بأكثر من أربع نساء بشرط المساواة بينهن في كل شيء . . .، فإن لم يكن قادرًا علىٰ كل ذلك فلا يباح له بأن يتزوج غير واحدة ومن يتدبر شريعته يرىٰ أنه قد حضّ على الزواج بامرأة واحدة، ولقد رفع مقام المرأة ورقاها رقيًا عظيمًا، فإنها بعد ما كانت تعد كمتاع مملوك صارت مالكة، وحكمها مؤيد وحقوقها محفوظة».

«أما بخصوص الرهبانية فليس لها وجود في الإسلام، وتكاد لا ترى امرأة غير متزوجة، وقصاص الزنا متساوٍ فيه الرجل والمرأة والشريعة الإسلامية لا تسمح بإهانة أولاد المملوكة، وهم يرثون آباءهم مع أولاد السيدة، وليس في الإسلام محلات للفاجرات ولا قانون يبيح انتشار المومسات، ومسامرات المسلمين العمومية خير مما هي في أوربا، ومسامرات شبان المسلمين في المدارس خير وأطهر من مسامرات شبابنا، والحق أولىٰ أن يقال، فإن كثيرًا من كلام شبان الأنكليز لو قاله أحد في بلاد المسلمين لنال قائله القصاص الصارم. وللمرأة المسلمة مركز شرعي خير من مركز المرأة الإنكليزية بكثير»[1].

ويقول عبد الله كويليام:

«إن زعماء النصرانية أبدلوا دين المسيح -عليه السلام- بما كانت ترمي إليه أهواؤهم وأوجدوا عقائد أخرىٰ من تلقاء ذاتهم وتظاهروا في مقاومة الشهوات البشرية بالرهبنة والعزوبية واتخذوهما ستارًا للفسق ولأعمالهم

(١) «دين الإسلام ص١٠-١٥ نقلًا من كتاب: «قالوا عن الإسلام» ص٤٢٨-٤٢٩ .

التضليلية حتىٰ ضل الناس وأشركوا بالواحد القهار واتخذوا لفيفًا من هٰؤلاء القديسين والرهبان أربابًا من دون الله، فلما جاء الإسلام ٱستأصل شأفة هٰذِه الخزعبلات وقضىٰ علىٰ جميع الأباطيل والنزهات، وأقيمت الحجة الثابتة على ٱستهجان العزوبية، واعتبار الزواج كدليل للتقوى الحقيقة، وأنه من أوليات القواعد الدينية؛ إذ فيه بيان قدرة الخالق ووحدانيته وجلاله فالإسلام هو الذي حضّ على الزواج وإبطال الرهبنة..».

«أما تعدد الزوجات فإن موسىٰ عليه السلام لم يحرمها، وداود -عليه السلام- أتاها وقال بها، ولم تحرم في «العهد الجديد» -أي الإنجيل- إلّا من عهد غير بعيد، ولقد أوقف محمد ﷺ الغلوّ فيها عند حد معلوم، وعلىٰ كل حال فإن مسألة تعدد الزوجات أمر شاذ كثيرًا عن الدستور المعمول به في البلاد الإسلامية المتمدنة وهو بكل ما قيل فيه من القول الهراء لا يخلو من الفائدة، فقد ساعد علىٰ حفظ حياة المرأة وأوجد لها في الشريعة حسن المساعدة، وتعدد الزوجات في البلاد الإسلامية أقل إثمًا وأخف ضررًا من الخبائث التي ترتكبها الأمم المسيحية تحت ستار المدنية.. فلنخرج الخشبة التي في أعيننا أولًا، ومن ثم نتقدم لإخراج القذىٰ من أعين غيرنا».

«جاء في القرآن ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾[1] فيما يتعلق بمسألة تعدد الزوجات التي تنتقدون فيها على المسلمين ظلمًا وعدوانًا، إذ لا شك في أنكم تجهلون عدل النبي ﷺ بين أزواجه -رضوان الله عليهن- وحبه فيهن حبًا مساويًا مما علم المسلمين الأنتماء والإنصاف بينهن. علىٰ أن القرآن

(١) النساء: ٣ .

لم يأمر بتعدد الزوجات بل جاء بالحظر مع الوعيد لمن لا يعدل في الآية المتقدمة؛ ولذلك ترى اليوم جميع المسلمين منهم القليل لا يتزوجون إلا آمرأة واحدة خوف الوقوع تحت طائلة ما جاء من الإنذار في القرآن المجيد، وإذا سلمنا على العموم بأن عدم تعدد الزوجات أوفق للمعاشرة الدنيوية من تكررهن، فلا نسلم بالاعتراف بذلك على الوجه المتعارف اليوم بأوروبا من حصر الزواج في آمرأة واحدة؛ إذعانًا للقانون، واتخاذ عدة أزواج أخرىٰ -غير شرعيات- من وراء الجدار»[١].

يقول اللواء/ أحمد عبد الوهاب[٢]:

إن خلاصة الخلاصة في موقف الجاهلين بحقيقة الإسلام ونبيه هو ما قرره الدكتور ميجيل آيرناندث في بحثه الذي ألقاه في مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي، الذي عقد في قرطبة بأسبانيا عام ١٩٧٧م تحت عنوان: «الجذور الأجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التي كونتها المسيحية عن النبي محمد».

ولقد كان من أقواله: «لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والإهانة، ظلمًا علىٰ مدى التاريخ، مثل محمد، وأن الأفكار حول الإسلام والمسلمين ونبيهم محمد آستمرت تسودها الخرافة».

الوجه السادس:

لو تتبعنا أحوال هؤلاء الواصفين نبينا الطاهر الكريم بأنه صاحب لذات وشهوات لرأينا في حالهم الداء الذي يرمون به أشرف الخلق ﷺ فهم كما يقول الشاعر: رمتني بدائها وانسلت.

---

(١) «العقيدة الإسلامية» ص١٩ نقلًا من كتاب: «قالوا عن الإسلام» ص٤٢٦ .

(٢) «تعدد نساء الأنبياء» ص ٥٢٥.

يقول الدكتور لويس عوض في كتابه: «ثورة الفكر»: «كانت الفضائح في روما، مركز البابوية، تزكم الأنوف. الأصل في العقيدة الكاثوليكية أن رجال الدين لا يتزوجون، وأن الرهبان ومنهم الكرادلة والبابوات، ينذرون لله ثلاثة نذور يوم يدخلون باب الدير: نذر العفة، ونذر الفقر، ونذر الطاعة. وها نحن نرى البابا إسكندر السادس (١٤٣١-١٥٠٣) جهارًا نهارًا، له ثلاثة أولاد غير شرعيين هم: سيزار بورجيا درق أوربينو (١٤٧٥-١٥٠٧)، ولو كريس بورجيا (١٤٨٠-١٥١٩)، ودون كانديا.

وها نحن نرى البابوات يبيعون صكوك الغفران، وها نحن نرى البابوات يرهبون مخالفيهم بقرارات الحرمان، وها نحن نرىٰ رجال الدين من رأس الكنيسة إلىٰ أصغر كاهن يكنزون المال ويقتنون الضياع.

لقد ساءت سمعة الكنيسة في عصر سافونا رولا (١٤٥٢-١٤٩٨) حتىٰ غدا الناس يتندرون بقولهم عن قسيس: إن سمعته الطيبة تتنافىٰ مع انتسابه للكنيسة. وكان اسم رجال الدين مرادفًا للطفيلية والكسل، وكانت العامة تقلد أصوات أجراس الأديرة قائلة: داندو! داندو!، أي: هات! هات!..

وكانت خلافة البابا إينوتشنتو الثامن -الذي اعتلى الكرسي البابوي من ١٤٨٤ إلىٰ ١٤٩٢- فاقعة الفساد، كولاية خَلَفِهِ زير النساء البابا إسكندر السادس، فقد اشتهر إينوتشنتو الثامن بأنه كان رجل المحسوبية وخراب الذمة، كما أنه كان أول بابا يعترف علنًا بأبنائه غير الشرعيين، وكان دأبه توسيع أملاك أسرته.

وقد جرت كل هٰذِه الرذائل مجرى التقاليد في البلاد البابوي، حتىٰ أن تغير أسماء البابوات لم يعد يعني شيئًا، فكلهم سواسية في شهوة

السلطان والتملك والإقبال على الملذات».

ويعطي رولاند بينتون لمحة سريعة عما وصل إليه الحال، وما ٱقترح لعلاجه من مسكنات، فيقول: «يمكن للمرء أن يدرك إلىٰ أي حد كان لوثر يرفع من شأن الزواج ويجعله فوق العزوبة التي وصمها بأنها تهرب من المسئولية الأجتماعية، ولقد كان دفاعه عن الزواج في مستهل هجومه علىٰ تبتل رجال الإكليروس والرهبان شديدًا، وكان السبب في ذلك أن الممارسات التي قاومها كانت فظيعة، فلقد كانت ممارسة رجال الإكليروس للتسري مشاهدة في كل مكان، باعتباره شرعًا مقبولًا، كما كان يتغاضىٰ عن الشذوذ الجنسي، دون أدنىٰ مبالاة.

لقد ٱجتاحت هٰذِه الرذيلة الكنيسة في القرون الوسطىٰ..

وفي صراع لوثر ضد هٰذا الفساد، فإنه أكد علىٰ سماح بولس بالزواج كعلاج فقد كان يقول: إن نبضة الجنس قوية لدرجة أنه لا يقدر على العفة إلا القليل. قد يتجافىٰ بعض الناس عن الشهوة الجنسية، أما أن يكونوا أعضاء فإن هٰذا يتطلب التحرر من تسلط الجنس، ولا يقدر علىٰ ذلك إلا الذين منحوا القوة. من أجل ذلك، قد يكون الرجل المتزوج أكثر عفة من الراهب، كما أن فرض العصمة على الذين لم يمنحوا نعمة العفة، إنما هو بمثابة الحكم عليهم بجهنم، أو يتذوق عذاب المطهر. فلا يحق للبابا بعد اليوم أن يمنع ذكرًا وأنثىٰ من التزاوج إلا إذا كان يحق له منع الطعام والشراب، بل إن الزواج بامرأتين قد يسمح به أيضًا، كعلاج لاقتراف الإثم، أي كبديل عن الأتصال الجنسي غير المشروع».

رأينا ما أدت إليه تشريعات كبت الجنس وتجاهله، وكيف أسفر الواقع عن تمرد قوي علىٰ تلك التشريعات، بل وممارسة الشذوذ الجنسي بين طبقة الكهنوت، الذين يفترض فيهم أن يكونوا مثالًا يحتذىٰ. وفي

مواجهة للواقع، بدأ التفكير جديًا في الدعوة إلى الزواج بدلًا من تلك الدعاوى البالية التي كانت تنفر منه، بل وأكثر من ذلك رؤي في إباحة زواج الرجل بامرأتين حلًا مشروعًا، كعلاج لمنع السقوط في الزنا، ويعني هذا بداهة الاعتراف بنظام تعدد الزوجات كصمام أمان، يستخدم عند اللزوم للحفاظ على بنية المجتمع سليمة ومتماسكة، فتكون العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة في النور، تحت السمع والبصر، بدلًا من تلك العلاقات السرية الآثمة التي تختلط فيها الأنساب، وتضيع بسببها الحقوق والكرامات.

مدى عام واحد- ما بين منتصفي ١٩٨٧، ١٩٨٨- تفجرت في الولايات المتحدة عدة فضائح لقادة العمل التبشيري، ظلت تتردد أصداؤها عبر العالم مدة طويلة، وكشفت عن أن عالم التبشير المسيحي هناك عبارة عن إمبراطوريات ضخمة لها أباطرتها المحترفون والمحتالون.

وأنه- كما تقول مجلة الشاهد- في تحقيقها الشهري الذي اختارته عن تجارة المبشرين، إنما هو عالم من النصب والاحتيال والدجل والابتزاز والسرقات والتهديد والكذب والنفاق والجنس والخيانات الزوجية والاغتصاب والبذخ والثروات الطائلة، عالم من الفضائح أسماء كثيرة أشهر في بلادها من نجوم السينما والتليفزيون والمسرح، رجال ونساء يسيطرون على عقول عشرات الملايين من البشر، وعلى سوق مالي ضخم لا يقل حجمه عن ٢ مليار دولار سنويًا».

إن فضائح التبشير متداخلة، فكلها تنتمي إلى عالم واحد، وما إن تظهر فضيحة حتى يتلوها مسلسل من الفضائح، نعرض فيما يلي لشيء منها.

جيمي وتيمي بيكر:

اعتادت تيمي بيكر الظهور علىٰ شاشات التليفزيون بجوار زوجها جيمي- حين يقدم مواعظه للملايين- وهي ترتدي لباس البحر -المايوه- وتبرر ذلك بقولها: علينا أن نكون جذابين، واستعمال المساحيق وارتداء المايوه ليس أمرًا سيئًا!

وكالعادة، يقول جيمي لملايين البسطاء: أرسلوا لنا تبرعاتكم فسيساعدكم الله!

ويستجيب له الملايين من الناس، وتنهال عليه الملايين من الدولارات! وقد حدث في عام ١٩٨٠ أن تعرض جيمي بيكر وزوجته لأزمة عائلية خطيرة، عرضت علىٰ شاشات التليفزيون، اعترفت فيها تيمي أن الشيطان أوقعها في فخه، وأنها تتعاطى المخدرات.

ولقد دخل الشيطان بينهما مرة أخرىٰ، حين تعرف جيمي علىٰ فتاة تدعىٰ جيسيكا هاهن، فأعجب بها وراودها عن نفسها. ولما أنجزت الفضيحة، كان تعليقه الذي يكشف عن ممارساته الجنسية مع المحترفات، بقوله: أن جيسيكا تتمتع بمواهب المحترفات!

ثم تكلمت جيسيكا، فقالت: جعلني أشرب نبيذًا مملوءًا بمخدر. ثم نزع ثيابي، وأجبرني علىٰ مداعبته، فلم أتمكن من مقاومته، لقد مارسنا الحب طيلة ساعة كاملة، بعد ذلك شعرت وكأنني مثل سندوتش هامبرجر مهمل، لا يرغب فيه أحد!

بعد ذلك قررت جيسيكا أن تلاحق بيكر قضائيًا، فأرسل يعرض عليها صفقة، يدفع بموجبها ٢٠ ألف دولار نقدًا، إضافة إلىٰ ٢٥ ألف دولار في حساب مصرفي باسمها مع الفوائد الشهرية، في مقابل صمتها لمدة ٢٠ عامًا.

لكن أصداء الفضيحة وصلت إلىٰ مسامع مبشر منافس له هو: جيمي سواجارت الذي كان بيكر قد طرده من برنامجه التليفزيوني- فتزعم حملة لإجباره على الاستقالة من مؤسسته التبشيرية بزعم: الحفاظ علىٰ سمعة المبشرين! فاستقال بيكر في فبراير ١٩٨٧م.

بعد أن هدأت العاصفة قليلًا، ظهر بيكر علىٰ شاشات التلفزيون ليعلن أن سواجارت تزعم الحملة ضده؛ ليضع يده علىٰ ١٢٩ مليون دولار هي العائد السنوي لمؤسسته التبشيرية، وكان رد سواجارت عنيفًا- كعادته وباعتباره قد نصب نفسه حاميًا للتبشير المسيحي في أمريكا- فكرر قوله بأنه: قد آن الأوان لكي يتم تنظيف البيت من الداخل، وأنه لا يمكن لهٰذِه المهزلة الفاضحة أن تستمر، وأن سرطانًا يجب استئصاله من جسد المسيح!

وانقسم المبشرون، بعضهم مع بيكر والبعض الآخر مع سواجارت واغتنم مارفن جورمان- وهو مبشر شهير في نيويورك- الفرصة؛ ليصفي حسابات قديمة مع سواجارت، فهاجمه بعنف وطالبه بتعويض لا يقل عن ٩٠ مليون دولار بسبب الأضرار التي لحقت به من جراء حملة سواجارت عليه بأنه مارس الخيانة الزوجية مرارًا، علىٰ حين اعترف جورمان نفسه أمام الملايين علىٰ شاشات التليفزيون بأنه لم يفعلها سوىٰ مرة واحدة، وتاب بعد ذلك!

وبعد سقوط بيكر، أخذت وسائل الإعلان تبحث عن ماضيه وعن نمط حياته، فاكتشف أنه يملك بيوتًا فخمة جدًا في كاليفورنيا وفلوريدا، وأن جدران بعضها مطلاة بالذهب، وأنه وزوجته كانا يعيشان حياة البذخ بلا حدود علىٰ حساب تبرعات الأتباع والبسطاء، وأن حسابات إمبراطوريته ليست دقيقة، فعندما أدخلت مصلحة الضرائب وسألت عن

آختفاء ١٣ مليون دولار من الحسابات، كانت إجابته: إن الشيطان دخل الكومبيوتر وأخفى الرقم! فأوقفت مصلحة الضرائب تحقيقاتها؛ لأنه لا سلطان لها على الشياطين!

والآن. جاء الدور علىٰ سواجارت!

لقد كان هٰذا هو العنوان الذي آختارته مجلة تايم في حديثها الأسبوعي في باب: الدين، عندما عرضت لفضيحة سواجارت الأخلاقية.

لقد تفجرت الفضيحة- المدعمة بالصور- بممارسة سواجارت الجنس مع مومس محترفة، ثم ما لبثت تلك المومس، واسمها دبرا ميورفي أن كشفت عن بعض ما خفي، وكان مما قالته أنها كثيرًا ما كانت تتمدد أمامه عارية، وفي إحدى المرات طلب منها أن ترتدي فستانًا على اللحم دون ملابس داخلية، ثم خرجا في نزهة بسيارته حول المدينة.

لقد كانت الصور التي حصل عليها جورمان- المبشر المطرود وخصم سواجارت- بواسطة مخبر سرى آستأجره لهٰذا الغرض، سلاحًا في يده للمساومة مع سواجارت، ولما فشلت العملية تفجرت الفضيحة!

ولم يملك سواجارت- الذي دعته مجلة تايم: ملك الفيديو التبشيري -إلا أن يعترف بفضيحته علىٰ شاشات التليفزيون، ويطلب المغفرة من الرب، وزوجته وابنه، ومن الآخرين!

لقد كتبت مجلة: و. آس. نيوز آند ورلد ريبورت تعليقًا علىٰ فضيحة سواجارت، قالت فيه: (إن جيمي سواجارت من الذين يقلقهم الشيطان، كثيرًا. فهو يقول: إن الشيطان هو الذي آبتدع الروك -آند- رول والسينما والبيرة، وإن الشيطان هو الذي جعل جيم بيكر يخدع زوجته، وجعل أورال روبرتس يعزل نفسه في برج، ولمدة أكثر من ٣٠ عامًا، كان سواجارت يحاول أن يطرد الشيطان بعيدًا إلى العالم الآخر، لكن أحدًا ما

كان يتوقع- بل كان آخر من يتوقع هٰذا هو المبشر التليفزيوني العنيف سواجارت - أن يقوم الشيطان برد الفعل العنيف هٰذا.

من السابق لأوانه القول ما إذا كان صراع سواجارت مع الشيطان - فقد صار معلومًا أنه كان يدفع لمومس لكي تقوم بتقديم حركات داعرة له- ما إذا كان هٰذا سوف يعطل خدمته التبشيرية العالمية ذات العائد السنوي الذي يبلغ ١٤٠ مليون دولار (توقفت خدمته التبشرية تمامًا منذ مدة).

لكن المدهش أن اعتراف سواجارت علىٰ شاشات التلفزيون بدموع تتساقط علىٰ خديه، قد اعتبر أكثر قليلًا من همهمة علىٰ مقياس انتهاك الحرمات وعمليات الاغتصاب للأمة الأمريكية يحصيها علىٰ مدار السنة مثل تلك الأعمال القذرة التي انكشفت للعيان.

ويبدو أن مشاكل سواجارت قد أكدت أن السمة العامة لمبشري أمريكا الإلكترونيين أنهم في جوع جنسي، ولديهم جنون بالمال..وإذا راجعنا مسلسل العام الماضي لوجدنا : إعلان أورال روبرتس أنه إذا لم يدفع له الناس المال -٨ مليون دولار- فإن الله سيقتله!

ثم زنا جيمي وتيمي بيكر، وفضائح الرشاوى المقدمة للسكوت عن فضائحهما.

والضغائن بين بيكر وجيمي فالويل من أجل إدارة مؤسسة بيكر.

والآن، تأتي فضيحة سواجارت، الذي يعتبر واحدًا من أكثر وعاظ هٰذا البلد -الولايات المتحدة- سطوة، والحكم الأخلاقي للملايين من المشاهدين، الذي كان يتسلل كاللص لعقد لقاءات سرية مع مومس!

ثم هناك مارفن جورمان المبشر الذي طرد من وظيفته الكهنوتية منذ عامين، عندما اتهمه سواجارت بالزنا ذلك بعض ما كان من أمر فضائح المبشرين، وفضائح سواجارت ملك الفيديو التبشيري، ورافع لواء الأخلاق المسيحية.

والآن، هاهي بعض بيانات إمبراطوريات المبشرين:

جيمي سواجارت: تبلغ عائداته السنوية ١٤٢ مليون دولار، يملك مركزًا عالميًا في باتون روج، يشبه مدينة صغيرة، يمتد فوق ٢٥٠ فدانًا، يستخدم ١٠٠٠ موظف، يحتوي علىٰ مدارس، وفنادق، واستوديوهات، ودار عبادة تسع ٧٥٠٠ مصليًا. ويسكن سواجارت في فيلا تقدر بنحو ٢,٤ مليون دولار، فوق مساحة ٢٠ فدانًا، بنظام أمن إلكتروني متقدم.

جيمي ونيمي بيكر: تبلغ عائداتهما السنوية ١٢٩ مليون دولار، وثروتهما الشخصية ٧٠٠ مليون دولار، يملكان عدة فيلات وبيوت فخمة، تصل ٱستعراضاتهما التليفزيونية إلىٰ ١٣ مليون عائلة.

جيري فالويل: مؤسس ورئيس حركة الأكثرية الأخلاقية، التي تضم ٤ ملايين عضوًا. تبلغ عائداته السنوية ٧٥ مليون دولار جمع ٦ مليون دولار للمساهمة في الحملة ضد الجوع في أفريقيا، ٱحتفظ منها بنحو ٥،٥ مليون دولار لنفسه، وتبرع بالباقي لفقراء أفريقيا، ورث إمبراطورية بيكر.

أورال روبرتس: تبلغ عائداته السنوية ٥٨ مليون دولار، يملك إمبراطورية ضخمة بها محطة تليفزيون، وجامعة، ومستشفىٰ، ومركز كبير للتجارة والتسلية.

بات روبرتسون: تبلغ عائداته السنوية ١٣٠ مليون دولار، يملك سلسلة محطات تليفزيونية تصل برامجها إلىٰ ٣٣ مليون عائلة، كان مرشحًا لرئاسة الجمهورية في ٱنتخابات ١٩٨٨م.

هٰؤلاء هم حال الواصفين نبينا محمد ﷺ بأنه صاحب لذات وشهوات[1].

---

(١) «تعدد نساء الأنبياء» ص٥٠٣-٥٠٨ .

يقول د/ محمد علي البار[1]:

والعجيب حقًا أن هؤلاء الغربيين الوالغين في الزنا واللّواط وحتىٰ نكاح الحيوانات والمحارم هم أنفسهم الذين يتحدثون عن نبي الإسلام ونبي الرحمة ونبي الهدىٰ، فيتهمونه بالجنس والشبق؛ لأنه تزوج تسعًا، ألا لعنة الله على الظالمين الفسقة الفجرة، فالواحد منهم لا يعرف أباه ثم يتطاول علىٰ خير الأنام، ولا نقول ذلك تهجمًا عليهم فقد نشرت وكالات الأنباء كما نقلتها عنهم صحيفة الشرق الأوسط في عددها الصادر ٢٩/ ٥/ ١٩٨٠ أنَّ ٧٥ بالمئة من الأزواج يخونون زوجاتهم، وأنَّ نسبة أقل قليلًا من ذلك هو ما تقوم به الزوجات نحو أزواجهنَّ..

ليس ذلك فحسب ولكن هاهو اللواط ينتشر بينهم أيضًا، ثم هاهو نكاح المحرمات ينتشر حتىٰ أنَّ أسرة من كل عشر أسر- كما تقول ألهيرالد تربيون- تمارس نكاح المحرمات.

نشرت صحيفة الأتحاد الأسبوعي في ١٢ يناير ١٩٨٤م الخبر التالي نقلًا عن وكالة الأنباء الفرنسية:

«تابع الأمريكيون بشغف علىٰ شاشات التليفزيون في الأسبوع الماضي -أي بداية يناير ١٩٨٤ فيلمًا يصور علاقة محرمة بين أب وابنته». وطوال فترة عرض الفيلم ومحطة A.B.C تتلقىٰ مكالمات تليفونية من فتيات كن ضحايا لنزوات آبائهن.

ويقدر عدد الفتيات اللاتي كانت لهن علاقة جنسية بآبائهن بـ ١٢ إلىٰ ١٥ مليون فتاة، وأن نسبة الفتيات المراهقات اللاتي لهن أتصالات جنسية مع آبائهن تتراوح ما بين ١٥ و٣٤ بالمئة.

---

(١) «الأمراض الجنسية» ص ٧٦-٧٨.

وتزخر المحاكم الأمريكية بقضايا ضد آباء اُعتدوا علىٰ أطفالهم من سن الثانية حتى المراهقة.

وقد تبيّن أن الرجال الذين يقومون بهٰذِه العلاقة الشاذة المحرمة هم من الناس العاديين وأحيانًا من الناجحين المرموقين في المجتمع، وليسوا من مدمني الخمر ولا المخدرات ولا المجرمين. والغريب حقًا أن يكون بين هٰؤلاء الطبيب والمهندس ورجل الأعمال ورجل البوليس!!

إذن هل يستحق هٰؤلاء أن يُردَّ عليهم في اُتهامهم لخير البشر محمد ﷺ بأنه جنسي؛ لأنَّه تزوج تسع نساء؟! لا نرىٰ أي داع لتسويد آلاف الصفحات وإضاعة الجهد في الرد علىٰ هٰؤلاء، ويكفي فقط أن ننقل ما تكتبه وسائل إعلامهم نفسها ودوائر معارفهم الكبرىٰ مثل دائرة المعارف البريطانية عن سلوكهم الجنسي الشائن للرد عليهم.

مقالات حول حكمة تعدد النبي ﷺ

يقول الأستاذ محمد كامل البنا[(١)]

إن الذي تتبع حياة محمد ﷺ وتربيته من يوم المولد إلىٰ يوم البعثة، ومن يوم البعثة إلىٰ يوم فارق هٰذِه الدنيا، ليحكم لأول وهلة بأن هٰذا النبي كان رجلًا نسيج وحده في الرجال، وكان بشرًا سواه الله لا علىٰ نمط غيره من البشر، ولم يكن بالرجل الشهواني، الذي يتزوج رغبة في اللذة، أو الاستمتاع، وإليكم الدليل المنطقي والمادي والعقلي:

ولد محمد يتيمًا فقيرًا وحيدًا تولاه جده عبد المطلب، ثم عمه أبو طالب، وعرف عنه من صغره أنه كان عازفًا عن الملذات، لا يحب اللهو ولا يجلس مجالس الشباب، .. كان إذا دعاه أحد إلىٰ مكان فيه لهو أو غناء، أبىٰ أن يصحبه، وإذا اضطر إلىٰ ذلك اضطرارًا اشتغل عما أمامه بالتحليق في السماء، والتفكير في خالق الأرض والسماء، وهو بعد لا يستطيع أن يعرف شيئًا قاطعًا عن هٰذا التفكير إلا بإلهامه وإحساسه. ثم يبلغ محمد مبلغ الرجال ويشتغل في تجارة خديجة بنت خويلد، ويتزوجها وهو في الخامسة والعشرين، ويحبها الحب كله، وتظل خديجة تعاشره حتىٰ يبعث ويضطلع بأضخم رسالة علىٰ ظهر الأرض، فتشغل هٰذِه الرسالة الجديدة عقله وفكره، ويصل الليل بالنهار في عبادة ربه، والدعوة إلىٰ توحيد الله، وحرب أرباب الشرك، وأئمته؛ وتفارقه خديجة في أحرج الأوقات، وقد تألب عليه القوم، ويشاء الله لحكمة لا يعلمها إلا هو أن يموت في نفس العام ناصره وحاميه عمه أبو طالب، ويسمىٰ هٰذا العام عام الحزن، فَقَدْ فَقَدَ فيه محمد النصير خارج البيت والنصير داخل البيت!

---

(١) مجلة «لواء الإسلام» السنة الرابعة عشر العدد السادس ص٣٥٩

فهل بقصور عقل أن رجلًا هٰذِه حياته، وتلك ظروفه، يكون رجلًا شهوانيا، أو لديه من الوقت ما يبذله للتفكير في النساء؟ ثم يضطهد النَّبي ﷺ ويحارب بجميع الأسلحة وأحط الأساليب، فيخرج من مكة التي ولد فيها وترعرع، في جنح الظلام لا يرافقه إلا صديقه أبو بكر، يخرجان في رحلة لولا أن كللها الله بالنجاح، لارتفعت قوائم الشرك ولما بقي على الأرض من يؤمن بوحدانية الله.. ولا يكاد يستقر في المدينة حتىٰ تقوم بينه وبين كفار قريش وأساطين مكة وصناديدها حروب دائمة، لم يفرغ من غزوة إلا ليتأهب لأخرىٰ، ولا يكاد ينتهي من موقعة إلا ليبدأ موقعة.. وفي هٰذِه المدة كان الزواج الذي يتهم الجهال النَّبي ﷺ بأنه فعله شهوة وبغية استمتاع.. فلنبحث في هدوء ومن غير ميل أو جنف ظروف كل زيجة، لقد تزوج عائشة وهي طفلة لم تبلغ التسع، بينما هو جاوز الثالثة والخمسين من العمر، فلا يتصور عقل أنه ﷺ في سنه وفي مسئولياته العظيمة كان يتزوج لشهوة في نفسه، أو لمتعةٍ يبتغيها والدليل المادي علىٰ ذلك هو نفس الدليل الذي يتخذه خصوم محمد ﷺ علىٰ ما يقولون، هو أنه كان يحب عائشة أكثر من كل نسائه، عائشة التي لم تنضج جسمانيًا، ولم تكن المرأة التي تشبع في سن طفولتها رغبة رجل يشتهي النساء ولٰكن الذي يستسيغه العقل، ويتفق مع المنطق، هو أنه تزوجها تكريمًا، لأبيها أبي بكر ناصر الدعوة وباذل ماله في سبيل نجاحها ثم تزوج أم سلمة، وهي امرأة كانت تحت رجل صحابي قتل في إحدى الغزوات بعد أن أبلى البلاء الحسن في قتال المشركين، ولم يكن لها ما تعيش منه ولا من يعولها، فضمها محمد ﷺ إلىٰ بيته ليقوم بالإنفاق عليها؛ وليكفيها شر الحاجة، وهي سيدة فضلىٰ لها سبق في الإسلام وأثر لا ينكر في الدعوة إليه. وتزوج حفصة، ومن حفصة بنت عمر الذي أعز الله به الإسلام، وقصم ظهر

الشرك، تزوجها الرسول وهي ثيب ليست بكرًا تكريمًا لعمر الذي أبلى البلاء العظيم، ووقف المواقف الرائعة إلىٰ جانب الرسول.

وهكذا كانت كل زيجة تزوجها رسول الله ﷺ لحكمة هي أبعد ما تكون عن الشهوة والاستمتاع.

إن محمدًا ﷺ كان يضطلع برسالة تستهدف تغيير وجه التاريخ، وإحداث انقلاب يشمل أنحاء الدنيا كلها، فهل يتصور عقل أن رجلًا يومه مقسم بين تبشير برسالته، وتعليم لأتباعه، وتنظيم لحياتهم، وترتيب لأمورهم، وليله بين عبادة دائبة، واعتكاف عن الناس لمناجاة ربه، وصلاة وتسبيح وذكر وقيام لمعظم الليل، هل يتصور عقل أن هٰذا الرجل كان متفرغًا للشهوات؟ أو مشتغلا بالنساء يستمتع بهن؟ ... إني أترك لفطنتكم وعقولكم الجواب!!.

يقول الأستاذ محمد فريد وجدي(١):

يكثر خصوم الإسلام من ذكر تعديد النبي ﷺ للزوجات، ويعتبرونه دليلًا علىٰ توفره على الشهوات.، وقد صرح كثير منهم بأن من كان هٰذا شأنه لا يصلح أن يكون نبيًا. ولو تأملوا لرأوا أنه تزوج أكثر هٰذِه الزوجات؛ لأغراض اجتماعية، إما لإيواء ذات رحم، أو لإحداث صلة من الصهارة تفيده فيما هو بصدده من تمكين ربط المجتمع الإسلامي الحديث، أو لإبطال عادة جاهلية من طريق عملي مؤثر الخ.

علىٰ أننا لو جردنا زواجه من جميع هٰذِه الأغراض الجليلة، فإن تعدد الزوجات في بيئة كان يربو فيها عدد الإناث علىٰ عدد الذكور، إرباء يجر إلىٰ تعطيل عدد من نساء من الزواج، لا يعتبر عملًا شائنًا وقد كانت

---

(١) مجلة «الأزهر» المجلد العاشر ص ٣٠٥ .

بلاد العرب ممنوة بالغارات والغارات، حتىٰ كان يكاد لا ينتهي الرجال فيها إلىٰ عهد من السلام إلا ليستعدوا فيه لغارات أو حروب جديدة. ولا شك في أن هٰذِه الحالة التي دامت قرونًا تكون قد جعلت عدد النساء فيها أكثر من عدد الرجال وهي نتيجة طبيعية لا مفر منها.. راجع كتاب «علم الاجتماع» للعلامة سبنسر علىٰ أن المؤلف يدين بالمسيحية ويعتمد بالتوراة وهي تشهد بأن من كبار الأنبياء مَنْ عَدَّد الزوجات حتىٰ بلغ بعضهم بهن مائة زوجة فلم لم يشهر بهم المستر ويلز كما شهر بخاتم الأنبياء ﷺ؟.

الغرض من هٰذا التشهير ظاهر، ولٰكن المعول علىٰ شهادة الحوادث فهل شهدت بأن محمدًا كان مشغولًا كما يؤثر عن الملوك الشهوانيين في التاريخ؟ التاريخ لا يحابي أحدًا، وقد أعترف بأن محمدًا كان يشغل ساعات طويلة من ليله متهجدًا، وكان يطيل في ركوعه وسجوده إلىٰ ما يوازي قراءة خمسين آية من القرآن وأكثر، وكان يستيقظ مبكرًا، فيصلي بالناس، وكان ينظر في شئونهم ومنازعاتهم معظم يومه أثر عنه كل هٰذا، ولم يؤثر عنه ما عرف من سيرة الشهوانيين من إهمال الشئون العامة، وتمضية الليل في الشرب والغناء وسط سرب من الناس؟ أين هٰذا من بيوت رسول الله ﷺ التي كانت في حقيقتها محاريب للنسك والعبادات لا مسرحًا للشهوات؛ إن شئت دليلًا علىٰ ذلك فاتل قوله تعالىٰ:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٤] فهل هٰذِه بيوت رجل شهواني؟

يقول الدكتور القرضاوي[١]:

أما حكمة الزواج من هؤلاء التسع من الأصل، فهي معروفة لكل دارس، فوراء الزواج من كل واحدة من نسائه قصة تحكي عن السبب الذي من أجله تزوجها، وقد كان الزواج من أي عدد جائزًا في ذلك الوقت.

ولا يتسع المقام لتفصيل هذا، ولكننا نشير إليه إشارات تكفي في هذا المقام.

فمن المعلوم أنه ﷺ قضىٰ شبابه وبعض كهولته، حتى الخمسين من عمره مع امرأة واحدة، تكبره بخمس عشرة سنة، وقد تزوجها ثيبًا، ولها أولاد من غيره، ومع هذا عاشا معًا أسعد ما يكون الأزواج، وظل يُكِنُّ لها الحب ويذكرها بالخير، ويهش لكل ما يذكره بها، حتىٰ غارت منها زوجه الشابة عائشة وهي في قبرها.

وأول من تزوج بعدها: سودة بنت زمعة، وكانت امرأة كبيرة السن، لم يميزها شباب ولا جمال.

ثم أراد أن يخص أقرب أصحابه إليه - وهو أبو بكر - بالزواج من ابنته برغم صغرها، ولكن الأصهار إلىٰ سيد القوم كان يعتبر عند العرب لونًا من الإعزاز والتكريم، فخطب إليه عائشة، مع أنها لم تكن تصلح للزواج في ذلك الوقت، ولم تدخل إلا بعد سنوات.

وتزوج النبي الكريم كذلك من حفصة بنت عمر الرجل الثاني بعد أبي بكر في القرب من النبي ﷺ، وقد كان عمر عرضها علىٰ كل من صاحبيه: أبي بكر، وعثمان، فلم يردا عليه، وتزوجها النبي ﷺ، تكريمًا

---

(١) «فتاوىٰ معاصرة» (٣/ ٥٦٧-٥٦٩).

وإعزازًا لعمر، كما فعل مع أبي بكر .

وبهذا يكون الصحابة الأربعة المقربون من النبي ﷺ قد فازوا بمصاهرته، أعني بهم: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليًا، فمنهم من تزوج الرسول من بناتهم، ومنهم من زوجه من بناته، وهما: عثمان، وعلىٰ ﷺ جميعًا. وتزوج أم سلمة، بعد أن ٱستشهد زوجها في أحد، وقد كانت من المهاجرات في سبيل الله، اللاتي لهن بلاء وموقف فأراد أن يعوضها عن زوجها بضمها إلىٰ نسائه، وقد ٱعتذرت منه حين خطبها بكبر سنها، واهتمامها بأولادها، فقال لها: لقد أصابني من كبر السن، ما أصابك، وأما أولادك فهم أولادي .

وصفية بنت حيي، وأبوها حيي بن أخطب، الزعيم اليهودي المعروف الذي ألَّب علىٰ رسول الله ووقف ضده في أكثر من معركة، وقد مات أبوها، وهلك أهلها، فلم يشأ الرسول أن يدعها لأحد من أصحابه، بل كرمها وأخذها زوجة له، حتىٰ يجبر مصيبتها، وينسيها فجيعتها.

وأم حبيبة: رملة بنت أبي سفيان بن حرب، زعيم قريش وقائدهم في حربهم للنبي في أحد وفي الأحزاب وغيرها، وقد كانت أسلمت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها، ثم غلبت عليه الشقوة، وتركها مرتدًا عن الإسلام، -والعياذ بالله- فأراد الرسول أن يعوضها عن مصيبتها في زوجها، وأرسل إلى النجاشي يوكله في خطبتها وتزويجها منه، علىٰ رغم بعد الشقة بينها وبينه، وأمهرها بأربعة آلاف درهم، وبلغ ذلك أباها أبا سفيان أن محمدًا تزوجها، فقال: هو الفحل لا يقدع أنفه. ٱعتزازًا بمصاهرته.

وزينب بنت جحش، ذكر الله قصتها في القرآن، وعلة زواجها، وهي إبطال ما كان شائعًا عند العرب من تحريم زوجة المتبني علىٰ من تبناه،

وقد كان هٰذا مما بقي من آثار التبني، حتىٰ نزل قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[1].

وقد أراد الله لنبيه أن يقوم بهٰذه المهمة، وهي الزواج من امرأة متبناه، علىٰ شدتها علىٰ نفسه، وصدمتها للمجتمع، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: بالعتق ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[2].

وكذلك سائر نسائه، كان لكل واحدة منهن قصة، وللزواج منها حكمة.

ومنها: توثيق الصلة بقبائل العرب عن طريق الإصهار إليهم، وكل هٰؤلاء النساء- ما عدا عائشة - كن ثيبات، ولم يعرفن بجمال فائق، ولو شاء النبي الزواج من جميلات أبكار العرب، لتقربوا إليه بذلك، ولكنه كان يحل بكل زواج مشكلة، أو يداوي جرحًا ﷺ.

يقول الأستاذ العقاد[3]:

كان للنبي صلوات الله عليه خصوصية في أمر تعدد الزوجات، جازت له قبل سريان حكم التقييد بعدد لا يزيد علىٰ أربع لسائر المسلمين.

وأمثال هٰذه الخصوصية ليست بالشيء النادر عند تأسيس النظم الاجتماعية قبل تمام الانتقال من نظام إلىٰ نظام؛ لأنها استثناء توجبه مصلحة النظام الجديد ولا يتأتىٰ شموله بالتعميم في جميع الأحكام.

---

(١) الأحزاب: ٥. (٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) «المرأة في القرآن» ص ٨٣-٩٠.

ومن شروطه ألا يتكرر بعد من يختص به للمرة الأولىٰ، وللمرة الأخيرة؛ لأن تكراره يجعله نظامًا قائمًا إلىٰ جانب النظام الجديد.

وقد كانت خصوصية النبي ﷺ مفردة مقصورة عليه غير قابلة للتكرار؛ لأنها ٱرتبطت بمصلحة الدعوة في إبانها، ولم يكن للدعوة رسول سواه ولم يكن له غنىٰ عن تلك الخصوصية في البلاد التي تأسست فيها الدعوة الأولىٰ، وهي بلاد الأنساب وروابط المصاهرة والولاء بين الأسر والبيوت وقد تحتاج الحكمة في ٱمتياز الرسول بتلك الخصوصية إلىٰ شرح وإيضاح..

أما الحقيقة الواضحة التي لا حاجة بها إلىٰ شرح ولا إيضاح، فهي نزاهة تلك الخصوصية مما يعاب على الرجل أو على المرأة، وخلوصها من شوائب الهوى النفسي، ولو كان من السائغ المباح .

لم تكن تلك الخصوصية لتمكين صاحبها من المتعة والاستغراق في مناعم الحياة الجنسية، فإن البيت الذي يشكو نساؤه قلة المؤنة والزينة، لا يقال عنه: إنه بيت رجل تملكه أهواء نفسه وتغلبه علىٰ رشده، والرجل الذي يملك الجزيرة العربية ولا يمد يده لاغتراف الثروة التي تكفي زوجاته، وتملي لهن في الترف والزينة، لن يكون رجلًا مغلوب الحس منساقًا مع غواية المتعة ووساوس الشهوات، وليس بالرجل المخلوق لطلب اللذة من ينهض بما نهض به نبي الإسلام من عظائم الأمور في مدىٰ سنوات معدودات.

أما النساء اللائى ٱجتمعن في بيت النبي، فلم تكن عليهن مهانة يشعرن بها، أو يشعر بها أحد من أترابهن، أو من عامة المسلمين، أغنيائهم وفقرائهم على السواء، بل كان دخول المرأة في عداد أمهات

المؤمنين شرفًا لا يعلوه شرف، ولا تطمع ٱمرأة من أعرق البيوتات في كرامة حاضرة باقية أرفع من هٰذِه الكرامة، التي تناظر بها سيدات العرب، والعجم من أقدم العصور إلىٰ آخر الزمان .

وقد تقدم أن سليمان الحكيم جمع بين ألف ٱمرأة من الحرائر والإماء، كما جاء في كتب العهد القديم، ولعلهن ٱجتمعن في ذلك الحرم مأسورات مملوكات، ولعلهن رضين به رضًا عن الترف والجاه، في قصر يعلو على القصور، أما نساء محمد ﷺ فما أرضاهن عن المقام في بيته على الشظف والكفاف مال ولا جاه من جاه الأبهة والسلطان، وإنما هو جاه الروح ترتفع إليه المرأة بهدي الرسالة، ولا يرفعها إليه هدي سوىٰ هداها.

وإذا تنزهت الخصوصية التي ٱنفرد بها محمد ﷺ عن مهانة تشين الرجل أو المرأة، فقد ظهرت الحكمة فيها أيما ظهور، وامتنع كل وجه من وجوه تعليلها وتفسيرها، إلا أن تكون في سبيل الدعوة، لا في سبيل محمد ولا آل محمد، وإلا أن تكون تعليمًا بارزًا لحكمة التشريع في تعدد الزوجات، وهي تدعيم النظام الاجتماعي بالمصاهرة، وصيانة المرأة من الفتنة والمهانة.

فقد جمعت المصاهرة أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليًا في رسالة واحدة هي رسالة الدين.

وقد كانت كل سيدة من أمهات المؤمنين تأوي إلى البيت الطاهر، فإنما تأوي إليه ٱعتصامًا من الارتداد والوقوع في أيدي الحاقدين عليها من ذويها، أو تأوي إليه؛ لإكرامها عن منزلة دون منزلتها، أو عن عرضها علىٰ من يضارع أهلها ممن لا يرغبون فيها، وكان فيهن النصف، والعاقر، ومن لا مال لها، غير التأيم، أو العرض المستكره علىٰ أشراف القوم من

أندادها، ولا يخلو ذلك العرض من غضاضة عليها، لما يساورها من الظن بقبوله حياء من النبي وطاعة لأمره، وليس لإيثار النبي البناء بالسيدة علىٰ عرضها للزواج بين أصحابه غير سبب واحد يعقله المنصف والمكابر؛ لأنه لا يقبل الفهم المعقول علىٰ وجه آخر، وذلك هو جبر الخاطر، والبر بالمرأة المؤمنة أن ينتهي بها إيمانها إلى الحطة والهوان، ويكفي أن تسرد أسماؤهن وتذكر أحوالهن عند بناء النبي بهن، لتنقطع الظنة في أسباب كل زواج سهلته الخصوصية النبوية.

ولم يحدث قط أن آختار زوجة واحدة؛ لأنها مليحة أو وسيمة، ولم يبنِ بعذراء قط إلا العذراء التي علم قومه جميعًا أنه آختارها؛ لأنها بنت صديقه وصفيه وخليفته من بعده: أبي بكر الصديق رضىٰ الله عنه.

هٰذا الرجل الذي يفتري عليه الأئمة الكاذبون أنه الشهوان الغارق في لذات حسه، وقد كانت زوجته الأولىٰ تقارب الخمسين وكان هو في عنفوان الشباب لا يجاوز الخامسة والعشرين وقد آختارته زوجًا لها؛ لأنه الصادق الأمين فيما آشتهر به بين قومه من صفة وسيرة، وفيما لقبه به عارفوه وعارفوا الصدق والأمانة فيه، وعاش معها إلىٰ يوم وفاتها علىٰ أحسن حال من السيرة الطاهرة والسمعة النقية، ثم وفىٰ لها بعد موتها فلم يفكر في الزواج حتىٰ عرضته عليه سيدة مسلمة رقت له في عزلته فخطبت له السيدة عائشة بإذنه، ولم تكن هٰذِه الفتاة العزيزة عليه تسمع منه كلمة لا ترضيها غير ثنائه علىٰ زوجته الراحلة ووفائه لذكراها.

وما بنىٰ - ﷺ - بواحدة من أمهات المسلمين لما وصفت به عنده من جمال ونضارة، وإنما كانت صلة الرحم والضن بهن على المهانة هي الباعث الأكبر في نفسه الشريفة على التفكير في الزواج بهن . ومعظمهن كن أرامل مؤيمات فقدن الأزواج أو الأولياء، وليس من يتقدم لخطبتهن

من الأكفاء لهن إن لم يفكر فيهن رسول الله.

فالسيدة سودة بنت زمعة مات ابن عمها المتزوج بها بعد عودتها من الهجرة إلى الحبشة، ولا مأوىٰ لها بعد موته إلا أن تعود إلىٰ أهلها، فيكرهوها على الردة أو تتزوج بغير كفء لها لا يريدها.

والسيدة هند بنت أمية - أم سلمة- مات زوجها عبد الله المخزومي، وكان أيضًا ابن عمها، أصابه جرح في غزوة أحد فقضىٰ عليه، وكانت كهلة مسنَّة.

والسيدة رملة بنت أبي سفيان تركت أباها وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، فتنصر زوجها وفارقها في غربتها بغير عائل يكفلها، فأرسل النبي ﷺ إلى النجاشي يطلبها من هٰذِه الغربة المهلكة، وينقذها من أهلها إذا عادت إليهم راغمة من هجرتها في سبيل دينها، ولعل في الزواج بها سببًا يصل بينه وبين أبي سفيان بوشيجة النسب فتميل به من جفاء العداوة إلىٰ مودة تخرجه من ظلمات الشرك إلىٰ هداية الإسلام.

والسيدة جويرية بنت الحارث سيد قومه، كانت بين السبايا في غزوة بني المصطلق، فأكرمها النبي ﷺ أن تذل ذلة السباء، فتزوجها وأعتقها وحض المسلمين علىٰ إعتاق سباياهم، فأسلموا جميعًا وحسن إسلامهم، وخيَّرها أبوها بين العودة إليه والبقاء عند رسول الله، فاختارت البقاء في حرم رسول الله.

والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب مات زوجها، فعرضها أبوها علىٰ أبي بكر فسكت، وعرضها علىٰ عثمان فسكت، وبث عمر أسفه للنبي فلم يشأ أن يضن علىٰ صديقه ووليه بالمصاهرة التي شرف بها أبا بكر قبله.

والسيدة صفية الإسرائيلية بنت سيد بني قريظة خيّرها النبي بين أن يردها إلىٰ أهلها، أو يعتقها ويتزوجها، فاختارت البقاء عنده على العودة

إلىٰ ذويها.

والسيدة زينب بنت جحش -ابنة عمته- زوجها من مولاه ومتبناه زيد بن حارثة، فنفرت منه وعز علىٰ زيد أن يروضها علىٰ طاعته، فأذن له النبي في طلاقها. فتزوجها ﷺ؛ لأنه هو المسئول عن زواجها، وما كان جمالها خفيًا عليه قبل تزويجها بمولاه؛ لأنها كانت بنت عمته، يراها من طفولتها ولم تفاجئه بروعة لم يعهدها.

والسيدة زينب بنت خزيمة مات زوجها عبد الله بن جحش قتيلًا في غزوة أحد، ولم يكن بين المسلمين القلائل في صحبته من تقدم لخطبتها، فتكفل بها ﷺ؛ إذ لا كفيل لها من قومها.

وهٰذا هو الحريم المشهور في أباطيل المبشرين وأشباه المبشرين، وهٰذِه هي بواعث النفس التي ٱستعصىٰ على المبطلين أن يفهموها علىٰ جليتها، فلم يفهموا منها إلا أنها بواعث إنسان غارق في لذات الحس، شهوان.

ولقد أقام هٰؤلاء الزوجات في بيت لا يجدن فيه من الرغد ما يجده الزوجات في بيوت الكثيرين من الرجال مسلمين كانوا أو مشركين- وعلىٰ هٰذا الشرف الذي لا يدانيه عند المرأة المسلمة شرف الملكات أو الأميرات، شقت عليهن شدة العيش في بيت لا يصبن فيه من الطعام والزينة فوق الكفاف، والقناعة بأيسر اليسر، فاتفقن علىٰ مفاتحته في الأمر، واجتمعن يسألنه المزيد من النفقة، وهي موفورة لديه لو شاء أن يزيد في حصته من الفيء، فلا يعترضه أحد ولا يحاسبه عليه، إلا أن الرجل المحكم في الأنفس والأموال - سيد الجزيرة العربية- لم يستطع أن يزيدهن علىٰ نصيبه ونصيبهن من الطعام والزينة، فأمهلهن شهرًا وخيرهن بعده أن يفارقنه، ولهن منه حق المرأة المفارقة من المتاع

والحسنىٰ، أو يقبلن ما قبله لنفسه معهن من ذلك العيش الكفاف.

ولو أن هٰذا الخبر من أخبار بيت النبي كان من حوادث السيرة المحمدية التي تخفىٰ علىٰ غير المطلعين المتوسعين في الاطلاع، لقد كان للمبطلين بعض العذر فيما يفترونه علىٰ نبي الإسلام من كذب وبهتان، إلا أنه خبر يعلمه كل من اطلع على القرآن ووقف علىٰ أسباب التنزيل، وليس بينها ما هو أشهر في كتب التفسير من أسباب نزول هٰذِه الآيات في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [(١)].

وأقل المبشرين المحترفين ولعًا بالتفتيش عن خفايا السيرة النبوية، خليق أن يطلع علىٰ تفاصيل هٰذا الحادث بحذافيره؛ لأنه ورد في القرآن الكريم خاصًا بالمسألة التي يتكالب المبشرون المحترفون على استقصاء أخبارها، وإحصاء شواردها، وهي مسألة الزواج وتعدد الزوجات، وقد كان لهٰذا الحادث الفريد في سيرة النبي صدىٰ لم يبلغه حادث من الحوادث التي عنيت بها العشيرة الإسلامية حين كانت في بيئتها المحدودة، تحيط بإيمانها إحاطة الأسرة بأبيها).

حدث عمر بن الخطاب ﷺ، قال: كنا تحدثنا أن غسان تنتعل النعال لغزونا، فنزل صاحبي يوم نوبته، فرجع عشاء، فضرب بابي ضربًا شديدًا، وقال: أثم هو؟ ففزعت، فخرجت إليه، وقال: حدث أمر عظيم! قلت: ما هو؟ أجاءت غسان؟ قال: لا، بل أعظم منه وأطول، طلق النبي ﷺ نساءه.

ولما تألب ربات البيت يشكون ويلحفن في طلب المزيد من النفقة،

---

(١) الأحزاب: ٢٨ - ٢٩ .

لبث النبي في داره مهمومًا بأمره، وأقبل أبو بكر فوجد الناس جلوسًا لا يؤذن لأحد منهم، فدخل الدار ولحق به عمر بن الخطاب، فوجد النبي واجمًا وحوله نساؤه، فأحب أبو بكر أن يسري عنه بكلمة يقولها، وكأنه فطن لسر هٰذا الوجوم من النبي بين نسائه المجتمعات حوله، فقال: يا رسول الله! لو رأيت بنت خارجة، سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها! فضحك النبي، وقال: «هن حولي كما ترىٰ يسألنني النفقة» فقام أبو بكر إلىٰ عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلىٰ حفصة يجأ عنقها، ويقولان: تسألن رسول الله ما ليس عنده؟ فقلن: والله لا نسأل رسول الله شيئًا أبدًا ليس عنده.

وهجر النبي نساءه شهرًا، يمهلهن أن يخترن بعد الروية بين البقاء علىٰ ما تيسر له ولهن من الرزق، وبين الٱنصراف بمتعة، وبدأ بالسيدة عائشة، فقال: «إني أريد أن أعرض عليك أمرًا أحب ألا تتعجلي فيه حتىٰ تستشيري أبويك» فسألته: وما هو يا رسول الله؟ فعرض عليها الخيرة مع سائر نسائه في أمرهن، فقالت: أفيك يا رسول الله أستشير قومي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة[١]. وأجاب أمهات المسلمين بما أجابت به السيدة عائشة، وانتهت هٰذِه الأزمة المكربة بسلام، وما ٱستطاع صاحب الدار - وهو يومئذٍ أقدر رجل في العالم المعمور- أن يحل أزمة داره بغير إحدى ٱثنتين: أن يجمع النية علىٰ فراق نسائه، أو يقنعن معه بما لديهن من رزق كفاف.

أعن مثل هٰذا الرجل يقال: إنه حلس شهوات وأسير لذات؟.

أعن مثله يقال: إنه ٱبتغىٰ من رسالته مأربًا يبغيه الدعاة غير الهداية والإصلاح؟.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٨).

فيم كان هٰذا الشقاء بأهوال الرسالة وأوجالها من ميعة الشباب إلىٰ سن لا متعة فيها لمن صاحب التوفيق والظفر أو لمن صاحبته الخيبة والهزيمة؟!

أتراه يريدها مخاطرًا بأمته وحياته، مستخفًا بالهجرة من وطنه والعزلة بين أهله؛ ليسوم نفسه بعد ذلك عيشة لا يقنع بها أقرب الناس منه وأعلاهم شرفًا بالانتماء إليه؟.

أمن أجل الحس ولذاته يتزوج الرجل بمن تزوج بهن، وهو سيد الجزيرة العربية وأقدر رجالها على ٱصطفاء النساء الحسان من الحرائر والإماء؟.

وهل يتزوج بهن الشهوان الغارق في لذات الحس ليقتدين به في ٱجتراء الترف والزينة وخلوص الضمير للإيمان بالله وابتغاء الدار الآخرة؟.

وما مأربه من كل ذلك إن كان له مأرب في طويته غير مأربه في العلانية؟ وعلام يجاهد نفسه ذلك الجهاد في بيته وبين قومه إن لم يكن له رسالة يؤمن بها، ولم تكن هٰذِه الرسالة أحب إليه من النعمة والأمان؟.

إن المبشرين المحترفين لم يكشفوا من مسألة الزواج في السيرة النبوية مقتلا يصيب محمدًا، أو يصيب دعوته من ورائه، ولكنهم قد كشفوا منها حجة لا حجة مثلها في الدلالة علىٰ صدق دعوته، وإيمانه برسالته، وإخلاصه لها في سره، كإخلاصه لها في علانيته، ولولا أنهم يعولون علىٰ جهل المستمعين لهم لاجتهدوا في السكوت عن مسألة الزواج خاصة أشد من ٱجتهادهم في التشهير بها واللغط فيها.

وقصارى القول في الخصوصية النبوية أنها لم تكن ٱمتيازًا من ٱمتياز القوة المسيطرة لتسخير المرأة في مرضاة خيلاء الرجل، وحبه للمتعة الجسدية، ولكنها كانت آية أخرىٰ من معدن الأحكام القرآنية فيما تسفر

عنه من عطف على المرأة، وحياطة لها من مواقع الجور والإذلال.

ويقول د/ مصطفى السباعي[١]:

إن ممَّا شوهه الاستعمار بمعونة المستشرقين المتعصبين والمبشرين نحو الإسلام ورسوله الكريم، زعمهم بأن حياة الرسول ﷺ كانت حياة شهوة ولذة، واستدلوا لذلك بتعدد زوجاته زاعمين أن هٰذا التعدد دليل الميل الشديد إلى النساء، وقد بينت فيما سبق سخافة هٰذا الزعم بمقارنته بما كان لسليمان عليه الصلاة والسلام من ألف زوجة من أجمل نساء عصرهن ما بين حرة وجارية، بينما كانت زوجات الرسول كلهن وهن لا يتجاوزن تسعًا -ثيبات ومنهن أمهات أولاد كأم سلمة رضي الله عنها ولم يتزوج امرأة صبية عذراء إلا عائشة، ولو كان ﷺ عنده ميل شديد إلى النساء كما يزعم أعداء الإسلام لاختار زوجاته كلهن من الصبايا العذارىٰ، ولو أراد ذلك لاستطاع، إذ كان أصحابه والمؤمنات الصحابيات يرين أشرف شيء في حياتهن أن يكن زوجات لرسول الله ﷺ، ويجب أن لا ننسىٰ أن أول مرة تزوج فيها رسول الله عليه الصلاة والسلام كان قبل البعثة وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وهٰذِه السن تمثل أشد مراحل الإنسان قوة وشهوة، ومع هٰذا فقد تزوج خديجة وهي في سن الأربعين بطلب منها، أي أنها كانت أكبر منه بخمس عشرة سنة، فهي قد أشرفت علىٰ سن الإياس ودخلت مرحلة الكهولة بينما كان عليه الصلاة والسلام في أشد مراحل العمر قوة وشبابًا.

وقد استمر ﷺ مقتصرًا علىٰ خديجة وحدها بعد الرسالة أي نحوًا

---

(١) مجلة حضارة الإسلام- العدد الأول والثاني-.السنة الثامنة- ربيع الأول والثاني ١٣٨٧هـ- حزيران وتموز ١٩٦٧م.

من خمس وعشرين سنة حتىٰ توفيت رضوان الله عليها وكان سنه قد شارف علىٰ الخمسين، عندئذ تعددت زوجاته، والإنسان في سن الخمسين أقل قوة ورغبة في النساء والشهوات والملذات منه في سن الخامسة والعشرين.

وبذلك تعلمون ما في اتخاذ المبشرين والمستشرقين المتعصبين من تعدد زوجاته دليلًا علىٰ شهوانيته وميله إلى الملذات من كذب وافتراء وتشويه لوقائع التاريخ، ويضاف إلىٰ ذلك أنه كان مع زوجاته يعيش عيش التقشف والخشونة، هٰذا مع ما كانت ترد إليه من أموال الغنائم وهدايا أصحابه ما لو أراد أن يسترضي زوجاته ويعيش مرفهًا منعمًا لكان له ما أراد، ولكن كن يعانين من خشونة العيش ما حملهن علىٰ أن يجتمعن ويطلبن إليه الترفيه عنهن فصعب ذلك عليه ﷺ وهجرهن نحوًا من شهر حتىٰ ظن أكثر الصحابة أنه طلقهن جميعًا ثم نزل عليه قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[1].

---

(١) الأحزاب: ٣٠-٣٥.

فبدأ بعائشة وتلا عليها الآيتين ورغب إليها أن لا تستعجل حتىٰ تستأذن أبويها في ذلك فقالت له: أفيك أستأذن أبوي، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وكذا فعلت كل زوجة بمفردها دون أن تعلم ما قالت زميلاتها، وسُرَّ رسول الله ﷺ بذلك وبقيت حياة أزواجه من التقشف وخشونة العيش كما كانت، حتىٰ إن السيدة عائشة لتقول: لقد كان يمر علينا الشهر والشهران ولا يوقد في بيتنا نار، إن هو إلا الخبز والماء أو التمر والماء. ثم تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ولقد توفي وما في بيتنا شيء يأكله ذو كبد إلا نصف قرص من شعير علىٰ رف لي.

هكذا كانت حياته عليه الصلاة والسلام، فهلًّا ترونها أكبر رد علىٰ تخرصات هٰؤلاء المتعصبين من مستشرقين ومبشرين؟ ثم هل قرأتم في تاريخ زعيم من زعماء العالم خضعت له بلاد شاسعة كجزيرة العرب بأكملها، ثم يظل علىٰ تقشفه وزهده وإعراضه عن الدنيا كما كان محمد رسول الله ﷺ؟ لقد بدأ الرسول دعوته وهو فريد وحيد متقللًا من الدنيا زاهدًا فيها، ثم نجحت دعوته حتىٰ أصبح زعيم جزيرة بلا منازع، ومع ذلك فلم تتغير حياته، ولم تتبدل معيشته، ولم ينتقل من عسر إلىٰ يسر ومن ضنك إلىٰ سعة، فمن من عظماء التاريخ في القديم والحديث عاش كما عاش واستقام في حياته كما ٱستقام ﷺ؟ ولم يتوسع -بعد أن نصر الله دعوته- في دار ولا في لباس ولا في طعام ولا في شراب، بل ظل كما هو وكما عرف عنه في أول أمره، أليس ذلك من دلائل الصدق في رسالته، وأنه لم يرد بها دنيا ولا جاهًا ولا ملكًا، وإنما ٱختاره الله؛ لإنقاذ أمته والعالم كله مما كان يحيط بالناس من شر وفساد؟

أليس في ذلك إفحام لهٰؤلاء الذين لا يخجلون من تزوير حقائق التاريخ فيضعون رسول الله ﷺ بما أرادوا أن يضعوه به، وكل وقائع حياته

تكذيبهم وتصفعهم علىٰ وجوههم وتجعلهم يكفون عن ترديد هٰذِه الأفتراءات لو كانوا يستحيون أو ينصفون. إن ميزة رسول الله ﷺ عن غيره من الأنبياء والعظماء أنه لم يتكلف الزهد تكلفًا ولا تظاهر به تظاهرًا، بل كان أمرًا طبيعيًا.

ولقد جاء في سيرته أنه إذا جاء بيته فوجد فيه اللحم أكله، وإن وجد فيه الزيت أكله، وإن وجد فيه الخل أكله، وإن لم يجد شيئًا ظل جائعًا ولا يشعر أصحابه بذلك، وقد يمتد به الجوع يومين وثلاثة أيام حتىٰ إنه ليربط علىٰ بطنه الحجر من شدة الجوع وأصحابه علىٰ غير علم بحاله، ولو علموا بأمره لملأوا من أطايب الطعام والشراب، ولقد توفي ﷺ ودرعه مرهونة عند بعض أهل الذمة لقاء نفقة أهله، فهل ترون الصحابة كانوا يرضون برهن درعه لقاء قوت عياله، لو كانوا بذلك المسالمين، وهل ترونه ﷺ كتم هٰذا الأمر عن صحابته إلا لأنه كان مع صحابته رسولًا هاديًا لا زعيمًا متكبرًا طماعًا في أموال أتباعه؟ وحاشاه من ذلك وهو الذي قال الله له: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[1].

أيها الشباب والفتيات، أيها الرجال والنساء، أيها العلماء والطلاب، أيها الزعماء والمتنفذون، أيها المؤمنون والمؤمنات، لتكن لكم في حياة رسولكم ﷺ -كما ذكرنا طرفًا منها- أسوة وعبرة، ولتكن الدنيا آخر ما تفكرون فيه ما دمتم تحملون لواء الإصلاح وتحكم الهداية، وليكن أحب شيء إلىٰ نفوسنا جميعًا أن نقتدي برسول الله ﷺ في أسلوب حياته ومعيشته، وجعل همنا الأكبر هداية الناس إلىٰ الله، وإرشادهم إلىٰ طريق جنته ورضوانه، فهٰذا هو والله خير من الدنيا وما فيها، وهو الغنى الذي ليس بعده غنىٰ، والشرف الذي ليس وراءه شرف، والعظمة التي

---

(١) الأنبياء: ١٠٧ .

تتضاءل دونها العظمات، فأي عظيم مثل محمد ﷺ؟ بل إني لأرىٰ وصف الرسول بالعظمة لا الرسالة دون قدره الشريف، فالعظمة تراب يصعَّد من الأرض غرورًا، والنبوة كلام السماء إلى الأرض يملؤها هديًا ونورًا، اللهم ٱرزقنا الاقتداء برسولك واهتداء بهديه حتىٰ نكون من السعداء الخالدين والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثالث

الرد على
شبهة حول زواج النبي ﷺ
بزينب بنت جحش

شبهة حول زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش

وقد أستغلت هٰذِه الحادثة أي زواج الرسول ﷺ بزينب بنت جحش من قبل المستشرقين والمبشرين الذين نشروا الكثير من كتبهم المفتريات على الإسلام وعلىٰ رسول الله ﷺ وجعلوا عناوين كاملة بهٰذِه الحادثة ويزينوها بالكذب والتضليل فقالوا: بات محمد يحب زينب ويعشقها وهو السبب في طلاقها من زيد بن حارثة، وممن روج لهٰذِه الحادثة من المستشرقين غوستاف لوبون وإميل درمنغم والراهب منتجو مري وات فيقول غوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب» بعد ثنائه علىٰ محمد ﷺ بصفاته الحميدة ما نصه: «وضعف محمد الوحيد هو حبه الطارئ للنساء، وهو الذي أقتصر علىٰ زوجته الأولىٰ حتىٰ بلغ الخمسين من عمره، ولم يُخْفِ محمد حبه فقد قال: «حُبِّب إليَّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة»، ولم يبالِ محمد بسن المرأة التي يتزوجها، فتزوج عائشة وهي بنت عشر سنين وتزوج ميمونة وهي في الحادية والخمسين من سنها، وأطلق محمد العنان لهٰذا الحب حتىٰ إنه رأى أتفاقًا زوجة ابنه بالتبني وهي عارية فوقع في قلبه منها شيء فسرحها بعلها؛ ليتزوجها محمد فاغتم المسلمون، فأوحي إلىٰ محمد بواسطة جبريل الذي كان يتصل به يوميًا آيات تسوغ ذلك، وانتقل الأنتقاد إلىٰ سكوت».

ويقول المستشرق «إميل درمنغم»:

شعر محمد بالعقد الأخير من عمره بميل كبير إلى النساء..ودخل محمد ذات يوم بيت زيد بن حارثة بعد الفراغ من غزوة بني النضير -وكان زيد في ذلك اليوم غائبًا عن بيته- فوجد فتيات قومها. وكانت زينب هٰذِه آنئذ سافرة وشبه عارية وعاملة علىٰ زينتها وإدارة بيتها، فأثر هٰذا الجمال

السافر الغض الفياض في نفس النبي فقال: سبحان مقلب القلوب. ولم ينطق بغير هٰذِه الكلمة، وانصرف حالًا. قصت زينب ما رأت علىٰ زوجها زيد فارتبك كثيرًا، وكان زيد المخلص لمحمد المنعم عليه يعلم مزاجه المتقد وبدا الوضع محيرًا إلى الغاية.

ويقول المستشرق مونتجومرىٰ وات.

ذهب محمد فيما بعد حوالي السنة الرابعة للهجرة ٦٢٦م إلىٰ بيت زيد للتحدث إليه وكان زيد غائبًا، فشاهد زينب وهي عارية، فأحبها كما يقولون لتوه، فمضي وهو يقول لنفسه: سبحان الله مقلب القلوب.

الجواب عن هٰذِه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول:

نقول لهٰؤلاء المستشرقين الكذابين: ما هو الدليل علىٰ صحة ٱفترائكم على النبي ﷺ؟ يقول ابن القيم[1] رحمه الله:

وأما ما زعمه بعض من لم يقدِّر رسول الله ﷺ حق قَدْرِهِ من أنه ٱبتلي به في شأن زينب بنت جحش، وأنه رآها فقال: سبحان مقلب القلوب، فأخذت بقلبه وجعل يقول لزيد: «أمسكها» حتىٰ أنزل الله عليه ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[2]» فظن هٰذا الزاعم أن ذلك في شأن العشق، وصنف بعضهم كتابًا في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر فيه هٰذِه الواقعة، وهٰذا من جهل هٰذا القائل بالقرآن وبالرسل، وتحميل كلام الله مالا يحتمله، ونسبته رسول الله ﷺ إلىٰ ما برأه الله منه.

---

(١) «زاد المعاد» (٤/ ٢٤٤).
(٢) الأحزاب: ٣٧ .

الوجه الثاني:

يقول الإمام أبو بكر بن العربي:

فأما قولها: إن النبي ﷺ رآها فوقعت في قلبه. فباطل؛ فإنه كان معها في كل وقت وموضع ولم يكن حينئذ حجاب. فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج، وقد وهبته نفسها وكرهت غيره، فلم يخطر ذلك بباله، فكيف يتجدد هوىٰ لم يكن؟ حاشا لذلك القلب المطهر من هٰذه العلاقة الفاسدة، وقد قال ﷻ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾(١)

الوجه الثالث:

إن هٰذا الأفتراء متوقع منكم؛ وذلك لأنكم ٱفتريتم علىٰ أنبيائكم الأفتراءات الباطلة فكيف بغير أنبيائكم؟

يقول الأستاذ محمد رشيد رضا:

ولو كان عند هٰؤلاء الدعاة المبشرين عرق حياء لمنعهم الجذع الكبير الذي في أعينهم عن رؤية قذاة ضئيلة في أعين غيرهم، أي لمنعهم قصة داود النبي الذي يصلون ويعبدون الله بمزاميره مع ٱمرأة أوريا التي رآها كما يروي كتابهم المقدس تغتسل فأعجبته، فاستحضرها وضاجعها وحملت، وأمر بجعل زوجها في مقدمة الحرب وتعريضه للقتل، فقتل؛ لينفرد بها من دونه كما هو مفصل في الفصل ١١ من سفر صموائيل الثاني. والمسلمون يبرئون نبي الله دواد ﷺ مما ترويه عنه كتب قومه المقدسة عندهم وعند النصارىٰ، وقصة داود في سورة سبأ لا تدل على ٱقترافه الفاحشة وجريمة القتل إرضاء للشهوة. حاشاه من ذلك. اهـ

---

(١) طه: ١٣١ .

الوجه الرابع:

إن الذين تتهمون به النبي ﷺ -وهو مبرأ منه- ترتكبون ما هو أشنع منه وأفظع.

بين الحين والآخر تتحدث الأخبار عن فضائح مالية وخلقية لرجال دين في أعلى الهرم الإداري للكنائس، وكذلك بين موظفيها الصغار، وبعض هٰذِه الفضائح حصلت علىٰ شهرة عالمية ليس من السهولة نسيانها بعد أن حفرت في سجلات التاريخ، وها هي بعض الأمثلة:

١- جيمي سواجرت:

وصفت مجلة التايم الأمريكية سقوط جيمي سواجرت في مقال لها بتاريخ ٧ مارس ١٩٨٨م قائلة: «لقد كانت بلا شك أكبر موعظة دراماتيكية في التاريخ تم بثها عن طريق محطات التلفزيون، إنه جيمي سواجرت البالغ من العمر ٥٢ عامًا، وملك مبشري التلفزيون يقف مستعدًا وجهًا لوجه أمام ذنب بشع ٱرتكبه بعد أن ٱعترف في حضور ٨٠٠٠ مصلٍّ، ألف منهم واقفين لعدم وجود كراسي، بينما شاهده ملايين البشر علىٰ شاشة التلفزيون على ٱمتداد الكرة الأرضية.

وتعقب ٱمرأة تبلغ من العمر ٤٧ سنة رفضت الإفصاح عن ٱسمها علىٰ هٰذا السقوط بقولها: «كيف يستطيع جيمي سواجرت بعد الآن أن يقف على المنصة ليعظ الناس ضد الزنا والأعمال الفاضحة الأخرىٰ، في الوقت الذي هو نفسه يقوم بمثل هٰذِه الأشياء منذ زمن؟ وأنا أرىٰ أنه يجب عليه أن يغيب إلى الأبد».

جيمي سواجرت كان يتمتع بالحياة متنقلًا بين ٣ قصور فسيحة وطائرة نفاثة وحرية في ٱستخدام الممتلكات الفارهة للمؤسسة الدينية التي يعمل فيها، بالإضافة إلى ٱستراحة خاصة في كاليفورنيا.

جيمي سواجرت مثله في ذلك مثل قريبه جيري لي لويس الموسيقي الخارج عن طوره في التصرف معروف بقدرته الخطابية العالية وموهبته في التأثير على الناس بالكلام وبالحركات المليئة بالإثارة والحيوية، فعند كل محاضرة يستطيع سواجرت أن يبكي وينفعل ويلوح بالإنجيل عاليًا ويتحرك من جانب إلىٰ أخر على المنصة ضاربًا الأرض برجليه في إيقاعات سريعة جاعلًا مستمعيه يبكون في تفاعلات عميقة.

جيمي سواجرت مثل أي رجل أعمال ناجح، أو ممثل مشهور ٱستطاع أن يبني ٱمبراطورية لها مشاهدين يبلغ تعدادهم مئات الملايين علىٰ مستوى العالم، ودخل يصل إلىٰ أكثر من (١٥٠) مليون دولار في السنة، فبرنامجه يبثه في أكثر من (٥٠) دولة عدا أمريكا. يقول المحللون: إن ٱعتراف سواجرت أمام الناس علىٰ شاشة التلفزيون يعتبر تعذيبًا له أمام العامة بطريقة لم ترها الذاكرة من قبل.

«لقد ٱرتكبت ذنبًا في حقك» عبارة قالها سواجرت في بث مباشر على التلفزيون وهو ينظر إلىٰ زوجته فرانسيس سواجرت التي عاش معها ٣٥ سنة، ثم ٱنتقل ليوجه ٱعتذاره لابنه دوني وزوجته دوبي ثم علىٰ ربه، فأضاف وهو يبكي بحرقة والدموع تذرف بغزارة علىٰ خديه أمام الملايين المشاهدين: «لقد ٱرتكبت خطيئة في حقك يا إلهي، وأنا أسأل دمك الغالي؛ ليغسل وينظف كل بقعة من هٰذِه الخطيئة حتىٰ تذوب في محيط الرحمة» حركت الكلمات والدموع مشاعر المستمعين، فبكوا معه وقاطعوا كلمته مرتين، ووقفوا علامة الدعم والصفح والمساندة، وبعد ٱنتهاء المشهد غير العادي واصل كثير من الحضور البكاء بحرارة، وافترش بعض منهم الأرض أو ٱنثنوا على الكراسي، وجاءت الزوجة فرانسيس مع عدد آخر من الحضور، وأخذوا الواعظ، وبعد برهة ٱختفوا به في القصر الكبير.

يقول مافيس بتسرن المتقاعد من مدينة سبرنج فيلد الذي واظب علىٰ مشاهدة برنامج جيمي سواجرت علىٰ شاشة التلفزيون لمدة عشر سنوات معلقًا على الحدث:

«الأخ سواجرت ما هو إلا بشر، والإنجيل يقول: إن الذين يحبون الرب ويسعون للحق فإن ذنوبهم ستغفر إذا ما تابوا».

خارج حقل الوعظ المؤثر كان نفاق جيمي سواجرت يدعو للعجب، فقد كان دائمًا مضادًا للتصرفات الشائنة والدعارة، وعندما وقع زميله في المهنة الواعظ المشهور جيم بيكر وزوجته تامي في فضيحة جنسية كان رد جيمي سواجرت بأن جيم بيكر ما هو إلا سرطان في جسم المسيح. وفيما بعد لعب سواجرت دورًا في حياكة ثوب سقوط جيم بيكر من فوق إمبراطوريته «سبحوا الرب» قبل هٰذِه الفضيحة الكبيرة التي سببت في سقوط جيمي سواجرت من فوق عرشه على القمة، تعرض الواعظ لفضائح عديدة سابقة آستطاع تخطيها بسهولة، ففي عام ١٩٨٣م مثلًا ذكرت أحد محطات التلفزيون في بتن روج أن بعض الأموال التي تبرع بها الناس لمساعدة الأطفال المحتاجين كانت في الواقع تستخدم لمباني وأثاث الكنيسة، وبجانب ذلك كانت هناك آتهامات ضد صهر جيمي سواجرت له علاقة بأخذ رشاوىٰ من مطبعة دلاس التي كانت مسئولة عن طباعة مجلة جيمي سواجرت الشهرية المسماه «الواعظ»، وتم معالجة الأمر علىٰ أساس أنه أمر داخلي خاص بالكنيسة، وسكت المسئولون في المؤسسة عن القضية وقفلوا ملفها.

عبرت عمته أدنا ماكويت من مدينة لاندفيل عن رأيها فقالت: «لقد هزتني أخبار جيمي سواجرت المتعلقة بفضيحته الجنسية، وحتىٰ أقول الحقيقة فإن الذي سمعته أثار التقزز في نفسي وجعل ضغط دمي يرتفع

بحدة، ورغم ذلك فإن الرب يستطيع بطريقة ما أن يزيل الأشياء الخاطئة مثل هٰذِه المشكلة ويحولها إلىٰ مجد»، وأما والده فقد قال: «إن الذي حدث لجيمي قد يعطيه درسًا فلا يكون ناقدًا للناس الآخرين بشدة كما كان يفعل في السابق، وأنا أعتقد أن ما حدث له سيجعله أكثر تواضعًا، والحادثة التي سمعناها تثبت لنا أنه ليس هناك أحد يعلو بدرجة لا يمكن له أن يسقط بعدها، وأعتقد أن هٰذا ما يريد أن يرينا إياه الرب»

وقال المواطن جيمس دال: «إلىٰ متىٰ يقوم الناس الطيبين بدعم هٰؤلاء المبشرين الكذبة الذين يستخدمون التلفزيون للحصول على الملايين عن طريق بيع عيسي للمغفلين، في الوقت الذي لا يؤمن فيه هٰؤلاء المبشرين أنفسهم بالرب، وجيمي سواجرت هو آخر من سقط من فوق كنيسته، والآن نحن لا نستطيع أن نخفي سؤالنا المتعلق بمن الذين سوف يليه في السقوط؟ فهل تسمعني أنت يا أورال روبرتس، فربما أنت ليس لك علاقة مع عاهرة، ولكنك عندك جشع وأنت مسؤول عنه أيضًا».

ونحن عندما نكتب هٰذِه الأسطر تعود بنا الذاكرة للمناظرة التي تمت بين الشيخ أحمد ديدات وجيمي سواجرت في أواخر ١٩٨٦م في مدينة بتن روج، فيقفز إلىٰ الأعين شريط الأحداث عندما يلتفت جيمي سواجرت إلى الشيخ أحمد ديدات ويقول له «أنتم عندكم في الإسلام أن الرجل يتزوج أربعة نساء» فصحح الشيخ أحمد المفهوم بقوله «حتىٰ أربع زوجات بشروط معينة وليس شرط للرجل أن يتزوج أربعة» فرد عليه جيمي قائلًا وهو يلتفت لزوجته التي تم تسليط كاميرا التلفزيون عليها «أما أنا فلا أحتاج لذلك، فتكفيني زوجتي الرائعة».

وعندما سأل الشيخ أحمد مناظره جيمي عن دليل القوة والتأثير للتعاليم النصرانية الحديثة في الناس، أجاب بأن الدليل يكمن في المثال

الحي الذي يمثله جيمي سواجرت نفسه.

ومن العجائب الأخرىٰ للأمور وسخريتها أن يعقد جيمي سواجرت مؤتمرًا صحفيًا في لوس أنجلوس بعد ثمانية أيام من تنحية زميله في المهنة جيم بيكر وأمام جمع من ١٥,٠٠٠ شخص في قاعة للرياضة، يقول فيه كلامًا ضد «النفاق» وضد «مدعي النبوة»، وطلب من الرب أن ينقذه من أولئك الذين أسماهم «بالصبيان الذين يذهبون لصالونات التجميل للعناية بشعرهم وأظافرهم ثم يطلقون علىٰ أنفسهم لقب وعاظ ويقومون بخداع ملايين الناس».

وبعد السقوط الكبير لجيمي سواجرت أجرى التلفزيون لقاء مع جيمم بيكر في مقره بكاليفورنيا، وكان يبدو علىٰ وجهه الأرتياح، وسئل عن ردة فعله تجاه ما حدث لجيمي سواجرت، فقال: «لقد بكت زوجتي عندما سمعت الخبر، وأما أنا فإني أكرر كلمات عيسىٰ الذي بدون خطيئة فليبدأ برمي المرأة بالحجر الأول».

٢- جيم وزوجته تامي بيكر

بدأ جيم بيكر حياته كواعظ نصراني يبث برامجه علىٰ شاشة التلفزيون عندما التحق بمؤسسة بات روبرتس المسماه "seven hundted ciub" عام ١٩٦٥م وكان هو صاحب فكره دعوة الأعضاء للتبرع من أجل تغطية النفقات المختلفة للعمليات، وفي عام ١٩٧٤م بدأ في بناء إمبراطوريته الدينية «سبحوا الرب» ptaise the iotd (pti) وفيما بعد قام بالاشتراك مع زوجته الراقصة تيم ببث برنامج تلفزيوني تتفرج عليه ١٣,٥ مليون عائلة بواسطة قمره الصناعي الخاص عبر ١٧٨ محطة تلفزيونية ونتيجة لهٰذا النشاط بلغت العائدات السنوية المتوسطة ١٢٩ مليون دولار. من المعروف أن كثيرًا من التصرفات الشخصية

والمالية لجيم بيكر وزوجته تيم فاي كانت تحوم حولها كثير من الشبهات، ولكنها لم تؤد في يوم من الأيام لسقوطه أو حتىٰ أفول نجمه قليلًا حتىٰ جاءت علاقته الغرامية مع السكرتيرة جاسكا هان والتي دامت ٧ سنوات، فكانت الحادثة عنصرًا أساسيًا مساهمًا في خسارته لمؤسسته الدينية ذات الأموال الطائلة. رغم الفضيحة طلب جيم بيكر العودة لإدارة إمبراطوريته، فاغتاظ المبشر الآخر جيري فال ويل وأعلن للعامة بأن جيم بيكر اعترف له في مكالمة مسجلة علاقته الغرامية مع جاسكا هان ووصف نفسه بأنه ضحية بريئة ليس له خبرة جنسية وقع بين براثن امرأة متمرسة في هٰذه الشئون، وأن سبب فعلته هو مجرد إثارة غيرة زوجته تامي فاي بيكر التي كانت علىٰ علاقة مع رجل آخر في ذلك الوقت، إلا أن الواقع غير ذلك، فقد اتضح أن الأمر أكثر بشاعة، فأحد مساعدي جيم بيكر مارس الجنس هو الآخر مع جاسكاهان، وفي أحد الليالي دخل مساعد ثالث لجيم علىٰ جاسكاهان بقصد الزنىٰ فوجدها مستلقية في وضع لا يسمح لها بذلك، وبجانب هٰذه الفضائح هناك قضية شذوذ جيم بيكر الجنسي، فأحد مساعدي بيكر السابقين وصف في تقرير مسجل قانونيًا كيف أن الواعظ جيم بيكر حاول إغراءه بممارسات جنسية وهو في حالة عري كامل.

أحد المسئولين في مؤسسة «سبحوا الرب» يقدر مرتب جيم بيكر بحوالي ٢ مليون دولار في السنة، وهناك ملايين أخرىٰ صرفت علىٰ مساكن وسيارات فارهة لبيكر، كما تم دفع حوالي ٢٦٥ ألف دولار لشراء صمت السكرتيرة جاسكاهان، وبعد الفضيحة خرجت نكات كثيرة منها أن أحرف "pti" المختصرة تعني "peoplethatlove" أي الناس التي تمارس الجنس، أو قد تعني كما جاء في مجلة النيوزويك "pass the ioot" أي وزعوا الغنائم بدلًا من الأسم القانوني "ptaise the iotl"

يقول جيري فال ويل بأن جيم وزوجته سببوا الضرر لحساب المؤسسة في البنك، فالديون عليها تقدر بـ «٧٠» مليون دولار، وهناك قرابة ٦٢ محطة تلفزيونية من أصل ١٨٣ كانت تذيع البرامج الدينية هي الآن متوقفة عن الإرسال بسبب عدم دفع المصاريف، ولمواجهه هٰذِه الأزمة تم تقليص المصاريف وتسريح ٢٠٠ موظف ووضع مشروع التوسع تحت التجميد كما أوقف بناء كنيسة الكريستال التي تكلف ١٠٠ مليون دولار وتتسع لـ٣٠ ألف كرسي، وهٰذِه الكنيسة صممت لتكون أكبر كنيسة في العالم.

خسر جيم بيكر منصبه وشهرته بعد الفضيحة، فعقب علىٰ الخسارة بقوله: «إنني أحلم الآن ببناء مدينة جديدة ربما في كاليفورنيا، وأحلم في العودة يومًا ما للتلفزيون» فيرد عليه جيري فال ويل بقوله: «إنني أتمنىٰ لجيم بيكر أن يجد له عملًا في مزرعة العنب الخاصة بالرب، أما أن يعود من جديد كواعظ ديني أو مصلح في الكنيسة فلا».

وقالت زوجته تامي فاي بيكر في أحد المقابلات التلفزيونية ووافقها الزوج بهز رأسه: إذا لم يتم الصفح عنا وإذا لم يسمح لنا بمواصلة ما نريد وإذا لم يتم مساعدتنا في إعادة ما فقدناه فإن هٰذا الإنجيل فيَّ ليس له تأثير.

ومن المعروف أن تامي بيكر تعاني من مشاكل إدمان على المخدرات، وقد سقطت مرة أثناء أدائها لعملها مع زوجها أمام الناس بسبب هٰذِه المشكلة.

٣- أورال روبرتس

أورال روبرتس مبشر نصراني له قصص أغرب من الخيال، منها خروجه في أحد السنوات بتصريح مفاجئ وغريب قال فيه إثر أزمة مرت بمؤسسته بأنه سيركن ويعزل نفسه في برجه؛ ليواصل الصيام والصلاة إلىٰ

أن يقضي الرب أمرًا كان مفعولًا. أورال روبرتس بدأ حياته فقيرًا، وعاش في أوكلاهوما منحدرًا من عائلة نصف هندية من قبيلة شريكي، وهو يدعي بأن الرب أعطاه يدًا تستطيع شفاء الناس لسنين طويلة احتل أورال مكان الصدارة وأصبح غنيًا يدير عمل الكنيسة مستخدمًا ٢١٠ محطة بث تلفزيوني يشاهدها قرابة ٢ مليون مواطن، كما استطاع بناء جامعة في مدينة تالسا بولاية أوكلاهوما سماها جامعة أورال روبرتس. ثم بعد ذلك قال بأن الرب أخبره بضرورة بناء «مدينة الإيمان» ومركز للأبحاث الطبية ومستشفىٰ وعيادة. والمشروع كان لا يزال في طور البناء عند ما خرج روبرتس عام سنة ١٩٨٠م بحديث مفاده أنه رأىٰ عيسي منتصبًا حتى السماء بطول ٩٠٠ قدم بجانب المبنىٰ طالبًا منه إتمام المشروع. سمع الناس هٰذا الكلام فخرجت بعض النكات منها «أنه قد تم وضع علامة تحذير جديدة على الطريق تقول: انتبه، خطر، إنها منطقة عبور عيسي الذي يبلغ ٩٠٠ قدم».

رغم الإيرادات السنوية العالمية التي تقدر بـ «٥٥» مليون دولار عانىٰ مركز أورال روبرتس متاعب مالية منذ البداية، ويرجع روبرتس السبب في ذلك لعدم تنفيذ الأوامر الربانية بحذافيرها، فالرب طلب أن يتضمن المبنىٰ ٧٧٧ سريرًا، ولكن الحكومة سمحت له فقط بـ«٢٩٤» سرير، ومن الناحية العملية واجهت إدارة المستشفىٰ صعوبات أخرىٰ لها علاقة باستقطاب عدد كافي من المرضىٰ؛ لتغطية التكاليف وتحقيق الأرباح، فلم تستطع أن تجلب بصفة مستمرة أكثر من ١٠٠ مريض. واجهت أورال روبرتس مشكلة أخرىٰ، فالذين يشاهدون برامجه أصبحوا يكبرون في العمر فانخفض عدد المشاهدين إلىٰ ١,١ مليون عائلة في عام ١٩٨٥م وذلك مقارنة بـ ٢,٥ مليون عائلة عام ١٩٧٧م، وهي ظاهرة جعلت إيراداته تتناقص بمقدار ٣٣ مليون دولار، حيث كانت إيراداته في عام ١٩٨٠م مثلًا ٨٨ مليون دولار،

وفي نفس الوقت ٱستمرت المصاريف في الٱرتفاع، فلم يجد له مخرجًا سريعًا من أزمته المالية إلا أن يعلن للناس بـ «أن الرب أمره أن يجمع للكنيسة ومشاريعها ٨ مليون دولار في خلال ٣ أشهر، وإلا فإن هٰذا الرب سيأخذ روحه للدار الآخرة».

قبل ٱنتهاء الموعد المحدد خرجت للسطح فضيحة جيم وتام بيكر وتقدم أحد الأغنياء من ولاية فلوريدا والذي سمع بأن أورال لا يزال أمامه ١,٣ مليون دولار؛ ليحقق هدفه، فأعطىٰ شيكًا بكامل المبلغ دفعه واحدة، ومن المعروف أن أرباح هٰذا الغني تأتي من إيرادات مشروع إدارة سباقات الكلاب والقمار علىٰ فوزها، وعندما قبل أورال المبلغ فإنه يقبل في الواقع تبرعًا جاء من أعمال القمار، وهو شيء مخالف لتعاليم الكنيسة.

بعد سقوط جيمي سواجرت خرج أورال روبرتس للسطح مرة أخرىٰ وطلب من المخلصين مساعدته؛ ليتمكن من جمع ٨ مليون دولار أخرىٰ، ولٰكن هٰذِه المرة لم يذكر أي قصص غريبة، أغضبت هٰذِه التصريحات جيمي سواجرت وأعلم في تصريح بأن إنجيل عيسىٰ لم يسبق له أن ٱنحدر لمثل هٰذا المستوىٰ.

٤- جوزيف باس

بدأت قصة جوزيف باس مع الكنيسة عندما كان عمره ١٦ عامًا، ففي ذلك الوقت وفي أحد الأيام كان يستمع لجهاز الراديو في مدينة فورث سميث وفجأة قال لأمه: إنه يريد أن يرحل لمدينة بورت لاند؛ ليدرس الإنجيل. وبعد مضي عدة عقود علىٰ هٰذِه الحادثة أصبح جوزيف باس يتمتع بمحيط عمل ممتاز وسيارة فارهة ويخت طوله ٣٨ قدمًا. وبدأت فضيحة جوزيف باس عندما وجه خبراء المساعدات الخيرية وبعض موظفي الحكومة الفيدرالية ورجال القطاع الخاص ٱتهامات مفادها أن

مؤسسته تقوم بتجميع ملايين الدولارات من الناس بغرض صرفها على الجياع في أفريقيا وآسيا ولكنها تحتفظ بها لنفسها ولا توصلها لهم. وصلت التقارير إلى الآذان، وأظهرت التحقيقات الجديدة فضائح أخرىٰ، وأعلن موظفون سابقون في المنظمة عن حوادث مشابهة، وفضل هٰؤلاء الشهود إبقاء أسماءهم بدون ذكر؛ خوفًا من سلطة باس، ولكنهم أظهروا الحقائق التالية:

١- كثيرًا من الأموال التي تم جمعها بغرض تغطية برامج الإغاثة صرفت في الواقع علىٰ مرتبات ومصاريف سفر جوزيف باس وصرفت أيضًا علىٰ بعض المباني بما فيها مبنى المركز الرئيسي في ولاية كاليفورنيا حيث بلغت المصاريف ٣,٤ مليون دولار.

٢- بعض الوثائق التسجيلية التي ظهرت علىٰ شاشة التلفزيون لحث الناس على التبرع ما هي إلا خدع تصويرية في صورة تمثيلية غير صحيحة، فمثلًا أحد الأشرطة التي تمثل جوزيف باس وهو يقوم بتوزيع الطعام والدواء من الطائرة إلىٰ شاحنات مخصصة تمهيدًا لنقلها لمنكوبي الجوع في أفريقيا هي في الواقع صور وأحداث مسرحها أرض أمريكا.

٣- ٢٠٪ فقط من التبرعات تصرف على البرامج التي جمعت من أجلها، وأما الباقي فهي أموال تذهب لتغطية نفقات خاصة.

٤- المؤسسة تتبع طرق عديدة للابتزاز من بينها تقليص مبلغ المساعدات الخاصة بالأطفال المحتاجين بدون علم المتبرع، فمثلاً إذا كانت العائلة تخصص ٢٠ دولار في الشهر لتغطية طفل واحد محتاج أي ٢٤٠ دولار في السنة فإن المنظمة تحول فقط ٤٠ دولار في السنة وتحتفظ بالباقي؛ وبذلك تبلغ الحصيلة الإجمالية من هٰذِه العمليات عشرات الملايين من الدولارات.

٥- جيم ويتنجتون

الواعظ النصراني جيم ويتنجتون لديه فضيحة أخرىٰ تختلف بعض الشيء في شكلها الخارجي عن فضيحة زميله جوزيف باس. فجيم عنده محطة تلفزيونية؛ تبث إرسالها من ولاية نورث كارولاينا لمدة نصف ساعة في الأسبوع، ولكنها تغطي معظم أمريكا عن طريق ٱستخدام أكثر من ١٠٠ محطة تلفزيونية فيصل بذلك عدد الشاهدين لأكثر من ٥ ملايين مشاهد.

جيم ويتنجتون قال عبر محطاته التلفزيونية: «إنه إذا كان أي فرد يرغب في أن أدعو له في صلاتي فما عليه إلا أن يرسم كفي يديه علىٰ قطعة من الورق ويكتب عليها ما يريد ويرسلها لي».

استجاب لهٰذا النداء كثير من المشاهدين وخاصة أولئك المرضىٰ أو الذين يواجهون مشاكل مالية وشخصية، فعندما يكون الشخص محتاجًا فإنه يتشبث بأي شيء، فهو مثل الغريق الذي يمسك بالقشة الطافية فوق السطح، وبهذه الطرق ٱستطاع جيم الحصول علىٰ تبرعات كثيرة مع الطلبات التي قد تصل إلىٰ ١٥٠٠ دولار مع الطلب الواحد، والذين لا يبعثون أي تبرع يصلهم خطاب تهديدي يفيد أن غير المحسنين سيتعرضون لمشاكل مع الرب وستتجنبهم البركات.

اعترض بعض الناس على الأسلوب؛ فأبلغوا أجهزة الإعلام التي ٱتصلت بالسلطات ووحدات الغش والرسائل، فلم يكتشف فيها أية ٱنتهاكات قانونية؛ فلم يتخذ أي إجراء ضد الواعظ.

٦- دونالد باتكريك

اعترف الكاهن الكاثوليكي دونالد باتكريك من مدينة أوكلاند في كاليفورنيا والذي كان يتمتع بأرضية صلبة من الثقة بأنه قام بالاعتداء الجنسي علىٰ قرابة ٣٠ طفلًا.

٧- نيكولاس أجيسولار

هرب الكاهن الكاثوليكي نيكولاس أجيسولار من لوس أنجلوس إلى المكسيك بعد أن وجهت له تهمة الاعتداء علىٰ ٢٦ طفلًا، وتقول جريدة لوس أنجلوس تايمز التي أوردت الخبر: إن عائلات هٰؤلاء الأطفال فقدت الأمل في المؤسسات الدينية وإنها -أي العائلات- تشعر بألم كبير.

٨- جون سالارز

أبلغت إحدىٰ الأمهات قسم شرطة مدينة لوس أنجلوس واتهمت الكاهن جون سالارز بالاعتداء على ابنها البالغ ١٣ عامًا.

٩- جون أنجبرز

في مدينة لافاييت بولاية لويزيانا اتهمت ٥ نساء الكاهن جون أنجبرز بالاعتداء عليهن جنسيًا عندما كن طفلات، وعندما عرف الكاهن بأنه سيتعرض للمحاكمة فر إلىٰ دولته التي جاء منها وهي هولندا.

١٠- فضائح متفرقة

يمكن القول بشكل عام أنه في خلال ٣ سنوات بلغ رقم القضايا المتعلقة بالاعتداء الجنسي على الأطفال والتي وصلت إلىٰ مسمع وعلم الكنيسة والسلطات الأمنية ١٣٥ قضية ٩٥ قضية منها أحيلت للمحاكمة، فتم الحكم علىٰ ١٧ كاهن على الأقل بالسجن، كما حكم على البعض الآخر بالإدانة مع وقف التنفيذ، وهناك قضايا أخرىٰ تنازل فيها الضحايا عن حقوقهم بعد أن تم إسكاتهم بالمال.[1]

---

(١) «أمريكا تحرق نفسها» تأليف د/ مختار المسلاتي ص ١٥١-١٦٥ .

الباب الثامن
صوت المرأة

صوت المرأة

ومن الشبهات التي تثار حول المرأة في الإسلام أن صوتها عورة يجب حجبه عن أسماع الرجال، والجواب علىٰ هٰذا نقول: إن صوت المرأة ليس بعورة، وذلك لأن النساء كن يكلمن الرجال في زمن النبي ﷺ، وفي زمن أصحابه - رضوان الله عليهم - بالسلام، والسؤال، والاستفهام، والاستفتاء في أمور الدين، والمشاورة، وغير ذلك كما هو معروف من سيرهن وسيرهم، ولو كان صوت المرأة عورة لا يحل لرجل أجنبي سماعه منها، لما أستحل هٰؤلاء الصحابة لأنفسهم سماعه من نساء أجنبيات عنهم، فهم أورع من أن يفعلوا ما حرمه الشارع عليهم أو لأنكر عليهم رسول الله ﷺ، أو أنكر بعضهم علىٰ بعض، ولكن لم يرد عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه نكير علىٰ ذلك، فدل هٰذا علىٰ أن صوت المرأة ليس بعورة، وأنه يحل لأجنبي عنها سماعه منها .

وأيضًا: لو كان صوت المرأة عورة لأمرت بستره وحجبه عن الرجال الأجانب عنها، كما أمرت بستر العورة من بدنها عنهم، فلما لم تؤمر بستر صوتها، وعدم التحدث مع الرجال الأجانب عنها، دل هٰذا علىٰ أنه ليس بعورة منها .

قال الدكتور/ يوسف القرضاوي(١):

القرآن أجاز سؤال أزواج النبي ﷺ من وراء حجاب، رغم التغليظ في أمرهن، حتىٰ حرم عليهن ما لم يحرم علىٰ غيرهن؟ ومع هٰذا قال الله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ والسؤال يقتضي جوابًا، وهو

(١) «فتاوىٰ معاصرة» (٢/ ٢٥٥).

ما كانت تفعله أمهات المؤمنين، حيث كن يفتين من ٱستفتاهن، ويروين الأحاديث لمن يريد أن يتحملها عنهن.

وقد كانت المرأة تسأل النبي ﷺ في حضرة الرجال، ولم تجد في ذلك حرجًا، ولا منعها النبي ﷺ.

وقد ردت المرأة علىٰ عمر رأيه، وهو يخطب على المنبر، فلم ينكر عليها، بل ٱعترف بصوابها وخطئه، وقال: كل الناس أفقه من عمر.

وقد رأينا الفتاة ابنة الشيخ الكبير المذكور في سورة القصص تقول لموسىٰ: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾(١).

كما تحدثت إليه هي وأختها من قبل حين سألهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾(٢).

كما حكىٰ لنا القرآن ما جرىٰ من حديث بين سليمان ﷺ وملكة سبأ، ومثل ذلك بينها وبين قومها من الرجال.

وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ما ينسخه من شرعنا، كما هو المذهب المختار.

كل ما يمنع هنا هو التكسر والتميع في الكلام، الذي يراد به إثارة الرجل وإغراؤه، وهو ما عبر عنه القرآن باسم الخضوع بالقول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾(٣).

فالمنهي عنه هنا هو هٰذا الخضوع الذي يطمع الذين أمرضت قلوبهم الشهوات، وهٰذا ليس منعًا للكلام كله مع الرجال كلهم، بدليل قوله تعالىٰ

(١) الأحزاب: ٥٣ .
(٢) القصص: ٢٥ .
(٣) القصص: ٢٣ .

تتمة للآية: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[١].

قال الدكتور/ عبد الفتاح إدريس[٢]:

وأما سماع الرجال صوت النساء غير المرقق أو المقطع فيباح عند أمن الفتنة، إذا كان ثمة ضرورة أو حاجة تقتضيه، ولا ينبغي أن يكون في ذلك خلاف، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يذهبون إلىٰ بيوت أزواجه يسألونهن عن عبادته وما يعن لهم من أسئلة حتىٰ بعد نزول آيات الحجاب، ولم ينكر رسول الله ﷺ علىٰ هؤلاء السائلين أن سمعوا أصوات زوجاته، ولو كان صوتهن عورة لأنكر عليهن، أو لنزل الوحي بأمرهن بمنع التحدث مع الرجال الأجانب عنهن، كما نزل بأمرهن بالاحتجاب، بل إن آيات الحجاب قد أبيح فيها للرجال الأجانب عنهن أن يسألوهن الفتوىٰ في بعض المسائل، وهٰذا يقتضي أن يسمع السائلون أصوات أمهات المؤمنين بالجواب عن ذلك، كما أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قد رووا الأحاديث عن النساء، وقامت امرأة من بين صفوف النساء تسأل رسول الله ﷺ عن السبب في أن أكثر النساء حطب جهنم، وقامت أخرىٰ من بين النساء في آخر المسجد تجادل عمر وتحاوره في دعوته إلىٰ عدم المغالاة في المهور[٣]، ولم ينكر رسول الله ﷺ على الأولىٰ أن تحدثت في حضرة الرجال الأجانب عنها، فقد سمعها جابر بن عبد الله - راوي الحديث- وهو في صفوف الرجال في مقدمة المسجد، وسمعها بلال الذي كان مع رسول الله ﷺ حينئذ، وكذلك لم ينكر عمر رضىٰ الله عنه على المرأة الثانية الكلام بحضرة الرجال الأجانب عنها، فلو كان

(١) الأحزاب: ٣٢ .

(٢) «أحكام العورة في الفقه الإسلامي» (٢/ ٥٥٨).

(٣) ورد هٰذا الأثر من طرق كلها لا تخلو من مقال.

صوت المرأة عورة لأنكر علىٰ هاتين المرأتين، فدل هٰذا علىٰ أن صوتها ليس بعورة وأنه يجوز للرجال الأجانب عنها سماعه منها عند الحاجة إلىٰ ذلك، كسماعه منها عند التعليم، أو المعاملة، أو تشخيص المرض، أو الشهادة، أو الفتوىٰ، أو ما شابه ذلك إذا أمنت الفتنة. اهـ .

قال د/ البلتاجي[1]:

إذا كنا نتكلم في إطار الإسلام الذي أتىٰ به النبي محمد ﷺفاذكروا لنا نص القرآن الكريم، أو السنة الصحيحة التي قالت إن صوت المرأة عورة يجب سترها عن عالم الرجال، فهل عندكم مثل هٰذا النص؟

إن الذي ورد في القرآن الكريم متصلًا بذلك هو قوله تعالىٰ لنساء النبي ﷺ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[2]. أي- كما يقول ابن كثير وغيره- أن تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، ولا ترقيق للصوت، كالكلام الذي تخاطب به المرأة زوجها، فالممنوع إذن هو تضمين الصوت ما يطمع الرجل في المرأة، أما القول الجاد الذي لا خضوع فيه ولا إثارة، وهو صوت المرأة الإنسان وليس صوت المرأة الأنثىٰ، فلا شيء فيه مطلقًا، وقد سجلت لنا كتب السيرة، والسنة، وتراجم الصحابة والصحابيات آلاف الحوارات الشريفة بين الرجال والنساء في كل مجال، ولم يقل أحد عندئذ: إن مجرد صوت المرأة يعتبر عورة، فمن أين أتىٰ هٰذا؟!

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» (ص٤١٣).

(٢) الأحزاب: ٣٢ .

الباب التاسع

اسم المرأة

اسم المرأة

يتحرج البعض من ذكر أسم المرأة أمام البعض الآخر، وهٰذا لا حرج فيه في الإسلام، وقد دلَّ علىٰ ذلك الأحاديث الآتية:

مر رجلان من الأنصار، فسلما علىٰ رسول الله ﷺ، فقال لهما: «علىٰ رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي»(١)

استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة علىٰ رسول الله ﷺ، فعرف أستئذان خديجة، فارتاع لذلك، فقال: «اللهم هالة بنت خويلد»(٢).

- عن أنس بن مالك أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺلطعام صنعته(٣).

- فقال بلال . . . أمرأة من الأنصار وزينب، فقال رسول الله ﷺ: «أي الزيانب؟» قال: أمرأة عبد الله بن مسعود(٤).

- عن أم سلمة أن أمرأة من أسلم يقال لها: سبيعة. كانت تحت زوجها، توفي عنها وهي حبلىٰ..(٥)

فدخل عمر علىٰ حفصة وأسماء عندها، فقال عمر: من هٰذِه ؟ قالت: أسماء بنت عميس(٦).

- دخل أبو بكر على أمرأة من أحمس يقال لها: زينب بنت المهاجر(٧).

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٣٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣٨٠، ٨٦٠، ١١٦٨)، ومسلم (٦٥٨).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) أخرجه البخاري (٥٣١٨).
(٦) أخرجه البخاري (٣١٣٦، ٣٨٧٦، ٤٢٣٠، ٤٢٣٣)، ومسلم (٢٥٠٢).
(٧) أخرجه البخاري (٣٨٣٤).

وهٰذِه الأحاديث في الصحاح، وقد تقدم تخريجها، وهناك أحاديث أخرىٰ في الصحاح، ولكننا نكتفي بذلك.

قال شيخنا مصطفى العدوي[(١)]:

لا مانع من معرفة أسماء النساء، قال تعالىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[(٢)]. وها هن أزواج النبي ﷺ، جُلُّ الناس يعرفون أسماءهن، فمنهن: خديجة، وعائشة، وسودة، وزينب، وحفصة، وأم حبيبة رملة، وأم سلمة هند وميمونة، وصفية، وزينب التي كانت تلقب بأم المساكين، وجويرية رضي الله عنهن، وكذلك بنات رسول الله ﷺ: فاطمة، ورقية، وزينب، وأم كلثوم.

ومن سراري رسول الله ﷺ: ماريا، وكذلك زوجتي الخليل إبراهيم عليه السلام: سارة، وهاجر. اهـ.

وأحيانًا قد ينسب الأبن إلىٰ أمه دون أبيه، ويُعرف بذلك، دلَّ علىٰ ذلك الأحاديث الآتية:

- قال رسول الله ﷺ لفاطمة بنت قيس: «انتقلي إلى ابن أم مكتوم»[(٣)]

- وعن عائشة قالت: ما صلىٰ رسول الله ﷺ علىٰ سهيل ابن البيضاء إلا في المسجد[(٤)].

- عن عبد الله بن مالك ابن بحينة أن النبي ﷺ كان إذا صلىٰ فرَّج بين يديه[(٥)].

---

(١) «جامع أحكام النساء» (٥/ ٥٣٥). (٢) التحريم: ١٢ .

(٣) تقدم تخريجه. (٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٠، ٨٠٧، ٣٥٦٤)، ومسلم (٤٩٥).

قال ابن دقيق العيد:

عبد الله بن مالك ابن بحينة، وبحينة أمه، وأبوه مالك بن القشب.

- عن حذيفة، قال: إن أشبه الناس دلًّا وسمتًا وهديًا برسول الله ﷺ لابن أُمِّ عَبْدٍ[١]. يعني: عبد الله بن مسعود.

- وقال ابن مسعود: ظننتم بآل ابن أم عبد غفلة[٢].

- عن عبد الرحمن بن عوف: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتُّ، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم، أرني أبا جهل. فقلت: يا ابن أخي، وما تصنع به ؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله، أو أموت دونه. فقال لي الآخر سرًّا من صاحبه مثله، قال: فما سرني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين حتىٰ ضرباه، وهما ابنا عفراء[٣].

جاء في الفتاوي المعاصرة[٤] للدكتور/ القرضاوي ما يلي:

نسبة الإنسان إلىٰ أبيه، هل فيها ظلم للمرأة؟

س: قالت د/ نوال السعداوي فيما قالت في التهجم على الإسلام وشريعته وحضارته: إن اسم المرأة غير محترم في الإسلام ولا في غيره، فنحن نناديٰ بأسماء آبائنا، ولا نناديٰ بأسماء أمهاتنا، ونعتبر اسم المرأة كأنه عورة، أليس في هٰذا إهانة للمرأة، وتمييز للرجل عليها ؟ ما تعقيبكم علىٰ هٰذا الكلام؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٧). (٢) أخرجه مسلم (٨٢٢) [٢٧٧].

(٣) أخرجه البخاري (٣١٤١، ٣٩٦٤، ٣٩٨٨)، ومسلم (١٧٥٢).

(٤) «فتاوىٰ معاصرة» (٣/ ٣٥٤).

ج: الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، اسم المرأة محترم مثل اسم الرجل تمامًا، والمرأة تنادىٰ باسمها، كما ينادى الرجل باسمه، أما أننا ننادىٰ بأسماء آبائنا وليس بأسماء أمهاتنا. فهٰذا ما اصطلحت عليه معظم أمم العالم، وليس المسلمون وحدهم، كما أن هٰذا ليس أمرًا مستحدثًا، ولكنه أمر معروف طوال التاريخ أن ينسب الإنسان إلىٰ أبيه وأسرة أبيه وقبيلة أبيه، ولهٰذا يقال عن البشر عامة: بنو آدم. فهٰذِه المجتمعات مجتمعات أبوية أي النسبة فيها إلى الأب، ويوجد مجتمعات قليلة تنسب إلى الأم.

ويبدو هٰذا أمرًا منطقيًا، فقد كان الرجل هو العنصر الأقوى الذي يسعىٰ ويكدح على الأسرة ويحميها من عدوان الآخرين، وجاء في القرآن أن الله حذر آدم وزوجته من الشيطان: ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ١١٧﴾[1]. لماذا قال: ﴿فتشقى﴾ ولم يقل: فتشقيا ؟ قال الزمخشري وغيره من المفسرين: لأن الشقاء والكدح في الأرض من أجل العيش معصوب أساسًا برأس الرجل.

ويظهر أن جنس الذكر أقوىٰ في الحيوانات عامة، كما نرىٰ ذلك في الكبش والنعجة، والثور والبقرة، والديك والدجاجة، وغيرها، فهٰذا من صنع الفطرة، وليس من تحكم الرجال في النساء، ولا ينقص هٰذا من قدر المرأة؛ لأن الله ناط بها مهمة أخرىٰ غير الكدح والحماية، وهي مهمة الحمل والوضع، وتنشئة الأولاد، وما أصعبها من مهمة.

علىٰ أن من الرجال من يعرف باسم أمه لسبب أو آخر، ولم ينقص هٰذا من قدره كما نرىٰ في تاريخنا مثلا: محمد ابن الحنفية، وهو ابن علي

---

(١) طه: ١١٧ .

بن أبي طالب ﷺ، وكانت أمه من بني حنيفة، وإسماعيل ابن عُلَية، وهو من فقهاء الأمة المعتبرين، نسب إلىٰ أمه.

وآل تيمية، ومنهم: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، وهؤلاء الثلاثة من كبار علماء الأمة، الجد والابن والحفيد، وكلهم نُسبوا إلىٰ تيمية، أمهم أو جدتهم[1].

أما ٱعتبار ٱسم المرأة عورة، فربما نجد مثل هٰذا عند بعض العوام أو البدو وأمثالهم للأسف، فنجد بعض الناس يعبرون عن المرأة بـ(الجماعة) أو (الأولاد) أو (العائلة)، بل رأيت بعض الناس في الخليج إذا ذكروا المرأة يقولون: أعزك الله. كما يقولونها إذا ذكروا الحمار ونحوه!

وهٰذا ليس من الإسلام في شيء، وهم لم يفعلوا ذلك تدينًا، ولا بتوجيه الدين، بل هي أعراف جاهلية، لا سند لها من الشرع.

ولقد رأينا الرسول الكريم ﷺيذكر زوجاته بأسمائهن أو كنيتهن: عائشة، وحفصة، وزينب، وأم سلمة، وصفية، وغيرهن.

وفي حديث «الصحيحين» المعروف والمروي في ٱعتكافه ﷺ، حين ذهبت صفية تزوره عند باب المسجد، ورآه أنصاريان معها، فأسرعا

---

(١) قال ابن الجوزي: «مجموعة رسائل ابن الجوزي» ص١٩٨.
من المنسوبين إلىٰ أمهاتهم بلال بن حمامة، واسم أبيه رباح.
ابن أم مكتوم واسم أبيه عمرو، وبشير بن الخصاصية واسم أبيه معبد، والحارث بن البرصاء واسم أبيه مالك، خفان بن ندبة واسم أبيه عمير، سعد بن جتة واسم أبيه مجير، شرحبيل بن حسنة واسم أبيه عبد الله، عبد الله بن بحينة واسم أبيه مالك، مالك بن غيلة واسم أبيه ثابت، معاذ ومعوذ ابنا عفراء واسم أبيهما الحارث، يعلي بن سيابة واسم أبيه مرة، يعلىٰ بن منية واسم أبيه أمية. وهؤلاء كلهم صحابة.

الخطا، فقال لهما: «**علىٰ رسلكما، إنها صفية بنت حيي**»(١).

وكان يناديهن بأسمائهن: يا عائشة، يا حفصة...الخ، كما نادىٰ عمته وابنته باسميهما، وهو يحذر بني هاشم من النار: «**يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب عم رسول الله، يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله، يا فاطمة بنت محمد، اعملوا فإني لا أغني عنكم من الله شيئًا**»(٢).

ومن مزية الإسلام أنه لم يدمج المرأة في نسب زوجها بعد أن تتزوج، حتىٰ إنها تنسب إليه لا إلىٰ أبيها، كما هو عند الغربيين، وكما قلد ذلك بعض بلاد المسلمين، بل تبقى المرأة شرعًا محتفظة باسمها واسم أبيها وعائلتها بعد الزواج، كما كانت قبل الزواج.

ولهٰذا نقول في أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ: خديجة بنت خويلد، وسودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت جحش، وصفية بنت حيي... إلخ زوجات النبي ﷺ، وكذلك أسماء الصحابيات، مثل: نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت أبي بكر، وأم حرام بنت ملحان، وغيرهن، ومن بعدهن مثل: عائشة بنت طلحة، وأم كلثوم بنت علي، وسكينة بنت الحسين، وغيرهن.

وبالله التوفيق.

---

(١) تقدم تخريجه.	(٢) تقدم تخريجه.

الباب العاشر

كيد المرأة

كيد المرأة

يدعي البعض بأن الإسلام يصف كيد الشيطان بأنه ضعيف، ويصف كيد المرأة بأنه عظيم، واستدلوا علىٰ ذلك بأن الله تعالىٰ قال عن كيد الشيطان إنه ضعيف، وعن كيد المرأة إنه عظيم؛ والواقع أن السياقين مختلفان: فالآية الأولىٰ هي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

أما علة هٰذا الضعف فترجع إلىٰ أن الله تعالىٰ يكيد لأوليائه؛ أي: يدبر لهم أمورهم ويهيئ لهم خيرها، ويكيد أعداءه -وأولهم الشيطان- فيبطل كيدهم ومكرهم وعملهم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]. وقال: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾ [يوسف: ٧٦]. فإذا قورن كيد الله بكيد الشيطان المخذول الذي ليس له سلطان على الذين آمنوا ثبت ضعف كيده وهوانه.

أما الآية الثانية: فسياقها وموضوعها مختلف، إذ إنها تصور موقف هروب يوسف ﷺ من فتنة امرأة العزيز وهي تطلبه ليرجع ويفعل ما تأمره به، فإذا بهما أمام زوجها لدى الباب، فلم ترتبك ولم تتلجلج في هٰذا الموقف العصيب، بل على الفور قلبت الحقيقة وارتدت ثوب المرأة الفاضلة حين تشكو من يحاول إغراءها، فالكيد العظيم هنا هو سرعة الانتقال النفسي - في لحظة واحدة- من موقف من تطارد الرجل لموقف العفيفة المتأبية على الفتنة، وانتقال مشاعر بعض النساء من النقيض إلى النقيض في لمحة واحدة كان مما يستوقف الرجال ويثير عجبهم، يقول تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ

ٱلْخَاطِئِينَ﴾[١]. فالموقف مختلف، وسياق الكلام فيه مختلف، ونوع الكيد مختلف، فلا يصح مقارنة الكيد هنا بالكيد هناك؛ لأنه إنما يعني هنا براعة انتقال المرأة وسرعتها بين المشاعر المختلفة، مما قد لا يستطيعه الرجل، ومن هنا جاءت عظمة الكيد، أما هناك فهو في مقابل كيد الله تعالىٰ لأولياوئه، ولا شيء من فعل المخلوقات إلا وهو ضعيف حقير في جنب الله تعالىٰ لأنَّ كيده تعالىٰ متين كما قال: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾[٢].

وبمناسبة الحديث عن يوسف ﷺ وصاحبته فهناك حديث صحيح لا شك فيه سندًا ومتنًا، لكن بعض الجهال يتخذونه مستندًا للطعن في المرأة، وبعض مدخولي العقيدة يتخذونه سندًا للطعن في زوجات النبي ﷺ أو بعضهن. والحديث برواية البخاري[٣] عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَضَهُ الذِي مَاتَ فِيهِ، فَحَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَأُذِّنَ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ. وَأَعَادَ قوله فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّىٰ، فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ من نفسه خفة، فخرج..

ويصور الحديث النبي ﷺ في مرض موته وقد أمر أزواجه أن يبلغن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يصلي بالناس بدلًا منه، لكن عائشة رضي الله عنها لم ترد ذلك كي لا يتشاءم الناس به إذ يحل محل النبي ﷺ، وقد صرحت بنيتها الباطنة بعد ذلك لكنها أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن الصديق رضي الله عنه كونه شديد الحزن رقيق القلب، لا يستطيع أن يقوم مقام النبي ﷺ في إمامة الناس، فأعاد النبي ﷺ أمره، فأعادوا عليه قولهم -ويبدو أن عائشة

---

(١) يوسف: ٢٨-٢٩.
(٢) الأعراف: ١٨٣.
(٣) البخاري (٦٤٤).

وجدت من يؤيدها فيما أظهرته- فلما كانت الثالثة قال ﷺ لهن: «إنكن صواحب يوسف». وأصر علىٰ قوله، فخرج أبو بكر فصلىٰ بالناس، وتشبيهه الحاضرات أو بعضهن اللاتي راجعنه في أمر أبي بكر بصواحب يوسف، إنما هو في ٱختلاف الظاهر المعلن عن الباطن الخفي، أما الظاهر في قصة يوسف فهو حضورهن إجابة لدعوة ٱمرأة العزيز، لإكرامهن في بيته، وأما الباطن الخفي فهو أن ينظرن إلىٰ حسن يوسف، وأن يعذرنها في محبتها له، فليس في هٰذا التشبيه -في مجمله- إلا وصف المرأة بأنها أحيانًا تظهر في موقف ما سببًا معلنًا غير السبب الحقيقي الذي تخفيه، وهٰذا صدق وحق، ولعائشة وصاحباتها فيه عذر الخوف علىٰ أبي بكر رضي الله عنه أن يتشاءم الناس منه إن حدث الموت بالنبي ﷺ، وله أن يزجر أزواجه مؤنبًا مؤدبًا كي يطعنه فيما أمر، ولم يقل في ذلك إلا حقًّا، لكن هل تنفرد المرأة وحدها بفعل هٰذا؟ الرجال أيضًا يفعلونه في مواقف عديدة يظهرون فيها غير ما يبطنون مراعاة منهم لاعتبار ما، لكن ربما كانت المرأة بطبيعتها أكثر فعلًا له مرة بسبب الحياء، وأحرىٰ مكرًا وتدبيرًا. وهن بذلك كله متصفات، فلا شيء في الحديث كله يعيب، ولنقرأ الآيات:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[1][2].

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» (ص٣٥٨-٣٦١).
(٢) يوسف: ٣٠-٣٢.

الباب الحادي عشر

أحاديث صحيحة وردت في المرأة

أساء البعض فهمها

أحاديث صحيحة وردت في المرأة، أساء البعض فهمها

الحديث الأول

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في أَضْحَىٰ أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّىٰ فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: «يا معشر النساء، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ». قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟» قُلْنَ: بَلَىٰ. قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟» قُلْنَ: بَلَىٰ. قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»[1].

قد فهم البعض من هٰذا الحديث أن الإسلام يصف المرأة بأنها ناقصة العقل والدين.

والجواب عن الشق الأول ما يلي:

ليس المراد بـ«ناقصات عقل» النقص الفطري العام أي: في متوسط الذكاء، والدليل علىٰ ذلك ما يلي:

أولاً: أن المرأة تشارك الرجل في المسئوليات الآتية:

أ) المسئولية الإنسانية: أي تحمل الإنسان مسئولية عمله، ومحاسبته عليها في الآخرة، وهٰذه مقررة في الكتاب العزيز.

ب) المسئولية الجنائية: أي تحمل العقوبات الجزائية في الدنيا عن السلوك المنحرف، وهٰذه مقررة في الكتاب العزيز.

---

(١) تقدم تخريجه.

ج) المسئولية المدنية: حق التصرف في الأموال، وعقد العقود، والولاية على القصر، وهٰذِه يقرها عامة الفقهاء بأدلتها من الكتاب والسنة.

د) مسئولية رواية السنة المبينة للكتاب: وهٰذِه يجمع عليها علماء المسلمين(١).

ومن هٰذِه المسئوليات ما تختص به وهو حضانة الأطفال، وهٰذِه ما كان الله ليسندها إلا لإنسان سوي، وما كان لنا نحن الرجال أن نأمن علىٰ أبنائنا وبناتنا في كنف إنسان عاجز مختل العقل والدين.

ثانيًا: إن المناسبة التي قيل فيها النص خلال عظة للنساء في يوم عيد، فهل نتوقع من الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم أن يغض من شأن النساء أو يحط من كرامتهن أو ينتقص من شخصيتهن في هٰذِه المناسبة البهيجة؟!

ثالثًا: إن النبي ﷺ بيَّن بأن المراد من نقصان العقل هي أن شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل فقط، وعلىٰ ذلك نرىٰ أنفسنا ملزمين بالوقوف عند حدود تفسير رسول الله ﷺ للنقص لا نتعداه، أما إذا تجاوزنا هٰذِه الحدود فسنخبط في متاهة الاحتمالات، وربما خضنا في الأوهام، ونكون عندها قد وقعنا في محظور اتباع المتشابه.

وقد بينا في الشبهة حول مساواة الرجل بالمرأة لماذا جعل الله شهادة المرأة نصف شهادة الرجل.

رابعًا: إن من أوضح ما يدل عليه سياق الحديث أنه ﷺ وجَّه إلى النساء كلامه هٰذا علىٰ وجه المباسطة التي يعرفها ويمارسها كل منا في المناسبات، لا أدل علىٰ ذلك من أنه جعل الحديث عن نقصان عقولهن

---

(١) «تحرير المرأة في عصر الرسالة» (١/ ٢٧٩).

توطئة وتمهيدًا لما يناقض ذلك من القدرة التي أوتينها، وهي خلب عقول الرجال، والذهاب بلب الأشداء من أولي العزيمة والكلمة النافذة منهم، فهو كما يقول أحدنا لصاحبه: قصير، ويتأتىٰ منك كل هٰذا الذي يعجز عنه الآخرون. إذن فالحديث لا يركز علىٰ قصد الانتقاص من المرأة بمقدار ما يركز على التعجب من قوة سلطانها على الرجال[1].

---

(١) يقول الدكتور / محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه: «المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني» (ص ١٧٤-١٧٧): «المرأة تبحث دائمًا في الرجل عن شريك لها، وعن حماية ورعاية لها في كنفه، وهٰذا يقتضي أن تكون أضعف منه. وهو ذاته الشرط الذي لابد منه ليجعلها تهيمن عليه. إنها ليست معادلة صعبة أن تفهم بأن سلاح المرأة إنما يكمن في ضعفها، وأن سلطانها على الرجل إنما يكمن في احتمائها به واحتياجها إليه، واحتياجُها إليه إنما يتمثل في أن يكون أقوىٰ منها بدنيًا، وأقدر منها فكريًا.

ولعل الرجال متهمون، عندما يكونون هم المدلون بهٰذا القرار.

إذن، فإليك ما تقوله الكاتبة الألمانية «إسترفيلار»، في كتابها المعمق والطريف، «حق الرجل في التزوج بأكثر من واحدة»: «إن كانت القوة البدنية حَرِيَّة بأن تكون عاملَ ضغطٍ وتحكمٍ في طبقة اجتماعية ما، فهي لا يمكن البتة أن تنجح في إخضاع جنس إلىٰ جنس آخر.

إن الشخص الذي يستطيع اضطهاد شخص آخر هو الشخص الضعيف المحتاج إلى المساعدة، وليس الشخص الأقوىٰ بدنيًا، فليس العاشق هو صاحب السلطة، وإنما المعشوق».

وهي تؤكد في أكثر من موضع في كتابها هٰذا أن المرأة لا تركن إلا إلى الرجل، الذي هو أحدُّ منها ذكاءً، وقد تبدو إلىٰ جانبه كغبية ساذجة، إذ إن ذلك شرط لابد منه؛ لاحتمائها به، وهي تبحث في الرجل عن الرعاية والحماية قبل البحث عن الجنس. فهي تقول: «بالنسبة للنساء فإن بإمكانهن بسط سلطتهن على الرجال، وذلك بالتحكم في غرائزهن الجنسية مما يجعل الرجال تابعين لها، وبما أن النساء في أغلب الأحيان هن أضعف جسميًا وفكريًا من الرجال فإنهن يستطعن

يقول د/ مروان إبراهيم[1]:

ما من ريب أن دماغ المرأة مثل دماغ الرجل تمامًا لا فرق بينهما، والدماغ غير العقل، فالعقل هو قوة التفكير، وهي عنصر مهم في حياة كل إنسان يقابله العاطفة، وهي أيضًا إحدىٰ قوى الإنسان وأحد عناصر حياته الهامة، وكل إنسان لديه هاتان القوتان: العقل، والعاطفة، وفي كثير من الأحيان يتعارض عمل كل منهما ودوره مع عمل الآخر ودوره.

إضافة إلىٰ إمكانية ٱمتناعهن جنسيًا عنهم أن يلفتوا ٱنتباه الرجال إليهن بمثابتهن مواضع رعاية».

وتقول: «فقط، عندما تكون المرأة أضعف من الرجل، ثم إضافة إلىٰ ذلك أغبىٰ منه، فإنها تصبح بالنسبة لهٰذا الأخير طرفًا مغريًا جذابًا».

وتمضي فتؤكد هٰذِه الحقيقة علىٰ ألسنة النساء قائلة: «والمعروف في النساء قولهن: إن الرجل الذي أبتغيه هو ذاك الذي باستطاعته أن يكون قادرًا علىٰ حمايتي، وهو لن يقدر علىٰ ذلك إلا إذا كان أطول قامة، وأقوىٰ بنية، وأشد ذكاءً مني. وتقول: إن الرجل الذي أبتغيه هو ذاك الذي أستظل بقامته، وأرفع عيني لمشاهدة وجهه.

إذن، فمما هو ثابت علميًا ومؤكد بشهادة النساء أنفسهن أن المرأة أضعف من الرجل جسميًا وأقل منه ذكاء وأنها لا تضيق بذلك، وإنما تراه مظهرًا لضعفها النسوي الذي هو في الواقع رأس مالها الذي تستخدمه في السيطرة على الرجل، في الوقت الذي تجعل منه راعيًا لها مهتمًا بحمايتها.

فهل قال رسول ﷺ للمرأة أقل أو أكثر من هٰذا الكلام؟

إن العجيب أن الذين يتبرمون بالإسلام ويمارسون حرفة هابطة مكشوفة في التقول عليه يجلجلون بهٰذا الحديث في الأوساط، وربَّما في الأوساط النسائية خاصة، ويطيلون ألسنتهم بالنقد عليه حتىٰ إذا رأوا ما يقوله كتاب علم النفس، ووقفوا علىٰ ما يقوله أمثال هٰذِه الكاتبة، مما أتينا علىٰ بعض نصوص منه ألجموا ألسنتهم عن النقد، وأصغوا إليه بالاحترام والقبول إن لم نقل بالاستسلام والتقديس.

(١) «دراسات في الأسرة في الإسلام» ص ١٢١-١٢٣.

فمن يريد أن يتخذ قرارًا عقلانيًا لابد أن يتجرد عن العاطفة مؤقتًا، ومن ٱتخذ قرارًا عاطفيًا لابد أن يُغيب سلطان العقل مؤقتًا، أو يُضْعِفَه على الأقل، وكلَّما ظهر أحدهما غاب أو كاد أن يغيب الطرف الآخر مؤقتًا، وغياب أحدهما مؤقتًا لا يعني ٱختفاءه كليًا، فمتىٰ زاد سلطان العقل ضعف سلطان العاطفة، لكن لا يُقال في هٰذِه الحال: إنه لا عاطفة للإنسان حينئذ، ومتىٰ زاد سلطان العاطفة ضعف سلطان العقل. ولكن لا يُقال أيضًا: إنه لا عقل للإنسان حينئذ. فهما كعنصري محلول مكون من ماء وملح، فإذا زادت كمية الماء خف التركيز، مع العلم أن كمية الملح لم تنقص، وإذا زاد الملح ٱزداد التركيز، مع العلم أن كمية الماء لم تنقص، ومن هنا فإن نقصان العقل الذي ورد في الحديث ليس المراد منه نقصان قوى التفكير عند المرأة، وإنما المراد منه زيادة العاطفة.

وزيادة العاطفة ليست عبثًا، فهي مهمة للأنثىٰ حتىٰ تكون من الجنس اللطيف، وهي ضرورية لها كأمٍ تحتاجها للصبر علىٰ أطفالها والعناية بهم، وتحتاجها كأخت وعمة وخالة، لذا كانت العاطفة من علامات كمال أنوثة المرأة.

يقول أ/ محمد رشيد العويد[1]:

هٰذا الذي يسمونه «الراديتر» وهو جزء هام من أجزاء السيارة، يقوم بتبريد المحرك، ولولاه لاحترق وتوقفت السيارة.

«الراديتر» هٰذا ببساطة، وعاء معدني يُملأ بالماء ويصل بأنابيب تحيط بالمحرك لتبرده، وباستمرار حركة الماء داخل هٰذِه الأنابيب مع الوعاء المائي الذي تبرده مروحة موجهة نحوه، تتم المحافظة علىٰ درجة محدودة للمحرك لا تزيد.

---

(١) «رسالة إلىٰ مؤمنة» ص٢٤٩-٢٥٢ .

أريد أن أشبه المحرك بالعقل، و«الراديتر» بالعاطفة، ولا يمكن للمحرك مهما كان نوعه وجودته أن يستغني عن تبريد الراديتر له.

وبعبارة مباشرة أقول: إن العاطفة كثيرًا ما تذكّر العقل بأشياء نسيها، أو تمنع العقل من أن ينسىٰ أشياء بسبب شدة عمله في التفكير، فإذا ما نقصت العاطفة فإن العقل قد ينسىٰ أشياء هامة لا يذكره بها إلا العاطفة القوية.

هٰذا مدخل قصير لهٰذا الخبر الذي أرجو قراءته قبل أن نقف عنده قليلًا:

سان فرانسيسكو -رويتر:

«توفيت طفلة عمرها ١٣ شهرًا بعد أن نسيها والدها في شاحنة ثماني ساعات في درجة حرارة مرتفعة وصلت إلىٰ ٥٥,٦٥ درجة مئوية وذهب إلىٰ عمله.

وقال بوب نيكولاس المتحدث باسم الشرطة إن «دارين رودريجز» ٢٩ عامًا ربط طفلته بريانا في مقعد للأطفال في سيارته الفورد أكسبلورر وغادر منزله في تورلوك علىٰ بعد ١٦٠ كيلو مترًا جنوب شرقي سان فرانسيسكو صباح الأربعاء متوجهًا إلىٰ عمله.

وكان «رودريجز» ينوي توصيل ابنته إلىٰ مركز لرعاية الأطفال وهو في الطريق، ولكنه نسي وتوجه إلىٰ عمله مباشرة، وأوقف سيارته ناسيًا أن طفلته ما زالت في المقعد الخلفي.

وأضاف نيكولاس أن الأب عمل طوال النهار ولم يتذكر طفلته إلا في الساعة الخامسة مساءً عندما اتصلت به زوجته نيكول -٢٤ عامًا- من مركز رعاية الأطفال الذي توجهت إليه لأخذ ابنتها بعد أن انتهت من عملها.

وقال نيكولاس: إن الأب هب مذعورًا وجرىٰ إلى السيارة وأخرج الطفلة وتم استدعاء الأطباء والشرطة ولكن الطفلة كانت قد لفظت

أنفاسها من شدة الحرارة.

وأضاف أن الأب والأم آعتادا توصيل ابنتهما إلىٰ مركز رعاية الأطفال وفقًا لمواعيد عمليهما(١).

ألا توافقونني علىٰ أنه لا يمكن للأم أن تنسىٰ طفلتها هٰذِه في السيارة كما نسيها أبوها؟

بل لا يمكن لأي أم أن تنسىٰ ما قد ينساه الآباء!

هل رأيتم كيف أن نقص العقل في المرأة إنما هو لصالح العاطفة التي تمنعها من أن تنسىٰ أطفالها؟ أو أن العاطفة تمنع العقل من أن ينسىٰ، وهو العقل!

لقد كان آنشغال تفكير الأب في عمله أكثر من آنشغاله في طفلته التي تركها في السيارة، فنسيها، ولو كانت عاطفته أقوىٰ ما نسيها.

لقد ظل يعمل طوال النهار ولم يتذكرها إلا حين آتصلت به زوجته التي ذهبت إلىٰ مركز رعاية الأطفال لأخذ ابنتها في الساعة الخامسة مساءً فلم تجدها.

كيف يكون الحال لو نقص مقدار العاطفة في المرأة ليتساوىٰ مع مقداره في الرجل، وزاد مقدار العقل في المرأة ليتساوىٰ مع مقداره في الرجل أيضًا؟!

سيخسر الأطفال المساكين كثيرًا ...!

إذن، إذا كانت زيادة العقل في الرجل ميزة فإن زيادة العاطفة في المرأة ميزة كذلك، ولا تقل أهمية وخطورة عن ميزة الرجل.

لأن نقص العقل الذي أشار إليه الرسول ﷺ ليس نقصانًا ينتقص

---

(١) وكالة أنباء رويتر ٢٣/ ٢/ ١٤١٨هـ- ٢٨/ ٦/ ١٩٩٧م.

منها، وإلا لما كانت مكلفة مثل الرجل، وإنما هو نقصان لصالح العاطفة التي تزيد عندها لتعينها في إنجاز مهام خلقت لها ولم يخلق لها الرجل، ولهٰذا أقول مطمئنًا: قد تنجح المرأة في القيام بكثير من أعمال الرجل، وقد تتفوق عليه فيها، ولكن هل ينجح الرجل في القيام بكثير من أعمال المرأة وبخاصة رعايتها أطفالها والعناية بهم؟!!!

هٰذا هو الجواب عن الشق الأول من الحديث، وأما الشق الثاني: المراد بنقصان دين المرأة، فيجاب عنه بما يلي:

إن الرسول ﷺ حين سئل عن نقص الدين ذكر أمرًا محددًا، وهو نقص الصلاة والصيام في أيام الحيض والنفاس، فهو من ناحية نقص جزئي محصور في العبادة، بل في بعض الشعائر فحسب، حيث تقوم الحائض والنفساء بأداء مناسك الحج جميعًا عدا الطواف بالبيت، كما أنها لا تهجر ذكر الله، والدين القيم إيمان وتقوىٰ تتبع الإيمان، ثم عبادات، ثم أخلاق ومعاملات، وهو من ناحية ثانية نقص مؤقت، أي: ليس دائمًا في حياة المرأة كلها، وإنما يقع في فترات قصيرة، ثم إن الحيض ينقطع مع الحمل وهو تسعة أشهر متصلة، وينعدم مع سن اليأس، ومن ناحية ثالثة فإن النقص ليس من كسب المرأة واختيارها، والمرأة المؤمنة قد تشعر بالأسىٰ؛ لحرمانها من الصلاة والصيام، ولكنها ترضىٰ وتصبر علىٰ أمر قد كتبه الله عليها فيثيبها الله علىٰ هٰذا الرضا وذاك الصبر، وقد تقوم المرأة المؤمنة بنوعين من التعويض لما يفوتها من صلوات:

أولهما: تعويض عاجل بعبادات أخرىٰ مثل: تلاوة القرآن، والدعاء الضارع، والذكر الخاشع، فتستغفر الله وتسبحه وتحمده وتكبره، وهٰذا النوع من التعويض يذكرنا بما فعلته عائشة -رضي الله عنها- حين فرض الحجاب علىٰ أمهات المؤمنين، فَمُنِعْنَ الجهاد وهو أفضل العمل، فكان

حرصها على الحج هو التعويض عما فاتها من فريضة الجهاد، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: «لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور». فقالت عائشة: فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ(١).

وثانيهما: تعويض آجل، وذلك بالإكثار من صلاة النفل بعد الطهر من الحيض، وهذا النوع الآجل يذكرنا بحرص عائشة على تعويض العمرة التي فاتتها بسبب الحيض، قالت عائشة: دخل عليَّ النبي ﷺ وأنا أبكي، فقال: «ما يُبكيك ؟» قلت: سمعتك تقول لأصحابك ما قلت، فمنعت العمرة - قال: «وما شأنك؟» قلت: لا أصلي، قال: «لا يضرك أنت من بنات آدم كتب عليك ما كتب عليهن، فكوني في حجتك عسى الله أن يرزقكها». قالت: فكنت حتى نفرنا من منى فنزلنا المحصب، فدعا عبد الرحمن فقال: «اخرج بأختك الحرم فلتهل بعمرة»(٢).

ومع ذلك يبقى نقص الدين واردًا من وجوه:

[أ] قد يعرض للمرأة ضعيفة الإيمان الأغتباط بعدم الصلاة، وكأنها تخففت من واجب ثقيل، وذلك مما يحرمها الثواب.

[ب] أن النقص الناتج من عدم الصلاة ليس متعلقًا بأمر الثواب وحده، وإنَّما هناك نقص خشوع قلب المؤمن، لحرمانه من المثول بين يدي الله، وخاصة عند غياب التعويض الذي أشرنا إليه.

[ج] وهناك نقص القوة على مغالبة المنكر، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإذا لم يتم التعويض بعبادة أخرى تأكد النقص.

وعليه فالمراد بنقص الدين فيمكن أن يعني أحد أمرين: أولهما:

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٨٨).

نقص تدين الإنسان، أي: نقص تقواه لله وطاعته له، وثانيهما: نقص ما ٱفترضه الله على الإنسان من فرائض، أي: نقص ما يقوم به من نشاط عبادي، ليس عن تقصير، ولكن عن إلزام من الإله المعبود. والحديث هنا يستدل على النقص بأمرٍ كتبه الله على المرأة وهو ٱجتناب الصلاة والصيام في أيام معدودات. علىٰ أن هٰذا النوع من النقص - أي: نقص ما ٱفترضه الله على المرأة- قد يثمر نقصًا في تقواها لله، وهٰذا يعني: أنه أمر يحتمل وقوعه من بعض النساء لا من جميعهن[1].

يقول الدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطي[2]:

إن نقص الدين قد يطلق ويراد به قلة التكليفات السلوكية، لسبب ما، ولاشك أنها ليست مسئولية المكلف، أيًّا كان السبب، وقد يطلق ويراد به التهاون، أو التقصير الذي يتلبس به المكلف بمسئولية واختيار منه.

فالطفل أو المراهق الذي لم يبلغ سن البلوغ بعد يوصف بأنه ناقص الدين، ولا يعني ذلك أنه يتحمل جريرة أي تقصير أو تهاون فيه، بل ربما كان كثير القيام بالواجبات والفرائض والنوافل سريعًا إليها، نشيطًا في أدائها، أكثر من كثير من الرجال البالغين، غير أنه يوصف مع ذلك بأنه ناقص دين؛ نظرًا إلىٰ أنه لم يكلف بعد بشيء من مبادئه وأحكامه، فهو يوصف بنقصان الدين بالمعنى الأول.

والإنسان المتهاون بأوامر الله وأحكامه المستهتر بحدوده يوصف أيضًا بنقصان الدين، ولكنه هنا يعني التقصير في الٱلتزام بمبادئ الدين بعزم منه واختيار، فهو يتحمل جريرة تقصيره والمسئولية المترتبة علىٰ

(١) «تحرير المرأة في عصر الرسالة» (١/ ٢٨٥-٢٨٦).

(٢) «المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني» ص١٧٧-١٧٩ .

نقصان دينه، فهو يوصف إذن بنقصان الدين بالمعنى الثاني.

إذا تبين هٰذا؛ فإن الوصف الذي به وصف رسول الله المرأة من النقصان في الدين إنما يصدق بالمعنى الأول، فهو عليه الصلاة والسلام يعني: أن المرأة خفف الله عنها بعض الوظائف الدينية، وأسقطها عنها، فهي لا تكلف بالصلاة أثناء المحيض، كما لا تكلف بها أثناء النفاس، ولا تكلف بقضاء شيء منها بعد ذلك.

ولكن دون أن ينقص شيء من أجرها بسبب ذلك؛ إذ إن الأمر ليس عائدًا إلىٰ تقصير منها، ولكنه عائد إلىٰ تخفيف من الله عنها.

والمرأة توصف في هٰذه الحال بأنها ناقصة دين، أي: ناقصة التكاليف الدينية، ومعاذ الله أن يكون المعنىٰ أنها مقصرة في دينها، إذ ليس لها أي اختيار في أمر فرضه الله عليها.

ومن أوضح الأدلة علىٰ ما نقول أن البيان الإلهي قرر في أكثر من موضع من كتاب الله ﷻ أن أجر الرجل والمرأة الملتزمين بدين الله سواء، لا يعلو الرجل على المرأة ولا العكس، من ذلك قوله ﷻ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾(١).

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾(٢).

فإن قلت: فكلام الله هنا مشروط بالعمل الصالح، والمرأة ممنوعة في النفاس والمحيض من أهم الأعمال الصالحة وهو الصلاة، فلم يتحقق الشرط الذي أنيط به الأجر لكل من الرجل والمرأة.

فالجواب: أن الاستجابة لأوامر الله سعيًا لمرضاته هي مصدر الأجر

(١) آل عمران: ١٩٥.
(٢) النساء: ١٢٤.

والثواب، وكما تكون بالأفعال الإيجابية تكون أيضًا بالالتزامات السلبية، فالمرأة التي كلفها الله بعدم القيام إلى الصلاة مدة المحيض لا شك أنها تثاب على النهوض بهٰذا التكليف ما دام قصدها الاستجابة لأمر الله، فإحجامها عن الصلاة في هٰذِه المدة كقيام الآخرين إلى الصلاة في المدة ذاتها كلاهما مصدر مثوبة وأجر ما دام كل منهما مندفعًا إلى اتخاذ الموقف الذي كلف به تحقيقًا لأمر الله وسعيًا إلىٰ مرضاته.

وكم من امرأة تجد نفسها متشوقة إلىٰ أن تحضر صلاة التراويح في رمضان، وتعاني في نفسها ظمأً شديدًا إلىٰ ذلك، ولكنها تحجم عن هٰذا الذي هي متلهفة إليه؛ تجنبًا عن سخط الله وانقيادًا لأمره، واحتسابًا لوجهه؛ لأنها تعاني من معذرة حظر الله عليها الصلاة بسببها، ما من شك في أن موقفها هٰذا عبادة، بل عبودية حقيقية لله ﷻ ولها علىٰ ذلك من الأجر ما لا يعلمه إلا الله ﷻ، وإلا فما معنىٰ قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ**»[1] وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم**»[2].

إذن فقد وصف رسول الله ﷺ المرأة بواقع، لا تبعة عليها فيه، وليس فيها أي منقصة لها أو مسئولية عليها.

يقول د/ مروان إبراهيم[3]:

أمَّا نقصان الدين فقد أراد الرسول ﷺ أن يشير بأدب إلى العوارض الخلقية الطبيعية التي تنتاب المرأة، والتي لا شأن لها فيها؛ لأنها من خلق

---

(١) أخرجه البخاري (١، ٤٥، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) [٣٤].

(٣) «دراسات في الأسرة في الإسلام» (ص ١٢١-١٢٣).

الله تعالىٰ، كالحيض والنفاس، اللذين يتسببان في إسقاط الصلاة وفي تأخير الصوم إلىٰ حين. وهٰذِه العوارض ليست علامات نقص في المرأة، بل هي علامات كمال، فالمرأة التي لا تنتابها العادة لا تحمل، والحمل من ضرورات ٱستمرار الحياة علىٰ وجه الأرض.

وهناك ملاحظة لابد من التنبه لها، وهي إشارة الرسول ﷺ إلىٰ قوة المرأة على الرغم مما ذكر في الحديث، وقوله «أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن» يدل علىٰ ذلك بوضوح، وصاحب اللب هو صاحب العقل الكبير، فليس لأحد أن يعترض بعد ذلك.

الحديث الثاني

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ. فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»(١).

والحديث يتضمن عدة أمور:

(أ) توصية عامة بالنساء في قوله ﷺ: «استوصوا بالنساء». وقيل معناه: تواصوا بهن، والباء للتعدية والاستفعال، بمعنى الإفعال كالاستجابة بمعنى الإجابة.

(ب) تعليل هٰذِه الوصية بأمر يتصل بخلقة المرأة، وذلك في قوله ﷺ: «فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه» فهي أولًا متميزة عن خلقة الرجل، ثم إن بها بعض عوج، والرسول ﷺ لم يبين مجال هٰذا العوج ولا مداه، وإنما أشار إلىٰ أثر العوج الخلقي في بعض

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤١٨ رقم ٣٣٣١)، (٩/ ١٦١رقم ٥١٨٦)، ومسلم (٢/ ١٠٩١ رقم ١٤٦٨) [٦٠].

سلوك المرأة مما يضيق به الرجل. فهل يمكن بناء على الواقع المشاهد أن تفسر العوج بسرعة الآنفعال وشدته، أو بفرط الحساسية، أو بتقلب المزاج؟ والعوج أصلًا يقابل الآستقامة، فإذا كان آتزان الآنفعال وضبطه آستقامة، فإن سرعة الآنفعال وشدته عوج، وإذا كان ضبط الإنسان لعواطفه آستقامة فغلبة العاطفة عليه عوج. والمرأة - بخاصة- قد تغلبها العاطفة، فتفوتها الحكمة في آتخاذ قرار، أو يكون منها ما لا يَجْمُل من قول أو فعل، وقد ينتج من سرعة آنفعالها تقلب في المزاج، وصدق رسول الله ﷺ: «**لن تستقيم لك علىٰ طريقة**». وهٰذا التقلب مما يكدر خاطر الرجل ويثير غضبه.ويرجح هٰذا التفسير ما قاله الرسول ﷺفي عظته للنساء: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**». فهٰذا سلوك عادة ما يكون ساعة غضب، أي: نتيجة سرعة الآنفعال وشدته، أما إذا أراد البعض أن يفسر (العوج) بأن المرأة ذات طبيعة ملتوية، والالتواء هنا يعني: المكر والخديعة، فإنا نعتقد أن في هٰذا القول بعدًا وغلوًا وتجريحًا لعموم النساء يعارض النصوص المتكاثرة عن حياة الصحابيات التي تدل علىٰ براءتهن من المكر والخديعة والالتواء، ويخالف الواقع المشاهد بين أمهاتنا وأخواتنا وزوجاتنا، وهل يعقل أن نوكل الإشراف علىٰ تربية أولادنا إلىٰ إنسان ذي طبيعة ملتوية؟!

(ج) وفي الحديث توجيه الرجل إلى الصبر علىٰ ما يصدر من المرأة من سلوك مبعثه ذاك (العوج)، وذلك قوله ﷺ: «**وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها**». وعلى الرجل أن يتذكر أنها لا تتعمد هٰذا السلوك لمضايقته وإحراجه، فإنما هو نتيجة ما قدره الله على المرأة من طبيعة خاصة تتميز بسرعة الآنفعال وشدته، فليصبر، وليكن سمحًا كريمًا، وليعلم أن هٰذِه الخاصية من خصائص المرأة يمكن أن يكون لها أثر طيب

في إقدارها علىٰ أداء مهمتها الأساسية من حمل وإرضاع وحضانة؛ إذ تحتاج إلىٰ عاطفة بالغة وحساسية مرهفة؛ ثم ليعلم الرجل أيضًا أنه إذا حاول الوقوف عند كل خطأ من زوجه -نتيجة ٱنفعالها البالغ- مؤاخذًا ومعاتبًا فإن هٰذا لن يسفر عن شيء سوىٰ مزيد من التباعد والشقاق، ثم يقع الفراق والطلاق. وأخيرًا ليذكر الرجل أن لزوجته من الفضائل والمحاسن ما قد يعوض هٰذا العيب، وصدق رسول الله ﷺ في قوله الحكيم الذي فيه علاج عندما يبدر من المرأة ما يبدر: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**»(١).

(د) ولتأكيد الرفق بالنساء ينهي الرسول ﷺ حديثه بقوله: «فاستوصوا بالنساء». تمامًا كما بدأه ﷺ. وفي شرح هٰذا القول قال الطيبي: (السين في قوله «فاستوصوا» للطلب، وهو للمبالغة، أي ٱطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن، أو ٱطلبوا الوصية من غيركم بهن، وقيل معناه: ٱقبلوا وصيتي فيهن، واعملوا بها، وارفقوا بهن، وأحسنوا عشرتهن. قال الحافظ ابن حجر: وهٰذا القول الأخير أَوْجَهُ الأوجه في نظري، وليس مخالفًا لما قال الطيبي(٢).

يقول د/ مروان إبراهيم: يستدل بعض الناس بهٰذا الحديث علىٰ منزلة المرأة في الإسلام، ولا يؤسفني أن أقول: إن ما ذهبوا إليه من فهم يدل علىٰ جهل فاضح باللغة العربية وبالمعنىٰ والسياق أو علىٰ سوء نية.

إن الحقيقة التي يقررها القرآن الكريم تفيد أن حواء خلقت من آدم، وليس في ذلك ما يعيبها، إذ إن موضوع الخلق من أمر الله وتدبيره، وليس لأحد أن يعترض علىٰ خلق الله، فالله يخلق ما يشاء. وإذا كانت حواء

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «تحرير المرأة في عصر الرسالة» (١/ ٢٨٨-٢٩٠).

خلقت من آدم، فليس في ذلك ما يعيبها أيضًا؛ لأن آدم نفسه خلق من تراب الأرض، كما أن في خلق حواء من آدم دلالة واضحة علىٰ مدىٰ قرب المرأة من الرجل، فهي جزء منه في الأصل.

والحق أنَّ كلَّ ما في الحديث يؤكد الاْهتمام بالمرأة والحرص عليها، والأدلة علىٰ ذلك من الحديث نفسه ظاهرة بينة كما يلي:

١- نلاحظ أن الحديث بدأ وانتهىٰ بالتوصية بالنساء، فتكررت عبارة «استوصوا بالنساء خيرًا» مرتين، في أول الحديث وفي نهايته.

٢- الحديث توجيه وخطاب للرجال لا للنساء، فهناك مُوصىٰ هم الرجال، ومُوصىٰ به هن النساء، والوصية عادة لا تكون إلا في مصلحة الموصىٰ به.

٣- الحديث دلالة واضحة علىٰ رقة النساء ونعومتهن، وأن الرجل يجب أن يأخذ ذلك في الحسبان عند التعامل معهن؛ إذ من المعلوم أن أرق ما في الضلع أعلاه.

٤- إن المراد من العوج المذكور في الحديث لفت أنظار الرجال إلى التعامل بلطف، حين يريدون التأثير في شخصيات زوجاتهن، هٰذا هو المطلوب من الرجل وإلا تعرض الضلع للكسر، وكسر المرأة يكون بطلاقها، علىٰ أن الحزم مطلوب أحيانًا حينما يُعْصَىٰ الله ﷻ، فليس هناك عندئذ حلول وسط، وإنما طاعة كاملة، وهٰذا طبعًا ليس فرضًا على المرأة وحدها، بل على الرجل أيضًا.

٥- وبناء علىٰ ما سبق فإن من فهم الحديث خطأ كان عليه أن يعي جهله بأساليب العربية التي جاءت بها الأحاديث النبوية، والتي تتضمن الكناية والتشبيه.. إلخ.

الحديث الثالث

- عَنْ عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «انْخَسَفَتْ الشَّمْسُ، فَصَلَّىٰ رسول الله ﷺفَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا الله» قَالُوا: يَا رسول الله، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ. قَالَ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا. وَرِأَيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» قَالُوا: بِمَ يَا رسول الله ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ». قِيلَ: يَكْفُرْنَ بالله ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَىٰ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»[(١)].

الحديث يقرر أن النساء أكثر أهل النار، لا لأن الشر غالب علىٰ فطرتهن من دون الرجال لو كان الأمر كذلك لَكُنَّ غير مسئولات عن الزيادة في فعل الشر، ولكن الحديث يقرر أنهن مسئولات ويعاقبن بما كسبت أيديهن من كفر العشير، وكفر الإحسان، وصدق الحافظ ابن حجر إذ يقول: ووقع في حديث جابر ما يدل علىٰ أن المرئي في النار من النساء من اتصف بصفات ذميمة ذُكرت ولفظه: «وأكثر من رأيت فيها من النساء اللاتي إن أؤتمن أفشين، وإن سئلن بخلن، وإن سألن ألحفن، وإن أُعْطِين لم يشكرن» .وهذا يذكر بقول الرسول ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء» [(٢)] فماذا قلل الأغنياء؟ إنه بما كسبت أيديهم من أخذ مال

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٠٤ رقم ٤٣١)، (١/ ٦٢٩رقم ٤٣١)، (٢/ ٢٧١رقم ٧٤٨)، (٢/ ٦٢٧ -٦٢٨ رقم ١٠٥٢)، (٦/ ٣٤٣ رقم ٣٢٠٢)، (٩/ ٢٠٩رقم ٥١٩٧)، ومسلم (٢/ ٦٢٦-٦٢٧رقم ٩٠٧) [١٧].

(٢) أخرجه البخاري تعليقًا عقب (٦٤٤٩)، ومسلم (٢٧٣٧) من حديث ابن عباس.

حرام، أو إنفاقه في حرام، أو بخل به وحبسه عن وجوه الخير.

ثم إن الحديث ذكر النار؛ لكي يتقي النساء دخولها، وذلك باجتناب كفران العشير، وإكثار اللعن، وأن يكثرن من الصدقات والاستغفار، فعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ رسول الله ﷺفي أَضْحَىٰ أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّىٰ فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ- وفي رواية مسلم: وأكثرن الاستغفار- فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رسول الله ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ»(١).

وقال الحافظ ابن حجر(٢): وفي هذا الحديث الإغلاظ في النصح بما يكون سببًا لإزالة الصفة التي تعاب، وفيه أن الصدقة تدفع العذاب، وأنها قد تكفر الذنوب التي بين المخلوقين(٣).

الحديث الرابع

- عَنْ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «كَمُلَ(٤) مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إلا آسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ، ومَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ»(٥).

الحديث ليس فيه حط من شأن المرأة، وإنما يشير إلىٰ توفر الاستعداد الفطري للكمال لدى الرجل ولدى المرأة، أي أن الكمال غير

(١) صحيح تقدم تخريجه.

(٢) فتح الباري (١/ ٤٢٢).

(٣) «تحرير المرأة في عصر الرسالة» (١/ ٢٧٣-٢٧٤).

(٤) «كمل» يقال: كمل بفتح الميم، وضمها، وكسرها، ثلاث لغات مشهورات، الكسر ضعيف، ولفظة الكمال تطلق علىٰ تمام الشيء وتناهيه في بابه، والمراد هنا: التناهي في جميع الفضائل، وخصال البر والتقوىٰ.

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٥١٤ رقم ٣٤١١)، (٦/ ٥٤٣ رقم ٣٤٣٣)، (٧/ ١٣٣رقم ٣٧٦٩)، (٩/ ٤٦٢رقم ٥٤١٨)، ومسلم (٤/ ١٨٨٦ - ١٨٨٧رقم ٢٤٣١) [٧٠].

ممتنع على المرأة، وليس قاصرًا على الرجل، وإذا كان الكمال ممكنًا؛ فبلوغ درجات في طريق الكمال أكثر إمكانًا.

وإذا كان الكمال ممكنًا (بالفطرة) فيمكن زيادة ٱحتمالاته بالتربية والتوجيه، وبالجهد والاكتساب، كما هو الشأن مع الرجال، وعليه فينبغي ٱهتمام المرأة بعنصر الٱكتساب؛ لتحقيق الكمال، وينبغي فتح مجالات التربية والتوجيه، وجميع المجالات التي ترفع من قدرات المرأة، وتصقل ٱستعدادها الفطري وتزكيه(١).

الحديث الخامس

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ، وَلَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَىٰ زَوْجَهَا الدَّهْرَ»(٢).

قد يفهم البعض من هٰذا الحديث أن الإسلام يتهم المرأة بالخيانة، وليس هٰذا صحيحًا، وإنما المراد ما قاله الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٢٤) حيث قال: قوله: «لم تخن أنثىٰ زوجها» فيه إشارة إلىٰ ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتىٰ وقع في ذلك، فمعنىٰ خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتىٰ زينته لآدم ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة، ونزع العرق، فلا تكاد ٱمرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو القول، وليس المراد بالخيانة هنا ٱرتكاب الفواحش - حاشا وكلا - ولٰكن لما مالت إلىٰ شهوة النفس من أكل الشجرة، وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها وقريب من هٰذا حديث «جحد آدم فجحدت ذريته»، وفي الحديث

---

(١) «تحرير المرأة في عصر الرسالة» (١/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٤١٨ رقم ٣٣٣٠)، (٦/ ٤٩٥ رقم ٣٣٩٩)، ومسلم (٢/ ١٠٩٢ رقم ١٤٧٠) [٦٣]..

إشارة إلىٰ تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم، بما وقع من أمهن الكبرىٰ، وأن ذلك من طبعهن، فلا يُفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو علىٰ سبيل الندور، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهٰذا في الاْسترسال في هٰذا النوع، بل يضبطن أنفسهن، ويجاهدن هواهن. اْ هـ.

وقال الشيخ / أحمد شاكر معلقًا علىٰ كلام الحافظ: «إنه لم يكن هناك رجال غير آدم حتىٰ تكون الخيانة بارتكاب الفواحش» فالمقصود بالخيانة: عدم النصيحة، وليست هي الخيانة الزوجية.

الحديث السادس

- قول النبي ﷺ: «الشُّؤْمُ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ»

فهم البعض أن الإسلام يصف المرأة بأنها شؤم لما ورد من الأحاديث الآتية:

١- عَنْ عبد الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهمَا، أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «الشُّؤْمُ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ»(١).

٢- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ، أَنَّ رسول الله ﷺقَالَ: «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ فَفِي الْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ، وَالْمَسْكَنِ»(٢). يعني: الشؤم.

٣-عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ فَفِي الرَّبْعِ، وَالْخَادِمِ، وَالْفَرَسِ»(٣).

والجواب عن هٰذِه الشبهة ما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٧١رقم ٢٨٥٨)، (١٠/ ٢٢٣رقم ٥٧٥٣)، ومسلم (٤/ ١٧٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٧١ رقم ٢٨٥٩)، (٩/ ٤٠ رقم ٥٠٩٥)، ومسلم (٤/ ١٧٤٨ رقم ٢٢٢٦) [١١٩].

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٤٨ رقم ٢٢٢٧) [١٢٠].

إن الطيرة والتشاؤم من عقائد أهل الجاهلية التي أتى الإسلام لهدمها، وإحلال الآعتقاد بالقدر، والتوكل علىٰ الله مكانها، بيد أن النبي ﷺ مع آعتقاده بأنه لا تشاؤم ولا تفاؤل في الإسلام، بمعنىٰ أنه لا أثر لهما في الضر أو النفع، كان يحب أن يسمع الكلمة الحسنة الطيبة، والاسم الحسن الطيب المبشر ؛ لأنهما يبعثان على السرور والرضا، والبشر في السامع فحسب، فلهما أثر نفسي في الآنشراح والطمأنينة لا ينكران، وقد دلَّ علىٰ ذلك الأحاديث الآتية:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ عَدْوَىٰ، وَلاَ طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ». قيل: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ»(١).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ طِيَرَةَ(٢)

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٢٥رقم ٥٧٥٦)، (١٠/ ٢٥٤ رقم ٥٧٧٦)، ومسلم (٤/ ١٧٤٦ رقم ٢٢٢٤) [١١١-١١٢].

(٢) «الطيرة» بكسر المهملة، وفتح التحتانية، وقد تسكن، هي التشاؤم بالشين، وهو مصدر تطير مثل تحير حيرة، قال بعض أهل اللغة: لم يجئ من المصادر هكذا غير هاتين، وتعقب بأنه سمع طيبة، وأورد بعضهم التولة وفيه نظر، وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر، فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير؛ ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك، وكانوا يسمونه السانح بمهملة ثم نون، ثم حاء مهملة، والبارح، بموحدة وآخره مهملة، فالسانح ما ولاك ميامنه بأن يمر عن يسارك إلىٰ يمينك، والبارح بالعكس، وكانوا يتيمنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح؛ لأنه لا يمكن رميه إلا بأن ينحرف إليه، وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما آعتقدوه، وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له؛ إذ لا نطق للطير ولا تمييز، فيستدل بفعله علىٰ مضمون معنىٰ فيه، وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله، وقد كان بعض عقلاء الجاهلية ينكر التطير، ويمتدح بتركه، قال شاعر منهم:

وَخَيْرُهَا الفَأْلُ.» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ يَا رسول الله ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»(١).

- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لاَ عَدْوَىٰ، وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ غُولَ»(٢).

- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ (يَوْمًا فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، والنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي؛ فَقِيلَ: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي:

ولقد غدوت وكنت لا أغدو علىٰ واقٍ وحاتم
فإذا الأشائم كالأيامن والأيامن كالأشائم

وقال آخر:

الزجر والطير والكهان كلهم مضللون ودون الغيب أقفال

وقال آخر:

وما عاجلات الطير تدني من الفتىٰ نجاحًا، ولا عن ريثهن قصور

وقال آخر:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصىٰ ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال آخر:

تخير طيرة فيها زياد لتخبره وما فيها خبير
بلىٰ شيء يوافق بعض شيء أحايينا، وباطله كثير
تعلم أنه لا طير إلا علىٰ متطير، وهو الثبور

وكان أكثرهم يتطيرون، ويعتمدون علىٰ ذلك، ويصح معهم غالبًا لتزيين الشيطان ذلك، وبقيت من ذلك بقايا في كثير من المسلمين.

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٢٣-٢٢٤ رقم ٥٧٥٤، ٥٧٥٥)، ومسلم (٤/ ١٧٤٥-١٧٤٦رقم ٢٢٢٣) [١١٠].

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٤٤-١٧٤٥ رقم ٢٢٢٢) [١٠٧-١٠٩] كلاهما من طريق أبي الزبير، عن جابر.

ٱنظُرْ. فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: ٱنظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ فَقِيلَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ. وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ». فَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ وَلَكِنَّا آمَنَّا بِالله وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «هُمُ الذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ، أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رسول الله؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ»[(١)].

- عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، كُنَّا نَأْتِي الكُهَّانَ. قَالَ: «فَلَا تَأْتُوا الكُهَّانَ» قَالَ: قُلْتُ: كُنَّا نَتَطَيَّرُ. قَالَ: «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ»[(٢)].

وظاهر هٰذِه يمثل إشكالًا، فهٰذِه كلها أحاديث صحيحة لا شك في شيء منها، قسم منها ينفي الشؤم مطلقًا بلا النافية للجنس، وقسم يثبته في هٰذِه الأشياء الثلاثة: المرأة، الفرس، والدار، فكيف نفهم الأمور إذن؟

ومعلوم أن التعارض بين أدلة الشرع الصحيحة، إنما هو تعارض بين ظواهرها - وليس في حقيقتها - إذ أن الشريعة كلّها تدور علىٰ أمور لا ٱختلاف فيها، ولا ٱضطراب، ولا تناقض، فكيف نفهم مجموع الأحاديث السابقة؟

والذي يظهر لي أن شؤم المرأة والدابة والدار ليس علىٰ ظاهره مما

(١) أخرجه البخاري (٦/٥٠٨رقم ٣٤١٠)، (١٠/ ٢٢٢ رقم ٥٧٥٢)، (١١/ ٣١٢ رقم ٦٤٧٢)، (١١/ ٤١٣ رقم ٦٥٤١)، ومسلم (١/١٩٩-٢٠٠ رقم ٢٢٠) [٣٧٤، ٣٧٥].

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٧٤٨-١٧٤٩رقم ٥٣٧) [١٢١].

كان في الجاهلية، وإنما معناه عدم موافقة هٰذِه الأشياء للإنسان، فشؤم الدار: ضيقها، وسوء جيرانها، وأذاهم.

وشؤم المرأة: سلاطة لسانها، وسوء خلقها، وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض إليه.

ووجه الحصر في الثلاثة: هو بالنسبة إلى العادة، لا إلى الخلقة؛ لأنها لم تخلق شؤمًا علىٰ العباد بل خلقت منفعة لهم وإنما الشؤم في سوء أفعالهم، وما مسهم من الكوارث فيما كسبوه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾[1].

فالمرأة إذا كانت سيئة الخلق سليطة اللسان، ماذا نتوقع في معاشرتها لزوجها؟ لا شك أن زوجها سيعيش معها دائمًا في حال شجار وخلاف، وقد يترتب علىٰ هٰذا الخلاف شرٌّ كبيرٌ من إضاعة المال وإهمال الرجل لعمله، وإتلاف أشياء من المنزل بسبب الغضب بينهما..... إلخ.

وقد بَوب البخاري -رحمه الله- علىٰ هٰذِه الأحاديث بقوله:

«باب ما يتقىٰ من شؤم المرأة»، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾[2].

وقد علق الحافظ علىٰ تبويبه فقال: كأنه يشير إلى ٱختصاص شؤم ببعض النساء دون بعض، مما دلت عليه من التبعيض. ٱ هـ.

قال شيخنا مصطفى العدوي[3]:

ولعلَّ ما يفسر هٰذا الحديث هو حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه أحمد (١/ ١١٦٨) من طريق مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ، ثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مِنْ

(١) الشورىٰ: ٣٠. (٢) التغابن: ١٤.

(٣) «جامع أحكام النساء» (٣/ ٤٢٢).

سَعَادَةِ ابن آدَمَ: ثَلَاثَةٌ، وَمِنْ شِقَاوَةِ ابن آدَمَ ثَلَاثَةٌ، مِنْ سَعَادَةِ ابن آدَمَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ، وَمِنْ شِقَاوَةِ ابن آدَمَ: الْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ».

وهٰذا الحديث من طريق محمد بن أبي حميد، وقد أطبق أهل العلم علىٰ تضعيفه، إلا أن محمدًا قد توبع عند الحاكم (٢/ ١٦٢) ولكن بلفظ: «**ثلاث من السعادة، وثلاث من الشقاوة، فمن السعادة: المرأة الصالحة تراها تعجبك، وتغيب فتأمنها علىٰ نفسها ومالك، والدابة تكون وطية فتلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق، ومن الشقاوة: المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها علىٰ نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفًا، فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركبها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق**» أخرجه الحاكم من طريق أبي عبد الله محمد بن أحمد بن بطة الأصبهاني، قال ثنا عبد الله بن محمد بن زكريا الأصبهاني، ثنا محمد بن بكير الحضرمي، ثنا خالد بن عبد الله أبو إسحاق الشيباني، عن أبي بكر بن حفص، عن محمد بن سعد، عن أبيه مرفوعًا، وقال الحاكم: هٰذا حديث صحيح الإسناد من خالد بن عبد الله الواسطي إلىٰ رسول الله ﷺ، تفرد به محمد بن بُكير عن خالد، إن كان حفظه فإنه صحيح علىٰ شرط البخاري، وقال الذهبي في محمد بن بكير: قال أبو حاتم: صدوق، يغلط. وقال يعقوب بن شيبة: ثقة.

قلت: وقد توبع محمد بن أبي حميد أيضًا، تابعه عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن ابن حبان (١/ ٣٠٢ رقم ١٢٣٢)، ولكن بلفظ: «**أربع من السعادة**» فذكر نحو الحديث وزاد عليه.

وأشار الحافظ في «الفتح» إلىٰ أن الطبراني أخرج نحوه مع اختلاف يسير من حديث أسماء رضي الله عنها، فالحديث بمجموع هٰذه الطرق يرتقي إلى الحسن، وهو خير ما يفسره قول النبي ﷺ: «**الشؤم في ثلاثة المرأة،**

والفرس، والدار» والله أعلم.

والذي يظهر لي من ترجمة الإمام البخاري، أنَّه خصَّ الشؤم بالمرأة التي قد تكون سببًا في فتنة زوجها، وذلك كأن يفتتن الزوج بحب زوجته فيطيعها في المعصية.

فقد تكون سببًا في دخوله النار، لذلك أعقب البخاري هٰذِه الأحاديث بحديث: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٤١):

قال الشيخ تقي الدين السبكي: في إيراد البخاري هٰذا الحديث عقب حديثي ابن عمر، وسهل بعد ذكر الآية في الترجمة: إشارة إلىٰ تخصيص الشؤم بمن تحصل منها العداوة والفتنة، لا كما يفهمه بعض الناس من التشاؤم بكعبها، أو أن لها تأثيرًا في ذلك، وهو شيء لا يقول به أحد من العلماء، ومن قال: إنها سبب في ذلك فهو جاهل، وقد أطلق الشارع علىٰ من ينسب المطر إلى النوء الكفر، فكيف بمن ينسب ما يقع من الشر إلى المرأة مما ليس لها فيه مدخل. اهـ.

وأيًا ما كان الأمر بالشؤم، وهو توقع الشر لا يكون خاصًا بالمرأة من حيث كونها ٱمرأة، وإنما هو خاص ببعض النساء، وهي الزوجة السيئة الخلق، أو المرأة التي تكون سببًا في فتنة زوجها فيطيعها في المعصية، ولا شك أن هٰذا الشيء مشاهد ومجرب في الحياة، وعليه فالحديث ليس فيه ٱنتقاص للمرأة كما يفهم البعض ذلك، والله أعلم.

الباب الثاني عشر
أحاديث ضعيفة تحط من شأن المرأة
لم تثبت عن النبي ﷺ

أحاديث ضعيفة تحط من شأن المرأة لم تثبت عن النبي ﷺ

- حديث «وإنما النساء لعب، فمن اتخذ لعبة فليحسنها أو ليستحسنها».

قال الألباني -رحمه الله - في «الضعيفة» (رقم ٤٦٢):

ضعيف: رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» ص(١١٦- زوائده) حدثنا أحمد بن يزيد: ثنا عيسىٰ بن يونس، عن زهير بن محمد، عن أبي بكر بن حزم مرفوعًا.

قلت: وهٰذا إسناد ضعيف، وفيه ثلاث علل:

الإرسال ؛ فإن أبا بكر، وهو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري تابعي، مات سنة (١٢٠)هـ.

وضعف زهير بن محمد الخراساني الشامي.

وأحمد بن يزيد لم أعرفه، ويحتمل أنه ابن الورتنيس المصري، فقد ذكر له رواية عن عيسىٰ بن يونس في «تهذيب الكمال»، فإن كان هو ؛ ففيه ضعف، والله أعلم.

وهٰذا الحديث مما فات السيوطي، فلم يورده في «الجامع الكبير» ولا في «اللآلي»، وكذلك فات ابن عراق ؛ فلم يورده في «تنزيه الشريعة»، والمناوي في «الجامع الأزهر»!

- حديث «هلكت الرجال حين أطاعت النساء».

أخرجه أحمد (٥/ ٤٥)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٢٩-٤٣٠) رقم (٧٨٧٠)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ١٣٥ رقم٤٢٥)، والبزار (رقم ٣٦٩٢)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٣٤)، وعزاه الألباني في «الضعيفة» (١/ ٦٢٥) إلى ابن ماسي في آخر

جزء الأنصاري (١١/ ١). جميعًا من طريق بكار بن عبد العزيز، عن أبيه، عن أبي بكرة، وقال الحاكم عقبه: هٰذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وتعقبه المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٣٥٦)، وقال: «وأقول بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة أورده الذهبي في الضعفاء».

وتعقبه أيضًا الألباني فقال في «الضعيفة» (١/ ٦٢٦):

وقال الحاكم: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي.

قلت: وهٰذا ذهول منه عما ذكره في ترجمة بكار هٰذا في «الميزان»: «قال ابن معين: ليس بشيء. وقال ابن عدي: هو من جملة الضعفاء الذين يكتب حديثهم».

وقال في «الضعفاء»: «ضعيف، مشاه ابن عدي» وتعقبه الشيخ مقبل في تعليقه علىٰ «المستدرك» فقال: بكار بن عبد العزيز ضعيف كما في «الميزان».

- **حديث «طاعة المرأة ندامة».**

أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٧٤)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٦٢)، وعزاه الألباني في«الضعيفة» (١/ ٦٢٤) للقضاعي (ق١٢/ ٢) والباطرقاني في حديثه (١٦٨/ ١)، وابن عساكر (١٥/ ٢٠٠/ ٢) جميعًا. كلاهما من طريق محمد بن سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعًا.

قال العقيلي: محمد بن سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن عروة ببواطيل لا أصل لها، منها ما حدثناه، ثم ذكر الحديث.

وقال ابن عدي: لم يروه عن هشام إلا ضعيف، وحدث به عن هشامٍ خالدُ بن الوليد المخزومي، وهو أضعف من ابن أبي كريمة.

وأورد الذهبي في «الميزان» الحديث في ترجمة ابن أبي كريمة، وكذا الحافظ في «اللسان» (٥/ ١٨٦).

وقال العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٤٨) رقم ١٦٤٨): «طاعة

النساء ندامة» وفيه ضعيف.

وقال أيضًا في موضع آخر (٢/ ٥٠٤): وروى القضاعي، والعسكري، والديلمي، وغيرهم بسند ضعيف، عن عائشة مرفوعًا: «طاعة النساء ندامة».

وقال الألباني في «الضعيفة» (١/ ٦٢٥): وقد تعقَّب السيوطي ابن الجوزي كعادته، فذكر في «اللآلىء» (٢/ ١٧٤) أن له طريقين آخرين عن هشام، وشاهدًا من حديث أبي بكرة، لكن في أحد الطريقين خلف بن محمد بن إسماعيل، وهو ساقط الحديث ؛ كما تقدم عن الحاكم في الحديث (٤٢٢)، وقد أخرجه من هٰذِه الطريق أبو بكر المقري الأصبهاني في «الفوائد» (١٢/ ١٩٢/ ٢)، وأبو أحمد البخاري في جزء من «حديثه» (٢/ ١).

وفي الطريق الأخرىٰ أيوب البختري، واسمه: وهب بن وهب وضَّاع مشهور.

وأخرجه أيضًا ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٤٦٢) من طريق عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي، عن عنبسة بن عبد الرحمن، عن محمد بن زاذان، عن أم سعد بنت زيد بن ثابت، عن أبيها.

قلت: وهٰذا ضعيف من وجهين:

الأول: عنبسة بن عبد الرحمن. قال عنه أبو حاتم: كان يضع الحديث. وقال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيىٰ بن معين: لا شيء. وقال الدارمي عن يحيىٰ بن معين: لا أعرفه. وقال ابن الجنيد عنه: ضعيف الحديث ليس بشيء. وقال الدوري عنه: ليس حديثه بشيء. وقال البخاري: متروك.

وقال أبو داود والنسائي والدارقطني: ضعيف. وقال النسائي في موضع آخر: متروك. وقال الترمذي: يضعف. وقال أبو الفتح الأزدي: كذاب. وقال ابن حبان: هو صاحب أشياء موضوعة لا يحل الآحتجاج به.

وانظر: «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٤١٨).

وقال ابن عدي: منكر الحديث.

الثاني: عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي، قال عنه ابن عدي: لا بأس به إلا أنه يحدث عن قوم مجهولين بعجائب، وتلك العجائب من جهة المجهولين.

والحديث أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢٧٢)، وقال: «لا يصح، عنبسة ليس بشيء، وعثمان لا يحتج به».

وانظر: «الضعيفة» (رقم ٤٣٥)، وكذا «ضعيف الجامع» (٢٧٧٢، ٣٢٨٨)، وأورده أيضًا ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٢١٠).

يقول الدكتور البلتاجي(١):

وهل يجوز إطلاق مثل هٰذا القول الذي ٱستبعد تمامًا أن تأمر المرأة ببر أو صلة رحم أو خير أو مشورة حكيمة ؟ كأنها لا تشير ولا تأمر إلا بشر، فماذا عن طاعة النبي ﷺ لأم سلمة في الحديبية ؟ وماذا عن طاعة أبي الفتاتين من مدين لابنته في صدق فراستها في موسىٰ ﷺ وقولها ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] وماذا عن ٱمرأة فرعون، وغيرهن كثيرات!

- **حديث «لولا النساء لعُبِدَ الله حقًّا حقًّا».**

أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٩٥) من طريق عبد الرحيم بن زيد العمي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب مرفوعًا.

قال ابن عدي: (وهٰذا حديث منكر ولا أعرفه إلا من هٰذا الطريق).

قلت: وهٰذا الحديث ضعيف من وجوه:

الأول: هناك خلاف في سماع ابن المسيب من عمر رضىٰ الله عنه.

الثاني: زيد العمِّي ضعيف.

الثالث: عبد الرحيم بن زيد، قال ابن عدي: «هٰذا حديث منكر، ولا

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» (ص ٥١٢).

أعرفه إلا من هٰذا الوجه، وعبد الرحيم بن زيد العمّي أحاديثه كلها لا يتابعه الثقات عليها».

قلت: وقال البخاري: تركوه.

وقال أبو حاتم: «يترك حديثه، منكر الحديث، كان يفسد أباه؛ يحدث عنه بالطامات».

وقال ابن معين: «كذاب خبيث».

والحديث أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢٥٥) من طريق ابن عدي، ثم قال: «لا أصل له، عبد الرحيم وأبوه متروكان، ومحمد بن عمران منكر الحديث».

والظاهر أن الشوكاني تبع ابن الجوزي في ذلك، فقال في «الفوائد المجموعة» (ص ١١٩): رواه ابن عدي عن عمر مرفوعًا، وفي إسناده متروكان ومنكر. وقد تعقب الألباني ابن الجوزي، فقال في «الضعيفة» (١/ ١٣٩-١٤٠): قلت: الظاهر أن ابن الجوزي توهم أن محمد بن عمران هٰذا هو الأخنسي الذي قال فيه البخاري في «تاريخه الكبير» (١/ ١/ ٢٠٢).

«كان ببغداد، يتكلمون فيه، منكر الحديث عن أبي بكر بن عياش».

وليس صاحب هٰذا الحديث هو الأخنسي، بل هو الهمداني كما صرح ابن عدي في روايته، وهو ثقة، وله ترجمة جيدة في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٣٣-١٣٤) فعلة الحديث ممن فوقه.

وأما السيوطي فخفي عليه هٰذا، فإنه إنما تعقب ابن الجوزي بقوله في «اللآليء» (١/ ١٥٩): «قلت: له شاهد»!

ومع ذلك فهٰذا تعقب لا طائل تحته؛ لأن الشاهد المشار إليه ليس خيرًا من المشهود له! وهو:

الحديث أخرجه أيضًا أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٣٠)، وعزاه الألباني في «الضعيفة»(١/ ١٤٠) لأبي الفضل عيسي بن موسى الهاشمي في

نسخة الزبير بن عدي (١/ ٥٥/ ٢) والثقفي في «الثقفيات» من طريق بشر بن الحسين، عن الزبير بن عدي، عن أنس مرفوعًا: **«لولا النساء، دخل الرجال الجنة»**.

وبشر هٰذا قال عنه ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٠٤): كذاب وضاع، فلا يصلح حديثه شاهدًا.

وقال العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٢١٥) رقم ٢١٢٨): رواه الديلمي، وفيه متروك.

- قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام: **«أي شيء خير للمرأة؟» قالت: ألا ترىٰ رجلًا ولا يراها رجل فضمها إليه، وقال: «ذرية بعضها من بعض»**.

أورده الغزالي في «الإحياء».

وقال الحافظ العراقي: رواه البزار، والدارقطني، في «الأفراد» من حديث علي، بسند ضعيف.

- حديث: **«شاوروهن وخالفوهن»**.

قال الألباني في «الضعيفة» (١/ ٦١٩): «لا أصل له مرفوعًا! كما أفاده السخاوي، ثم المناوي (٤/ ٢٦٣)، وقال العجلوني في «كشف الخفاء» (رقم ١٥٢٩) باختصار، وبتصرف يسير: **«شاوروهن، وخالفوهن»**. قال في «المقاصد»: لم أره مرفوعًا، كذلك ورد بسند ضعيف جدًّا مع ٱنقطاع عن أنس مرفوعًا: **«لا يفعلن أحدكم أمرًا حتىٰ يستشير، فإن لم يجد من يشيره فليستشر ٱمرأة ثم ليخالفها؛ فإن في خلافها البركة»**.

ومما يدل علىٰ نكارة الحديث أن النبي ﷺ نفسه ٱستشار أم سلمة في صلح الحديبية، وعمل بمشورتها، وعمل أيضًا بمشورة خديجة -رضي الله عنها- حين جاءه الوحي أول مرة، حيث أشارت عليه بالذهاب إلىٰ ورقة بن نوفل.

وقد ورد أثر ضعيف موقوف عن عمر بن الخطاب: «خالفوا النساء فإن في خلافهن بركة».

قال الألباني في «الضعيفة» (١/ ٦١٩):

«رواه عليُّ بن الجعد الجوهري في «حديثه» (١٢/ ١٧٧/ ١) من طريق أبي عقيل، عن حفص بن عثمان بن عبيد الله، عن عبد الله بن عمر قال: قال عمر رحمه الله... فذكره.

قال الألباني: وهٰذا سند ضعيف، فيه علتان:

الأولىٰ: جهالة حفص هٰذا، فقد أورده ابن أبي حاتم (١/ ٢/ ١٨٤) برواية أبي عقيل هٰذا وحده، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

وفي «ثقات ابن حبان» (٦/ ١٩٦):

حفص بن عثمان بن محمد بن عرادة، عن عكرمة، وعنه أبو عقيل.

فيحتمل أن يكون هو هٰذا، مع ملاحظة ٱختلاف ٱسم الجد، وذلك مما يؤكد جهالته كما يشير إليه أحمد في قوله الآتي.

والعلة الأخرىٰ: أبو عقيل، واسمه يحيىٰ بن المتوكل العمري، صاحب بهية، ضعيف كما في «التقريب»، وقال أحمد:

«رواه عن قوم لا أعرفهم».

ثم إن معنى الحديث ليس صحيحًا علىٰ إطلاقه ؛ لثبوت عدم مخالفته ﷺ لزوجته أم سلمة حين أشارت عليه بأن ينحر أمام أصحابه في صلح الحديبية حتىٰ يتابعوه في ذلك.

- حديث: «أعدىٰ عدوك زوجتك».

قال الألباني -رحمه الله- في «الضعيفة» رقم (٢٨٢٠):

ضعيف، رواه الديلمي (١/ ١/ ١٢٢) عن أبي بكر السامري، حدثنا إبراهيم بن [الجنيد]: حدثنا يحيىٰ بن بكير، عن الليث عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي مالك الأشعري مرفوعًا.

قلت: وهٰذا إسناد ضعيف، فيه علل:

الأولى: الٱنقطاع بين سعيد وأبي مالك الأشعري، فإنهم ذكروا في ترجمة سعيد أنه لم يسمع من جابر بن عبد الله ﷺ، وجابر مات بعد السبعين، وأبو مالك الأشعري مات سنة ثماني عشرة.

الثانية: ٱختلاط سعيد نفسه؛ رماه بذلك أحمد وغيره.

الثالثة: إبراهيم بن الجنيد وهو الرقي؛ مجهول.

الرابعة: أبو بكر السامري ؛ لم أعرفه.

والحديث بيَّض له المناوي، فكأنه لم يقف علىٰ إسناده.

قال الدكتور/ البلتاجي في «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة»:

«لا يمكن أن يؤخذ علىٰ إطلاقه؛ لأنه مخالف لآيات وأحاديث صحيحة كثيرة: فكيف يمكن أن يمتن الله -تعالىٰ- علىٰ عباده بالزواج ويجعله من آياته، ويعلله بسكون الزوج إلىٰ زوجته التي هي «أعدىٰ أعدائه»؟! وما معنىٰ وصية النبي ﷺالمتكررة بالزوجات وإحسان عشرتهن، وهن أعدى الأعداء؟».

- حديث: «**احملوا النِّساء علىٰ أهوائهن**».

أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٣٧٩) عن محمد بن الحارث ثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني، عن أبيه، عن ابن عمر مرفوعًا.

وهٰذا الحديث ضعيف من وجهين:

- ابن البيلماني روىٰ عن أبيه نسخة موضوعة، كما قال ابن حبان.
- محمد بن الحارث ضعيف.

قال ابن عدي: «ومحمد بن الحارث عامة ما يرويه غير محفوظ».

ثم قال في ترجمة شيخه ابن البيلماني:

«وإذا روىٰ عن ابن البيلماني محمد بن الحارث فجميعًا ضعيفان،

والضعف على حديثهما بيِّن».

والحديث أورده الذهبي في «الميزان» (٣/ ٥٠٥) في ترجمة محمد بن الحارث ضمن ما ينكر عليه.

- حديث: «ثلاث لا يركن إليها: الدنيا، والسلطان، والمرأة».

قال العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٣٨٦) رقم ١٠٣٣): ليس بحديث كما في «التمييز» وغيره.

وفي «المصنوع» (١/ ٨٨) رقم ٩٩): ليس بحديث.

وانظر: «الاتقان» (٥٨٨)، «الأسرار المرفوعة» (١٥٠)، «تحذير المسلمين» (٩٥)، «التمييز» (٦٣)، «الجد الحثيث» (١٠٢)، «الشذرة» (٣١٦)، «اللؤلؤ المرصوع» (١٥٧)، «المقاصد الحسنة» (٣٥٦)، «النخبة» (٩٤)، «مختصر المقاصد» (٣٣٢).

- حديث: «أعرُوا النساءَ يلزمْنَ الحجالَ».

أخرجه ابن جميع في «معجم الشيوخ» (ص ١٠٥)، الطبراني (١٩/ ٤٣٨رقم ١٠٦٣)، والخطيب في «التاريخ» (٩/ ٣٦٨) ، (١٢/ ٣١٩)، وعزاه الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٨٢٧) لأبي العباس الأصم في حديثه (٣/ ١٤٩/ ١) وابن منده في «المعرفة» (٢/ ١٦٢/ ١)، وأبو سعيد بن الأعرابي في «معجمه» (١١٩/ ١)، وعنه القضاعي في «مسنده» (ق٥٧/ ٢)، السلفي في «الطيوريات» (٢١٧/ ٢)، وابن عساكر (٨/ ٣١٣/ ٢، ١١/ ٢٣١/ ١)، والضياء المقدسي في «المنتقىٰ في مسموعاته بمرو» (١/ ١١٣) جميعًا عن بكر بن سهل، ثنا أبو يحيىٰ شعيب بن يحيى التجيبي، ثنا يحيىٰ بن أيوب، عن عمرو بن الحارث، عن مجمع بن كعب، عن مسلمة بن مخلد مرفوعًا به.

وهٰذا الطريق ضعيف من وجهين:

الأول: مجمع بن كعب، مجهول، قال عنه ابن القطان في «أحكام النظر»: «لا يعرف».

الثاني: بكر بن سهل الدمياطي، قال عنه النسائي: ضعيف، وذكر مسلمة بن قاسم «أن الناس تكلموا فيه، ووضعوه من أجل هٰذا الحديث، كما ذكر ذٰلك الحافظ في «اللسان» (٢/ ٥٢) والحديث قال عنه الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص ١٣٥): لا أصل له.

- حديث «اتَّقوا الدُّنيا، واتَّقوا النساء، فإنَّ إبليس طلَّاع ورصَّادٌ، صيَّادٌ، وما هو بشيءٍ من فخوخه بأوثق لصيده في الأتقياء، من فخوخه في النساء».

قال الألباني في «الضعيفة» (رقم ٢٠٦٥): موضوع، رواه الديلمي (١/ ١/ ٤٥) عن سعيد بن سنان، عن أبي الزاهرية، عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل مرفوعًا.

وبيَّض له الحافظ في «مختصره للديلمي»، وسعيد بن سنان، قال في «التقريب»:

«متروك، رماه الدارقطني وغيره بالوضع».

وقال الذهبي في «الضعفاء»: «هالِك».

وانظر: «ضعيف الجامع» (١١٦)، و«كشف الخفاء» (٥٥، ٧٦).

- حديث: «ليس للنساءِ نصيبٌ في الخروج إلا مضطرةً - يعني ليس لها خادمٌ - إلا في العيدين الأضحي والفِطْرِ، وليس لهنَّ نصيبٌ من الطريق إلا الحواشي».

رواه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٥٣٣) من طريق سوار بن مصعب عن عطية، عن ابن عمر مرفوعًا.

وقال: سوار بن مصعب عامة ما يرويه ليس بمحفوظ، وهو ضعيف كما ذكروه.

- حديث: «ليس للنساءِ سلامٌ، ولا عليهن سلامٌ».

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٥٨): حُدِّثْتُ عن أبي طالب، ثنا علي

بن عثمان النفيلي: ثنا هشام بن إسماعيل العطار ثنا سهل بن هشام، عن إبراهيم بن أدهم، عن الزبيدي، عن عطاء الخراساني يرفع الحديث قال: فذكره قال الزبيدي: أخذ على النساء ما أخذ على الحيات: أن ينحجرن في بيوتهن!

قال الألباني في «الضعيفة» (رقم ١٤٣٠):

قلت: وهٰذا إسناد ضعيف؛ لانقطاعه في أعلاه، وفي أدناه، علىٰ جهالة فيه وضعف.

أما الأول: فلأن عطاء الخراساني، قال الحافظ في «التقريب»:

«صدوق، يهم كثيرًا، ويرسل ويدلس، من الخامسة، مات سنة خمس وثلاثين» يعني ومائة، فهو تابعي صغير.

وأما الآخر، فظاهر من قول أبي نعيم: «وحدثت عن أبي طالب»فلم يذكر الذي حدثه، وأبو طالب هٰذا هو ابن سوادة كما في إسناد آخر قبل هٰذا، ولم أعرفه.

وبقية الرجال ثقات غير سهل بن هشام، فلم أعرفه أيضًا، لكن الظاهر أن فيه خطأ مطبعيًا، والصواب سهل بن هاشم، وهو الواسطي البيروتي، فقد ذكروا في ترجمته أنه روىٰ عن إبراهيم بن أدهم، وهو ثقة. والله أعلم.

- حديث «الحمد لله، دفن البنات من المكرمات».

أخرجه يعقوب الفسوي في «المعرفة» (٣/ ١٥٩)، الطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٦٦ رقم ١٢٠٣٥)، والأوسط (٢/ ٣٧٢ رقم ٢٢٦٣)، ومسند «الشاميين» (٣/ ٣٢٤ رقم ٢٤٠٨)، البزار (٧٩٠-زوائده) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٥٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ١٧٢-١٧٣ رقم ٢٥٠)، وابن عساكر (٢/ ٣٧٢ رقم ٢٢٦٣).

وعزاه الألباني في «الضعيفة» (١٨٥) إلىٰ أبي القاسم المهراني في «الفوائد المنتخبة» (٣/ ٢٦/ ١) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢١٦، ٨/

١/٥٠٣)، (١١/ ٢٦٢/ ١)، (١٥/ ١٥٩/ ٢).

جميعًا من طريق عراك بن خالد بن يزيد، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «لما عزي رسول الله ﷺ على رقية امرأة عثمان بن عفان قال: فذكره.

قلت: وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء كما تبين من كلام ابن الجوزي الآتي، فعراك بن خالد وعثمان بن عطاء وأبوه لا يحتج بهم.

وقد توبع خالد، تابعه محمد بن عبد الرحمن بن طلحة القرشي كما عند ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٤٠٤) وهذه المتابعة لا يفرح بها؛ إذ محمد بن عبد الرحمن هذا قال عنه ابن عدي: يسرق الحديث ضعيف والظاهر أنه سرق هذا الحديث من عراك؛ لذا قال ابن عدي: وهذا حديث عراك بن خالد المدني، عن عثمان عن عطاء حدث به عنه عبد الله بن ذكوان سرقه منه محمد بن عبد الرحمن هذا.

قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٣٦) «لا يصح، عثمان ضعيف، وأبوه رديء الحفظ، وعراك ليس بالقوي، ومحمد بن عبد الرحمن ضعيف يسرق الحديث. قال: وسمعت شيخنا عبد الوهاب بن الأنماطي الحافظ يحلف بالله - ﷻ - أنه ما قال رسول الله ﷺ من هذا شيئًا قط».

وأخرجه ابن عدي في «الكامل»، والخطيب في «التاريخ» (٧/ ٢٩١) عن حميد بن حماد، عن مسعر بن كدام، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر مرفوعًا به.

قلت: وهذا الإسناد ضعيف من أجل حميد بن حماد، قال عنه أبو داود: ضعيف، وقال ابن عدي: يحدث عن الثقات بالمناكير.

وبه أعله ابن الجوزي، فأورد الحديث في «الموضوعات» (٣/ ٢٣٥) من هذا الوجه، ثم قال: «لا يصح؛ حميد يحدث عن الثقات بالمناكير».

وقال الذهبي في «تلخيص الموضوعات» ص ٣٤٤ سنده في «تاريخ

بغداد» مظلم، عن مسلم، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر.

- **حديث «للمرأة ستران: القبر والزوج قيل: وأيهما أفضل؟ قال: القبر».**

أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٣٢)، والطبراني في الأوسط (٨/ ١٥١ رقم ٨٢٤٠) وفي «الصغير» (٤٤٨)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٣٧)، وعزاه الألباني في «الضعيفة» (١٣٩٦) والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٧١/ ٢) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ٣٧٢/ ١) جميعًا من طريق خالد بن يزيد، حدثنا أبو روق الهمداني، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعًا.

وقال ابن الجوزي: «حديث موضوع علىٰ رسول الله ﷺ، المتهم به خالد، وهو خالد بن يزيد بن أسد القسري، قال ابن عدي: أحاديثه كلها لا يتابع عليها لا متنًا ولا سندًا، وقال الذهبي في «تلخيص الموضوعات» ص ٣٤٥: «الخبر باطل».

قال الألباني في «الضعيفة»: وفيه علة أخرىٰ، وهي الانقطاع بين الضحاك -وهو ابن مزاحم- وابن عباس؛ فإنه لم يلقه؛ كما تقدم غير مرة.

وقد تعقب السيوطي ابن الجوزي بأن له شاهدًا من حديث علىٰ رضىٰ الله عنه، وما أظن ذلك يفيده قوة كما يأتي بيانه في الحديث التالي:

- **«للنساءِ عشرُ عوراتٌ، فإذا زُوجت المرأةُ سترَ الزوجُ عورةً، وإذا ماتت المرأةُ ستر القبرُ تسعَ عوراتٍ».**

منكر، أخرجه الديلمي من طريق إبراهيم بن أحمد الحسني، حدثنا الحسين بن محمد الأشقر، عن أبيه محمد بن عبد الله، عن عبد الله بن محمد، عن أبيه عن أبيه الحسن بن الحسن بن علي، عن الحسن، عن علي مرفوعًا.

ذكره السيوطي في «اللآلي» (٢/ ٤٣٨) شاهدًا للذي قبله، وسكت عنه

هو وابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٧٢-٣٧٣).

وأقول: إسناده مظلم، من دون محمد الأشقر لم أعرفهم، وشيخه عبد الله بن محمد؛ الظاهر أنه عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب أبو محمد العلوي، قال الحافظ: «مقبول».

يعني عند المتابعة، وإلا فهو لين الحديث.

ومن فوقهم من أهل البيت معروفون بالصدق، ومترجمون في «التهذيب»، فالعلة ممن دونهم.

- حديث «**من كانت عنده ابنة فقد فدح، ومن كانت عنده ابنتان فلا حج عليه، ومن كانت عنده ثلاث فلا صدقة عليه ولا قري ضيف، ومن كانت عنده أربع فيا عباد الله: أعينوه، أعينوه، أقرضوه، أقرضوه**».

قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» ص (١٣٢): رواه الحاكم عن عبادة بن الصامت مرفوعًا، وقد عده ابن الجوزي في الموضوعات».

وقال الدكتور/ البلتاجي في «مكانة المرأة في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة»:

- فأين هذا الكذب الصريح بإسقاط الحج والزكاة من الحديث الصحيح «**من عال جاريتين حتىٰ تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو - وضم أصابعه**» «صحيح مسلم»، كتاب البر، باب فضل الإحسان إلى البنات.

- ومن هٰذِه الأحاديث «**النساء حبالة الشيطان**»

(رقم ١٥٣٠عند العجلوني، و٥١٣ عند ابن طولون).

- ومنها «**ضاع العلم بين أفخاذ النساء**»

(وهو ١٦٣٦ عند العجلوني رقم ٥٥٧ عند ابن طولون) وكل منهما يقول عنه: إنه ليس بحديث، بل هو من كلام بشر الحافي الصوفي، لكنه شاع بين الناس علىٰ أنه حديث! وقارنه بالحديث الصحيح «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**» وفي رواية: «**الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة**

الصالحة» رواه مسلم، وأحمد، والنسائي، وابن ماجة، وغيرهم عن ابن عمرو مرفوعًا، وقد فسرت الصالحة في الحديث بقوله ﷺ: **«التي إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله»** وقارن ما سبق من هٰذه الأقوال الموروثة المشتهرة بقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1][2].

- حديث «اتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن علىٰ حذر».

قال العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٤٤): هو من كلام بعضهم .

وهٰذا غير صحيح؛ لأنه يصدر عن سوء الظن بالمرأة الخيرة وانتظار الفساد منها، وتوقعه في كل لحظة ! وهٰذا يخالف الأمر القرآني ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[3].

- حديث «ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك: أولهم المرأة».

قال العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٣٨٨ رقم ١٠٣٨): قال النجم: هو من كلام الشافعي، وليس في المرفوع، وذكره العجلوني أيضًا (٢/ ٢٤٤) من قول الشافعي .

وقال الدكتور البلتاجي: وأين **«ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك»** من الأحاديث الصحيحة الأخرى التي أوصىٰ فيها النبي ﷺ بالنساء وإكرامهن.

وقد شكك الدكتور البلتاجي في صحة نسبة هٰذا القول إلى الشافعي رحمه الله .

- حديث: «لا تعلموهن الكتابة ولا تسكنوهن الغرف».

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٧٧ رقم ٢٤٥٤)، والطبراني

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» (ص ٥١١).

(٢) الروم: ٢١ . (٣) الحجرات: ١٢ .

في «الأوسط» (٦/ ٣٤ رقم ٥٧١٣) كلاهما من طريق محمد بن إبراهيم الشامي، عن شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.

قال البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٧٧ رقم ٢٤٥٤): وهو بهذا الإسناد منكر.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٩٣): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه محمد بن إبراهيم الشامي، قال الدراقطني: كذاب.

وقال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص ١٢٩): رواه الخطيب مرفوعًا، وفي إسناده محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحديث.

وقال شمس الحق آبادى: «وأحاديث النهى عن الكتابة كلها من الأباطيل والموضوعات ...

إلى أن قال: «وخلاصة الكلام أنه لا ريب في جواز تعليم الكتابة للنساء البالغات المشتهيات بواسطة النساء الأخريات أو بواسطة محارمهن، أما البنات غير البالغات وغير المشتهيات فيتعلمن ممن شئن.

وليست الكتابة سببًا للافتتان لأنها إن كانت سببًا للفتنة لما أباحها الشارع، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، والتي تصاب بفتنة إنما تصاب بأمر غير الكتاب [١٣].

قال الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود: أما ما يذكر من نهي النساء عن الكتابة فإن الحديث مكذوب على رسول الله ﷺ، وقد حقق العلماء بطلانه فسقط الاحتجاج به.

وقول الحق هو أن المرأة كالرجل في تعلم الكتابة والقراءة والمطالعة في كتب الدين والأخلاق وقوانين الصحة والتدبير وتربية العيال ومبادئ العلوم والفنون، من العقائد الصحيحة والتفاسير والسير والتاريخ وكتب الحديث والفقه، كان هذا حسن في حقها، تخرج به عن حضيض جهلها، ولا يجادل في حسنه عاقل، مع الالتزام بالحشمة والصيانة وعدم الاختلاط بالرجال

الأجانب [١٤].

وانظر تعليق الألباني رحمه الله علىٰ حديث (رقم ١٧٨) من «سلسلة الأحاديث الصحيحة» .

- حديث: «**فضلت علىٰ آدم بخصلتين: كانت زوجته عونًا له على المعصية، وأزواجي أعوان لي على الطاعة**».

أورده الغزالي في «الإحياء» (٤/ ١١٤).

وقال عنه الحافظ العراقي: رواه الخطيب في «التاريخ» (٣/ ٣٣١) وفيه محمد بن وليد بن أبان القلانسي، قال ابن عدي كان يضع الحديث.

- حديث: «**أخروهن من حيث أخرهن الله**»، يعني النساء .

قال الألباني في «الضعيفة» (رقم ٩١٨): لا أصل له مرفوعًا .

- حديث «**استعينوا على النساء بالعرىٰ فإن أحداهن إذا كثرت ثيابها وأحسنت زينتها أعجبها الخروج**»

روي من طريق إسماعيل بن عباد، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس. وإسماعيل بن عباد هالك وانظر أسنى المطالب (١٧٩) تبيض الصحيفة (٦) التنزيه (٢/ ٢١٢) ذخيرة الحفاظ (٤٩٦) ضعيف الجامع (٨١٩) الضعيفة (٢٠٢٢) الفوائد المجموعة (٣٨١) الكشف الإلهي (٤٤) كشف الخفظ (٣٤١) اللآلئ (٢/ ١٨١) المشتهر (١٣٧) المغير (٢٧) الموضوعات (٢/ ٢٨٢) ترتيب الموضوعات (٧٠٢).

- «**أشد الحرب النساء، وأبعد اللقاء الموت، وأشد منهما الحاجة إلى الناس**»

لم يثبت وانظر: ضعيف الجامع ٨٦٤.

- حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**أن امرأة أتت النبي ﷺ فجلست إليه فكلمته في حاجتها وقامت فأراد رجل أن يجلس مكانها فنهاه أن يقعد فيه حتىٰ يبرد مكانها**».

رواه الدارقطني في الأفراد وفي إسناده شعيب بن مبشر قال عنه ابن حبان في «المجروحين»: يتفرد عن الثقات بما ليس من حديث الأثبات لا يجوز الاحتجاج به.

- حديث النساء ينصرن بعضهن بعضًا

لا يثبت عن النبي ﷺ وانظر: الأسرار المرفوعة (٥٨٨) التمييز (١٨٣) الجد الحثيث (٤٨٣)، الشذرة (١٠٧٢) كشف الخفاء (٢٨٠٣) مختصر المقاصد (١١٤١) المصنوع (٣٨٠) المقاصد الحسنة (١٢٤٦) النوافح (٢٣٩٧).

- حديث عشر خصال تورث النسيان أكل الطين وأكل سؤر الفأر وأكل التفاحة الحامضة والجلجلان والحجامة على النقرة والمشي بين امرأتين والنظر إلى المصلوب والبول في الماء الراكد وإلقاء القمل والقراءة في المقبرة.

لا يثبت وانظر: تذكرة الموضوعات (١٦٧) التنزيه ٢/ ٢٦١ ذيل اللآلئ (١٣٨).

- حديث: **أجيعوا النساء جوعًا غير مضر، وأعروهن عريًا غير مبرح؛ لأنهن إذا سمنَّ واكتسين، فليس شيء أحبَّ إليهن من الخروج.**

أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٣٣) عن محمد بن داود بن دينار الفارسي، عن أحمد بن يونس، عن سعدان بن عبدة القداحي، عن عبيد الله بن عبد الله العتكي، عن أنس بن مالك مرفوعًا.

وقال ابن عدي بعد أن ساق هٰذا الحديث وغيره «وهٰذه الأحاديث مناكير كلها وسعدان بن عبدة القداحي غير معروف، وأحمد بن إسحاق بن يونس لا يعرف أيضًا، وشيخنا محمد بن داود بن دينار كان يكذب. اهـ.

وقال الذهبي في «الميزان» ٣/ ١٠ بعد أن ساق هٰذا الحديث مع عدة أحاديث «ولعل هٰذه الأحاديث من وضع محمد بن داود، ولا يدري من

شيخه، ولا من شيخ شيخه».

وانظر أيضًا «لسان الميزان» ٤/ ١٠٦.

- حديث قال للنساء: «**إذا أجتمعتن حجلتن وإذا شبعتن وقعتن**» ذيل اللآلئ (١٦٨).

- ما روي عن علي أنه قال: «**المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لابد منها**».

لم يثبت عن عليٍّ رضىٰ الله عنه، والله أعلم.

وهذا آخر الكتاب

وصلىٰ الله على محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم

كتبه

مصطفىٰ أبو الغيط عبد الحي عجيب

وكان الفراغ منه: الجمعة ٣ من شهر رمضان المبارك

عام ١٤٢٢هـ الموافق ٨/ ١١/ ٢٠٠٢م

[ثم أعدتُ النظر فيه بعدها في سنوات مختلفة]

فهرس الكتاب

مقدمة ٥

الباب الأول : خروج المرأة

خروج المرأة ١١
الآداب التي تلتزم بها المرأة عند خروجها ٤٩

الباب الثاني :

تعليم المرأة ٥٩

الباب الثالث: شخصية المرأة المسلمة

شخصية المرأة المسلمة ٩٣
المساواة بين الرجل والمرأة ١١٣
الفصل الأول ١١٥
الأمور التي تساوى فيها الرجل والمرأة في الإسلام ١١٥
المساواة بين الرجل والمرأة ١١٧
التساوي في أصل الخلق ١١٧
التساوي في الجزاء الأخروي ١٢١
التساوي في التكاليف الشرعية ١٢٢
التساوي في الحقوق المادية ١٢٥
التساوي في حق الحياة ١٢٨
التساوي في الحرية ١٣٠
التساوي في الأخوة ١٣١
التساوي في الذمة ١٣٢
التفرقة الدينية بين الرجل والمرأة في التوراة ١٣٦
فروق دينية بين الرجل والمرأة في الإنجيل ١٣٩
مساواة المرأة بالرجل ١٤٤

في العبادة وجزاء الأعمال في الإسلام ١٤٤
وتفوقه في ذلك على الأديان الأخرى ١٤٤
الفصل الثاني: ما اختص به الرجل عن المرأة في الإسلام ١٤٩
المبحث الأول: القوامة ١٥٠
حجج واهية حول القوامة ٢٢٣
قالوا عن القوامة: ٢٢٨
يعملن أكثر من الرجال ٢٣٥
تسكن في ظل قوامته ٢٣٦
حين تسعى الفرنسية إليك ٢٣٩
الهاربون من القوامة ٢٤٣
المبحث الثاني: الشهادة ٢٥٥
المبحث الثالث: الميراث ٢٦٢
وشهد شاهد من أهلها ٢٧٤
المبحث الرابع: ضرب الزوجات ٢٧٨
شبهة أخرى حول ضرب الزوجات ٢٩٧
المبحث الخامس: الطلاق ٣٠٠
الفضل ما شهدت به الأعداء ٣٤٦
المبحث السادس: الإمامة «رئاسة الدولة» ٣٥١
إنها تكرهها بقدر ما تحبونها!! ٣٥٧
المبحث السابع: الدية ٣٥٩

الباب الرابع: عمل المرأة

عمل المرأة ٣٦٥
شروط خروج المرأة للعمل ٣٦٨
حجج المنادين بوجوب اشتغال المرأة ٣٧٠

المجلد الثاني

قالوا عن عمل المرأة ٥٨١
الفرنسيات يحسدن المتفرغة لبيتها ٥٨٦
التزين لواحد وخدمته ذل!! ٥٩٤
والتزين لمئات وخدمتهم تحرر!!! ٥٩٤
مضروبة في الأرض وفي الفضاء ٥٩٦
قيود عصرية تكبل المرأة الروسية ٥٩٨
سيدة الداخل! ٦٠٣
عمل المرأة أضاع الأولاد ٦٠٥
أهم واجبات المرأة: العناية بشئون الأسرة ٦٠٨
الظواهر التي ترتبت على عمل المرأة ٦١١
هل المرأة التي ترعى بيتها امرأة عاطلة؟ ٦١٥
بقاء المرأة في المنزل زيادة في الإنتاج ٦١٨
من حق المرأة ألا تعمل بعد الزواج ٦٢٤
أرجعوا النساء إلى البيوت ٦٢٥
وظيفة المرأة أن تنشيء للأمة الرجال ٦٢٨

الباب الخامس: حجاب المرأة

حجاب المرأة المسلمة ٦٣١
قالوا عن الحجاب ٦٧٧
شهادة الغرب عن الحجاب ٦٩٨
ماذا قلن عن الحجاب ٧٠٨
كتاب محجبات الإسلام ٧١٦
حجج المتبرجات والرد عليها ٧١٩
الحجاب المتبرج!! ٧٥٠

تحرير المرأة من التكشف والسفور ٧٥١
كيف يلغي الحجاب كآبتها؟ ٧٥٦
الحجاب وحركة السير ٧٥٧
الحجاب والتنمية ٧٥٧
الحجاب والعدل ٧٦٠
من يقرر كم تستر من جسمها؟ ٧٦١
لماذا لا نحترم حرية المحجبة في اختيار الحجاب؟ ٧٦٣
السفور قيد على سرعة الحركة والتنقل ٧٦٦
التبرج دعوة صريحة للبغاء والإباحة المطلقة ٧٦٨
نساء القرن العشرين ٧٧٣
همسة في أذن «حواء» ٧٧٧
افتقدوا المنطق العقلي أيضًا ٧٨٢
ألوان القردة ٧٨٤
رسالة إلى متبرجة ٧٨٥

الباب السادس

اشتراط الولي ٧٨٩

الباب السابع: تعدد الزوجات

الفصل الأول: شبهات التعدد والرد عليها ٨٠٣
تعدد الزوجات ٨٠٤
قالوا عن التعدد ٨٨٧
تعدد الزوجات قيد للرجل وتحرير للمرأة ٨٩٩
الحاجة الفطرية إلى رجل ٩٠٣
١٠ ملايين امرأة فرنسية وحيدة ٩٠٤
قيد الحاجة حين يغيب الرجل ٩٠٥

التعدد يقيد الرجل، ولا يحرره ٩٠٧
والعدل قيد على الرجل ٩٠٨
لماذا لا يباح للمرأة تعدد الأزواج؟ ٩١٠
محاولات لمنع التعدد ٩١٤
الشبهات التي يستند إليها دعاة منع تعدد الزوجات ٩١٦
الفصل الثاني ٩٤٣
تعدد أزواج النبي ﷺ ٩٤٥
مقالات حول حكمة تعدد النبي ﷺ ٩٨٦
الفصل الثالث: الرد على شبهة حول زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش ١٠٠٧

الباب الثامن

صوت المرأة ١٠٢٥

الباب التاسع

اسم المرأة ١٠٣١

الباب العاشر

كيد المرأة ١٠٣٩

الباب الحادي عشر

أحاديث صحيحة وردت في المرأة أساء البعض فهما ١٠٤٤

الباب الثاني عشر

أحاديث ضعيفة تحط من شأن المرأة لم تثبت عن النبي ﷺ ١٠٧١

* * *

كتب للمؤلف

١- «خطبة النساء والترغيب في الزواج»: مكتبة السنة - القاهرة - مصر.

٢- «فقه النظر»: دار ماجد العسيري - جدة - السعودية.

٣- «فقه الإذن»: دار ماجد العسيري - جدة - السعودية.

٤- «فقه المرأة»: دار الفلاح -الفيوم- مصر.

٥- «مكانة المرأة في اليهودية والنصرانية والإسلام»: دار الفلاح - الفيوم - مصر.

٦- «شبهات حول المرأة في الإسلام»: دار الفلاح - الفيوم.

٧- «الموازنة بين علاقة المرأة بالرجل الأجنبي عنها في شريعة الإسلام وحضارة الغرب»: دار الفلاح - الفيوم - مصر.

٨- «تنقيح التحقيق» للذهبي (تحقيق): دار الوطن - الرياض - السعودية.

٩- «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير (تحقيق): دار الوطن - الرياض - السعودية.

١٠- «البدر المنير» (تحقيق): دار الهجرة - الرياض - السعودية.

١١- «شرح علل ابن أبي حاتم» (تحقيق): دار الفاروق - القاهرة - مصر.

١٢- «ألف سؤال وجواب للمرأة المسلمة»: دار العلوم - القاهرة - مصر.